هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات، ولم تُراجع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الشريط الأول
مقدمة لعلم التوحيد

محتويات الشريط الأول

1- مقدمة للكتاب (التوقيت: 1 دقيقة و1 ثانية)..... 1
2- ترجمة للمصنف الإمام المقريزي (رحمه الله) (التوقيت: 2 دقيقة و16 ثانية) 1
3- منهج كتاب تجريد التوحيد (التوقيت: 4 دقيقة و29 ثانية)..... 1
4- مُقدِّمة كتاب تجريد التوحيد (التوقيت: 4 دقيقة و49 ثانية)..... 1
5- تسمية الكتاب وفوائده والانتفاع به (التوقيت: 25 دقيقة و57 ثانية)..... 4
6- أنواع التوحيد ومفهوم توحيد الربوبية (التوقيت: 33 دقيقة و33 ثانية) 5
7- مفهوم توحيد الإلوهية (التوقيت: 33 دقيقة و33 ثانية) 6

1- مقدمة للكتاب (التوقيت: 1 دقيقة و1 ثانية)

- كتاب تجريد التوحيد المفيد للإمام المقريزي من أجل وأعظم وأنفع الكتب في باب توحيد الألوهية. وبعض أهل العلم قال إن هذا الكتاب هو أول كتاب صُنِّفَ مستقلاً في توحيد الألوهية فقبل ذلك التصنيفات في توحيد الألوهية لم تكن مستقلة.
- ولهذا في هذا الكتاب فوائد جمَّة وتقسيمات جيدة واستباطات وتفريعات عالية. وأغلب الكتاب فيه نقُولات عن كتاب الفوائد وكتاب مدراج السالكين لابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ) وكلام ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) وبعض النقُولات التي نقلها من إحياء علوم الدين وهذه فيها نظر وسنُبيّنها في وقتها مع بعض النقاط من وضع الإمام المقريزي (رَحِمَهُ اللَّهُ).

2- ترجمة للمصنف الإمام المقريزي (رَحِمَهُ اللَّهُ) (التوقيت: 2 دقيقة و16 ثانية)

- هناك ترجمة أكثر من صفحة في الكتاب عنه فسنتكلم عنه بشيء من التبسيط. هو العلَّامة أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي يُكنَّى بأبي العباس ويُكنَّى بأبي محمد البعلبكي لأنه أصلاً (أي أصول جدوده) من بعلبك بالشام ولكنه مولداً ووفاتاً مصري وهذا فخر للمصريين فقلما تجد في المصريين من يكتب في العقيدة وُلِدَ في مصر سنة (760 هـ) وقيل (766 هـ) وتُوفِّيَ بمصر.
- أولاً تمذهب على المذهب الحنفي ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وقال فيه ابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ): ""كان إماماً بارعاً مُفتياً مُتقناً ضابطاً ديّناً خيّراً محباً لأهل السنة يميل إلى الحديث والعمل به حتى نُسِبَ إلى الظاهر حسن الصحبة حلو المحاضرة " [1].
- وقد أثنى عليه كثير من أهل العلم وتُوفِّيَ سنة (ت 845 هـ).
- وعقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف ويظهر هذا في كتابه جلياً وإن كان هناك بعض العبارات المُجملة التي نقلها عن الصوفية والتي تحتاج لتوضيح.

3- منهج كتاب تجريد التوحيد (التوقيت: 4 دقيقة و29 ثانية)

- تعرضَّ في ها الكتاب لقسم توحيد الألوهية وأفرد فيه إفرادات جيدة وقسَّم تقسيمات جيدة كما سنُوضَّح ونقل من كتب ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) وابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ).

4- مُقدِّمة كتاب تجريد التوحيد (التوقيت: 4 دقيقة و49 ثانية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

- بدأ المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) بالبسملة فقال " بسم الله الرحمن الرحيم" وفي بداية كل كتاب نتكلم عن البسملة ولهذا لن نستفيض فيها.
- والبدأ بالبسملة اقتداءاً بالله (عَزَّوَجَلَّ) ثم اقتداءاً بالنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). فالله (عَزَّوَجَلَّ) بدأ كتابه العظيم بالبسملة وكذلك النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عندما كان يرسل الرسائل إلى الملوك مثل كسرى وقيصر والنجاشي يدعوهم إلى الله (عَزَّوَجَلَّ) أو حتى إلى أمراءه وغيرهم فكان يبدأ بالبسملة. والبسملة يُبدأ بها تبركاً وتيمناً كأنه يُريد أن يقول بسم الله أكتب أو بسم الله أقرأ أو بسم الله أُصنَّف.
- وبعضهم يتعلق بحديث: "كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ فهو أبتر (وفي رواية أقطع أي إنه ناقص البركة)" [2] وهذه كلها روايات فيها ضعف ولم يصح منها شيء.

☜ **بسم:** الباء للإلصاق اوالاستعانة والاسم من السمو والعلو والاسم لغة هو العلامة وهو علامة على الله (عَزَّوَجَلَّ) ولا شيء

---

[1] راجع كلام ابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ) في كتابه " إنباء الغمر بأبناء العمر"

[2] أخرجه الخطيب في " الجامع" والسبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" من حديث أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وهو حديث ضعيف جداً لأنه من رواية أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندي. قال الخطيب في "تاريخه": (كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه أي: في التشيع. وقال ابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة ": (شيعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع)

أسمي واعلى من الله (ﷻ) كأن تقدير المصنَّف للكلام بسم الله أكتب أو أصنّف أو أقرأ. والأصل في الفعل أنه يُقدَّم وتأخير الفعل يفيد الحصر كأنك تقول لا أقرا إلا بسم الله.

☜ **الله:** والاسم الأعظم لله الذي إذا دُعِيَ به أُجيب وهو مشتق من الإله وهو الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً ومن صفات هذا الإسم أنه تُضاف إليه الأسماء ولا يُضاف إلى الأسماء فتقول الله الرحمن الله الرحيم الله العليم ولا تقول الرحمن الله أو الرحيم الله أو العليم الله. وهذا الإسم لم يُدعى إلا به (ﷻ) فحتى الطواغيت والكفار الذين يدَّعون الربوبية لم يقل أنا الله فمثلاً فرعون أخبر عنه (ﷻ) أنه قال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[النازعات: 24]. وهو اسم يدل على ذات الله (ﷻ) ويدل أيضاً على صفات الله (ﷻ) المُتعددة.

☜ **الرحمن:** هو من أسماء الله وقد ظهر جلياً في صلح الحديبية فقد روى البخاري في صحيحه عن الزهري أنه قال: " .... فجاء سهيل بن عمرو فقال: " هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً" فدعا النبي (ﷺ) الكاتب فقال النبي (ﷺ): " بسم الله الرحمن الرحيم" قال سهيل: " أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب" فقال المسلمون: " والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم" فقال النبي (ﷺ): " اكتب باسمك اللهم.... الحديث" [1]. يتضمن صفة الرحمة وهي صفة ذاتية متعدية لأن الرحمة لا تنفك عن ذات الله (ﷻ) وتشمل المؤمن والكافر فالله على الرغم من كفر الكافر يعطيه النعائم من زوجات وأولاد وأموال وغيرهم لعلهم يرجعون. فهناك رحمة عامة للمسلمين والكفار وهذه لا تنفك عن ذات الله (ﷻ) كما ورد في الحديث " جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه" [2]

☜ **الرحيم:** هو من أسماء الله لأنه أضيف إلى الله يتضمن صفة الرحمة وهي صفة فعلية مُقيَّدة فهو رحيم بالمؤمنين فقط لأننا نظرنا في القرآن الكريم فوجدنا كل رحيم جاءت ملتصقة بالمؤمنين كما في قوله (ﷻ): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: 43]. فهي صفة فعلية لأنها متعلقة بالمشيئة لأنه قد يتجاوز عن المؤمن فيدخله الجنة بدون سابقة عذاب ولا عقاب وقد يعذبه في الآخرة.

- الرحمن والرحيم ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" (أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر" جاء أحدهما منفرداً" اجتمعا في المعنى). فلو أتى الرحمن مع الرحيم في كلام واحد أصبح الرحمن رحمة لعامة البشر والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين ولو أتى أحدهما بمفرده فأتى الرحمن بمفرده مثلاً أصبح معناه الرحمة العامة للبشر والرحمة الخاصة للمؤمنين.
- قوله " وهي حسبي" لم يجد بعض أهل العلم في المخطوطة الأصلية للكتاب.
- ثم ثنَّى المصنف (رحمه الله) بالحمد بعد البسملة فقال "الحمد لله". وقال أهل العلم إنه يُسن البدأ بالبسملة في الكتابات ويُسن البدأ بالحمد في الخُطب ولكن إن جمع ففيه خير.
- وهو فيه معاني كثيرة منها الثناء على الله (ﷻ) بمحاسنه وبعضهم قال ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم وهو تعريف مهم لأن هذا التعريف يفرَّق بين الحمد والمدح فالمدح ذكر الأوصاف دون اشتراط المحبة والتعظيم فشرعاً الحمد لا يكون إلا لله (لغة ممكن تقول حمدت فلان على كرمه مثلاً ولكن شرعاً لا) فالمحبة والتعظيم لا تكون إلا لله (ﷻ) فالمصنف يقصد الحصر في قوله (الحمد لله) لأن الحمد لا يكون إلا لله. وهناك فرق بين الحمد والثناء لأن الله سبحانه في الحديث القدسي المشهور:" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: {الحمد لله رب العالمين} [الفاتحة: 2] قال الله تعالى: **حمدني** عبدي وإذا قال: {الرحمن الرحيم} [الفاتحة: 3] قال الله تعالى: **أثنى علي** عبدي...." [3] فرق بين الحمد والثناء وبعضهم قال إن الثناء هو تثنية في ذكر أوصاف المحمود كما في السورة من ذكر صفة الله في الآية الأولى (رب العالمين) ثم ذكر صفتي الله في الآية الثانية (الرحمن الرحيم).

---

[1] أخرجه البخاري عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة (رضي الله عنهما) ومسلم عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. قال البغوي (رحمه الله) في التفسير: " قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي (ﷺ) واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح - فقال رسول الله (ﷺ) لعلي (رضي الله عنه): " اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قالوا: " لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة - يعنون مسيلمة الكذاب - اكتب كما كنت تكتب: (باسمك اللهم) فهذا معنى قوله: {وهم يكفرون بالرحمن}"

[2] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ومسلم عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (حتى ترفع الفرس حافرها) أي هذا التعاطف والإشفاق الغريزي من الحيوان على ولده من جملة ذلك الجزء من الرحمة الذي جعله الله تعالى بين الخلق. والحافر للفرس كالقدم للإنسان

[3] أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) واللفظ لمسلم

- وبعضهم قال إن الحمد هو المدح ولكن هناك فرق كما ذكرنا وهناك فرق آخر أن المدح لابد أن تكون مدحت الممدوح قبل الإخبار بأنك مدحته فهذا خبر مجرد (الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته) أما الحمد فهو خبر يراد به الإنشاء (الإنشاء ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته).
- الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم من الشكر فالحمد لا يستلزم نزول النعائم وهو أن يستشعر المرء بنعمة جاءته حتى يحمد بخلاف الشكر الذي يستلزم نعمة زائدة على المرء ليشكر على هذه النعمة فالإنسان يحمد الله دوماً دون نزول النعائم فالحمد هنا أعم من الشكر. والحمد أخص من ناحية الآلة فالحمد قد يكون باللسان أو اعتقاد القلب أما الشكر فيكون بالقلب واللسان والجوارح والدليل على الشكر بالجوارح في قوله (ﷻ):﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[سبأ: 13] وقوله (ﷺ) لعائشة عندما قام يصلي من الليل: " أفلا أكون عبدا شكورا" [1]. والحمد والشكر ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" [2]
- هناك فوائد كثيرة للمداومة على الحمد والشكر منها محبة الله كما في قوله (ﷺ): " لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه" [3] وقوله (ﷺ): " إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها " [4]
- ومنه أن الله اختار لنبيه (ﷺ) اسم محمد وهو يدل على كثرة الحمد
- المدح أحياناً يذم في الشرع كما في قوله (ﷻ):﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[النجم: 32] والمدح فيه تزكية وقوله (ﷺ) لمن مدح رجل رجلاً عنده: " ويحك قطعت عنق صاحبك" مرارا ثم قال: "إن كان أحدكم مادحا أخاه فليقل: أحسبه ولا أزكي على الله أحدا " [5] وكذلك قوله (ﷺ): " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله" [6] والمقصود هنا هو المبالغة في المدح.
- وكذلك المحبة تأتي من كثرة الشكر فعندما مدح الله عبده نوح (عليه السلام) قال (ﷻ):﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء: 3] والله وكذلك زيادة النعائم كما في قوله (ﷻ):﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: 7] ومن مفهوم المخالفة (المفهوم عند عدم تحقق الشرط إي في حالة عدم الشكر) أن النعم تنقص مع عدم الشكر.
- والله يحمد بكل لسان سواء كان عربي أم غير عربي والآدمي وغير الآدمي كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء: 44] وقول ابن مسعود (رضي الله عنهما) للتابعين: "ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل" [7].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " رب العالمين". وكلمة الرب لغة بمعنى الصاحب. وقد ذكر المصنف لفظي الله والرب ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" (أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر" جاء أحدهما منفرداً" اجتمعا في المعنى) كما سيأتي. والرب اصطلاحاً هو الخالق الرازق المالك المُوجِد المتصرف القاهر المُدبِّر وهذا على كل العالمين ولهذا قال "رب العالمين". فالعالمين تشمل جميع خلقه فهناك عالم الإنس وعالم الجن وعالم الدواب وعالم الحشرات وعالم الطيور وغيرهم.
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " والعاقبة للمتقين". والمقصود أن العاقبة الحميدة تكون للمتقين الذين أتوا بالأوامر واجتنوا النواهي والتزموا أمر الله (عز وجل) الشرعي والكوني.
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " وصلى الله على نبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين". والصلاة على النبي (ﷺ) من الله (عز وجل) ذكره في الملأ الأعلى والصلاة على النبي (ﷺ) من المؤمنين هو الدعاء له والصلاة على النبي (ﷺ) من الملائكة الاستغفار له.
- والملائكة تأتي إلى قبر النبي (ﷺ) تُبلِّغه بكل صلاة تُصلَّى عليه [8]. والأكثار من الصلاة على (ﷺ) يوم الجمعة

---

1 أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه)
2 بعض أهل العلم جعل الحمد والمدح والثناء والشكر كلهم مترادفين والحق أنهم ينطبق عليهم هذه القاعدة.
3 أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) واللفظ للبخاري
4 أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه)
5 أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة (رضي الله عنه)
6 أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر (رضي الله عنه) واللفظ للبخاري
7 أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه).
8 وهذا كما في الحديث الذي أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان والطبراني والحاكم والدارمي وابن حبان والبيهقي من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): " إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام". والحديث قد صححه ابن حبان والحاكم وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه.." ووافقه الذهبي.

مطلوب ولا دليل على تخصيص يوم الجمعة بسماعه (ﷺ) لصلاة المؤمنين عليه.

- وبعض العقائد الفاسدة يستغل ذلك فيقول إنه (ﷺ) يسمع فهو حي لأنه لا توجد لحظة في الأرض إلا وأحدهم يُصلِّي عليه (ﷺ) وبعد أنه حي تذهب له وتقرأ عليه السلام [1].
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " النبيين" فنريد أن نوُضح ما الفرق بين النبي والرسول. والفرق بينهما فيه أقوال متعددة فمنهم من قال إن النبي من أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه والرسول من أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه. وبعضهم قال إن النبي هو من لم يأتي بشرع جديد ولكنه أتى للبلاغ كما كانت تأتي أنبياء بني إسرائيل على شريعة موسى (عليه السلام) والرسول هو من أتى بشرع جديد. وقول آخر ارتضاه ابن تيمية (رحمه الله) إن لم أكن واهماً [2] إن الرسول هو الذي بُعِثَ في أمة كبيرة أتبعه بعض الناس وعصاه بعض الناس والنبي من بُعِثَ في أمة صغيرة. والحق أن الأقوال كلها معتبرة ولا نريد أن ندخل في الخلاف والأقرب إلى الصواب القول بأن النبي من أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُؤمر بتبليغه والرسول من أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه. وعامة المسألة ليس فيها إشكالية كبيرة. وبعضهم قال ما فائدة النبي الذي يُوحِيَ إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه؟ وهناك آية تدل على أن النبيين منذرين وهي قوله (تعالى):﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[البقرة: 213]. فرد أصحاب هذا القول بأن آدم (عليه السلام) نبي فأين الوحي الذي بلَّغه؟.
- وأهمية الفرق بين الرسول والنبي أن البهائيين من الباطنية يقولون إن النبي (ﷺ) خاتم النبيين وليس خاتم الرسل فعندهم رسل بعده (ﷺ). وهذا جهل لأن بين النبي والرسول عموم وخصوص فالرسول نبي وزيادة فإذا خُتِمَ الأخص فالأعم غير موجود.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " صحبه أجمعين". والصحب جمع صاحب في اللغة وأفضل تعريف اصطلاحي لهم أنهم هو من لقِيَ النبي (ﷺ) مؤمناً به (فيخرج من لقيه وهو كافر) ومات على ذلك وإن تخلله ردَّة على الأصح (لأن هناك من لقي النبي (ﷺ) ثم أرتد ثم رجع. وعموماً هناك خلاف عمن أرتد ثم رجع يفقد الصحبة على أساس حبوط كل عمله ولكن الصحيح أن من أرتد ثم رجع على الإيمان فهو من الصحابة). ونقول " لقِيَ" ولا نقول "رأى" لأن ابن أم مكتوم لم يرى النبي (ﷺ) ولكنه من الصحابة (رضي الله عنهم) بلا شك. فأطفال الصحابة (رضي الله عنهم) الذين لَقوا النبي (ﷺ) يُعتبرون صحابة.

5- تسمية الكتاب وفوائده والانتفاع به (التوقيت: 25 دقيقة و57 ثانية)

و بعد فهذا كتاب جمُّ الفوائد بديع الفرائد ينتفع بـه مـن أراد الله والدار الآخرة سميته « كتاب تجريد التوحيد المفيد » والله أسأل العون على العمل به بِمَنِّهِ

- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " وبعد" وهذا تُسمَّى انتقال في اللغة أي الانتقال من المقدمة ولكن الأفضل عند أهل العلم أن تقول " أما بعد" وتأتي بعدها في الخطب بحرف الفاء فتقول مثلاً " أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله (تعالى) وخير الهدي..". وأصل ذلك انتقال النبي (ﷺ) في خطبته وقيل أول من قالها قس بن ساعدة " من حكماء العرب قبل الإسلام

وصححه أيضاً ابن القيم في "جلاء الأفهام". وقال الشوكاني (رحمه الله) في شرح الحصن: " وصححه ابن حبان وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح". وفي بعض النسخ " عن أمتي ". وروى أبو داود عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) قال: " ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ". قال الشوكاني: " قال النووي في الأذكار إسناده صحيح" وقال ابن حجر: " رواته ثقات ولكن رمز في الجامع لضعفه ثم حسنه".

[1] وهذه المسائل وغيرها مما يتعلق به القبورية وتجد الجواب عليها وعلى غيرها من الشُبه في كتاب " الصارم المنكي في الرد على السبكي". والرد عليهم ببساطة من قوله (تعالى):﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر: 30]. وحياة النبي (ﷺ) في قبره حياة برزخية مثل قوله (تعالى) في الشهداء:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: 169] والحياة البرزخية تختلف عن الحياة الدنيوية في أحكامها.

[2] هذا ليس قول ابن تيمية (رحمه الله) فقد ذكر ابن تيمية (رحمه الله) رأيه في كتاب النبوات فقال: "فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ عما أنبأ الله به. فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول. قال (تعالى):﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[الحج: 52] فذكر إرسالا يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره الله بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ...".

وتُوفِّيَ عام (ت 600 م)" وقيل داود (عليه السلام).

- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " فهذا كتاب". وهذه إشارة إلى كتاب التجريد الذي سيَشرُع في تأليفه أو أنه ألَّفه بالفعل.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " جم الفوائد". أي كثير الفوائد والفائدة هي المعلومة التي يعلمها الإنسان مما لم يكن يعلمه. ولهذا تجد أهل العلم يقولون لطلبة العلم "سجلوا الفوائد".
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " بديع الفرائد". وبديع أي أبدع المؤلف في تأليفه. وهذا حق لأن المؤلف في هذا الكتاب أكثر من التقسيمات وأتى بتقسيمات جديدة وبمسائل علمية استخرجها واستنبطها لم تكن موجودة من قبل. والفرائد هي الجواهر فكأن المصنف يقول إن هذا الكتاب الذي بين أيديكم فيه كثير من الفوائد والجواهر.
- ولا عجب أن المصنف يذكر ذلك عن كتابه فهو له أسوة في نبي الله (عز وجل) يوسف (عليه السلام) عندما قال في توليّه كما أخبر (تعالى):﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[يوسف: 55]. حتى إن أهل العلم قالوا إنه من كان عنده علم ليس عند غيره ويرى إن علمه متميز فعليه أن يُبيِّنه للناس ويُعلمه غيره حتى يستفيد منه الناس كالشاهد الذي يعلم إن شهادته ليست عند غيره وستُنفذ أحد أو تُبيّن الحق فوجب عليه أن يشهد هذه الشهادة فهذا ليس من باب تزكية النفوس كما بيَّنا في يوسف (عليه السلام) ولكن من يصل لهذا يحتاج إلى إخلاص حقيقة واتقان شديد.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة". فهذا الكتاب ليس من كتب علوم وأحوال الدنيا. فهذا الكتاب يتكلم في عقيدة المسلم من الإيمان بالله (عز وجل) والنبي (صلى الله عليه وسلم) وكثير من مسائل التوحيد.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " سميته كتاب تجريد التوحيد المفيد". كلمة تجريد بمعنى تخليص وهي من الإخلاص وهو أن يجعل الشيء خالصاً من الشوائب من البدع والمنكرات وكل ما يشوب التوحيد. ويظهر في (تعالى):﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[النحل: 66] فمن بين دم الحيوان ومُخرجاته من الفضلات يخرج الدم الخالص النقي الذي ليس فيه شائبة مما حوله فلابد أن تكون النية خالصة لله (عز وجل). والتوحيد لغة هو مصدر وحَّد أي جعل الشيء واحداً. اما اصطلاحاً هو افراد الله (عز وجل) بالربوبية والإلوهية والأسماء والصفات. المفيد وصف للتوحيد.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " والله أسأل العون على العمل به بمنِّه". فهو يستعين بالله (عز وجل) على تأليف هذا الكتاب. وكذلك نحن نسأل الله (عز وجل) أن يُوفقنا لشرح هذا الكتاب وأن يكون هذا العمل خالصاً لله (عز وجل).

6- أنواع التوحيد ومفهوم توحيد الربوبية (التوقيت: 33 دقيقة و33 ثانية)

اعلم أن الله سبحانه هو ربُّ كلِّ شيء ومالكه وإلهُهُ.

فالرب مصدر: ربَّ يَرُبُّ رَبًّا فهو رابٌّ: فمعنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: رابِّ العالمين فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق المُوجِد لعباده القائم بتربيتهم وإصلاحهم المتكفِّل بصلاحهم من خَلقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا.

- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " اعلم". العلم هو حكم الذهن الجازم بعد تصوُّره باليقين. ومراتب الناس في تصديق الخبر أربعة وهم: العلم والظن والوهم والشك. فالظن هو الراجح من الأمرين أي لو كان عند أمرين تختار من أحدهما فالراجح منهما هو الظن والوهم هو المرجوح من الأمرين أي لو كان عند أمرين تختار من أحدهما فالأضعف منهما هو الوهم. والشك وهو التردد بين أمرين والتساوي بينهما ولم تستطيع أن تُرَجح.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " الله". هو لفظ الجلالة اسم جنس.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " سبحانه". أي تنزيه الله (عز وجل) عن كل نقص.

- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " رب كل شيء ومالكه وإلهه". فالرب هو الخالق الرازق المُدَّبر وهو المحيي وهو المُميت وهو الذي يرزق عباده والرزق من السماء وهو الذي يُنزل المطر وهو الذي له عبادة القهر. والمالك هو المُتصرَّف وهو القاهر فوق عبادة وهو الذي يملك المفاتح. وإلهه إي الإله المُستحق للعبادة أي المعبود. فالرب يشير إلى توحيد الربوبية والمالك فيه صفة الملك التي تشير لتوحيد الأسماء والصفات والإله المعبود المستحق للعبادة تشير إلى توحيد الألوهية. ويجتمع أنواع التوحيد في قوله (تعالى):﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ ﴾[الناس: 1-3].
- الرب لغة كما قلنا هو الصاحب وإذا ذُكِرَ الرب مطلقاً لا يكون إلا لله. والرب قد تأتي مُقيَّدة أو مطلقة. فأتت مُقيَّدة كما في قول عبد المطلب لإبرهه: " إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه" [1] ومثل القول رب المال أو رب العبيد أو غير ذلك فتكون بمعنى الصاحب.
- الإله هو المعبود المستحق للعبادة الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وتُصرف له العبادات من عبادات الجوارح من الصلاة والزكاة والصوم والحج وعبادات القلبية مثل التوكل والخشية والإنابة.
- والله (عز وجل) هو المعبود بحق فقد قال (تعالى):﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[الزخرف: 84] فهناك من يُعبد من دون الله (عز وجل) ولكنه لا يستحق هذه العبادة.

7- مفهوم توحيد الإلوهية (التوقيت: 40 دقيقة و15 ثانية)

والإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء . فإن التوحيد حقيقته : أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤيةً تقطع إلتفاتك إلى الأسباب والوسائط .

فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلقِ وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه .

- فمعنى الألوهية كما قال المصنف (رحمه الله) أن تتخذ الله (عز وجل) معبوداً محبوباً مألوهاً تصرف له كل أنواع العبادات. والعبادة تجمع غاية الذل وغاية المحبة والمقصود بالمحبة محبة العبادة وليس المحبة الجبلِّية الفطرية فالمحبة أنواع ولكن المقصود محبة العبادة والتي نزل فيها قوله (تعالى):﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165]. فمن أحب ولياً أو شيخاً أو قريباً محبة العبادة بأن يصرف له عبادة أو يجعل قلبه يشعر بأن هذا المتبوع هو من يحقق له أموره من رزقه وغير ذلك تكون هذه محبة شِركية. أما المحبة الجبلِّية الفطرية مثل محبة الأم لولدها أو الأخ يحب أخوه فليس فيها شيء إلا إذا انتقلت إلى محبة العبادة فيُصرف إليها العبادات أصبحت شركاً. فالألوهية أن تصرف لله (عز وجل) **فقط** محبتك وعبادتك. وكذلك باقي العبادات التي ذكرها أمثلة منها المصنف (رحمه الله) مثل التوكل والذبح كما سيأتي تفصيلاً لاحقاً في الكتاب.
- والعبادة لابد لها من ثلاث أشياء: الخوف والرجاء والمحبة. فلا يجوز عبادة الله (عز وجل) بالمحبة فقط حتى لا تكون مثل الصوفية الذين يقولون: " ما عبدت الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في جنته فأكون كأسير السوء ولكني عبدته حباً لذاته وشوقاً إليه". وهذا يُنسب إلى رابعة العدوية إن صح عنها وهذا قول الصوفية الذين يعبدون الله (عز وجل) بالحب فقط وهذا من

[1] راجع كتاب " السيرة" لابن كثير. وذكرها ابن كثير في تفسيره في تفسير سورة الفيل وذكره ابن هشام في سيرته ولم أقف على صحته. وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن حبان عن بريدة (رضي الله عنه) وأحمد والطبراني في الكبير عن قيس بن سعد (رضي الله عنه) وحبيب بن مسلمة (رضي الله عنه) وأحمد عن عمر (رضي الله عنه) والطبراني في الكبيرعن عصمة بن مالك الخطمي (رضي الله عنه) وعروة بن مغيث الأنصاري (رضي الله عنه) والطبراني في الأوسط عن علي (رضي الله عنه) والبزار عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وأبو نعيم عن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) قوله (صلى الله عليه وسلم): " صاحب الدابة أحق بصدرها". وصححه الألباني في صحيح الجامع.

أبطل الباطل فهو يُخالف ما كان يفعله الرسل [1]. ولا تعبد الله (ﷻ) كذلك بالخوف فقط كما فعل الخوارج فيُخرجون من يفعل الذنوب والمعاصي من الإسلام. ولا تعبد الله (ﷻ) كذلك بالرجاء فقط كما فعل المرجئة الذين يرجون من الله (ﷻ) الجنة ولا يفعلون شيئاً ولا يأتون بأعمال الجوارح. فالعبادة عند أهل السنة والجماعة لابد أن تعتمد على الثلاثة وجاء أن هذا فعل الرسل جميعاً في العبادة كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: 90] وكذلك العباد المتقين كما في قوله (ﷻ):﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[السجدة: 16] فهذه العبادة تشتمل على الخوف والرجاء والمحبة كما في قوله (ﷻ):﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165] والراجح في تفسير الآية إنهم يحبون الله (ﷻ) ويحبون مشركيهم كما سيأتي ولكن لأنهم أشركوا في المحبة فلم يكونوا مثل المؤمنين الذين يحبون الله (ﷻ) خالصين فقط.

- وكذلك التوبة عبادة فلا أكون إلا لله (ﷻ) فقط كما في حديثه الأسير الذي قال:" اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال (ﷺ):" عرَّف الحق لأهله" [2]. فكان يقصد أن التوبة لله (ﷻ) وليست للنبي (ﷺ) لأنها توبة عبادة فلا أُشرك فيها أحد بخلاف حديث عائشة (رضي الله عنها) عندما قالت أنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله (ﷺ) قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهية فقلت: " يا رسول الله **أتوب إلى الله وإلى رسوله** (ﷺ) ماذا أذنبت؟" فقال رسول الله (ﷺ): " ما بال هذه النمرقة؟" قلت: " اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله (ﷺ): " إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يُعذَّبون فيُقال لهم أحيوا ما خلقتم" وقال: " إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة" [3] فتوبة عائشة (رضي الله عنها) ليست توبة عبادة ولكنها توبة من الخطأ فهي أخطأت في حق النبي (ﷺ) فكأنها تقول له (ﷺ) سامحني.
- والرب والإله " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" (أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر" جاء أحدهما منفرداً" اجتمعا في المعنى). فلو ذُكِرَ كلاً من الرب والإله في نصٍ واحد يكون الرب بمعنى الخالق الرازق المدبر والإله الذي يُعبد وتألهه القلوب محبة وتعظيماً. أما لو ذُكِرَ أحدهما منفرداً في نص فيحمل كلا المعنيين كما في حديث الملكين عندما يأتيان في القبر فيسألون: "من ربك؟" [4] فالملكان لا يسألا عن الربوبية فقد آمن بها المشركون ولكنهما يقصدان " من إلهك" وكذلك في قوله (ﷻ):﴿ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[محمد: 19] فالمقصود الرب والإله معاً.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " فإن التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط". وهنا توجد إشكالية في هذه الجملة فهي من كلام الصوفية. فالله (ﷻ) هو مُقدِّر الأمور جميعاً ولا يحدث شيء في كونه إلا بأذنه. وهذا التعريف لحقيقة التوحيد هو تعريف الربوبية فقط وهذا هو مسلك الصوفية ومعظم الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة مثل الأشاعرة في تعريف التوحيد فلا يدخلون في جانب الإلوهية. ولكن المصنف (رحمه الله) لم يقصد أن التوحيد هو الربوبية فقط فهذا ليست عقيدة المصنف (رحمه الله) كما يظهر من كتابه ولكنه كان يتكلم عن قسم الربوبية ولهذا تجده بعد هذا التعريف تكلم عن الربوبية.

---

[1] قال الألباني في " سلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة": " ومما يُنكَر في هذا الحديث قوله: "ما أبكي شوقًا إلى جنَّتك ولا خوفًا مِنَ النَّار"! فإنَّها فلسفة صوفيَّة اشتهرَتْ بها رابعة العدويَّة إنْ صحَّ ذلك عنها فقد ذكَروا أنَّها كانَتْ تقول في مُناجاتِها: "ربِّ! ما عبدتُّكَ طمعًا في جنَّتك ولا خوفًا من نارك". وهذا كلامٌ لا يصدُرُ إلاَّ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ الله (ﷻ) حَقَّ معرفته ولا شعر بعظمته وجلاله ولا بجوده وكرمه وإلاَّ لَتَعبَّدَهُ طمعًا فيما عنده من نعيمٍ مُقيم ومِن ذلك رؤيته (ﷻ) وخوفًا ممَّا أعدَّه للعُصاة والكُفَّار مِنَ الجحيم والعذاب الأليم ومن ذلك: حِرمانهم النَّظَر إليه كما قالَ: ﴿ كَلَا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: 15] ولذلك كان الأنبياء (عليهم السلام) وهم العارفون بالله حقًّا لا يُناجونه بمثل هذه الكلمة الخياليَّة بل يعبدونه طمعًا في جنَّتِه وكيف لا؟! وفيها أعلى ما تسمو إليه النَّفسُ المؤمِنة وهو النَّظَر إليه -سبحانه- ورهبةً من ناره ولِمَ لا؟! وذلك يستلزمُ حرمانهم من ذلك ولهذا قال بعد أنْ ذَكَر نُخبةً من الأنبياء: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: 90]. ولذلك كانَ نبيُّنا محمَّد (ﷺ) أخشى النَّاسِ لله كما ثَبَتَ في غير ما حديث صحيح عنه. هذه كلمة سريعةٌ حولَ تلك الجُملةِ العدويَّة الَّتي افتُتِنَ بها كثير مِنَ الخاصَّة فضلاً عَنِ العامَّة وهي في الواقع ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[النور: 39] وكنتُ قرأتُ حولَها بحثًا فيَّاضًا ممتِعًا في "تفسير العلاَّمة ابن باديس" فليُراجِعْهُ مَن شاء زيادةَ بيان"

[2] أخرجه الإمام أحمد في المسند والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن الأسود بن سريع (رضي الله عنه). وقال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله: " قلت ابن مصعب ضعيف". وفيه علة أخرى وهي الانقطاع بين الحسن البصري والأسود بن سريع (رضي الله عنه) فإن الحسن البصري لم يرالأسود بن سريع (رضي الله عنه). انظر: نصب الراية ".

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري.

[4] وهذا جزء من حديث طويل عن عذاب القبر أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه الحاكم وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحيهما وابن حبان عن البراء بن عازب (رضي الله عنه). قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي" ووافقه الذهبي وقد أطال الإمام الحافظ ابن القيم القول في تصحيحه والرد على من أعلَّه في تهذيب السنن. ولقراءة الحديث بطوله يُرجى الرجوع للمحاضرة التاسعة في شرح كتاب لمعة الاعتقاد للشيخ صـ 6 رقم (1).

- وقول المصنف (رحمه الله)"رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط" يشير بها المصنف (رحمه الله) إلى مسألة مهمة جداً تؤثر في التوكل وهي ثمرة التوكل وهي مسألة الاعتماد على الأسباب وترك الأسباب. فالاعتماد على الأسباب كفر وترك الأسباب منها ما هو كفر ومنها ما هو كبيرة ومنها ما هو صغيرة ومنها ما هو ترك فضيلة.
- ولكن المصنف (رحمه الله) أراد أن يُأصِّل إن الاعتماد على الأسباب شرك فلو ظننت أن السبب هو الذي يُحقِّق لك الشيء وهو الذي أدَّى إليك ما تريد فهذا شرك مع الله (عز وجل).
- وكذلك إذا ترك الأسباب بالكليَّة وقعت في الإثم الشرعي فمن الواجبات أن تأخذ بالأسباب.
- والاعتماد على الأسباب شرك لأنك اعتقدت في مخلوق ما لا يُعتقد إلا في الله (عز وجل). فلو شربت الدواء واعتقدت إن الدواء هو الشافي وقعت في الشرك. ولو ظننت إن رئيسك في العمل أو شخص ما هو الذي أتى إليك بالوظيفة أو الولي هو الذي يرزقك فقد اعتقدت في مخلوق ما لا يُعتقد إلا في الله (عز وجل) لأن الرزق والشفاء من الله (عز وجل) فكأنك رفعت المخلوق في منزلة الخالق.
- وكذلك ترك الأسباب معصية وحرام لإن الله (عز وجل) أمر بالأخذ بالأسباب كما في قوله (سبحانه وتعالى):﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[الأنفال: 60] فبيَّن الله (عز وجل) أنك إذا أردت أن تجاهد في سبيل الله (عز وجل) وتعلو كلمة الله (عز وجل) فلابد أن يكون عندك أسباب القوة. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فالأخذ بالأسباب المشروعة سواء الشرعية أو المادية من دين الله (عز وجل). فمن ترك الأخذ بالأسباب وقع في المُحرَّم.
- وقد يكون الترك كفر أو كبيرة أو صغيرة أو فضيلة. فمثلاً التوحيد سبب لدخول الجنة فمن ترك التوحيد ودخل في الكفر فقد ترك السبب لدخول الجنة وهذا ترك كفر. وترك التنزُّه من البول من باب الكبائر كما في الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: " مرَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " يعذبان وما يعذبان في كبير" ثم قال: " بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة". ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له: " يا رسول الله لم فعلت هذا؟" قال: " لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا" أو: "إلى أن ييبسا" [1]. وترك السنن الراتبة من باب ترك الفضيلة.
- وهذا التعريف الذي ذكره المصنف (رحمه الله) هو تعريف الربوبية ومقصود المؤلف أن تُفرِد الله (عز وجل) بالربوبية فلا تعتمد إلا على الله (عز وجل) وكذلك تأخذ بالأسباب التي قدَّرها الله (عز وجل) وشرَّعها لنا.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى". وهذا هو أصل الإيمان بالقدر وهو أن تؤمن بالقدر خيره وشره وتُفرِّق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية فما كان كوناً من مصائب وابتلاءات تصبر عليه وتحتسب وما كان شرعاً من تقصير لا تسكت عليه بل تأتي به لأنه من باب مخالفة الأمور الشرعية [2].
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية الخلق وترك لومهم ". فالتوكل الحقيقي هو بأن تترك الاعتماد على الأسباب وأن تأخذ بالأسباب. فلو علمت أن كل ما يحدث مُقدَّر فإنك لن تشكو للخلق ولكن إذا فعل الخلق منكراً فتأمروه ووتنهاهم عنه.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " والرضا عن الله تعالى". فمن ثمرات التوكل على الله (عز وجل) أن ترضى بقضاء الله (عز وجل) وقدره في حكمه الكوني والشرعي والجزائي. فالحكم الكوني أن يُقدَّر المرض على أحد أو الفقر أو الغنى فهذا أمر ليس للمرء فيه تدَّخُل. والحكم الشرعي ما حكم الله (عز وجل) به في عباده بما أنزله في كتابه وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) من أوامر ونواهي. والحكم الجزائي ما قضى الله (عز وجل) به بين العباد يوم القيامة.
- وذكر المصنف (رحمه الله) قوله " والتسليم لحكمه". فالتسليم لحكمه ضابط في صحة الإيمان وليس كمال الإيمان فمن لم يستسلم لحكم الله (عز وجل) يخرج من الإيمان لقوله (سبحانه وتعالى):﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[النساء: 65]. فهناك في الآية ثلاثة ضوابط لصحة الإيمان

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. وفي رواية عند البخاري : " يعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير" أي هم يظنوا إن الأمرهيِّن في نظرهم ولكنه كبير عند الله (عز وجل)

[2] راجع شرح القضاء والقدر للشيخ في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" في المحاضرة التاسعة والعاشرة.

أولها تحكيم النبي (ﷺ) والثاني عدم وجود حرج من هذا الحكم والثالث التسليم بحكمه (ﷺ). فهذا نفي صحة لأن الإيمان موجود فننتقل إلى نفي الصحة [1] فلا يصح إيمان العبد حتى حتى يأتي بالضوابط الثلاثة السابقة.

[1] الأصل عند أهل العلم أن النفي نفي وجود فغن كان الشيء موجود ننتقل إلى نفي الصحة فإن كان الشيء موجود وصحيح ننتقل إلى نفي الكمال ولا ننتقل من نوع من أنواع النفي إلى آخر إلا بقرينة.

الشريط الثاني

معنى الربوبية والإلوهية وأهمية التوحيد وأركانه وشروطه وتقسيماته

محتويات الشريط الثاني

1- معنى الربوبية والإلوهية (التوقيت: 1 دقيقة و8 ثانية) 1
2- أهمية التوحيد (التوقيت: 8 دقيقة و15 ثانية)..... 1
3- أركان التوحيد (التوقيت: 19 دقيقة و50 ثانية)..... 3
4- شروط التوحيد (التوقيت: 26 دقيقة و57 ثانية)..... 4
5- قسّمان التوحيد (التوقيت: 37 دقيقة و02 ثانية) 5
6- لُباب التوحيد (التوقيت: 53 دقيقة و06 ثانية) 6

1- معنى الربوبية والإلوهية (التوقيت: 1 دقيقة و8 ثانية)

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده والتَّأَلَّهَ من عباده له سبحانه كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل

- ذكر المصنف (رحمه الله) " وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده" فالربوبية لله (عز وجل) أي أنه مُربِّي خلقه ومتكفل بصلاحهم ورزقهم وخلقهم والكون كله. وهذه تسمى أفعال الله (عز وجل) فهو توحيد الله (عز وجل) بأفعاله فالخلق والرزق والقضاء والملك وغيرهم من أفعاله التي اختص بها الله (عز وجل). فتوحيد الربوبية أن تُفرد الله (عز وجل) بأفعاله.
- ذكر المصنف (رحمه الله) " والتأله من عباده له سبحانه" فهذا هو توحيد الإلوهية وهي أن تُفرد الله (عز وجل) بأفعال العباد التي لا تكون إلا لله (عز وجل) فقط فمثلاً لو قمت للصلاة أو دعوت أو ذبحت أو نذرت أو اعتمرت فلابد أن تصرف هذه الأفعال لله (عز وجل) دون غيره فلا تُصرف لولي ولا نبي ولا صالح من الصالحين ولا لأحد من خلقه.
- فمن آمن بربوبية الله (عز وجل) فهذا يستلزم منه أن يؤمن بإلوهية الله (عز وجل). فمن علِم أن الله (عز وجل) هو الخالق الرازق فهذا يستلزم منك ألا تصرف العبادة إلا لله (عز وجل) وهذا يُسمَّى علاقة استلزام.
- وتوحيد الإلوهية هو ما كانت تدعو إليه الرسل (عليهم السلام) فمعظم أقوامهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية وهذا كما في قوله (سبحانه وتعالى) حكاية عن أقوام الرسل (عليهم السلام): ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت: 61] وإن كان هناك طوائف خالفت في توحيد الربوبية كما سيذكر المصنف (رحمه الله). فقد جاءت الرسل (عليهم السلام) ومنهم الحبيب (صلى الله عليه وسلم) يقولون لإقوامهم إذا كانت تُوحِّدون الله (عز وجل) حقاً بربوبيته فهذا يستلزم منكم أن تُوحِّدون الله (عز وجل) بإلوهيته. والآية فيها صفات الربوبية (الخلق والتسخير) ولكن الله (عز وجل) لم يقل أن ردهم هو (ليقولن الرب) ولكنه قال (ليقولن الله) وهذا لأننا كما ذكرنا في المحاضرة السابقة أن اللفظين الرب والإله ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" (أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر" جاء أحدهما منفرداً" اجتمعا في المعنى). ففي الآية الله بمعنى الرب والإله معاً.
- ذكر المصنف (رحمه الله) " كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل" وهذا جاء في حديثه (صلى الله عليه وسلم): " جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه" [1]. فالله (عز وجل) بهذه الرحمة التي أنزلها على الأرض هي ما يتصل بينه (سبحانه وتعالى) وبين عباده وبين العباد بعضهم البعض. وهذه الرحمة المخلوقة غير صفة الرحمة **فهذه الرحمة المخلوقة هي أثر لصفة الرحمة** فالرحمة هي صفة ذاتية لله (عز وجل). فالإنعام أثر لصفة الرحمة وليس كما يقول الأشاعرة إن الله (عز وجل) لا يتصف بالرحمة ولكن المقصود بالرحمة الإنعام ولكن أهل السنة يُثبتون الأسم والصفة وأثر الصفة (أو لازم الصفة أو الفعل) فنحن نقول باسم الله (عز وجل) الرحمن واسمه الرحيم وكلاهما يتضمن صفة الرحمة وهي مُشتقَّة منهما ولازم هذه الصفة الإنعام على خلقه (سبحانه وتعالى).

2- أهمية التوحيد (التوقيت: 8 دقيقة و15 ثانية)

واعلم أن أَنْفس الأعمال وأجلَّها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له قشران: الأول : أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله ويسمى هذا القول توحيداً وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سرُّه جهرَه .

[1] راجع تخريجه في رقم (2) صـ 2.

والقشر الثاني : أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاده ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس .

- بدأ المصنف (رحمه الله) في ذكر أهمية التوحيد ثم سيتكلم عن مسألة لنا عليها تحفظات.
- ذكر المصنف (رحمه الله) " واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدرا: توحيد الله - تعالى -" فأعظم الأعمال هو التوحيد وهو العمل الذي كُلِّف به الرسل (عليهم السلام) وهذه هي مهمتهم الأساسية وهو أن يدعو الناس لتوحيد الله (عز وجل) فقد قال (تعالى): ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[النحل: 36] فما أتى رسول إلا للدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك. فمن كان وريثاً للأنبياء فلابد أن يكون أهم شيء في دعوته هو دعوة الناس إلى توحيد الله (عز وجل) ودراسته والعمل به.
- فالتوحيد هو مصدر وحَّد يُوحِّدُ توحيداً ولا يُسمى العبد مُوحِّداً إلا إذا أفرد الله (عز وجل) بأفعاله وقد قال ابن القيم (رحمه الله):

فلواحد كن واحداً في واحد أعنى سبيل الحق والايمان [1]

- " فلواحد": أي لله (عز وجل) الفرض الأحد الصمد. "كن واحداً" أي كن أنت مُوحِّداً". "في واحد" أي على الطريق الواحد المستقيم.
- والتوحيد هو أوجب الواجبات وأعظمها وهو مقصود الله (عز وجل) من خلق العباد كما في قوله (تعالى): ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[الذاريات: 56] فمقصود الآية هو أن هدف خلق الجن والإنس هو إفراد الله (عز وجل) بالعبادة وهذا هو توحيد الإلوهية التي أنزلت به الرسالات وقامت الرسل (عليهم السلام) بالدعوة إليه.
- لو أتيت بتوحيد الإلوهية فقد أتيت بجزء من التوحيد ولكن لابد تأتي قبله بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات التي أثبتها في كتابه أو في سنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).
- وهذا التقسيم لا يُقصد منه تجزيء (تقسيم) التوحيد فالتوحيد كلٌ متكامل فهذا التقسيم من باب التعليم والاصطلاح.
- وأنواع التوحيد الثلاثة أتى بهم العلماء من الشرع بناءاً على الاستقراء [2] فوجدوا إن التوحيد يتكون من توحيد ربوبية و توحيد إسماء وصفات و توحيد إلوهية. ولا يصح التوحيد حتى يجمع المسلم بين هذه الأقسام الثلاثة فمن وحَّد بربوبية الله (عز وجل) فقط ولم يُوحِّد بالإلوهية لم يكن موحداً ومن وحَّد الله (عز وجل) بالإلوهية فقط ولم يُوحِّد بالاسماء والصفات بأن عطلها كما فعل أهل الطوائف المبتدعة لم يكن موحداً أو توحيده فيه نقص على حسب بدعة الطائفة.
- وقد أتى هذا التقسيم في قوله (تعالى):﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ** ﴾[الناس: 1-3]. وكذلك في سورة الفاتحة كما قوله (تعالى): ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾[الفاتحة: 2-3].
- الطوائف المبتدعة اختلفت اختلافاً شديداً في تعريف التوحيد وكله يُعبَّر عن فكر مُعيَّن ومُعتقد مُعيَّن. وكل تعريفات هذه الطوائف لا يصح إلا تعريف أهل السنة والجماعة الذي سنُبيِّنه.
- فالتوحيد عند الصوفية كما جاء عند الهروي :"تنزيه الله (عز وجل) عن المُحدثات" [3]. وهذا التعريف ينطبق فقط على توحيد الربوبية وهو أنك الله (عز وجل) خالق والباقي مخلوقات. ولهذا تجد الصوفية عندما تُحدِّثهم عن التوحيد أو تنظر له في كتبهم أو مناقشاتهم لا يذكرون شيئاً عن الإلوهية. وهذا التوحيد جاء به المشركون فهم كانوا يؤمنون بربوبية الله (عز وجل) من أنه خالق ورازق وضار ونافع فتعريف الصوفية لا يُفارق المشركون في شيء. قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): " وأما أهل السنة ففسروا التوحيد بنفي التشبيه والتعطيل. قال الجنيد فيما حكاه أبو القاسم القشيري: (والتوحيد إفراد القديم من المحدث ..) " [4]. فكأن القديم هو الله (عز وجل) والمُحدث هم مخلوقاته. وهذا الكلام " إفراد القديم من المحدث " كلام مجمل وقد يحتمل الصحة لو قلنا إن المقصود هو إفراد القديم من المحدث في الربوبية والإلوهية والاسماء والصفات ولكن الأصل في التعريف أن يكون واضحاً لا لبس فيه لا أن يكون مجملاً.
- والتوحيد عند الحلولية والاتحادية هو أنه " لا موجود إلا الله" فهؤلاء جعلوا الخالق (تعالى) هو المخلوق فالخالق (تعالى) عندهم

---

[1] هذا البيت من القصيدة النونية " وتُسمَّى كذلك الكافية الشافية " لابن القيم (رحمه الله).

[2] الاستقراء: جمع الأدلة وحصرها وجاءت من كثرة طلب القراءة.

[3] قال ابن القيم (رحمه الله) في كتابه "مدارج السالكين" : "فالتنزيه عن الحدث حق ولكن لا يعطي إسلاما ولا إيمانا ولا يدخل في شرائع الأنبياء ولا يخرج من نحل أهل الكفر ومللهم البتة وهذا القدر لا يخفى على شيخ الإسلام "يقصد الهروي" ومحله من العلم والمعرفة محله ومع هذا فقد سُئِلَ سيد الطائفة الجنيد عن التوحيد؟ فقال: هو إفراد القديم عن المحدث".

[4] هذا الكلام من المأخوذات على ابن حجر (رحمه الله) وذلك في كلامه على مقدمة كتاب التوحيد. وهذا لا يُنقص من قدره فكلٌ يُصيب ويُخطأ إلا المعصوم (صلى الله عليه وسلم). وللرجوع إلى المآخذ على ابن حجر في العقيدة يُرجى الرجوع للمحاضرة التاسعة في شرح كتاب لمعة الاعتقاد للشيخ صـ 8 في الهامش السفلي.

اتحد مع المخلوق فلا فرق بينهما فافعال الخالق (ﷻ) هي أفعال المخلوق. وهؤلاء من أكفر الطوائف ويمثلهم ابن عربي [1] وليس ابن العربي [2] وابن عربي هذا من أكفر الناس فهو يقول كلام كفر ليس بعده كفر كما سيأتي معنا وكان مما قاله

الرب حق وَالْعَبْد حق يَا لَيْت شعري من الْمُكَلف
إن قلت عبد فَذَاك ميتٌ أَو قلت رب أَنَّى يُكَلف [3].

- والتوحيد عند مشركي قريش هو أنه " لا خالق إلا الله" وهذا التعريف ينطبق فقط على توحيد الربوبية.
- والتعريف الحق الذي لابد أن نعلمه وندعو إليه هو تعريف أهل السنة والجماعة وهو: " لا معبود بحقٍ إلا الله". بعضهنم يُخطأ في بعض الكتب فيقول " لا معبود إلا الله" مفهومها أن كل من عُبِدَ من دون الله (ﷻ) فهو إله.فتعريف أهل السنة يُخرج المعبودات الباطلة التي لا تصح أن تكون آلهه من دون الله (ﷻ).

3- أركان التوحيد (التوقيت: 19 دقيقة و50 ثانية)

- التوحيد حتى يتحقق لابد له من تحقيق الأركان [4] والشروط [5] الخاصة به.
- ومن هذه الأركان: الإيمان والكفر وهو أن تؤمن بالله (ﷻ) وتكفر بالطاغوت كما في قوله (ﷻ): ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾[البقرة: 256]. فهذا الركن ركن من أركان التوحيد فقد قال العلماء كلاماً ما معناه: " من قال لا إله إلا الله وصدَّقها بقلبه وانقاد لها بجوارحه ووحَّد (ﷻ) بأفعاله لا يكون هذا عاصماً له من الدم والمال حتى يكفر بالطاغوت" [6].
- والطاغوت لغة هو كل ماجاوز الحد من متبوع أو تابع. فلو كان هناك رجل يؤمن بالله (ﷻ) مُصدِّقٌ به يعمل بهذا التصديق وتقول له هذا الشخص كافرٌ بالله (ﷻ) مثل اليهودي أو النصراني فلابد أن تكفر بهؤلاء ثم يقول أتوقف فهنا هو لم يكفر بالطاغوت أو يتوقف في عُبَّاد البقر والأوثان.
- وكل ما سبق يقع تحت حديث النبي (ﷺ): "من قال: لا إله إلا الله **وكفر بما يعبد من دون الله** حرم ماله ودمه وحسابه على الله" [7].
- ومن هذه الأركان: النفي والإثبات وهو قول " لا إله إلا الله" وهو أن تنفي الآلهه التي تُعبد من دون الله (ﷻ) وتُثبت إلهاً واحداً وهو الله (ﷻ) وهو الإله الحق. ومن هذه الأركان الولاء والبراء وهو أن توالي المسلمين وتتبرأ من الكفر.
- فهذه هي الأركان الثلاثة: " إيمان وكفر " و"النفي والإثبات" و " الولاء والبراء"

---

[1] تعريف بابن عربي من كتاب "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": " هو محي الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله العربي الحاتمي الطائي الأندلسي وينتهي نسبه إلى حاتم الطائي أحد مشاهير الصوفية وعُرِفَ بالشيخ الأكبر ولد في مرسية سنة 560هـ وانتقل إلى أشبيلية حيث بدأ دراسته التقليدية بها ثم عمل في شبابه كاتباً لعدد من حكام الولايات في سن مبكرة وبعد مرض ألمَّ به كان التحول الكبير في حياته حيث انقلب بعد ذلك زاهداً سائحاً منقطعاً للعبادة والخلوة ثم قضى بعد ذلك حوالي عشر سنين في مدن الأندلس لمختلفة وشمالي إفريقية بصحبة عدد من شيوخ الصوفية. في الثلاثين من عمره انتقل إلى تونس ثم ذهب إلى فاس حيث كتب كتابه المسمى: " الإسراء إلى مقام الأسرى" ثم عاد إلى تونس ثم سافر شرقاً إلى القاهرة والقدس واتجه جنوباً إلى مكة حاجاً ولزم البيت الحرام لعدد من السنين وألف في تلك الفترة كتابه تاج الرسائل وروح القدس ثم بدأ سنة 598 هـ بكتابة مؤلفه الضخم الفتوحات المكية. في السنين التالية نجد أن ابن عربي ينتقل بين بلاد الأناضول وسورية والقدس والقاهرة ومكة ثم ترك بلاد الأناضول ليستقر في دمشق وقد وجد ملاذاً لدى عائلة ابن الزكي وأفراد من الأسرة الأيوبية الحاكمة بعد أن وجه إليه الفقهاء سهام النقد والتجريح بل التكفيروالزندقة. وفي تلك الفترة ألف كتابه " فصوص الحِكَم" وأكمل كتابه الفتوحات المكية وتُوفِّيَ ابن عربي في دار القاضي ابن الزكي سنة 638هـ ودُفِنَ بمقبرة العائلة على سفح جبل قسيون.

[2] تعريف بابن العربي: " محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي أبو بكر بن العربي قاض من حفاظ الحديث ولد في إشبيلية سنة (463 هـ) وتُوفِّيَ سنة (543 هـ)". انظر ترجمته في "طبقات الحفاظ للسيوطي "و" وفيات الأعيان" و" الديباج المذهب" لابن فرحون و" تذكرة الحفاظ".

[3] راجع كتاب " الفتوحات المكية" لابن عربي.

[4] الأركان هي ما كانت داخلة في ماهية الشيء أو بشكل أبسط هي الإجابة على سؤال: ما هو كذا أو مما يتكون كذا؟. فمثلاً عند الإجابة عن سؤال ما هي الصلاة فتكون الإجابة هي إن الصلاة تتكون من الافتتاح بالتكبير ثم قراءة الفاتحة حتى تصل إلى التسليم فتكون هذه هي أركان الصلاة.

[5] الشروط هي ما كانت خارجة عن ماهية الشيء ولكن لا يصح الشيء بدونها. فمثلاً الوضوء خارج عن الصلاة ولكن الصلاة لا تصح بدون الوضوء فيكون الوضوء شرط في صحة الصلاة.

[6] قال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي في كتابه " فتح المجيد شرح كتاب التوحيد": " قوله " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله " اعلم أن النبي (ﷺ) علَّق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين: الأول قول " لا إله إلا الله" عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم. والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى. بل لا بد من قولها والعمل بها. قلت: وفيه معنى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: 256]. قال المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ): "وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع! " انتهى. قلت: وهذا هو الشرط المصحح لقوله: "لا إله إلا الله" فلا يصح قولها بدون هذا الخمس التي ذكرها المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) أصلا. قال (ﷻ): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾[الأنفال: 39]. وقال: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: 5] أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا أعمالهم لله تعالى ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعا...."

[7] أخرجه مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

- ويوجد الآن ممن يدَّعون العلم والانتساب إليه يقول: " إن كل الناس سيدخلون الجنة سواء كان مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً".
- فلا نجاة إلا بتعليم الناس وهذا لابد أن يكون في المساجد فالقنوات فقط لا تُربّي. وهذه أهمية تدريس علم التوحيد فنحن في أمَس الحاجة إليه فالثوابت عند الناس في التوحيد غير موجودة.

4- شروط التوحيد (التوقيت: 26 دقيقة و57 ثانية)

- اختلف العلماء في عدد شروط التوحيد فقد اتفق أهل العلم على سبعة شروط وبعضهم زاد عن ذلك.
- وشروط التوحيد السبعة هي العلم واليقين والإخلاص والمحبة والصدق والانقياد والقبول.
- ونبدأ بالشرط الأول وهو العلم المنافي للجهل. فالعلم شروط من شروط تحقيق لا إله إلا الله وهذا كما في قوله (ﷻ): ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾[محمد: 19] وقوله (ﷻ): ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[الزخرف: 68] وقوله (ﷺ): "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" [1]. والمقصود من العلم أن تعلم ما معنى لا إله إلا الله.
- الشرط الثاني هو اليقين وهو كمال العلم المنافي للشك كما في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[الحجرات: 15]. ويرتابوا أي يشكوا وهذا هو اليقين المنافي للشك وقوله (ﷺ): " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " [2].
- الشرط الثالث هو الإخلاص وهو الإخلاص المنافي للشرك وأتى ذلك كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: 5] وقوله (ﷻ): ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[الزمر: 3] وقال أبو هريرة (رضي الله عنه): " قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟" . قال رسول الله (ﷺ): " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه" [3].
- الشرط الرابع هو المحبة وهي المحبة المنافية لضدها. وقد أنكر الله (ﷻ) على الذين ساووا بين محبة الله (ﷻ) وغيره من المخلوقات التي خلقها كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165]. واتخاذ الند لا يكون إلا شركاً فهم كانوا يحبون الله (ﷻ) كحبهم لآلهتهم الأخرى فعلمنا من الآية أنه لا يجوز أن تُصرف محبة العبادة لغير الله (ﷻ) فكان شرطاً من شروط لا إله إلا الله. والمحبة هنا محبة العبادة كما في قوله (ﷺ): " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" [4]. وهذا الحديث نستشهد به استئناساً فمقصود الحديث " وجد الإيمان" فالمسألة لا تعود على وصف "حلاوة الإيمان" ويُحتمل كذلك أن يكون المقصود كمال الإيمان وليس أصل الإيمان.
- الشرط الخامس هو الصدق وهو الصدق المنافي للكذب كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[الزمر: 33] و قوله (ﷻ): ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت: 3]. وهذا كلها آيات نستشهد بها استئناساً لعمومها ولكن أتى التصريح في حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) ومعاذ رديفه على الرحل قال: " يا معاذ بن جبل" قال: " لبيك يا رسول الله وسعديك" قال: " يا معاذ" قال: " لبيك يا رسول الله وسعديك" ثلاثاً قال: " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله **صدقاً من قلبه** إلا حرمه الله على النار" قال يا رسول الله: " أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟" قال: " إذا يتكلوا" وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً" [5]
- الشرط السادس هو الانقياد وهو الانقياد المنافي للامتناع. فلابد أن تنقاض لله (ﷻ) وشرعه وحكمه وسنة نبيه (ﷺ) كما

---

[1] أخرجه مسلم عن عثمان (رضي الله عنه).

[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

[3] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (أسعد) أفعل من السعادة وهي خلاف الشقاوة أو من السعد وهو اليمن والخير. (بشفاعتك) مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى وشفاعته (ﷺ) توسله إلى الله تعالى أن يرحم العباد في مواقف عدة من مواقف يوم القيامة (ظننت) علمت (خالصاً) مخلصاً والإخلاص في الإيمان ترك الشرك وفي الطاعة ترك الرياء.

[4] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

[5] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (رديفه على الرحل) راكب خلفه لى الدابة والرحل غالبا ما تقال للبعير وقد تطلق على غيره أحيانا كما هو الحال هنا إذا كان راكبا على حمار (لبيك) مثنى لب ومعناه الإجابة و (سعديك) مثنى سعد وهو المساعدة وثنيا على معنى التأكيد والتكثير أي إجابة لك بعد إجابة ومساعدة بعد مساعدة والمعنى أنا مقيم على طاعتك. (صدقاً من قلبه) أي يشهد بلفظه ويصدّق بقلبه. (يتكلوا) يعتمدوا على ما يتبادر من ظاهرة الاكتفاء به. فيتركوا العمل. (تأثُّماً) خشية الوقوع في الإثم لكتمان العلم. قال في الفتح : " وإخباره يدل على أن النهي عن التبشير كان على الكراهة لا التحريم".

في قوله (ﷻ): ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾[الزمر: 54] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[لقمان: 22] فالفعل "يُسلم" عندما يأتي مع حرف الجر "إلى" يكون المقصود منه الانقياد فالمقصود أنه من انقاد لله (ﷻ) فقد استمسك بالعروة الوثقى وقوله (ﷻ): ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: 65]

- الشرط السابع والأخير هو القبول وهو القبول المنافي للرد وهو أن تقبل كل ما جاء عن الله (ﷻ) ولا ترد منه أي شيء. والدليل على ذلك كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب: 36] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات: 35] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[النور: 51].

5- قشران التوحيد (التوقيت: 37 دقيقة و02 ثانية)

- ذكر المصنف (رحمه الله) " غير أن التوحيد له قشرتان". والقشر في اللغة بمعنى الغلاف كقشر الفاكهة مثل البرتقال.
- وهنا إشكالية لأن المصنف (رحمه الله) عبَّر عن التوحيد بأن له قشران ولُباب (وهذا سيأتي). وهذا الكلام نقله المصنف (رحمه الله) عن الغزالي (رحمه الله) من كتاب " إحياء علوم الدين". ومن المعلوم عن الغزالي (رحمه الله) عنده مشاكل في مسألة التوحيد ولهذا تجد هذا الكلام حتى وإن كان المصنف (رحمه الله) يقصد به منهج أهل السنة والجماعة ولكن جُلَّ أهل العلم بيَّنوا إن هذا الكلام فيه نظر كما سنُبيّن.
- فهذا الكلام غير معتاد عند أهل السنة والجماعة فقد قال إن التوحيد قشران والقشر هو غلاف الشيء فكيف وأنت تتحدث عن التوحيد تقول عن فيه قشروالتوحيد هو أصل الدين وأوجب الواجبات وأهمها وأعظمها؟ فالقشر أو الغلاف ممكن أن ينخرم أو ينقطع أو يُرفع وهذا لا يمكن أن يكون في التوحيد. ولهذا فانتقاء هذا اللفظ فيه نظر بل لابد أن يُتجنَّب.
- وإحساناً بالظن بالمصنف (رحمه الله) يقصد به إنه كان يقصد بأنه هناك من يتلبس بالتوحيد وهو باطنه ليس موحداً فهو عنده توحيد ظاهري أما باطناً فهو ليس موحَّد فهو منافق كما في القشر الأول فكأن هناك أن يأخذ التوحيد بالقشر ويترك الباطن. وهذا ما يقصده من كلمة قشر ولكن الصواب إن هذه الكلمة لا تُستخدم فالتوحيد لا ينقسم إلى قشور ولُباب فالتوحيد كله لُباب.
- وبعضهم قال إن القشرنان اللذان ذكرهما المصنف (رحمه الله) هما الحاميان وسياج للب التوحيد.
- وعموماً لو كان يقصد الأول أو الثاني فالأولى أن يُعبَّر بتعبيرات أخرى لإن هذا مطية لمن جاء بعده أن يستخدم هذه الألفاظ فيُقسِّم التوحيد إلى قشور ولُباب.
- وهذا فتح الباب لأصحاب المعتقدات الباطلة وخاصة على من يُنكرون علينا ولا يهتمون بالتوحيد فيقولون إن هذه الأمور ليست مهمة وإنها من أمور الفرعيات فغالب القشر عند الناس هي الأمور السطحية ولابد أن نهتم بالجوانب الاقتصادية والإجتماعية والسياسية وبعضهم يهتم بالزهد والورع وبعضهم بالعبادات فقط ويترك أصل الدين وهو التوحيد. فتجد كل واحد يريد أن يُطوِّع الدين ناحية فكره ومعتقده.
- ذكر المصنف (رحمه الله) القشر الأول فقال " الأول أن تقول بلسانك لا إله إلا الله ويسمى هذا القول توحيداً وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذي يخالف سره جهره". وهو النطق بكلمة التوحيد وهذا الكلام فيه نظر فكيف تكون كلمة التوحيد وهي أهم كلمة على الإطلاق وهي الكلمة التي يدخل بها المرء الإسلام والذي لم يقولها يظل على الكفر وقد حاول النبي (ﷺ) مراراً مع عمه ابي طالب أن يقول هذه الكلمة حتى يُدخله الإسلام كما في الحديث كما في الصحيحين: " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله" فقالا له: " أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي (ﷺ) فأعادا فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال له النبي (ﷺ) لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله (ﷻ) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[التوبة: 113] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص: 56] " [1]. وقال (ﷺ) " أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة **وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا**

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن المسيب بن حزن (رضي الله عنه).

الله وحده لا شريك له" [1].

- ومعنى لا إله إلا الله إنه لا معبود بحق إلا الله كما ذكرنا. فأراد المصنف (رحمه الله) أن يُوضّح أنه لابد أن تقولها بلسانك. وهذا فيه رد على النصارى الذين يقولون بالتثليث فيقولون باسم الآب باسم الابن باسم الروح القدس على خلاف الطوائف التي عندهم.
- وكذلك ترد على المجوس فالمجوس لا يُوحِّدون فيجعلون إلهين فيجعلون إلهاً للخير وآخر للشر أو إله للظلمة وإله للنور.
- وألحق بهؤلاء المنافقين فهو يقول بلسانه لا إله إلا الله ويُبطن خلاف ذلك. والمنافق من النفقاء وهو حيوان اليربوع وهذا الحيوان له طريقة معينة في حفر بيته فهو يضع قُبَّة فوقه وهو يحفر من أسفلها نفق ويضع على الفتحة الثانية من النفق غشاء كأنها مسدودة بحيث لا يرى أحد إلا مدخل واحد الذي يدخل منه فعندما يُهاجم يضرب الغشاء ويخرج من المخرج الآخر.
- حكم المنافق في الدنيا أنه ظاهره الإسلام فنحن لا نعلم ما في القلوب فنحكم عليه بالإسلام في الدنيا.
- ولم يظهر المنافقون إلا في المدينة. ففي مكة لم يكن هناك إلا إيمان وكفر فليس هناك داعي للنفاق لأن الكفار كانوا أشداء وأقوياء فيُظهرون الكفر والمسلمون كانوا في ضعف. فلما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وظهر وعلا قدر الإسلام وتمكَّن لهم دولة فظهرت الطائفة الثالثة وهي المنافقون. فهم يخافون أن يُظهروا الكفر فوالوا ظاهراً أهل الإسلام بألسنتهم وظلت قلوبهم على الكفر.
- وظهر النفاق جلياً بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر فقد علموا إن المسلمين في علو فاضطروا أن ينخنِسوا وينخسئوا.
- وعذاب المنافقين أشد من عذاب الكفار كما بيَّن الله (عز وجل) في قوله (تعالى): ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: 145].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) القشر الثاني فقال " والقشرة الثانية: ألا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس". فالقشر الثاني عنده هو التصديق القلبي فبعد أن تقول بلسانك لابد أن تُصدِّق بقلبك وهذا التصديق لابد أن يدخل فيه شروط التوحيد السبعة سالفة الذكر. فلابد أن تُوقِن أنه لا يوجد من يستحق العبادة إلا الله (عز وجل).
- وهذا عجيب أن يُسمِّيه المصنف (رحمه الله) قشر فهو من أصول التوحيد والإيمان أن تعتقد بقلبك مع لسانك. وسيأتي أن المصنف (رحمه الله) ذكر إن لباب التوحيد العمل فلا يستقيم إيمان عبد حتى يجمع الثلاثة (قول اللسان وتصديق القلب وعمل الجوارح) والثلاثة شروط في صحة الإيمان وليست مُكمِّلات فحتى عمل الجوارح لابد منه حتى يصح الإيمان.
- فمن قال إن العمل من كمال الإيمان وليس شرط صحة في الإيمان فهو يُخالف إجماع أهل السنة والجماعة وهذا يُوافق قول المرجئة فالمرجئة هم الذين يقولون بأن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب فقط.
- وجملة " وهذا توحيد عامة الناس" فيها نظر لأن التوحيد عندنا ليس فيه توحيد عامة وتوحيد خاصة. نعم هناك درجات في الإيمان فإيمان النبيين نفسه يختلف فإيمان أولي العزم من الرسل يختلف عن باقي الأنبياء وحتى بين أولي العزم من الرسل هناك درجات ثم تأتي درجة الصدِّيقين ثم غيرهم ثم غيرهم ولكن ليس هناك توحيد عامة وتوحيد خاصة. والتوحيد لا يُقسَّم بهذه الطريقة فليس هناك توحيد لعامة الناس أو لخاصتهم فعلى كل العباد أن يُوحِّدوا الله (عز وجل).

6- لُباب التوحيد (التوقيت: 53 دقيقة و06 ثانية)

ولباب التوحيد : أن يرى الأمور كلها من الله تعالى ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرُج هذا التوحيد عن اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ ﴾[الجاثية :٢٣].

[1] أخرجه الترمذي ومالك في الموطأ مرسلاً عن طلحة بن عبيد الله بن كريز (رحمه الله) لأن طلحة هذا تابعي كوفي. وقال البيهقي: " وقد رُوِىَ عن مالك بإسناد آخر موصولاً ووصله ضعيف". وقال الترمذي: "هذا حديث غريب من هذا الوجه". وحسنه الألباني في الصحيحة.

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) لُباب التوحيد فقال " ولُباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط ". فهو أراد أن يُكمل تعريف التوحيد. ومقصوده من يرى الأمور كلها لله تعالى أي الأمور القدرية والشرعية [1].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " وأن يعبده سبحانه عبادة يُفرده بها ولا يعبد غيره ". والمقصود إن الأعمال القلبية وأعمال الجوارح وأعمال اللسان لابد أن يُفرد لله (عز وجل). فهنا هو أكمل تعريف الإيمان وهو قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح فلا يصح الإيمان بدون هذه الأربع وبدونها لا يتحقق الإيمان.
- فقول اللسان هو النطق بلا إله إلا الله وقول القلب أن تعتقد بقلبك بأن الله (عز وجل) هو المستحق للعبادة وعمل القلب مثل التوكل والإنابة والخشية والخوف وعمل الجوارح هو الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة.
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) في ما يُخرج عن التوحيد " ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[الجاثية: 23]". فكل ما سبق كان في تحقيق التوحيد ولكنه يخرج من التوحيد لو أتى بناقض من نواقض التوحيد أو أتى ما يُنافي الكمال الواجب للتوحيد [2].
- وقول المصنف (رحمه الله) " فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده" فيه نظر فليس كل من اتبع هواه فقد اتخذ الهوى معبود فاتباع الهوى قد يكون شركاً أو كبيرة أو مباح أو مستحب. فالاطلاق بأن اتباع الهوى فيه عبادة لا يصح ولكن الصحيح أن نقول إنه من عبد شيء فقد هواه.
- فقد يكون الهوى شرك مثل عبادة الصنم أو الولي أو القبر وقد يكون الهوى كبيرة مثل من هوى التعامل بالربا وقد يكون الهوى مباح مثل من هوى امرأة جميلة ليتزوجها ومن هوى جمع المال بالرزق الحلال وقد يكون الهوى مستحب مثل من هوى امرأة جميلة ليتزوجها ليعفَّ نفسه ومن هوى جمع المال بالرزق الحلال ليتصدق به لله (عز وجل) ويُساعد به الفقراء.
- ولكن شرعاً مُتعارف عليه أنه عندما يُطلق الهوى يُراد به الذم كما جاء في قوله (سبحانه وتعالى) لدواد (عليه السلام): ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[ص: 26] ولكن هذا ليس على إطلاقه فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأقول: " أتهب المرأة نفسها؟" فلما أنزل الله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾[الأحزاب: 51] قلت: " ما أرى ربك إلا يسارع في **هواك**" [3]. فالله (عز وجل) أيَّد النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما هواه وهذا يدل على أنه ليس كل الهوى مذموم.
- وتفسير الآية ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[الجاثية: 23] أي أرأيت من عبد هواه فالمقصود من عبد فقد هوى ولكن ليس كل من هوى فقد عبد.

---

1 راجع المحاضرة التاسعة والعاشرة في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.

2 راجع كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ " عبد العزيز عبد الطيف".

3 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري. (أغار) المراد هنا أعيب وقد ورد بلفظ (كانت تعير). (وهبن أنفسهن) عرضن أنفسهن على النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يتزوجهن إذا رغب بدون مهر يطلبنه. وقيل من هؤلاء الواهبات خولة بنت حكيم وأم شريك وفاطمة بنت شريح وزينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث وليلى بنت الحطيم (رضي الله عنهم). (ترجئ) قرأ مدني وحمزة وعلي وخلف وحفص {ترجي} بلا همز وقرأ غيرهم بالهمز والمعنى واحد. (تؤوي) تضم. (ابتغيت) طلبت وأردت إصابتها فجامعتها. (ممن عزلت) أي ممن لم تقسم لهن. (فلا جناح عليك) فلا إثم عليك في إصابتها وقد أباح الله تعالى لك ترك القسم لهن. (يسارع في هواك) يحقق لك مرادك بلا تأخير.

الشريط الثالث

معنى الهوى ومفهوم الرضا بالقدر ومفهوم التوكل وأهمية توحيد الإلوهية

محتويات الشريط الثالث

1- معنى الهوى ومفهوم الرضا بالقدر ومفهوم التوكل (التوقيت: 1 دقيقة و17 ثانية) 1
2- أهمية توحيد الإلوهية (التوقيت: 20 دقيقة و52 ثانية) 3

1- معنى الهوى ومفهوم الرضا بالقدر ومفهوم التوكل (التوقيت: 1 دقيقة و17 ثانية)

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج هذا التوحيد عن السخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يؤمّل سواه ؟! وهذا التوحيد مقام الصديقين .

- إن المرء إذا قدَّم الهوى على الشرع سيقع حتماً في المعاصي والبدع. فأصل البدع والمعاصي هو تقديم الهوى على الشرع.
- وكلمة الهوى إذا أُطلقت كانت تعني ميل النفس لخلاف الحق. وقد سبق وبيَّنا في المحاضرة السابقة أن هناك عدَّة أنواع من الهوى [1] ولكن عُرفاً هو ميل النفس لخلاف الحق كما جاء في قوله (ﷻ) لدواد (عليه السلام): ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[ص: 26].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " ويَخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق ". وهذا الميل إلى الهوى قد يُخرج أو يُنقص من التوحيد. والسخط على الخلق قدحٌ في الإيمان بالقضاء والقدر لأنه سوف يؤدي إلى الاعتراض على الله (ﷻ). كأنه يقول لو فعلت كذا لم يحدث كذا. وهذا مثال لقول المنافقين كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[آل عمران: 168] وقوله (ﷻ): ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[آل عمران: 154].
- وليست المسألة على عموم السخط على الخلق كما ذكر المصنف (رحمه الله) ولكن هناك سخط يكون محمود وسخط يكون مذموماً. والسخط المذموم منه ما يكون كفراً ومنه ما يكون معصية أو كبيرة أو صغيرة أو مكروه. وكذلك السخط المحمود منه ما يكون واجباً ومنه ما يكون مندوباً.
- فالسخط على الناس جميعاً ومنهم الأنبياء (عليهم السلام) يكون كفراً لأن السخط على الأنبياء فيه سخط على ما جاء به الأنبياء وسخط على الدين الذي جاء به الأنبياء وانتقاص منه وهذا يؤدي إلى الكفر كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[محمد: 9].
- أما السخط على الناس الذين لم يعطوه مالاً وهذا من المكروهات لأنه هذا الإنكار سيؤدي إلى إنكاره قَدَر الله (ﷻ) كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[الزخرف: 32]. فالرزق من عند الله (ﷻ) فإذا سَخِطَ على الناس الذين لم يعطوه مالاً أو زيادة أو تبرعات سيؤدي إلى الاعتراض على الله (ﷻ) في القدر. نعم قد يصل إلى الكفر ولكن بدايته من المكروهات ثم الكبائر ثم الكفر حسب اعتقاده.
- وقد يكون السخط مباحاً مثل السخط على صاحبه أو شريكه بأن يطلب منه شيء لم يفعله. وهذا يكون في أمور الدنيا وتعتمد على حسب الحالة.
- وقد يكون السخط واجباً مثل السخط على الكفار فلا تتخذهم أولياء ولا تحبهم وتسخط على الكفر الذي هم فيه وتجرؤهم على معصية الله (ﷻ).
- والسخط هو الانتقاص وعدم التقبُّل والغضب كما في قوله (ﷻ): ﴿ لِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ

[1] راجع المحاضرة الثانية صـ 7.

أَعْمَالَهُمْ ﴾[محمد: 28] وهذا ليس تأويلاً للصفة ولكن أثر صفة الغضب السخط.

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " والالتفات إليهم". ويقصد به الركون إلى الخلق والركون إلى الخلق قد يكون كفراً وقد يكون شرك أصغر أو قدحاً في العقل. فهو يرجع إلى مسألة التوكل فالركون إلى الخلق معناه أن تظن إن هذا المخلوق يعطيك أو يرزقك أو يحل لك ما عنك من إشكاليات وهذا اعتماد على السبب كلياً وهذا يكون كفراً وشركاً لأنك ظننت أن السبب هو الذي يُنجز لك الأمر. فلو شربت الدواء فالدواء سبب في الشفاء فاعتقدت إن الدواء هو الشافي فهذا شرك فقد انتقصت من ربوبية الله (عز وجل) أنه هو الذي يشفي وينفع ويضر فجعلت ذلك للدواء أو الطبيب. فهذا الأخذ بالسبب (الدواء أو الطبيب) وترك المُسبِّب وهو الله (عز وجل). وعدم الأخذ بالسبب قدح في العقل لأن العقل يقول إنك إذا أردت أن تفعل شيئاً فلابد أن تأخذ بأسبابه فتنظر إين الأسباب الشرعية أو المادية ولابد أن تفعله. فإذا جاءك مرض فمن الأسباب الشرعية أن تأخذ الدواء فعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) قال: " كنت عند النبي (صلى الله عليه وسلم) وجاءت الأعراب فقالوا: " يا رسول الله أنتداوى؟" قال: " نعم يا عباد الله تداووا فإن الله (عز وجل) لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد". قالوا: " وما هو" قال: "الهرم " [1]. ومن الأسباب المادية أن تبحث عن الطبيب الماهر وتذهب إليه وهذا كله من باب الأخذ بالأسباب. فمن لم يأخذ الدواء ولم يذهب للطبيب ويدعو فقط وإن كان يصح أن الله (عز وجل) يُشفيك بغير شيء ولكن هذا مع الأخذ بالأسباب. رجل يدعو الله (عز وجل) ليل نهار أن يرزقه الله (عز وجل) وتجده لم يتزوج وهذا قدح في العقل لعدم الأخذ بالأسباب الشرعية بأن تتزوج أولاً.
- وسبب الشرك في الربوبية أنك أنزلت الأسباب منزلة المُسبَّب ورفعت المخلوق منزلة الخالق وجعلت الاعتماد بدلاً من أن يكون على صاحب الأسباب وهو الله (عز وجل) اعتمدت على السبب بالكليَّة فأشركت في ربوبية الله (عز وجل) فالخلق والرزق والضر والنفع من لوازم ربوبية الله (عز وجل) ولو جعلت أي شيء مما سبق لغير الله (عز وجل) فهذا يكون شركاً في الربوبية.
- فالتوكل يعتمد على ركنين: فعل الأسباب التي شرعها الله (عز وجل) والثاني تفويض هذا الأمر لله (عز وجل) والاعتماد عليه في حصول النتيجة وهذا هو مقصود قوله (تعالى): ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة: 23].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " فإن من يرى الكل من الله ". فالذي حقق التوحيد يرى إن كل شيء يحدث في الكون خير أو شر من الله (عز وجل). الخير معلوم ولكن هل الشر يكون من الله (عز وجل) أو يُنسب إلى الله (عز وجل) كما قال (تعالى): ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الزمر: 62]؟ وكيف ذلك وقد قال (صلى الله عليه وسلم): " **والشر ليس إليك**" [2]؟.
- والحق أننا نفرق بين الفعل والمفعول. ففعل الله (عز وجل) كله خير فهو لا يفعل إلا الخير ولكن من مفعولاته (مخلوقاته) الشر. كالفرق بين الخلق والمخلوق فالله (عز وجل) خلقه خير ولكن المخلوق قد يكون خير أو شر وقد يكون صالحاً وقد يكون كافراً وقد يكون حيوان مفترس وقد يكون حيوان أليف.
- والشر جاء في القرآن تحت أحد الأنواع الثلاثة التالية:

أ. أنه من مفعولات قوله (تعالى): ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الزمر: 62].

ب. منسوب إلى السبب كما في قوله (تعالى): ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[الفلق: 2].

ج. حُذِفَ فاعله كما في قوله (تعالى): ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[الجن: 10]. فالجن تأدبت مع الله (عز وجل) فبنت فعل "أُريد" للمجهول حتى لا يُنسب الشر إلى الله (عز وجل) تصريحاً ولكن عند الخير ينسبوه إلى الله (عز وجل) ولهذا نسبوا الرشد إلى الله (عز وجل). وكذلك قوله (تعالى): ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء: 80]. فنسب إبراهيم (عليه السلام) المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله (عز وجل) ويقول أمرضني الله (عز وجل).

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " كيف يسخط على غيره أو يُأمِّل سواه؟ ". فالذي حقق التوحيد يرى إن كل شيء يحدث في الكون خير أو شر من الله (عز وجل) فلا يسخط على غيره أو يُأمَّل أي يرجو من الغير.
- وليست المسألة على عموم الرجاء من الخلق كما ذكر المصنف (رحمه الله) ولكن هناك رجاء من الخلق يكون محمود ورجاء من الخلق يكون مذموماً. والرجاء من الخلق المذموم منه ما يكون كفراً ومنه ما يكون معصية أو كبيرة أو صغيرة أو مكروه. وكذلك الرجاء من الخلق المحمود منه ما يكون واجباً ومنه ما يكون مندوباً ومنه ما يكون مباحاً.
- فالرجاء من الميت أو المقبور فهذا شرك وهذا يُخرج المرء عن التوحيد كدعاء الميت أو المقبور الذي لا يملك شيئاً.
- ومن الرجاء المحمود أن تدعو المخلوق المسئول لمساعدتك في إزالة المنكر باليد أو اللسان أو القلب على الترتيب [3].

---

1 أخرجه أحمد عن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) من طرق وصححها الألباني في الصحيحة.

2 جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم عن علي (رضي الله عنه).

3 وهذا كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". ففي الحديث قيَّد (صلى الله عليه وسلم) الانتقال من مرتبة إلى أخرى بالاستطاعة.

- وقد يكون الرجاء من الخلق مباحاً أو مستحباً مثل أن ترجو من صديقك أن يُساعدك في تصليح السيارة وهذا كما ورد عن جابر بن عبد الله يقول: " أرخص (ﷺ) في رقية الحية لبني عمرو قال أبو الزبير: " وسمعت جابر بن عبد الله يقول: " لدغت رجلا منا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله (ﷺ) فقال رجل: " يا رسول الله أرقي؟" قال: " من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل" [1].
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " وهذا التوحيد مقام الصديقين". وهنا نكرر ما قلناه في موضوع توحيد العامة. فلا نقول توحيد الصديقين لأن التوحيد المطلوب من الناس جميعاً هو واحد وهو قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح. نعم تختلف درجات التوحيد وتتفاوت حتى بين الأنبياء فأولي العزم من الرسل يختلفوا عن توحيد بقية الأنبياء وتوحيد أولي العزم من الرسل يختلف عن توحيد النبي (ﷺ) ولكن هذا ليس معناه تقسيم التوحيد إلى توحيد صديقين عوام فالمطلوب منهما واحد فكلاهما مطلوب منه ألا يأمل إلا من الله (ﷻ) في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله (ﷻ) فلا تطلب من المقبور ولا تسخط من قدر الله (ﷻ). فمن حققَّه بدرجاته يرتفع ومن أنقص منه قلَّت درجته على حسب نقصانه.

2- أهمية توحيد الإلوهية (التوقيت: 20 دقيقة و52 ثانية)

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض والقائم بمصالح العالم كله وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]. فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام :١] أي يسوون غيره به وقال الله تعالى: ﴿وهم بربهم يعدلون﴾.

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السماوات والأرض والقائم بمصالح العالم كله ". أراد المصنف (رحمه الله) أن يقول إن المشركين في الجملة حققوا توحيد الربوبية فهناك طوائف من المشركين خالفوا في توحيد الربوبية ولم ينكروا الإيجاد والتصرف والخلق والرزق لله (ﷻ). فممن أنكروا الربوبية الدهريون الذين قالوا كما روى عنهم (ﷻ): ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** ﴾[الجاثية: 24] وقول فرعون كما روى عنه (ﷻ): ﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى** ﴾[النازعات: 24] وإن كان يقر بربوبية الله (ﷻ) في نفسه إلا أنه صرَّح بكفره بها ظاهراً وكذلك الطبيعيون الذين ينسبون الأمر كله إلى الطبيعة والاتحادية الذين جعلوا الخالق والمخلوق واحد وسيأتي تفصيل هذا من قِبل المصنف (رحمه الله) بعد ذلك.
- وقد بيَّن المصنف (رحمه الله) مع أنهم وحَّدوا ربوبية الله (ﷻ) ولكنهم وقعوا في شرك الإلوهية. والأدلة على أنهم وحدَّوا توحيد الربوبية كثيرة ومتعددة فمن ذلك قوله (ﷻ): ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ**

[1] أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه).

﴿ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت: 61] وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[لقمان: 25 & الزمر:36] وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[الزخرف: 9] وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[الزخرف: 87]. ولهذا لا تجدهم يُجادلون كثيراً في توحيد الربوبية.

- بل تجد إن المشركين القدماء كان أفضل من المشركين في زمننا هذا في توحيد الربوبية لأن المشركين القدماء كانوا إذا وقعوا في شدة رجعوا ولجأوا إلى الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[يونس: 22] وقوله (ﷻ): ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت: 65] وقوله (ﷻ): ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾[لقمان: 32] بخلاف مشركي هذا الزمان عندما يقع في مصيبة أو إشكالية يقول يا حسين يا علي يا عبد القادر يا جيلاني يا بدوي. والمشركين كانوا يخلصون الدعاء لله (ﷻ) ثم بعد أن يُنجّيهم يرجعون للشرك وهؤلاء لا يدعو الله (ﷻ) أصلاً بل يدعون هؤلاء المقبورين.
- وقد جاء إن هناك من كان ينكر الربوبية على عهد النبي (ﷺ) فعن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) أنه قال: " صلى لنا رسول الله (ﷺ) صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: " الله ورسوله أعلم" قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب " [1]. فمقصود من قال ذلك أنه ظن أن النوء (الوقت) في حد ذاته هو سبب نزول المطر ولهذا كان كفراً.
- فممن أنكروا الربوبية الدهريون الذين قالوا كما روى عنهم (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[الجاثية: 24] فردَّ عليهم فقال (ﷻ): ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[الجاثية: 24]. فهم أنكروا البعث وقدرة الله (ﷻ) على إعادتهم يوم القيامة وأنكروا الحساب فأنكروا ربوبية الله (ﷻ) فكفروا بالله (ﷻ) بل قالوا إن البطون تدفع بالولادة والأرض تبلع بالوفاة فكأن المسألة عندهم أنه ليس هناك خالق
- وكذلك ممن أنكروا الربوبية فرعون كما روى عنه (ﷻ): ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾[النازعات: 24]. وفرعون يعلن جيداً أنه ليس رب من كلامه ومن الشواهد. أما الشواهد أنه رأى قومه يغرقون ولم يستطع أن يفعل لهم شيء فلو كان رباً لاستطاع أن ينقذهم. وأما كلامه كما روى عنه (ﷻ): ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: 14] وقد قال له موسى (عليه السلام) كما روى عنه (ﷻ): ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء: 102] أي إنك تعلم جيداً بأن الله (ﷻ) هو الخالق وهو الإله بحق وقد أدعى الربوبية من باب الجحود. وقال الملأ من قوم فرعون كما روى عنهم (ﷻ): ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾[الأعراف: 127] ففي قراءة أخرى بدلاً من " آلِهَتَكَ" أتت "إِلهَتَكَ" وهي قراءة شاذة وقيل أن فرعون كان له عجل خاص به يعبده. وقد بيَّن ذلك عند غرقه فقال كما روى عنه (ﷻ): ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[يونس: 90].
- وهناك طائفة أخرى أنكرت ربوبية الله (ﷻ) فهي تقول بالصدفة. فقالوا الأرض خلقت ذاتها والسماء خلقت ذاتها والحيوانات خلقت ذاتها فجعلوا كل مخلوق خلق ذاته وقد ورد ذلك في قوله (ﷻ): ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[الطور: 35] [2].

---

[1] أخرجه البخاري عن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. وفي رواية مسلم: "ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا " وفي حديث المرادي: " بكوكب كذا وكذا".قال الشافعي (رحمه الله) في "الأم":" وأرى معنى قوله - والله أعلم- أن من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك إيمان بالله لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله (ﷻ) وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله (ﷺ) لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا ولا يمطر ولا يصنع شيئا فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا على معنى مطرنا بوقت كذا فإنما ذلك كقوله مُطرنا في شهر كذا ولا يكون هذا كفرا وغيره من الكلام أحب إليَّ منه".

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم (رضي الله عنه) والرواية للبخاري أنه قال: " سمعت النبي (ﷺ) يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[الطور: 35]. قال: كاد قلبي أن يطير"

- وأصحاب الصدفة هؤلاء هم من جرت بينهم وبين أبي حنيفة (رحمه الله) مناظرة فقد كان ابوحنيفة (رحمه الله) سيفاً على الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو يوماً في مسجده قاعد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم: " أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم" فقالوا له: " هات" فقال: " ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال وقد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها. هل يجوز ذلك في العقل؟" قالوا: "هذا شيء لا يقبله العقل" فقال أبوحنيفة: " يا سبحان الله"! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟" فبكوا جميعا وقالوا: "صدقت" وأغمدوا سيوفهم وتابوا [1].
- أحد الدعاة المشهورين كان يُناظر أحد قساوسة النصارى فقال له: " لقد سمعت خبراً استوقفني قبل أن آتي إليكم وهو أن البابا تزوج. فقال القسيس: " كذبت. ما يمكن أن يكون ذلك. كيف يتزوج البابا؟ ". وأخذ يُكذِّب فيه وينتفض غضباً. فقال له الشيخ: " استكبرتم على أن البابا يتزوج ونسبتم إلى الله (عز وجل) الولد والزواج!!".
- وهذا سلوك لابد أن نتعلمه في المناظرة إنك إذا أردت أن تُناظر قوماً فلابد أت تعلم كيف ستدخل معهم وتقنعهم.
- ومن الطوائف التي أنكرت ربوبية الله (عز وجل) الاتحادية والحلولية والخلاف بينهما إن الحلولية تقول إن عين الخالق عين المخلوق فهم يقولون إن الخالق حلَّ في المخلوق كما ذكرنا قول ابن عربي من قبل [2] وقوله كفر لا شك فيه. وهذا مثل قول النصارى عندما جعلوا الثلاثة واحداً. أما الاتحادية فرَّقوا فقالوا إن المخلوق يتحد مع الخالق وينفصل عنه. ولازم قول الاتحادية أو الحلولية إن الله (عز وجل) في كل مكان فعندما تسأله أين الله (عز وجل) فيقول ذلك. بل قال الحلاج: " وأنا الحق وما في الجبة إلا الله" [3]. وهذا الأقوال لا خلاف في كفرها أما تأويل الأشاعرة فقد اختلف أهل السنة في تكفيرهم والأكثرية لم يكفروهم لأن معهم تأويلات وشُبه فمنهم من وصل إلى رد الصفات فأصبح كافراً كغلاة الجهمية ومنهم من أثبت صفات وآول صفات أخرى فهذا عنده شُبَه على عكس هؤلاء من الحلولية والاتحادية فقد اجمع أهل العلم على إنه من يُنكر علو الله (عز وجل) يكفر لأن أدلة العلو تزيد عن ألف دليل ودليل [4] من العقل والفطرة والشرع ولهذا لا يُعذرون بجهلهم على عكس الاشاعرة.
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) " وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165] فلما سووا غيره به في هذا التّوحيد كانوا مشركين". فعندما وحَّدوا الله (عز وجل) في الربوبية كان يستلزم ذلك منهم أن يوحِّدوا الله (عز وجل) في الإلوهية ولهذا أرسل الله (عز وجل) لهم الرسل ليدعوهم لتوحيد الإلوهية كما في قوله (عز وجل): ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36].
- جملة "حكى الله تعالى عنهم" هذه الجملة تأتي كثيراً عند أهل السنة ولكن ليس المقصود بها إن القرآن حكاية عن الله (عز وجل) كما يقول الأشاعرة لأنهم لا يُثبتون صفة الكلام كما يُثبتها أهل السنة والجماعة فيقولون إن الله (عز وجل) يتكلم لكن القرآن حكاية عن كلام الله (عز وجل) فجبريل (عليه السلام) فَهِمَ مراد الله (عز وجل) وتكلَّم جبريل بهذا الكلام ولكن المصنف يقصد إن الله (عز وجل) تكلم بهذا الكلام حكاية عنهم.
- فالتأويل إن كان له أصل من اللغة فلا يكفر صاحبه مثل تأويل اليد بمعنى القدرة أو النعمة ولكن تأويل الاستواء بالاستيلاء ليس له أصل من اللغة فصاحبه يكفر [5].
- وهناك خلاف كبير بين الأشاعرة والجهمية والمعتزلة فالأشاعرة والمعتزلة يثبتون الأسماء كلها على عكس الجهمية الذين ينفون الأسماء كلها. والمعتزلة ينفون الصفات بالكلية على عكس الأشاعرة الذين يثبتون سبع صفات وإن كان الكلام لا يُثبتونه كما يُثبته أهل السنة والجماعة ويتأولون بقية الصفات ويُثبتون لازم الصفة. فعند الأشاعرة مثلاً لا يُثبتون إن الله

---

1 راجع كتاب " الفروق" للقرافي وكتاب " مناقب أبي حنيفة" للمكي

2 راجع المحاضرة الثانية رقم (3) صـ 3.

3 راجع كتاب " الفروق" للقرافي والموسوعه الميسرة لمانع الجهني. والحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج فارسي الأصل أظهر الزهد والورع واشتغل بكلام الصوفية قال بالحلول وتلفظ بألفاظ منكرة شنيعة كقوله: "أنا الحق" و"ما في الجبة إلا الله". أفتى العلماء بكفره وقتله فقتل بأمر المقتدر العباسي سنة 309هـ. ذكر عنه الجويني أنه كان يعمل على قلب الدولة وإفساد المملكة. انظر: وفيات الأعيان والعبر والفرق بين الفرق. ونقل ابن تيمية في مجموع الفتاوى نفس القول على لسان أبي يزيد البسطامي وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ويقال: با يزيد صوفي شهير له شطحات كثيرة يقول الزركلي: " وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود وأنه كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية " ولد سنة 188 وتوفي سنة 261 انظر ترجمته ومذهبه في: طبقات الصوفية والطبقات الكبرى وصفة الصفوة وشذرات الذهب وميزان الاعتدال والرسالة القشيرية والأعلام

4 راجع المحاضرة السابعة صـ 4 والمحاضرة الثامنة صـ 1 في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.

5 راجع المحاضرة الثالثة صـ 5 في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ. وقال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري" استتابة المرتدين. باب ما جاء في المتأولين:" قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس يأثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم". ومعنى كان له وجه من العلم أنه عليه دليل يتأوله العالم ولا يُصادم معلوماً من الدين بالضرورة.

(ﷻ) يغضب ولكنه يأولونها بلازم صفة الغضب وهو إرادة الانتقام ولا يُثبتون إن الله (ﷻ) يحب ولكنه يأولونها بلازم صفة الحب وهو إرادة الثواب. وهذا هو الفارق الأساسي بين أهل السنة والجماعة والأشاعرة أن أهل السنة والجماعة يُثبتون الصفة ولازمها في حين إن الأشاعرة يُثبتون لازم الصفة فقط فيأولون الصفة تأويل غير مقبول.

- والجهل بصفة من صفات الله (ﷻ) لا يكون كفراً وجاءت فيها أدلة في باب العذر بالجهل [1].
- وعند الأشاعرة سبع صفات لا يصح الإله أن يكون إلهاً بدونهم. فقالوا لا نستطيع أن نعبد إله لا يسمع ولا يبصر وليست له إرادة وليس له قدرة ولا يتكلم ولا يكون حياً وأضافة الماتريدية صفة التكوين. ولكن يأتوا عند القرآن فيقولون إن الله (ﷻ) لم يتكلم به فجبريل (عليه السلام) فَهِمَ مراد الله (ﷻ) وتكلَّم جبريل بهذا الكلام فعندهم المعنى يريده الله (ﷻ). وقالوا هذا لأنهم من وجه نظرهم لو قالوا بالكلام فقد شبهنا الخالق بالمخلوق فيكون هناك صوت وحرف ومخرج.
- والأشاعرة يقولون إن أهل السنة والجماعة ينقسمون إلى أشاعرة وأهل الحديث (ويقصدون بهم أهل السنة والجماعة الحقيقيين) والماتريدية (الموجودون الآن في الأوقاف التركية) وبدأوا قريباً في إخراج أهل الحديث (ويقصدون بهم أهل السنة والجماعة الحقيقيين) من أهل السنة والجماعة.
- ونحن نقول كأهل السنة والجماعة إن الكلام بصوت وحرف لأن هذا هو أصل الكلام في اللغة والله (ﷻ) أثبت لنفسه الكلام في أكثر من آية تُوضح أنه يتكلم (ﷻ) كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[الأعراف: 143] و قوله (ﷻ): ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[مريم: 52] والنداء لا يكون إلا بصوت مسموع وحرف و قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾[الكهف: 109] فقد ذكر (ﷻ) أن له كلمات والأدلة كثيرة في هذه المسألة [2].
- وقد بيَّن المصنف (رحمه الله) إن صرف العبادة لغير الله (ﷻ) شرك كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165] فالمشركون عندما أشركوا أشركوا في محبة الله (ﷻ) فقد أحبوا غير الله (ﷻ) من جنس المحبة التي لا تكون إلا لله (ﷻ).
- فالمحبة أنواع: محبة العبادة التي لا تكون إلا لله (ﷻ) والتي محبة التعظيم والإجلال والقبول والإذعان. وهناك محبة طبيعية فطرية كمحبة الوالد لولده وهذه محبة الإشفاق وكمحبة الولد لأبيه وكمحبة التلميذ لشيخه وهي محبة الاحترام والتقدير وكمحبة الأصدقاء الشركاء الذين تشترك معهم في أشياء وكمحبة المباحات من الأكل والشرب. وهذه المحبة الطبيعية الفطرية ليست فيها إشكالية ولكن الإشكالية في محبة العبادة التي فيها التعظيم والإجلال والقبول والإذعان وهذه كلها لا تكون إلا لله (ﷻ).
- فمن أحب ولي أو شيخ أو مخلوق محبة العبادة فقد أشرك والدليل قوله (ﷻ): ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165]. فالآية تقول إن اتخاذ الشريك (الند كما في الاية) كان في محبة العبادة.
- وهذه الجزء من الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ على تفسيرين عند العلماء: الأول: إن هؤلاء المشركين أحبوا الله (ﷻ) وأحبوا الأنداد محبة العبادة مع حبهم لله (ﷻ) محبة العبادة فساووا بين محبة الله (ﷻ) ومحبة الأنداد في العبادة. الثاني: إن هؤلاء المشركين لم يحبوا الله (ﷻ) ولكن أحبوا الأنداد محبة العبادة التي لا تكون إلا لله (ﷻ). والقول الأول ترجيح ابن تيمية (رحمه الله) ولهذا تجده مشهوراً بين أهل العلم [3] وقد استدل على هذا التفسير بقوله (ﷻ): ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الشعراء: 97-98] والتسوية تدل على محبة الله (ﷻ) ومحبة الأنداد محبة متساوية والتسوية لم تكن في الخلق أو الرزق بل كانت في المحبة. والقول الأول أرجح قليلاً لأن فيه تشريك في المحبة وكذلك الآية فيها تلميح على أنهم كانوا يحبون الله (ﷻ) ولكن ليس هناك ثمرة كبيرة من الخلاف بين الرأيين.
- والجزء الآخر من الآية ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ على تفسيرين عند العلماء: الأول: إن المؤمنين أشد حباً لله (ﷻ) من حب المشركين لله (ﷻ).الثاني: إن المؤمنين أشد حباً لله (ﷻ) من حب المشركين لأندادهم ولكن ليس هناك ثمرة كبيرة

---

1 راجع المحاضرة التاسعة رقم (1) صـ 7 في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ عند الكلام عن حديث الرجل الذي طلب من أهله أن يُحرّقوه. وراجع باب العذر بالجهل في كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف.

2 راجع المحاضرة الثامنة في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.

3 قال ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب "التحفة العراقية في الأعمال القلبية": " ولهذا قال تعالى البقرة ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله فبين سبحانه ان المشركين الذين يتخذون من دون الله أندادا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله فالذين آمنوا أشد حبا لله منهم لله ولأوثانهم لأن المؤمنين أعلم بالله والحب يتبع العلم ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب"

من الخلاف بين الرأيين.

- ولكن على كلا الرأيين في الآية إن صرف محبة العبادة التي لا تكون إلا لله (ﷻ) لغير الله (ﷻ) فهذا هو الشرك. ولقد استفاض هذا في عصرنا الآن فتجد بعض الناس يعظمون الولي أو الشيخ أو الرئيس وغيرهم وتحبهم محبة بحيث تسمع لهم وتطيع فيقول لك أفعل كذا ولا تفعل كذا أو هذا حلال وهذا حرام فتجعله ولياً من دون الله (ﷻ). ولهذا المحبة إما أن تكون محبة الله (ﷻ) أو محبة في الله (ﷻ) أو محبة لله (ﷻ) أو محبة مع الله (ﷻ).
- فمحبة الله (ﷻ) هي المحبة المطلوبة من العبد ولا تُصرف إلا لله (ﷻ) وهي علامة من علامات التوحيد والذي يدل على صحتها وثمرتها قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31] وهي اتباع سنة النبي. قال ابن القيم: " قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحنة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31]" [1] .
- والمحبة مع الله (ﷻ) هي المحبة الشركية وهي أن تحب الله (ﷻ) وتحب معه شيء في محبة العبادة.
- والمحبة في الله (ﷻ) هي المحبة التي حثت السنة عليها كما في قوله (ﷺ): " أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (ﷻ)" [2] وقوله (ﷺ): " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد **ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه** ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" [3].
- ولابد أن نوضح أنه لا يوجد إشكال أن تقول: " هذا من فضل الله (ﷻ) ثم فضلك" لقوله (ﷺ): " من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير **ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله** والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفُرقة عذاب" [4] ولابد أن تعتقد أن الله (ﷻ) هو الذي جعله سبب وليس هو السبب في ذاته. ولكن هذا غير التوكل فالمعلوم أنه لا يصح أن تقول: " توكلت على الله وعليك" ولكن الغير معلوم أنه لا يجوز أن تقول: " توكلت على الله ثم عليك" أو " اعتمدنا على الله ثم عليك" لو تقصد بالاعتماد التوكل وهذا بخلاف المشيئة ففي الحديث أن يهودياً أتى النبي (ﷺ) فقال: " إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة". فأمرهم النبي (ﷺ) إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: " ورب الكعبة" وأن يقولوا: " ما شاء الله ثم شئت" [5] وهذا لأن التوكل عبادة قلبية لا تُصرف إلا لله (ﷻ). من الممكن أن تقول: " توكلت على الله (ﷻ) ثم وكلتُك" فالتوكل هو الآخذ بالسبب مع تعلق القلب بالله (ﷻ).

---

1 راجع كتاب مدارج السالكين لابن القيم (رحمه الله).

2 أخرجه الطبراني في الكبيروأبو داود الطيالسي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وأحمد من حديث البراء (رضي الله عنه). وقال الهيثمي في المجمع: " رواه الطبراني بإسنادين ورجاله أحدهما رجال الصحيح". وحسنه الألباني لشواهده في صحيح الجامع وقال في الصحيحة: " فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل والله أعلم".

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (سبعة) أشخاص وكل من يتصف بصفاتهم (ظله) ظل عرشه وكنف رحمته (معلق في المساجد) أي شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها (اجتمعا عليه) اجتمعت قلوبهما وأجسادهما على الحب في الله (تفرقا) استمرا على تلك المحبة حتى فرق بينهما الموت (طلبته) دعته للزنا (ذات منصب) امرأة لها مكانة ووجاهة ومال ونسب (أخفى) الصدقة وأسرها عند إخراجها (لا تعلم شماله) كناية عن المبالغة في السر والإخفاء (خاليا) من الخلاء وهو موضع ليس فيه أحد من الناس (ففاضت عيناه) ذرفت بالدموع إجلالا لله وشوقا إلى لقائه.

4 أخرجه أحمد عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) والترمذي عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح". وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح وسلسلة الأحاديث الصحيحة.

5 أخرجه النسائي وأحمد والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما). قال الحاكم: " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وصحح ابن حجر إسناده في"الإصابة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

الشريط الرابع

تحقيق توحيد الإلوهية واسم الله الأعظم والربوبية تستلزم الإلوهية وصفات المقابلة ومفهوم الإلوهية والاستعاذة

الشريط الرابع تحقيق توحيد الإلوهية واسم الله الأعظم والربوبية تستلزم الإلوهية وصفات المقابلة ومفهوم الإلوهية والاستعاذة

محتويات الشريط الرابع

1- تحقيق توحيد الإلوهية (التوقيت: 1 دقيقة و19 ثانية) 1

2- اسم الله الأعظم والربوبية تستلزم الإلوهية وصفات المقابلة ومفهوم الإلوهية (التوقيت: 22 دقيقة و23 ثانية) 4

3- الاستعاذة (التوقيت: 33 دقيقة و23 ثانية)..... 6

1- تحقيق توحيد الإلوهية (التوقيت: 1 دقيقة و19 ثانية)

وقد علم الله سبحانه وتعالى عباده كيف مباينة آهل الشرك في توحيد الإلهية وأنه تعالى حقيق بإفراده وليّاً وحَكَماً وربّاً فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: ١٤]وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ الله أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾[الأنعام :١١٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَبْغِي رَبًّا﴾[الإنعام : ١٦٤].

فلا وليَّ ولا حَكَمَ ولا رب إلا الله الذي من عَدَلَ به غيره فقد أشرك في ألوهيتهِ ولو وَحَّدَ ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الإلهية مَفْرَقُ الطرق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الإسلام : لا إله إلا الله فلو قال: لا رب إلا الله لما أجزأه عند المحققين فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد . ولهذا كان أصل « الله » الإله كما هو قول سيبَوَيه وهو الصحيح وهو قول جمهور آصحابه إلا من شذَ منهم

- قال المصنف (رحمه الله) " وقد علّم الله (سبحانه وتعالى) عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله ". هنا المصنف (رحمه الله) أراد أن يُبيّن إن الله (عز وجل) أرشد العباد كيفية تحقيق الإلوهية وكيفية مخالفة أهل الشرك وقد استدل المصنف (رحمه الله) بثلاث آيات عظيمات بيّنت إفراد الله (عز وجل) بالولاية وبالحكم وبالربوبية. وهنا مغزى من ذكر هذه الآيات لأنه هناك تلازم بين هذه الآيات وبعضها البعض. فمن وحّد الله (عز وجل) بالربوبية يستلزم منه أن يتخذ الله (عز وجل) ولياً. ومن اتخذ الله (عز وجل) ولياً يستلزم منه أن يتخذه حكماً في كل شيء.
- فمن تحقيق توحيد الإلوهية إفراد الله (عز وجل) بالولاية كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾[الأنعام: 14]. وولاية الله (عز وجل) هي التي تستلزم التعظيم والمتابعة كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[المائدة: 56] فالآية ذكرت ثلاث ولايات لله (عز وجل) والنبي (صلى الله عليه وسلم) والذين آمنوا ولكن كل ولاية تختلف عن الأخرى
- فالله (عز وجل) له الولاية المطلقة وهي ولاية التعظيم والمتابعة المطلقة وهي الخضوع الكامل له والخوف منه والرجاء إليه.
- وولاية النبي (صلى الله عليه وسلم) في حياته أنه إذا دعاك لأمر تنصره وتكون معه وبعد موته هي متابعته فيما جاء به وهي المتابعة للسنة وتنقاد إليها وتحققها في كل حياتك.
- وولاية الذين آمنوا في ولاية النصرة والتأييد فتكون معهم في صفهم ولا تكون عليهم ولا تتخذهم أعداءاً لك ولا تُوالي عدوهم عليهم وتقوية شوكتهم إذا كانوا في أي أمر وغير ذلك من الطاعات التي ترفع قدر المؤمنين وتعز المؤمنين وترفع قدرهم وتجعل المسلمين ينتصرون على عدوهم من أهل الباطل.

الشريط الرابع تحقيق توحيد الإلوهية واسم الله الأعظم والربوبية تستلزم الإلوهية وصفات المقابلة ومفهوم الإلوهية والاستعاذة

- فمن تحقيق توحيد الإلوهية إفراد الله (ﷻ) بالحكم سواء كان حكماً شرعياً أو قدرياً أو جزاءياً كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾[الأنعام: 114].
- فحكم الشرع هو ما جاء من أوامر ونواهي سواء كانت في القرآن أو السنة ومفهوم إفراده بالحكم الشرعي هو أن تتبع أوامر الله (ﷻ) وتجتنب نواهيه.
- ومفهوم إفراده بالحكم القدري الذي هو تقدير الله (ﷻ) الذي ليس للبشر دخلٌ فيه فيجب أن تؤمن به وتخضع له وتؤمن بالقدر خيره وشره.
- ومفهوم إفراده بالحكم الجزائي الذي الفصل بين العباد يوم القيامه فيجب أن تؤمن به وتخضع له.
- وجاءت الاية كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[المائدة: 44] مُطلَقة فتطلق على الكفر الأكبر . فالحكم بغير شرع الله (ﷻ) هذا كفر بشرع الله (ﷻ) وبالتوحيد لأن الله (ﷻ) اختص بالحكم والشرع كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾[الأنعام: 62] [1]. فمن حكم مع الله (ﷻ) فقد خالف في إفراده بالحكم.
- فالحكم والتشريع حق لله (ﷻ) فمن نازع فيهما فقد نازع في صفة من صفاته فقد أشرك مع الله (ﷻ) في ذلك.
- والحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) له مراتب:

1. أن يعتقد أن حكم غير الله (ﷻ) أفضل من حكم الله (ﷻ) أويجحد حكم الله (ﷻ) وهذا كفر أكبر يُخرج من الملة بإجماع أهل العلم وهذا حتى عند المرجئة والجهمية.
2. أن يستحل الحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) وهذا كفر أكبر يُخرج من الملة بإجماع أهل العلم وهذا حتى عند المرجئة والجهمية.
3. من قاتل ليحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) فهذا كفر أكبر لأن هذا فيه دلالة على استحلاله للحكم المخالف لحكم الله (ﷻ) ويريد أن يفرضه على الناس فرضاً بإجماع أهل العلم.
4. يحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) مع اعتقاده أن حكم الله (ﷻ) أفضل وهذا يحتاج إلى تفصيل:

أ. لو كانت في مسألة واحدة مثلاً مثل قاضي يحكم في مسألة بغير حكم الله (ﷻ) وهو يعلم حكم الله (ﷻ) ويعلم أنه أفضل وأحسن ولكنه غلبته الشهوة أو الرشوة أو غير ذلك من الأشياء فأهل العلم قالوا أنه ينزل من الشرك الأكبر إلى الشرك الأصغر.

ب. من نحَّى شرع الله (ﷻ)أو سنَّ قوانين وضعية من عند البشر تخالف شرع الله (ﷻ) بالكليَّة أو حتى جزئياً مثل ما فعل جنكيز خان عندما نحَّى شرع الله (ﷻ) وأتى بكتاب الياسق وجمع فيه من شرائع اليهودية والنصرانية والإسلام [2] أو يطبق في جزء مثل الأحوال الشخصية يُطبِّق فيها الشرع ويترك الباقي من أحكام الجنايات والأموال والمعاملات فهذه تعتبر تنحية للشرعية فالشريعة لابد أن تُحكَّم كلها وكل ما سبق هو كفر أكبر يُخرج من الملة إلا إذا كانت هناك بعض التأويلات أو الشُبَه فقد ينزل للكفر الأصغر ولكن هذا يعتمد على التأويلات والشُبَه . فقد يكون التأويل إن هذه القوانين لا تخالف الشريعة أو إنها قريبة من الشريعة أو هي مما اعتاد عليه الناس وما اعتاد عليه الناس ينزل تحت مقاصد الشريعة. وكلها تأويلات باطلة طبعاً ولكنها قد تجعله ينزل من الكفر الأكبر للكفر الأصغر.

- كل ما سبق يقع تحت كفر النوع ولكن إيقاع ما سبق على آحاد الناس (وهو كفر العين) يحتاج لاستيفاء هذا الشخص لشروط وانتفاء موانع [3] ولابد أن يكون ذلك عن طريق أهل العلم المتخصصين.
- بعض أهل العلم تعلَّق بقول لابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال عن الحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ): " كفر دون كفر" أي كفر أصغر. والرد عليهم إن بعض أهل العلم لم يُثبت هذه الرواية ومن أثبتها حملها على الحالة (4.أ) السالفة الذكر [4].

---

1 ومفهوم الحصر والقصر للحكم الله (ﷻ) جاء من اللغة وهو عن طريق تأخير ما حقه التقديم. ف "له " شبة الجملة خبر مُقدَّم و" الحكم" مبتدأ مؤخَّر.

2 قال ابن كثير في تفسير قوله (ﷻ): ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: 50] : " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم اليساق " وفي رواية الياسق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) **ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله** حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله (ﷺ) فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. وبعض أصحاب الهوى يُحرِّفون كلام ابن كثير فيقولون: " ومن فعل ذلك **منهم** فهو كافر يجب قتاله " ولهذا يُفضَّل الرجوع لنسخ قديمة جداً من تفسير ابن كثير للوقوف على الحقيقة.

3 هناك فرق بين كفر النوع وكفر العين. كفر النوع هو أن تحكم **على الفعل** بأنه فعل كفر أما كفر العين وهو أن تحكم **على فاعل الفعل** أنه كافر. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يُرجى الرجوع إلى كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف.

4 أخرج الحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي وأخرج البيهقي وصححه الشيخ الألباني في تحقيق الإيمان لشيخ الإسلام قول ابن عباس في تفسير قوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[المائدة: 44]: " ليس الكفر الذي تذهبون إليه هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون

فسق ". وفي رواية رواها ابن جرير في تفسيره: " هي به كفر وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله". ومفهوم الكفر الأكبر: هو الكفر المُخرج عن الملة. ومفهوم الكفر الأصغر: هو الكفر الذي لا يُخرج عن الملة ولكنه وسيلة للكفر الأكبر فهو خطرٌ عظيم وهذا الذي مفهوم القول " كفر دون كفر" أي كفر أصغر. وكل ما سبق يُحمل على الحالة (4.أ) السالفة الذكر. قال الشيخ الراجحي في الحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) في دروس العقيدة: " ومن أمثلة الكفر العملي: الحكم بغير ما أنزل الله قال الله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[المائدة: 44] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[المائدة: 45] ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[المائدة: 47] وقد اختلف العلماء في الحكم بغير ما أنزل الله هل هو كفر يخرج من الملة أو كفر لا يخرج من الملة؟ اختلف العلماء في هذا على أقوال:

1- فمن العلماء من تأول الآية على الكفر الأصغر وقال: إن الحكم بغير ما أنزل كفر أصغر لا يخرج من الملة وهذا روي عن ابن عباس وعطاء قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في آية الحكم بغير ما أنزل الله: " ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر" وقال عطاء: " هو كفر دون كفر". هذا القول الأول.

2- ومن العلماء من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحداً له وهذا تأويل عكرمة لكنه تأويل مرجوح ضعيف لأن نفس الجحود كفر سواء حكم أو لم يحكم فإنه إذا جحد ما أنزل الله كفر ولو لم يحكم.

3- ومن العلماء من تأول الآية على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام فيكون كفراً أكبر وهذا تأويل عبد العزيز الكناني وهذا أيضاً قول ضعيف وتأويل مرجوح لأن الله (ﷻ) توعد من حكم بغير ما أنزل الله والوعيد يتناول ترك الحكم بجميع أو ببعض ما أنزل الله فهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه أو ببعضه.

4- ومن العلماء من تأول الآية على الحكم بمخالفة النص عمداً من غير جهل به ولا خطأ في التأويل وقد حكى هذا القول البغوي عن العلماء ويكون كفراً أكبر وهذا -أيضاً- تأويل مرجوح لأن هذا تقييد ليس عليه دليل.

5- ومن العلماء من تأول الآية في أهل الكتاب وقال: إن هذه الآية خاصة بأهل الكتاب: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ ﴾ [المائدة:44] أي: من أهل الكتاب: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:44] وهذا -أيضاً- قول مرجوح وهو قول قتادة والضحاك وهو تأويل مرجوح لأنه خلاف ظاهر اللفظ فلا يصار إليه إلا بدليل ولأن العبرة بعموم اللفظ والآية عامة.

6- ومن العلماء من أخذ بإطلاق الآية وقال: إن الحكم بغير ما أنزل الله كفر أكبر ينقل عن الملة مطلقاً.

فهذه ستة أقوال لأهل العلم والتحقيق والصواب في هذه المسألة أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين: الأصغر والأكبر وذلك بحسب حال الحاكم فقد يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر وقد يكون كفراً أصغر بحسب حال الحاكم فإذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله من الآراء والقوانين الوضعية معتقداً أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه يجوز له أن يحكم بالآراء والقوانين أو أنه مخير بين أن يحكم الآراء والقوانين وبين أن يحكم بما أنزل الله فهذا كفر أكبر يخرج من الملة سواء حكم بالقوانين والآراء معتقداً أنها أحسن من الحكم بما أنزل الله أو مماثلة للحكم بما أنزل الله أو أقل من الحكم بما أنزل وأن الحكم بما أنزل الله أحسن فمادام أنه يرى أنه يجوز له الحكم بالقوانين والآراء الوضعية فإنه يكفر كفراً أكبر يخرج من الملة سواء اعتقد أن القوانين والآراء مماثلة للحكم بما أنزل الله أو أحسن أو أقل وكذلك لو استهان بحكم الله مع تيقنه أنه حكم الله. أما إذا لم يعتقد جواز الحكم بغير ما أنزل الله وحكم بغير ما أنزل الله طاعة للهوى والشيطان فإنه يكفر كفراً أصغر لا يخرج من الملة وعلى ذلك يكون الحاكم بغير ما أنزل الله ممن يحكم بالآراء.

والقوانين الوضعية له حالات: **الحالة الأولى:** أن يحكم بالآراء والقوانين الوضعية معتقداً أنها أحسن من الحكم بما أنزل الله وأن الحكم بما أنزل الله لا يناسب العصر الحاضر وإنما يناسبه الحكم بالآراء والقوانين الوضعية فهذا كفر أعظم وهذا من أعظم الكفر وهو أسوأ الحالات وأعظمها كفراً قال الشيخ محمد أحمد شاكر (رحمه الله): " وهذا مثلما ابتلي به الذين درسوا القوانين الأوربية من رجال الأمم الإسلامية ونسائها الذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها والذب عنها فأذاعوها وحكموا بها لما ربوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين أعداء الإسلام ومنهم من يصرح ومنهم من يتوارى فإنا لله وإنا إليه راجعون". فهذا مثال يمثل به الشيخ محمد أحمد شاكر (رحمه الله):" فهؤلاء الذين درسوا القوانين الأوربية وأذاعوها وحكموا بها وأشهروها هم أعظم الناس كفراً".

الحالة الثانية: أن يحكم بالآراء والقوانين الوضعية معتقداً أنه يجوز الحكم بها ويجوز الحكم بما أنزل الله ويعتقد أن الحكم بالآراء والقوانين مماثل لحكم الشريعة فهما على حدٍ سواء وأنه مخير بين أن يحكم بالآراء والقوانين الوضعية أو يحكم بالشريعة فهذا -أيضاً- كافر كفراً أكبر بسبب هذا الاعتقاد.

الحالة الثالثة: أن يحكم بالآراء والقوانين الوضعية معتقداً أن الحكم بما أنزل الله أحسن وأفضل من الحكم بالآراء والقوانين الوضعية لكنه يعتقد أنه لا مانع من الحكم بالآراء والقوانين الوضعية وأنه يجوز الحكم بالآراء والقوانين الوضعية وإن كان الحكم بالشريعة الإسلامية أحسن فهذا -أيضاً- كفر أكبر لأنه جوز الحكم بغير ما أنزل الله واستحله ومثله مثل من استحل الزنا لكن لا يكون المستحل كافراً إلا إذا استحل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فكذلك إذا استحل الحكم بالآراء والقوانين الوضعية كفر ولو كان يعتقد ويرى أن الحكم بالشريعة أحسن.

الحالة الرابعة: أن يحكم بغير ما أنزل الله في قضية معينة معتقداً أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله وأنه عاصٍ لله مستحق للعقوبة ولكنه إنما حَكَم بغير ما أنزل الله طاعة للهوى والشيطان وطمعاً في مال أو طمعاً في رياسة أو لأجل رشوة دفعت له أو لأجل أن ينفع المحكوم له لأنه صديق له أو قريب له أو لأجل أن يغر بالمحكوم عليه أو خوفاً من سلطان أو من شخص هدده فحكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أنه عاصٍ بهذا وأنه مستحق للعقوبة ويعتقد أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل فهذا يكفر كفراً أصغر لا يخرج من الملة.

الحالة الخامسة: أن يحكم بغير ما أنزل الله بعد بحثه عن حكم الله واستفراغ وسعه وبذل جهده في تعرف حكم الله لكنه اجتهد وبحث وبذل جهده واستفرغ وسعه ليعرف حكم الله فجهل وأخطأ وحكم بغير ما أنزل الله خطأً بعد البحث واستفراغ الوسع فهذا خطؤه مغفور وله أجر على اجتهاده لما ثبت في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر).

وعلى ذلك نقول: الحاكم بغير ما أنزل الله له خمس حالات يكفر كفراً أكبر في ثلاث منها ويكفر كفراً أصغر في الرابعة وأما في الحالة الخامسة فخطؤه مغفور بل له أجر على اجتهاده. هذه هي حالات الحكم بغير ما أنزل الله وهذا التفصيل هو الصواب وهو مروي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والحسن وروي عن ابن مسعود والحسن أنه قال: إذا حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً له فهو كافر وإذا حكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه آثم فهو من فساق المسلمين.

وبهذا تكون أقوال العلماء في الحكم بغير ما أنزل الله سبعة أقوال:

القول الأول: أنه كفر أصغر مطلقاً.

القول الثاني: أنه كفر أكبر مطلقاً.

القول الثالث: أن الآية: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:44] محمولة على من جحد الحكم بما أنزل الله.

القول الرابع: أن الآية محمولة على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله.

القول الخامس: أنه إذا حكم بغير ما أنزل الله وخالف النص عمداً من غير جهل ولا خطأ في التأويل.

القول السادس: أن الآية محمولة على أهل الكتاب.

القول السابع: التفصيل الذي هو مروي عن ابن مسعود والحسن وهو أنه يكفر كفراً أكبر إذا حكم بغير ما أنزل الله مستحلاً للحكم بالآراء والقوانين سواء اعتقد أنها أحسن من الحكم بما أنزل الله أو مماثلة له أو أقل. وهذا هو الصواب والحمد لله."

- وبعض المتأخرين يريدون أن ينسبوا القول بأن الحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) كفر أكبر إنه أقوال الخوارج. وهذا فيه ظلم لأننا لو قلنا إن المسألة خلافية وأنت ترى أن هذا كفر دون كفر فليس لك أن ترمي غيرك بأن هذا القول من أقوال الخوارج حتى تحمي الحكَّام الذين بدلوا الشرع. فأصحاب القول بأن الحكم بغير ما أنزل الله (ﷻ) كفر أكبر معهم أدلة قوية وهو الراجح. وللأسف أكثر أصحاب القول الثاني في المسألة إما له دوافع أو عنده جهل بالمسألة أو أنه من أهل الإرجاء الذين لا يقولون بالكفر الأكبر إلا في الاعتقاد والتصديق فقط. وعلى كلام المرجئة لا تستطيع أن تُثبت الكفر على أحد إلا إذا قال إني معتقد في هذا الكفر ومصدقه.
- فالأصل في كلمة الكفر إذا أطلقت إنها الكفر الأكبر ولا نؤولها إلى الكفر الأصغر إلا بقرائن.
- قال المصنف (رحمه الله) " الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ". بيَّن المصنف (رحمه الله) إن المرء قد وحَّدَ ربوبية الله (ﷻ) ولكنه لم يُوحِّد الله (ﷻ) في إلوهيته فقد أشرك. فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت عليه الخلائق إلا قليلاً من الطوائف الشاذة مثل الطبيعيين والدهريين والاتحاديين وفرعون من معه.
- فتوحيد الإلوهية هو الفرق بين المؤمن والمشرك فالكفَّار أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنهم يعرفون إنهم بهذا القول سيُنحُّون كل الآلهة التي يعبدونها من دون الله (ﷻ) ويُفردون الله (ﷻ) بالعبادة.
- فالأصل في كلمة الكفر إذا أطلقت إنها الكفر الأكبر ولا نؤولها إلى الكفر الأصغر إلا بقرائن.
- قال المصنف (رحمه الله) " ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلاّ الله ولو قال: لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين ". بيَّن المصنف (رحمه الله) إن المرء لو قال لا رب إلا الله لكان قد آمن بتوحيد الربوبية فقط فهذا قول المشركين فمعنى ذلك إن لا إله إلا الله لا تعني لا رب إلا الله ومعناها الصحيح كما بيَّنا سابقاً لا معبود بحق إلا الله.
- قال المصنف (رحمه الله) " فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد ". فتوحيد الألوهية هو الذي أرسل به الرسل وأنزل من أجله الكتب. وأول أمر جاء في القرآن جاء بالتوحيد كما في قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[البقرة: 21] وأول نهي جاء فالقرآن جاء ناهياً عن الشرك كما في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 22]. وهذا يدل على عِظَم أمر التوحيد والشرك.
- قال المصنف (رحمه الله) " ولهذا كان أصل "الله" الإله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم ". فالأصل إن كلمة الله جاءت من الإله ولكن حُذِفَت همرة (الإله) ثم أُدغِمَت اللام الثانية في الأولى فأصبحت الله وهو المألوه الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً كما ذكرنا من قبل.

2- اسم الله الأعظم والربوبية تستلزم الإلوهية وصفات المقابلة ومفهوم الإلوهية (التوقيت: 22 دقيقة و23 ثانية)

وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها : ﴿اله مع الله﴾ فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك في ربوبيته كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية، والمَلِك هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدىً معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون فإن المَلِك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب المعاقب

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به «الإله» وأنه المحبوب لاجتماع صفات االكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته ، كما قال الله تعالى :﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾[النمل :٥٩و٦٠].

- قال المصنف (رحمه الله) " وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله: هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون ". وهذا الكلام هو تأكيد لما سبق من كلام المصنف (رحمه الله) إن الله (عز وجل) هو الاسم الجامع لكل أسماء الله (عز وجل) وهو أسمه الأعظم الذي ورد في أماكن متعددة سواء في القرآن أو في السنة كما في قوله (تعالى): ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255] و قوله (تعالى): ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[طه: 8] و قوله (تعالى): ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1] و عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمع رجلا يقول: " اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" فقال: " لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب" [1].
- وهناك أسماء مشتركة بين الله (عز وجل) وبين بعض مخلوقاته فالله (عز وجل) سمَّى بها نفسه وسمَّى بها بعض مخلوقاته فقد سمَّى الله (عز وجل) النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه رؤوف رحيم في قوله (تعالى): ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[التوبة: 128] وقد وصف نفسه (تعالى) بأنه رؤوف رحيم في قوله (تعالى): ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[النور: 20] ولكن ليس الرؤوف الرحيم في حق الله (عز وجل) كالرؤوف الرحيم في حقه (صلى الله عليه وسلم) أو غيره من البشر. وكذلك ذكر الله (عز وجل) حاكياً عن يوسف (عليه السلام) أنه قال عن نفسه: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: 55] وقد سمَّى الله (عز وجل) بأنه حفيظ وعليم فقال (تعالى): ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[هود: 57] وقال (تعالى): ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: 115]. فهذه الأسماء المشتركة تثبت للخالق والمخلوق مع الاعتقاد بأنها أسماء الله (عز وجل) الحق نى نى لا يدانيه ولا يشاركه فيها أحد والمشاركة تختلف من قدر الخالق وقدر المخلوق.
- وذكر المصنف صفات المقابلة وهي الناهي المانع الضار المعاقب [2]. وهذه الصفات لا تُذكر منفردة فلا يصلح أن تقول إن الله (عز وجل) هو الضار وتسكت ولكن تقول الله (عز وجل) هو الضار النافع فلابد أن تكون مُقيَّدة بقيد أو تُذكر مع كمال الضد وليست على إطلاقها. فهو (تعالى) يمكر بالماكرين فلا يُقال ماكر ويخدع المُخادعين فلا نقول مُخادع.
- قال المصنف (رحمه الله) " ويحتج الربّ (تعالى) عليهم بتوحيدهم ربوبيّته على توحيد ألوهيّته كما قال الله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ

---

[1] أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وأحمد والرواية له عن بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي وفي صحيح سنن أبي داود.

[2] راجع المحاضرة الثالثة صـ 3 رقم 3.6 في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: 59-60] وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها: ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾[النمل: 60]؟ فأبان (ﷻ) بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهيّة لا الربوبيّة على أن منهم من أشرك في الربوبيّة كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى. وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهيّة بإثباتهم الربوبيّة. ". وذكر المصنف (رحمه الله) مجموعة من الآيات التي تدل على أن الله (ﷻ) يُقرُّهم على توحيد الربوبية الذي يؤمنون به ثم يقول لهم مُنكراً عليهم (ﷻ): ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾[النمل: 60] فإذا كانوا يؤمنون بربوبية الله (ﷻ) فكيف تتخذون مع الله (ﷻ) إلهاً آخر؟ فهذا إقرار على شيء ثم إنكار على شيء آخر. فهذا الآيات تدل على أن الربوبية تستلزم توحيد الإلوهية.

- قال المصنف (رحمه الله) " والملك هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيّته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون فإن الملك هو الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المُثيب المُعاقب ". فالملك له عبادة القهر كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[الأنعام: 18].
- وهناك فرق بين المِلك والمالك فكل مال مِلك مالك وليس كل مالك مِلك ولهذا كان المِلك من أسماء الله (ﷻ). فالمِلك هو الذي يؤمر وينهى فإذا كان الله (ﷻ) هو الملك فله أن يأمر وينهى عباده فيأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك.
- فإذا كان المِلك أمر ونهى فله أن يأمر الرعية وينهاهم فلابد على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا كما هو معروف عند الخلق فالله (ﷻ) أولى أن يأمر الخلق وينهاهم وأن يسمعوا له ويطيعوا أمره كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾[النحل: 60]. وكذلك هو الذي يُعاقب ويُجازي عندما يرجع الخلق له يوم القيامة كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون: 115-116]. فكيف يخلق الله (ﷻ) الخلق ثم يتركم سدى فلا يُكلفهم بشيء ولا يأمرهم بشيء؟ فقد قال (ﷻ): ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة: 36]. ولهذا جاء المصنف (رحمه الله) بصفات الله (ﷻ) الآمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المُثيب المُعاقب. وهذه كلها صفات متقابلة فالآمر ضد الناهي والضار ضد النافع والمُثيب ضد المُعاقب.
- وهذا هو مفهوم الإلوهية وهي الأوامر والنواهي وهي أن تُفرده (ﷻ) في عبادة الأمر والنهي ولا تُشرك معه أحد في ذلك.
- وهذا هو المُلك التام لله (ﷻ) الذي لا يُنازعه فيه أحد كما في قوله (ﷻ): ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[غافر: 16]. أما ملوك الدنيا فملكهم مُقيَّد ويتنازعوا فيها فكلهم مخلوقات لله (ﷻ) فلا ملك تام إلا لله (ﷻ).

3- الاستعاذة (التوقيت: 33 دقيقة و23 ثانية)

ولذلك جاءت الاستعاذة في «سورة الناس» و«سورة الفلق» بالأسماء الحسنى الثلاثة : الرب والملك والإله فإنه لما قال : ﴿قل أعوذ برب الناس ﴾كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم فبقي أن يقال : لِـمَّـا خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم ؟ قيل : نعم ، فجاء ﴿ملك الناس﴾ فأثبت الخلق والأمر فلما قيل ذلك قيل : فإذا كان ربًّا موجِداً ومَلِكاً مكلِّفاً فهل يُحَبُّ وَيُرَغَبُ إليهِ ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر؟ قيل : ﴿ إله الناس﴾ أي : مألوهم

ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلَّف العابد إلا له فجاءت الإلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها .

- قال المصنف (رحمه الله) " ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: الربّ والملك والإله فإنه لما قال: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[الناس: 1] كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم فبقي أن يقال: لَمّا خلقهم هل كلّفهم وأمرهم ونهاهم؟ قيل: نعم فجاء: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾[الناس: 2] فأثبت الخلق والأمر ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: 54] فلما قيل ذلك قيل: فإذا كان ربا موجدًا وملكا مكلفا فهل يحب ويرغب إليه ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر قيل: ﴿ إِلَهِ النَّاسِ ﴾[الناس: 3] أي مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجّه العبد المخلوق المكلّف العابد إلا له فجاءت الإلهيّة خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة له ". هنا بدأ المصنف يتكلم عن الاستعاذة. والاستعاذة في اللغة كما قال القرطبي هي طلب الجوار [1]. والاستعاذة هي التحيُّز إلى الشيء وهي الامتناع بالشيء عن المكروه. وهذا ضابط مهم لأن المكروه فيه الاستعاذة عن المكروه على عكس اللوذ والليلاذ وهو قول " ألوذ بك" الذي هو الفرار إلى الغير لطلب الخير والاعتصام به والتوجُّه إليه. وهو عياذي أي الذي يحفظني من أي مكروه. والاستعاذة هي طلب العوذ والطلب على أحد الأنواع الثلاثة:
  - أ. طلب من أدنى إلى أعلى: وهذا يكون دعاء أو رجاء.
  - ب. طلب من مساوي لمساوي: وهذا يكون التماس.
  - ج. طلب من أعلى إلى أدنى: وهذا يكون أمر.
- ولهذا الاستعاذة من العبد (الأدنى) إلى الله (عز وجل) (الأعلى) هي دعاء ورجاء والدعاء عبادة لقوله (ﷺ): "الدعاء هو العبادة" [2] فالاستعاذة عبادة. وكذلك الاستعاذة عبادة لأن الله (عز وجل) أمر بها في أكثر من موضع في كتابه كما في قوله

---

[1] لم أقف عليه للقرطبي. لكن قال الطبري في تفسيره (الجزء المظلل ليس من كلام الطبري ولكنه للتوضيح): "تأويل قوله: ﴿أَعُوذُ﴾. قال أبو جعفر: " والاستعاذة: الاستجارة". وتأويل قول القائل: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرني في ديني أو يصدني عن حق يلزمني لربي. تأويل قوله: ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾. قال أبو جعفر: والشيطان في كلام العرب كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء. وكذلك قال ربنا جل ثناؤه: ﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام: 112] فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن. وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه:" وركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبخترا فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلا على شيطان! ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي". حدثنا بذلك يونس بن عبد الأعلى قال: أنبأنا ابن وهب قال: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر (الأثر نقله ابن كثير في التفسير من رواية ابن وهب بهذا الإسناد وقال "إسناده صحيح". وذكر الطبري في التاريخ نحو معناه بسياق آخر بدون إسناد). قال أبو جعفر: " وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله وبعده من الخير. وقد قيل: إنه أخذ من قول القائل: شطنت داري من دارك - يريد بذلك: بعدت. ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فبانت والفؤاد بها رهين.

والنوى: الوجه الذي نوته وقصدته. والشطون: البعيد. فكأن الشيطان على هذا التأويل فيعال من شطن. ومما يدل على أن ذلك كذلك قول أمية ابن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه ... ثم يلقى في السجن والأكبال

(وعكاه في الحديد والوثاق: شده شدا وثيقا. والأكبال جمع كبل: وهو القيد من الحديد. وأراد هنا البيت في السجن المضبب بالحديد من قولهم: كبله كبلا: حبسه في سجن. هذا ما أستظهره من سياق الشعر) ولو كان فعلان من شاط يشيط لقال أيما شائط ولكنه قال: أيما شاطن لأنه من "شطن يشطن فهو شاطن".

تأويل قوله: (الرجيم). وأما الرجيم فهو: فعيل بمعنى مفعول كقول القائل: كف خضيب ولحية دهين ورجل لعين يريد بذلك: مخضوبة ومدهونة وملعون. وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم. وكل مشتوم يقول ردىء أو سب فهو مرجوم. وأصل الرجم الرمي بقول كان أو بفعل. ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم لإبراهيم صلوات الله عليه: ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [مريم: 46] . وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجيم لأن الله جل ثناؤه طرده من سمواته ورجمه بالشهب الثواقب (الشهب جمع شهاب: وهو الشعلة من النار ثم استعير للكوكب الذي ينقض بالليل. والثواقب جمع ثاقب: وهو المضيء المشتعل) وقد روي عن ابن عباس أن أول ما نزل جبريل على النبي (ﷺ) علمه الاستعاذة. حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: حدثنا بشر بن عمارة قال: حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد قال: "يا محمد استعذ قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال: قل: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: 1] . قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل (الحديث نقله ابن كثير في التفسير عن هذا الموضع من الطبري وقال: "وهذا الأثر غريب! وإنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفا وانقطاعا". وسيرويه الطبري بعد ذلك بهذا الإسناد نفسه بأطول مما هنا. وسنذكر الضعف الذي أشار إليه ابن كثير: وقوله "استعذ" ليست في المطبوعة. أما عثمان بن سعيد فهو الزيات الأحول مترجم في التهذيب وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وروى عن أبيه أنه قال: "لا بأس به". وأما بشر بن عمارة فهو الخثعمي الكوفي وهو ضعيف قال البخاري في التاريخ الكبير: " تعرف وتنكر" وقال النسائي في الضعفاء: " ضعيف" وقال الدارقطني: " متروك" وقال ابن حبان في كتاب المجروحين: "كان يخطئ حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته" وأما شيخه أبو روق - بفتح الراء وسكون الواو - فهو عطية بن الحارث الهمداني وهو ثقة وقال أحمد والنسائي: "لا بأس به". وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير فمن أجل اختلافهم في سماع الضحاك بن مزاحم الهلالي من ابن عباس والراجح سماعه منه وكفى ببشر بن عمارة ضعفاً في الإسناد إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته!!) فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه.

[2] أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد والحاكم والبخاري في الأدب المفرد عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه). وقال الترمذي: حسن صحيح وصححه الحاكم وأقره الذهبي وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

(ﷻ): ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأعراف: 200] وكل ما أمر الله (ﷻ) يدخل تحت باب العبادة

- والعبادة كما قال ابن تيمية (رحمه الله): "**هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة**. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله " [1].
- والله (ﷻ) لا يأمر إلا بكل خير وقد جاء الاستعاذة مطلوبة ومأمور بها في آيات كثيرة منها قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: 1] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[الناس: 1] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[المؤمنون: 97] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأعراف: 200] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[النحل: 98].
- وكل أمر ثبت بالشرع أنه عبادة فصرفه لله (ﷻ) توحيداً وصرفه لغير الله (ﷻ) شِرك [2]. وهذه قاعدة مهمة جداً في توحيد الإلوهية أنه إذا كان الأمر عبادة فصرفه لله (ﷻ) توحيداً وصرفه لغير الله (ﷻ) شِرك. فعليك أولاً أن تُثبت أنها عبادة ثم تُبيِّن كيف يكون الشرك فيها. والآيات التي فيها الاستعاذة كثيرة جداً وقد جاء المصنف (رحمه الله) بالاستعاذة في سورة الناس ليوطأ لمسألة توحيد الإلوهية كما وضَّح المصنف (رحمه الله) فيما قاله.
- وقد ثبت بالسنة إن الاستعاذة عبادة كما جاء إن خولة بنت حكيم السلمية (رضي الله عنها) تقول: " سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك" [3]. والأمر بالاستعاذة يدل على إنها عبادة. وهذا الحديث مهم جداً في الدلالة على أن كلام الله (ﷻ) غير مخلوق فلو كان القرآن مخلوق كما يدَّعون لما كان للنبي (ﷺ) الذي جاء بالتوحيد أن يستعيذ بمخلوق فالاستعاذة بمخلوق من الشرك الذي لا يمكن أن يفعله النبي (ﷺ) ولا يأمرنا به. وهذا رد على المعتزلة على قولهم تصريحاً ولازم قول الأشاعرة.
- والمُستعاذ منه هو ما يُصيب الإنسان. فإما أن يُصيب الإنسان شر وهو على قسمين: قسم من الشر يقع الإنسان لاقترافه المعاصي أو بالتفريط في الطاعات فعن عمران بن حصين قال: " قال النبي (ﷺ) لأبيه حصين: " كم تعبد اليوم إلها؟" قال: " سبعة. ستة في الأرض وواحد في السماء" قال: " فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟ " قال: " الذي في السماء". قال: " يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك" قال: " فلما أسلم حصين قال: " يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني" قال: " قل اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي" [4].
- وقد يأتي الشر من غيره كما يأتي من الجن أو الإنس كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[الفلق: 5].

---

1 راجع كتاب " العبودية" لابن تيمية ومثل ذلك في مجموع الفتاوى.

2 قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتاب "تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد": "فمن أشرك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها فهو مشرك. وإنما ذكرنا هذه العبادات خاصة لأن عباد القبور صرفوها للأموات من دون الله تعالى أو أشركوا بين الله تعالى وبينهم فيها وإلا فكل نوع من أنواع العبادة مَنْ صرفه لغير الله أو شرَّك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك. قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: 36]. وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه وإنما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملّك

فأتاهم النبي (ﷺ) بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله الذي مضمونه أن لا يُعْبَدَ إلا الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: 5]. وكانوا يجعلون ﴿ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: 136] لله وللآلهة مثل ذلك فإذا صار شيء من الذي لله إلى الذي للآلهة تركوه لها وقالوا: الله غني وإذا صار شيء من الذي للآلهة إلى الذي لله تعالى ردّوه وقالوا: الله غني والآلهة فقيرة فأنزل الله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 136-137]. وهذا بعينه يفعله عباد القبور بل يزيدون على كل ذلك فيجعلون للأموات نصيبًا من الأولاد.".

3 أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم (رضي الله عنها).

4 أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين (رضي الله عنه). وقال الترمذي: " هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه". وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ونقل المزي في تحفة الأشراف عن الترمذي قوله: " حسن غريب" ونقل النووي في رياض الصالحين قوله:" حسن". قال الألباني في تعليقه على رياض الصالحين: " ولعله في بعض نسخ الترمذي وإلا ففي نسخ بولاق: " حديث غريب" يعني: ضعيف وهو اللائق بحال إسناده فإن فيه انقطاعاً وضعف".

- وعن أبي هريرة (ﷺ): " قال أبو بكر الصديق (ﷺ): " يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي". قال: " قل: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي **ومن شر الشيطان وَشِرْكِهِ**" [1].
- وقال النبي (ﷺ): " إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك" [2].
- فالإنسان ممكن أن يُصاب بالشر من نفسه أو من غيره سواء كان من الإنس أو الجن وسواء كان مُكلَّف أو غير مُكلَّف. وغير المُكلَّف كما قوله (ﷻ): ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[الفلق: 3] [3] أو من شر العاقبة كما في قوله (ﷺ): " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال" [4].
- والاستعاذة لها أحكام فهي محض توحيد أو شرك أكبر أو مباح. وتكون الاستعاذة محض توحيد إذا صُرِفَتَ الاستعاذة لله (ﷻ) فقط. فمن خاف من الله (ﷻ) وهرب إلى الله (ﷻ) واستعاذ بالله (ﷻ) ولجأ إليه فقط وأفرده بذلك فذلك هو محض التوحيد والمقصود بالخوف خوف العبادة لأن هناك خوف جِبِلّي.
- ومن استعاذ بأصحاب القبور الميّتين فهذا شرك أكبر فهم لا ينفعون ولا يضرون. والاستعاذة بهم ان يذهب إليهم ويقول: " أعوذ بك من كذا وكذا". وقد قال (ﷻ): ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: 6] فكان أحدهم ينزل الوادي فيقول أعوذ بسيد هذا الوادي وهذا شرك [5]. ولهذا نهى (ﷺ) عن ذلك فقال: " من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك" [6]. فلا تجد شيئاً فيه شرك إلا أرشد (ﷺ) فيه إلى التوحيد.
- والمباح من الاستعاذة هو الاستعاذة من المخلوق فيما يقدر عليه من أن يحميك من شر. وهذا حدث مع النبي (ﷺ) نفسه عندما دخل مكة في جوار المطعم بن عدى [7] والجوار هو الاستعاذة به من أذى قريش.وعن أبي مسعود أنه كان يضرب غلامه فجعل يقول: " أعوذ بالله" قال: فجعل يضربه فقال: " **أعوذ برسول الله**" فتركه فقال رسول الله (ﷺ): " والله لله أقدر عليك منك عليه" قال: فأعتقه" [8]. فلم ينكر عليه (ﷺ) قوله: " أعوذ برسول الله" وهذا إقرار منه (ﷺ). ولكن

---

1 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي والبخاري في الأدب المفرد والحاكم عن أبي هريرة (ﷺ). وصححه الألباني وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه" وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح". وزاد الإمام أحمد في رواية له في آخره: " وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجُرُه إلى مسلم". وفي رواية "شَرَكه" بدلاً من "شِرْكِهِ" كما قال النووي في "الأذكار": " رُوِىَ على وجهين أظهرهما وأشهرهما بكسر الشين مع إسكان الراء من الاشراك أي: ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى والثاني: شَرَكه: بفتح الشين والراء: حبائله ومصايده واحدها: شَرَك بفتح الشين والراء"

2 أخرجه أبو داود وابن ماجة والنسائي والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ﷺ). وصححه الألباني في صحيح الجامع. قال أبو داود: " زاد أبو سعيد: " ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم".

3 اختلف العلماء في معنى الغاسق فبعضهم قال الليل وبعضهم قال القمر وبعضهم قال النجوم وهو عموماً غير عاقل.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (ﷺ) والرواية للبخاري.

5 قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: "وقوله: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا أي إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي إثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة. وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي ازدادت الجن عليهم جرأة. وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم: ﴿ رَهَقًا ﴾ أي خوفا. وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي إثما. وكذا قال قتادة. وقال مجاهد: زاد الكفار طغيانا. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا فروة بن المغراء الكندي حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني-عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله (ﷺ) بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم. فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك. فنادى مناد لا نراه يقول: يا سرحان أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة. وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ثم قال: وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه. وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل -وهو ولد الشاة-وكان جنيا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم."

6 سبق تخريجه رقم (3) صـ 8.

7 أخرجه الطبري في التاريخ وراجع مغازي ابن إسحاق وسيرة ابن هشام) وابن سعد في الطبقات الكبرى وانظر فتح الباري والبداية والنهاية.

8 أخرجه مسلم عن أبي مسعود الأنصاري (ﷺ).

المقابلة ومفهوم الإلوهية والاستعاذة

الاستعاذة بالمخلوق مشروطة بألا يميل القلب إليه وتعلم أنه سبب فقط والتوكل والاعتماد على الله (ﷻ).

- وأتى المصنف (رحمه الله) بتوفيق الله (ﷻ) له بهذه الآيات من سورة الناس والتي بيَّن التنسيق البديع فيها. فالآيات فيها تنسيق بديع فقد بدأ سبحانه وتعالى بالربوبية في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[الناس: 1] ليؤكد (ﷻ) على ربوبيته ثم قال ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾[الناس: 2] فهو (ﷻ) الخالق المُوجد الملك فله عبادة القهر وله القوة. والملك له أن يأمر وينهى. وهذا كله توطئة لمسألة توحيد الإلوهية ولهذا ختمها بقوله (ﷻ) ﴿ إِلَهِ النَّاسِ ﴾[الناس: 3]. فبما أن الله (ﷻ) رب الناس وملك الناس فهو إله الناس.
- وهذا هو أسلوب الدعوة في العقيدة فلكي يُفردوا الله (ﷻ) بالعبادة فلابد أن تُأصَّل لهم أولاً إن الله (ﷻ) هو الخالق الرب المُوجد لهم فهل الرب الذي خلقهم وأوجدهم سيتركهم سُدى أو يتركهم بدون أن يجعل لهم تكليفاً بأوامر ونواهي يسيرون عليه في حياتهم إلى يوم يرجعون إليه؟ بالطبع لا. وعندما قال لهم إنه الخالق بيَّن لهم أسمائه وصفاته فقال إنه الملك ومن صفات الملك أن يُكلَّف عباده فالملك في الدنيا أو الرئيس يُكلِّف غيره فكان واجباً عليهم القبول والإذعان ولله المثل الأعلى وهذه نتيجة طبيعية لمُلكه. فيجب على عباد الله (ﷻ) أن يُفردوه في عبادته ويستجيبوا لأوامره ونواهيه ولا يُشركوا معه أحد. والإله هو الذي تأله وتحبه القلوب محبة وتعظيماً.

الشريط الخامس

سحر النبي (ﷺ) والمشركون في الربوبية

محتويات الشريط الخامس

1- سحر النبي (ﷺ) (التوقيت: 40 ثانية) 1
2- المشركون في الربوبية (التوقيت: 18 دقيقة و56 ثانية) 4

1- سحر النبي (ﷺ) (التوقيت: 40 ثانية)

وهاتان السورتان أعظم عَوذَةٍ في القرآن وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سُحر النبي ﷺ وخُيّلَ إليه أنه يفعل الشيء ﷺ وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوما كما في «الصحيح»

وكانت عُقَد السحر إحدى عشرة عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوبِ إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعلُّق باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » لأن اسمه الله تعالى هو الغاية للأسماء .

ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرَّف إلا به فتقول : الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تُعَرَّف غيرها وغيرها لا يعرِّفها .

- قال المصنف (رحمه الله) " وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك وهو حين سحر النبي (ﷺ) وخيّل إليه أنه يفعل الشيء (ﷺ) وما فعله وأقام على ذلك أربعين يوما كما في الصحيح وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية فانحلّت بكل آية عقدة". هنا المصنف (رحمه الله) بدأ يُبيِّن عِظَم سورتي المعوذتين ومناسبة نزولهما. وهاتان السورتان من أفضل الرقى من السحر فقد نزلتا في قصة سحر النبي (ﷺ) كما جاء في حديث عائشة (رضي الله عنها): " سُحِرَ النبي (ﷺ) حتى كان يُخيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال: " أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: " ما وجع الرجل؟" قال: " مطبوب" قال: " ومن طبه؟" قال: " لبيد بن الأعصم" قال: " فيما ذا؟" قال: " في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر" قال: " فأين هو؟" قال: " في بئر ذروان " فخرج إليها النبي (ﷺ) ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: " نخلها كأنه رءوس الشياطين" فقلت: " استخرجته؟" فقال: " لا أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على

الناس شراً ثم دفنت البئر " [1]. والمشط هو أداء ترجيل (تسريح) الشعر والمشاقة هو ما يسقط من الشعر وجف طلعة ذكر هو الغشاء الذي يكون على النخلة وقالوا ذكر لأنه منه ذكر ومنه أنثى.

- وهذا الحديث يُثبت أن النبي (ﷺ) قد سُحِرَ وأن الله (ﷻ) قد شفاه بنزول الملكين له وقد رُقِيَ بسورتي الفلق والناس [2]. وهذا يُبيِّن عِظَم هاتين السورتين فقد أتى بسورتي الفلق والناس لأنهما يبدأن بالاستعاذة والكلام كان أصلاً عن الاستعاذة وأنها عبادة فأتى بقصة سحر النبي (ﷺ).
- وهذه القصة تكلم المبتدعة فيه وأرادوا أن ينكروا هذا الحديث مع أنه في أعلى درجات الصحة [3]. فقالوا لو قلنا إن النبي (ﷺ) قد سُحِرَ فقد وقعنا في أكثر من إشكالية: أولاً: لو قلنا إن النبي (ﷺ) يُخيَّلُ إليه فهذا قدح في الرسالة فيُخيَّلُ إليه جبريل وهو لم يأتيه ويُخيَّلُ أنه أُلقِيَ إليه وحي وهو ما لم يحدث واستدلوا بشبهات أخرى سنُبيِّنُها.
- والرد عليهم أنه في روايات أخرى للحديث أنه كان يُخيَّلُ إليه أنه يأتي زوجاته [4]. والروايات الأخرى تدل على أنه تقيد لما كان يُخيَّلُ للنبي (ﷺ) وما لا يُخيَّلُ إليه فهذا لم يكن في الوحي ولكنه كان في إتيان زوجاته. فالسحر كان على بدنه (ﷺ) ولم يكن في الوحي أو الرسالة.
- وقالوا شبهة أخرى أننا لو قلنا إن النبي (ﷺ) قد سُحِرَ فقد وافقتم المشركين كما أخبر (ﷻ) عن قولهم: ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾[الإسراء: 47]. والرد عليهم إن المشركين عندما قالوا هذا لم يكونوا يقصدون إن النبي (ﷺ) سُحِرَ خمسة أيام فقد ناله بعض التغيير ثم شفاه الله (ﷻ) ولكنهم يقصدون إن ما جاء به ليس قرآنا وليس وحياً من عند الله (ﷻ) فهذا فيه رد وإنكار للرسالة كلها فهم يقولون إن كل ما جاء به النبي (ﷺ) من عند الساحر أو هو مسحور.
- وقالوا شبهة أخرى أننا لو قلنا إن النبي (ﷺ) قد سُحِرَ فهذا يُناقض العصمة. والرد على هذه الشبهة بأن الأخبارقد تواترت على أن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) ينسون فقد جاء عن موسى (عليه السلام) أنه نَسِيَ كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾[الكهف: 63] وقوله (ﷻ): ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾[الكهف: 61].
- وفي الصحيحين عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: " قال عبد الله (رضي الله عنه) قال:" صلى النبي (ﷺ) قال إبراهيم: " لا أدري زاد أو نقص" فلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: " وما ذاك" قالوا: " صليت كذا وكذا" فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه قال: " إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن إنما أنا بشر مثلكم **أنسى كما تنسون** فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري. (وعاه) حفظه (أفتاني) أخبرني (أتاني) أي في المنام (رجلان) أي ملكان في صورة رجلين (مطبوب) مسحور (مشاقة) ما يخرج من الكتان حين يمشق والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول وقيل المشاقة ما يغزل من الكتان (جف الطلعة) وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف (بئر ذروان) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود (رؤوس الشياطين) أي شبيه لها لقبح منظره (شراً) أي في إظهاره كتذكر السحر وتعلمه (دفنت البئر) طمت بالتراب حتى استوت مع الأرض.

2 الحديث في الصحيحين ليس فيه دلاله مباشرة على نزول سورتي الفلق والناس في فك سحر النبي (ﷺ). ولكن الدليل المباشرعلى أن سورتى الفلق والناس نزلتا في فك سحر النبي (ﷺ) ما قاله السيوطي في كتابه أسباب النزول: "وأخرج البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: " مَرِضَ رسول الله (ﷺ) مرضا شديد فأتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: " ما ترى؟" قال: " طُبَّ" قال: " وما طُبَّ؟" قال: " سُحِرَ" قال: " ومن سحره؟" قال: " لبيد بن الأعصم اليهودي" قال: " أين هو؟" قال: " في بئر آل فلان تحت صخرة في كرية فأتوا الركية فانزحوا محمد ماءها وارفعوا الصخرة ثم خذوا الكرية وأحرقوها". فلما أصبح رسول الله (ﷺ) بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الكرية وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: 1] ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: 1]. لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما. وأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال صنعت اليهود لرسول الله (ﷺ) شيئا فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج إلى أصحابه صحيحا"

3 فأعلى درجات الصحة في الحديث هو الذي اتفق على روايته البخاري ومسلم.

4 أي كان يظن أنه يُجامع زورجاته وهو ما لم يحدث والدليل رواية عند البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " كان رسول الله (ﷺ) سُحِرَ **حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن**" قال سفيان: " وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا" فقال: " يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر: " ما بال الرجل؟" قال: " مطبوب" قال: " ومن طبه؟" قال: " لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً" - قال: " وفيم؟" قال: " في مشط ومشاقة" قال: " وأين؟" قال: " في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان " قالت: " فأتى النبي (ﷺ) البئر حتى استخرجه" فقال: " هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رءوس الشياطين" قال: " فاستخرج" قالت: " فقلت: " أفلا؟ - أي تنشرت – " فقال: " أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا". (رعوفة) هي حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقي وقد يكون في أسفل البئر أيضا يجلس عليه من يقوم بتنظيفها. (تنشرت) هي تعيين من سفيان بن عيينة لمرادها بقولها أفلا. ومعناها من النشرة وهي الرقية التي تحل السحر فكأنها تنشر ما طواه الساحر وتفرق ما جمعه

عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين" [1].

- فنقول لهم إذا كنتم تقدحون في السحر فلابد أن تقدحوا في النسيان فالنسيان فيه الاختلاط كما في السحر. فلو تُثبتون أن النبي (ﷺ) ينسى فهذا يعني أنه قد يختلط عليه الوحي وأنتم لا تقولون بذلك فالنسيان مرض والسحر مرض. فلو قلتم إن السحر يؤثر في الوحي فيلزم منه أن تقولوا إن النسيان يؤثر في الوحي.
- وحديث السحر هذا فيه دليل على عصمة النبي (ﷺ) ولا يقدح فيها لأن الله (ﷻ) قد أعلمه بالسحر وأعلمه بالدواء وهذا يدل على عصمته (ﷺ) لأن الله (ﷻ) قد عفاه من هذا الأمر وهذا يدل على أنه (ﷺ) معصوم من قِبَل الله (ﷻ).
- مسألة الإحدى عشر عقدة الحديث فيها ضعيف فهي لم تثبت [2].
- قال المصنف (رحمه الله) " وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه. ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربّه ". هنا أراد المصنف (رحمه الله) أن يُبيِّن إن الاستعاذة بذكر لفظ الجلالة "الله" هو الذي بيَّنه الله (ﷻ) وهو الذي ذكره في كثير من أماكن الاستعاذة منها قوله (ﷻ): ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[النحل: 98] وقوله (ﷻ): ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾[الأعراف: 200] وقوله (ﷺ): "الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره" [3]. وورد في الصحيحين إن سليمان بن صرد (رضي الله عنه) قال: " استب رجلان عند النبي (ﷺ) فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغير: فقال النبي (ﷺ): " إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد" فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي (ﷺ) وقال: " تعُوذ بالله من الشيطان" فقال: أترى بي بأس؟ أمجنون أنا؟ اذهب" [4].
- وكما يُستعاذ بالله (ﷻ) يُستعاذ بصفاته كما جاء عن خولة بنت حكيم السلمية (رضي الله عنها) تقول: " سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " من نزل منزلا ثم قال: أعوذ **بكلمات الله** التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك" [5].
- وكان قديماً عندما ينزلون منزلاً يُشرِكون ويقولون: " أعوذ بسيد هذا الوادي" فبيَّن (ﷺ) أن الاستعاذة عبادة لابد أن تُصرف لله (ﷻ). وكلمات الله التامات هي القرآن وهي صفة من صفات الله (ﷻ). وهذا فيه دلالة إن القرآن غير مخلوق لأن النبي (ﷺ) لم يكن ليستعيذ بمخلوق ولا يأمر أمته أن تستعيذ بمخلوق فهذا شرك.
- قال المصنف (رحمه الله) " ثم استحب التعليق باسم الإله في جميع المواطن الذي يقال فيها: " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (لا أدري زاد أو نقص) لا أعلن هل زاد النبي (ﷺ) في صلاته أو نقص؟ وهذا الكلام مدرج من إبراهيم (وما ذاك) ما الذي حدث؟ وهو سؤال من لم يشعر بما وقع منه ولا يقين عنده به ولا غلبة ظن (فثنى رجليه) عطف رجليه وجلس على هيئة العقود للتشهد (سجد سجدتين) أي للسهو (لو حدث في الصلاة شيء) من زيادة أو نقصان عن طريق الوحي (لنبأتكم) لخبرتكم (كما تنسون) كما تنسون يطرأ عليَّ النسيان كما يطرأ عليكم ولكن في غير ما يجب فيه التبليغ (فليتحر) بحذف الألف المقصورة أي فليجتهد وليطلب (الصواب) اليقين.

2 سبق تخريجه رقم (2) صـ 2 ولكني لم أقف على صحته ولكني وجدت في كتاب "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" للإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي كلاماً ما نصه: "وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل" النبوية بسند ضعيف لأن فيه الكلبي عن أبي صالح وهما ضعيفان "في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي (ﷺ) أنه وجدوا وترًا" "بفتح الواو والفوقية". "فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة" ولفظ البيهقي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: مرض (ﷺ) مرضًا شديدًا فأتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما ترى قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر قال: من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في ركية فأتوا الركية فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة ثم خذوا الركية فاحرقوها فلما أصبح (ﷺ) بعث عمار بن ياسر في نفر فأتى الركية فإذا ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الركية وأحرقوها فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة وأنزلت عليه هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: 1] و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: 1] وفي سياقه نكارة ومخالفة لحديث الصحيحين ظاهرة. وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس: أن عليًّا وعمارًا لما بعثهما النبي (ﷺ) لاستخراج السحر وجدا طلعة لنخلة فيها إحدى عشرة عقدة فذكر نحوه من نزول السورتين وانحلال العقد بقراءتهما".

3 أخرجه البخاري ومسلم عن الحارث بن ربعي " أبي قتادة" (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (الرؤيا) اسم لما يتخيله النائم ويراه في منامه (الصالحة) الحسنة السالمة من التخليط وربما جاءت في اليقظة كما رآها في المنام (الحلم) ما يراه النائم من أخلاط وتخيلات سيئة تحزنه وتدخل عليه الغم (يخافه) يخاف ما رأى فيه من شر وسوء.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن سليمان بن صرد (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (استب) شتم بعضهم بعضاً أو أهان بعضهم بعضاً بكلام جارح (أوداجه) جمع ودج وهو عرق يكون على جانب العنق وانتفاخها كناية عن شدة الغضب ودليل عليه (ما يجد) أي ما فيه من الغضب (هل بي جنون) أي حتى أتعوذ؟ قال النووي (رحمه الله) في شرح مسلم: " وأما قول هذا الرجل الذي اشتد غضبه هل ترى بي من جنون؟ فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون ولم يعلم أن الغضب من نزعات الشيطان ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب. ثم قال ويحتمل أن هذا القائل كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب والله أعلم".

5 راجع المحاضرة الرابعة رقم (3) صـ 8.

لأن اسم الله تعالى هو الغاية للأسماء ". وهذا الكلام فيه نظر فإن كان يقصد أن بسم الله تأتي بها قبل الاستعاذة فهذا الكلام لم يثبت وأما إن كان يقصد من التعلق باسم الله أي يُذكر اسم الله في أعوذ بالله فهذا صحيح وحق. واسم الله (ﷻ) الأعظم هو الله الذي إذا أُستُعيذَ به يُحال بين المرء وبين الشيطان.

- قال المصنف (رحمه الله) " ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلاّ به فتقول: الله هو السّلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرّف غيرها وغيرها لا يعرفها ". وهذا ما ذكرناه من قبل فلفظ الجلالة يُضاف إليه الإسماء ولا يُضاف إلى الأسماء فنقول الله الرحمن أو الله الرحيم أو الله السلام أو الله المؤمن أو الله المهيمن أو الله السلام أو الله العزيز أو الله الجبار أو الله المتكبر. ولا يُقال السلام الله أو العزيز الله أو الجبار الله. وهذا أحد الفُرقات التي تُفرَّق بين اسم الله الأعظم وهو الله عن بقية الأسماء.

2- المشركون فى الربوبية (التوقيت: 18 دقيقة و56 ثانية)

والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً آخر وإن لم يقولوا إنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تُبطِل أقوالهم لأنها تقتضي ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال . وحقيقة قول القدرية المجوسية : أنه تعالى ليس ربًّا لأفعال الحيوان ولا تناولها ربوبيته إذ كيف يتناول ما لم يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه ؟!

- قال المصنف (رحمه الله) " والذين أشركوا به تعالى في الربوبيّة منهم من أثبت معه خالقًا آخر وإن لم يقولوا: إنه إله مكافئ له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدريّة ". رجع المصنف (رحمه الله) يتعرض لمسألة توحيد الربوبية وتكلم عن الذين أشركوا في توحيد الربوبية وتعرض للمجوس والقدرية. فغالب الأمم كما ذكرنا قد وحدت ربوبية الله (ﷻ) والطوائف التي اشركت في ربوبية الله (ﷻ) جعلوا معه خالقاً آخر كما عند المجوس والقدرية والنصارى المُثلِّثة ولكنهم لم يقولوا إن هذه الخالق الآخر مُكافيء لله (ﷻ). فالمجوس قالوا إن للكون خالقين خالق النور وخالق الظلمة وبعضهم قال خالق للخير وخالق للشر ومع ذلك قدَّموا خالق النور والخير على خالق الظلمة والشر فجعلوا مرتبة خالق النور والخير أعلى من مرتبة خالق الظلمة والشر. فالمجوس جعلوا خالق الخير عندهم هو الله (ﷻ) وأرادوا أن يُنزِّهوا الله (ﷻ) عن الشر فجعلوا هناك خالق للشر.
- وكذلك القدرية الذين جعلوا الله (ﷻ) لم يُقدِّر أفعال العباد ولم يخلقها. وبعضهم ارتقى فقال إن الله (ﷻ) لم يعلم ولم يكتب أفعال العباد وهذا كُفر وإن كانوا قد انقرضوا. فلازم قول القدرية إن المخلوق يخلق أفعاله بنفسه فكأن هناك خالق آخر ولكنهم قدموا الله (ﷻ) على المخلوق ولم يجعلوا المخلوق مُكافيء لله (ﷻ).
- وكذلك النصارى المُثلِّثة الذين يجعلون ثلاث آلهة الآب والابن والروح القُدُس. فهؤلاء ثلَّثوا في الإلوهية ولم يكن لهم إله واحد ولكنهم جعلوا الآب عندهم أعلى من الابن والروح القُدُس فلم يجعلوهما مُكافأن له.
- قال المصنف (رحمه الله) " وربوبيّته سبحانه للعالم الربوبيّة الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم لأنها تقتضي ربوبيّته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال". ويقصد المصنف أن ما قاله المجوس من وجود خالقين والقدرية من وجود أكثر من خالق (فكل عبد يخلق فعله أصحب خالق) يبطل لأن ربوبية الله (ﷻ) كاملة شاملة لكل العوالم سواء كان عالم الحيوان أو عالم الإنسان أو عالم الجن والملائكة أو عالم الدواب أو عالم الحشرات أو عالم الطير أو أي عالم آخر كل هذه العوالم الله (ﷻ) له الربوبية المطلقة عليها. وهذه الربوبية الكاملة تُبطِل هذه الأقوال فهو (ﷻ) رب في أقوال وأفعال وحركات وسكنات العباد فكل ما يصدر عن العباد واقعة تحت ربوبية الله (ﷻ) وقدرته وتصرفه.

- قال المصنف (رحمه الله) " وحقيقة قول القدرية المجوسية: أنه تعالى ليس رباً لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيّته إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه؟! ". هنا بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن القدرية المجوسية وكلمة القدرية المجوسية ورد في تقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند تقسيمه الإيمان بالقدر فقد قسَّم القدرية إلى قدرية مجوسية وقدرية إبليسية والقدرية الجبرية (وهم الذين قالوا بالجبر).
- فالقدرية التي تناولها المصنف (رحمه الله) في هذا الجزء هم القدرية المجوسية وهم يسمَّون القدرية النفاة. وقد سماهم المجوسية لأنهم وافقوا المجوس في جعل خالقين لأنهم قالوا إن العبد يخلق أفعاله والله (عز وجل) يخلق ما دون ذلك.
- وهم على قسمين: غلاة القدرية وهؤلاء انقرضوا وهم الذين قالوا إن الله (عز وجل) لا يعلم أفعال العباد إلا بعد أن يفعلها العباد ويخلقونها بأنفسهم ولم يكتب أفعال العباد وهذا كفر صريح. وهؤلاء عندما ظهروا ظهروا في البصرة وقد ظهروا في وقت وجود الصحابة كما جاء في الحديث عن يحيى بن يعمر(رحمه الله) قال :" **كان أول من قال في القدر معبد الجهني بالبصرة** قال فانطلقنا حُجَّاجاً أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري فلما قدمنا المدينة قلنا لو لقينا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألناه عما يقول هؤلاء الناس في القدر" فوافقنا عبدالله بن عمر وهو في المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله قال يحيى فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: " أبا عبدالرحمن إن قبلنا ناسا يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم **ويزعمون ألا قدر وإنما الأمر أنف**" قال:" فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وإنهم مني براء والذي يحلف به عبدالله بن عمر **لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره**" ثم قال:" حدثني عمر بن الخطاب قال:" بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا نرى عليه أثر السفر ولا نعرفه حتى جلس إلى رسول الله (ﷺ) فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه ثم قال:" يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام؟" قال: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال:" صدقت" قال عمر:" فعجبنا له يسأله ويصدقه فقال:" يا محمد أخبرني عن الإيمان ما الإيمان؟" قال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره" قال: "صدقت" قال:" فأخبرني عن الإحسان ما الإحسان؟" قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فقال: "أخبرني عن الساعة متى الساعة؟" قال:" ما المسئول عنها بأعلم من السائل" فقال:" أخبرني عن أمارتها" قال:" أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البناء" قال:" ثم انطلق الرجل" قال عمر: " فلبثت ثلاثا ثم قال رسول الله (ﷺ):" يا عمر أتدري من السائل؟" قلت:" الله ورسوله أعلم" قال:" فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم" [1].
- قال الشافعي (رحمه الله) في القدرية المجوسية: " ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروه كفروا وإن أثبتوه خُصِمُوا " [2]. فالشافعي (رحمه الله) أتى بلُب المسألة وهو العلم [3] فهل الله (عز وجل) يعلم أفعال العباد أم لا؟. وقول الشافعي (رحمه الله) يدل على أن أهل السنة والجماعة جميعاً يكفرون هذه الطائفة.
- القسم الثاني من القدرية المجوسية هم من أثبتوا العلم والكتابة ولكنه لم يخلق أفعال العباد ولكن العبد خلق أفعاله بنفسه وشاء بنفسه دون تدخل من مشيئة الله (عز وجل). فالإيمان بالقدر على أربعة مراتب [4] فهم أثبتوا مرتبتي العلم والكتابة ولم يُثبتوا الخلق والإرادة والمشيئة فجعلوا للعبد خلق مستقل وقدرة مستقلة عن الله (عز وجل) وهذا مشكلته أنهم جعلوا أن الكون قد يحدث فيه شيء ليس تحت ملك وإرادة وتصرُّف الله (عز وجل) فجعلوا شيء من الربوبية لغير الله (عز وجل). وأهل العلم لم يكفروا هذه الطائفة لوجود شبهة سنُبيّنها.
- فكانوا مثل المجوس في إثبات خالقين بل هم أشر من المجوس وأزيد في الضلالة منهم لأن المجوس جعلوا خالق للنوروالخير وخالق للظلمة والشر فجعلوا خالقين فقط وهؤلاء جعلوا مليارات الخالقين لأنهم جعلوا كل عبد خالق لأفعاله.
- والرد على هؤلاء سريعاً دون استفاضة [5] قوله (تعالى): ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الزمر: 62]

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية لمسلم. (اكتنفه): أحاط به (يكل): أي يسكت ويفوضه إلى (أُنُف): أي مُستأنَفٌ استئنافا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير وإنما هو مقصور على اختيارك ودخولك فيه (يتقفرون العلم): بتقديم القاف على الفاء أي يطلبونه ويتتبعونه وفي بعض النسخ بتقديم الفاء.

[2] قول الشافعي ذكره العز بن عبد السلام في " قواعد الأحكام في مصالح الأنام" وابن تيمية في "مجموع الفتاوى. وقد ورد مثل هذا القول عن الإمام أحمد (رحمه الله). (خُصِمُوا) انهزموا.

[3] أي علم الله (عز وجل) السابق للأشياء قبل وقوعها.

[4] راجع المحاضرة التاسعة في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ صـ 8 تحت عنوان "مراتب القضاء والقدر".

[5] راجع المحاضرة التاسعة والعاشرة في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.

ولفظ كل أصولياً يدل على العموم فكل ما في الكون الله (ﷻ) خالقه سواء كان العبد أو أفعال العبد أو أعماله وكذلك تصريحاً في قوله (ﷻ): ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 96] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان: 30] فالآية توضح إن للعبد مشيئة لكنها واقعة تحت مشيئة الله (ﷻ) وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص: 56] فجعل الله (ﷻ) مشيئة العبد قاصرة لابد أن تقع تحت مشيئة الله (ﷻ).

- ومراتب الإيمان بالقدر أربعة: علِمَ فكتب فأراد وشاء فخلق [1]. وعلم الله (ﷻ) ينقسم إلى ثلاثة أقسام: علم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون. فعلم ما كان أي علم القرون السابقة التي لم نحضرها من خلق آدم ونزوله إلى الأرض والأنبياء السابقين وغير ذلك. وعلم ما سيكون أي علم ما سيحدث مستقبلاً من علامات الساعة واليوم الآخر والقبر وفتنته والبعث والنشور والحوض والميزان والشفاعة والصراط ودخول الجنة والنار وذبح الموت وقد قال(ﷻ):﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: 59]. وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون وهو علم الأشياء التي لم تقع لو وقعت ما الذي كان سيحدث وما هي النتيجة وهذا قسمين: علم الممكن وعلم المستحيل. وعلم الممكن يظهر في قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[الأنعام: 28] والمقصود هو شيء لم يكن وهو عودة الكفَّار إلى الدنيا ولو حدث الذي سيكون هو عودتهم إلى الكفر الذي كانوا عليه. وعلم المستحيل يظهر في قوله (ﷻ):﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: 22] وهذا يسمى عند علماء التوحيد دليل التمانع فلو افترضنا فرضاً جدلياً بوجود إلهين وأحدهما أراد الظلمة مثلاً والآخر أراد النهار فمن الذي سيمضي أرادته؟ فلو مضى أمر أحدهما لصار الآخر ضعيفاً لا يستحق أن يكون إله كما ورد ذلك في قوله (ﷻ):﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[المؤمنون: 91].
- والدليل على مسألة العلم قوله (ﷻ):﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر: 7] و قوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: 282 والنساء: 176 والنور: 35 والنور: 64 والحجرات: 16 و التغابن: 11] فكلمة شيء نكرة في سياق الإثبات فهي تُفيد العموم فمقصود الآية إن الله (ﷻ) يعلم كل شيء وكذلك من قوله (ﷻ):﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق: 12] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك: 14] و قوله (ﷻ):﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: 59]. فكل الآيات السابقة تُبيِّن سعة علم الله (ﷻ)
- والكتابة هي إن الله (ﷻ) كتب كل شيء قبل خلق السماوات والأرض في اللوح المحفوظ. وما في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولا يتغير ولا يتم محوه وسوف يكون كاملاً واقعاً كما هو.
- والكتابة على مراتب أولها الكتابة الأزلية وهي الكتابة في اللوح المحفوظ والدليل على هذه الكتابة قوله (ﷻ):﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد: 22]. وهذه الآية تبين أن كل شيء كتبه قبل خلق السماوات والأرض وهو اللوح المحفوظ كما في حديثه (ﷺ): " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات الأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء" [2]. وحديثه (ﷺ): " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: اعملوا، فكل ميسر لما خلق له. أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: (ﷻ):﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾[الليل: 5-7]" [3].
- ثانياً الكتابة العُمريَّة وهذه الكتابة تنزل من اللوح المحفوظ على الملائكة فتنزل عليهم الكتب تحدد من الذي سيُرزق ومن الذي سيُعطى وهؤلاء الملائكة لا يعلمون كل ما في اللوح المحفوظ. والدليل على هذه الكتابة قوله (ﷺ): " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويُقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة " [4]. ومن خصائص الكتابة التي مع الملائكة أن ما كُتِب فيه قد يُمحى ويتغير ويتبدل كما في قوله (ﷻ)

---

1 راجع المحاضرة التاسعة في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ.
2 أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه).
3 أخرجه البخاري ومسلم عن علي (رضي الله عنه).
4 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه).

في هذه الكتابة :﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: 39]

- ثالثاً الكتابة الحولية وهذه الكتابة تُكتب كل حَول وهذه تكون في ليلة القدرفي كل حول قوله (ﷻ):﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾[القدر: 4] وتصريحاً في قوله (ﷻ):﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان: 4] وينزل فيها كل شيء في العام القادم.
- رابعاً الكتابة اليومية ودليلها قوله (ﷺ): " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: " كيف تركتم عبادي؟". فيقولون: " تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون" [1]. فهذا يومياً ويختلف عن الكتابة العمرية سالفة الذكر. وهذه مَنقبة لطلبة العلم أن يُذكروا عند الله (ﷻ).
- المرتبة الثالثة في الإيمان بالقضاء والقدر وهي الإرادة والمشيئة.
- والإرادة والمشيئة تنقسم إلى نوعين: إرادة ومشيئة كونية وإرادة ومشيئة شرعية وأحياناً تسمى الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وأحياناً تسمى المشيئة الكونية والمشيئة الشرعية.
- فالإرادة الكونية لها ضابطان:
  - أ. حتمية وقوعها
  - ب. تقع فيما يحبه الله (ﷻ) وفيما لا يحبه (وعندما يقع فيما لا يحبه الله (ﷻ) يكون لِحِكمَة)
- والدليل عليها قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة: 220] وقوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾[البقرة: 253]. فالقتال لا يحبه الله (ﷻ) ولكن شاء الله (ﷻ) كوناً أنهم سيقتتلوا وقوله (ﷻ):﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[النحل: 40].
- أما الإرادة الشرعية لها ضابطان:
  - أ. إحتمالية وقوعها (في حين أن الإرادة الكونية لابد أن تقع وهذا هو ضابط التفرقة بين الإرادة الكونية والشرعية) فقد يستجيب العباد أو لا يستجيبون.
  - ب. لا تكون إلا فيما يحبه الله (ﷻ) (والإرادة الكونية قد تقع فيما يحبه الله (ﷻ) وفيما لا يحبه فلو وقع أمر فيما يحبه الله (ﷻ) فلا نستطيع أن نُفرق إذا كان الأمر كوني أم شرعي إلا من خلال الضابط "أ").
- وتظهر في قوله (ﷻ):﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: 185] وقوله (ﷺ): " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" [2]. فالتفقه في الدين يحبه الله (ﷻ) ولكنه قد يقع وقد لا يقع فليس كل الناس يتفقهون في الدين.
- المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر مرتبة الخلق وهي أن تؤمن بأن الله (ﷻ) خالق كل شيء. وهذه هي المهمة معنا في هذا الجزء وذلك لأن القدرية والمجوس يقولون إن العبد يخلق أفعاله.
- وهذه المرتبة تُبيَّن أن الله (ﷻ) خلق كل شيء كما قال (ﷻ):﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: 62] ولفظ " كل" من ألفاظ العموم وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 96] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: 2] وقوله (ﷻ):﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: 54] وهذه فيها حصر وقصر.
- ولا يُشكل علينا قوله (ﷻ):﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: 14] وقد جاءت كلمة الخالقين في الآية على صورة الجمع مما يدل على وجود أكثر من خالق؟ والجواب أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد من عدم وهذا النوع لا يكون إلا لله وخلق تحويل الشيء من صورة إلى صورة وهذا يكون لآحاد الناس مثل النجار يحول الخشب إلى غُرف مثلاً.
- هذه المراتب الأربعة آمن بها أهل السنة كاملة ولم ينكروا أي مرتبة منهم. ولكن غلاة القدرية أنكروا المرتبة الأولى والثانية. وعموم القدرية غير الغلاة أثبتوا الأولى والثانية " العلم والكتابة" ونفوا الثلاثة والرابعة " الإرادة والمشيئة والخلق".
- الذي جعل القدرية يقولون بهذا إنهم خلَّطوا بين الأمر والخلق فلم يفرقوا بينهما والأصل عندهم أنه هناك خير وشر فكيف يخلق الله (ﷻ) شر؟.
- وداخل القدرية طوائف فمنهم من قال إن العبد خالق لكل الأفعال سواء كانت خير أو شر فهو خالق مستقل ومنهم من قال إن الله (ﷻ) يخلق كل الخير ولكن الشر يكون من العبد فأرادوا إن ينزهوا الله (ﷻ) عن خلق الشر ولا يمكن أن يأمر بالشر وهنا ظهرت الإشكالية وهي عدم التفرقة بين الخلق والأمر فقالوا لو أن الله (ﷻ) خلق الشر فكأنه أمر به فكيف يأمر الله

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
[2] أخرجه البخاري ومسلم عن معاوية (رضي الله عنه).

(ﷻ) بشر؟. فأرادوا أن ينفوا عن الله (ﷻ) الشر فجعلوه للعبد. وهذا الكلام غير صحيح فعند أهل السنة الله (ﷻ) يخلق الخير والشر ولكن لا يأمر إلا بالخير. ولهذا توقف بعض أهل العلم عن تكفير القدرية بسبب هذا التأويل رغم أنه تأويل باطل.

- فعند أهل السنة الخلق غير الأمر كما في قوله (ﷻ):﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: 54] فهذه الآية تُبيِّن إنه هناك فرق بين الخلق والأمر. فقد قال (ﷻ):﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: 62] فهو (ﷻ) خالق الخير والشر ولكن الله (ﷻ) لا يأمر إلا بالخير. فالعبد هو الذي يُباشر الشرور بنفسه فهي مباشرة وكسباً وتحصيلاً من العبد ولكن خلقها من عند الله (ﷻ).
- وهذا الخلط بين الخلق والأمر عند الجبر فقالوا كل شيء من عند الله (ﷻ) فالعبد كالريشة في الهواء فجعلوا الخلق والأمر كله لله (ﷻ).
- وكذلك عندهم إشكالية أخرى وهم إنهم لا يُفرِّقون بين الإرادة الكونية والشرعية فجعل الإرادة الكونية والشرعية واحدة. فلو فرَّقوا بينهما فالله (ﷻ) لا يحب الشر ولكن خلقه كوناً.
- ولم يكتفي القدرية بذلك بل لهم أصول خمسة بدلوا بها أصول أهل السنة والجماعة. فأهل السنة والجماعة لهم أصول ستة في الإيمان وهي أركان الإيمان الستة. فأصول القدرية الخمسة هي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنفاذ الوعيد.
- ففي التوحيد ضلوا فيه فقالوا إن كلام الله (ﷻ) مخلوق وأنكروا رؤية الله (ﷻ) وأنكروا الصفات. وإن كانوا عندهم في التوحيد أن تُوحَّد الله (ﷻ) ولكنهم توحيد أهل السنة والجماعة في نفي صفات الله (ﷻ) والقول بأن القرآن مخلوق ونفي رؤية الله (ﷻ) في الآخرة.
- والعدل عندهم هو التكذيب بالقدر السالف الذكر. فمن العدل عندهم إن العبد يخلق أفعاله بنفسه وله إرادة ومشيئة مستقلة عن إرادة ومشيئة الله (ﷻ). وقالوا لو إننا نسبنا الشر والمعاصي لله (ﷻ) نكون قد أسأنا مع الله (ﷻ).
- والمنزلة بين المنزلتين قالوا فيها بقول قريب من الخوارج فصاحب المعاصي والذنوب خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر. فهو عندهم مُعلَّق لا هو مؤمن ولا هو كافر في الدنيا. ولكنه في الآخرة كقول الخوارج هو خالد مخلد في نار جهنم.
- قالوا إن العبد يدخل الجنة ثمناً بأعماله وليس بمنة ورحمة من الله (ﷻ).
- وإنفاذ الوعيد مقصوده عندهم إن الله (ﷻ) إذا توعَّد من أصحاب الكبائر والذنوب والمعاصي فلابد إن هذا الوعيد يَنفُذ. وأهل السنة يقولون إن وعد الله (ﷻ) ينفذ ولكن الوعيد تحت مشيئة الله (ﷻ) إن شاء أنفذه وإن شاء لم يُنفذه. فالله (ﷻ) إذا وعد عباده بشيء فلابد أن يأتي به فلما وعد المؤمنين بالجنان فلابد إن سيدخلون الجنة. وأما وعيده لأهل المعاصي فهو في المشيئة إن شاء كرماً منه وفضلاً عفا عنهم وإن شاء أنفذ وعيده.
- وأخيراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم في هذا فرسان في الخروج على الولاه عندما يكون فسقة وليسوا كفرة سواء كانت معصيته كبيرة أو صغيرة وهذا مُخالف لأهل السنة والجماعة في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الشريط السادس

تعريف الشرك وأنواعه والشرك في الإلوهية

محتويات الشريط السادس

1- تعريف الشرك (التوقيت: 1 دقيقة و15 ثانية)..... 1
2- الفرق بين الشرك والكفر (التوقيت: 6 دقيقة و22 ثانية) 2
3- أنواع الشرك وأولاً شرك الإلوهية (التوقيت: 13 دقيقة و2 ثانية) 2
4- أصل شرك الإلوهية شرك المحبة (التوقيت: 32 دقيقة و07 ثانية) 5
5- إنكار المشركين الوقوع في الشرك (التوقيت: 48 دقيقة و02 ثانية) 7
6- الأدلة على إفراد الله (ﷻ) بتوحيد الإلوهية (التوقيت: 49 دقيقة و44 ثانية)..... 8

1- تعريف الشرك (التوقيت: 1 دقيقة و15 ثانية)

وشرك الأمم كله نوعان : شرك في الإلهية ، وشرك في الربوبية .

فالشرك في الإلهية والعبادة هو : الغالب على أهل الإشراك وهو شرك عُبَّادُ الأصنام وعباد الملائكة وعباد الجن وعباد المشايخ الصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: من الآية٣] ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قُرَبٌ وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته .

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنصُّ على أنهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم وما أهلك الله تعالىٰ مَن أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله

- بدأ المصنف (رحمه الله) يُقسِّم الشرك إلى نوعين في جميع الأمم شرك في الإلهية وشرك في الربوبية وهذا لمن قسَّم التوحيد على قسمين فجعل التوحيد توحيد الربوبية وتحته توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الإلهية.
- الشرك لغة بمعنى المخالطة والمصاحبة والمشاركة فتقول شاركته في الأمر. قال ابن فارس (رحمه الله): " الشين والراء والكاف أصلان أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد والآخر يدل على امتداد واستقامة فالأول الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ويُقال شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك. قال تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[طه: 32]" [1].
- والشرك في اللغة كذلك يأتي بمعنى القسيم أو الحصة فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " من أعتق شقصا له من عبد أو شركاً أو قال: نصيباً وكان له ما يبلغ ثمنه بقيمة العدل فهو عتيق وإلا فقد عتق منه ما عتق " قال [2]: " لا أدري قوله: "عتق منه ما عتق" قول من نافع أو في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " [3].
- ويُطلق كذلك الشرك على التسوية فيُقال طريق مشترك أي يستوي فيه الناس كلهم في المرور والاستخدام والمنفعة.
- والشرك اصطلاحاً له معاني كثيرة عند أهل العلم ننتقي منها تعريف نرى أنه أضبط تعريف للشرك وهو: " أن تتخذ مع الله

---

1 راجع " معجم مقاييس اللغة" لابن فارس.

2 أي أيوب الذي روى عن نافع عن ابن عمر (رضي الله عنهما) هذه الرواية.

3 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. (شقصا) نصيبا وسهما (شركاً) هو بمعنى الشقص (بقيمة العدل) بتقويم الرجل العادل لا زيادة فيها ولا نقص. (عتيق) أي كله معتوق (ما عتق) المقدار الذي عتقه صاحب الشقص.

(ﷻ) نداً سواء كان هذا الند في الربوبية أو كان في الإلوهية" كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 22]. وهناك تعريف آخر وهو: " إشراك غير الله (ﷻ) مع الله (ﷻ) في الاعتقاد أو العبادة". والاعتقاد هو اعتقاد الربوبية وهذا بأن تعتقد إن الله (ﷻ) هو الخالق الرازق المدبر.

2- الفرق بين الشرك والكفر (التوقيت: 6 دقيقة و22 ثانية)

- وهنا نطرح سؤالاً وهو: هل هناك فارق بين الشرك والكفر؟
- هذا السؤال اختلف فيه أهل العلم على الأقوال التالية:

1- الشرك والكفر مترادفان.
2- الشرك أخص من الكفر والكفر أعم من الشر.
3- إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا (فإذا جاء ذكر الشرك والكفر في آية واحدة أو حديث واحد افترقا في المعنى فيكون الكفر بمعنى جحد الحق والشرك هو اتخاذ الند مع الله (ﷻ). وإذا جاء الكفر منفرداً أو الشرك منفرداً جمع الكفر (أو الشرك) بين معني الشرك والكفرفأصبح يجمع المعنيين).

- أصحاب القول بأن الشرك والكفر مترادفان استدلوا بقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48] فلو قلنا إن الشرك غير الكفر فهذا معناه إن الكفر يُغفر فهو دون (خارج عن) الشرك كما في الآية وهذا لا يستقيم لأن الله (ﷻ) لا يغفر الكفر.
- واستدلوا أصحاب هذا القول كذلك بقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[المؤمنون: 117] ففي أول الاية "يدع مع الله" وهو مفهوم الشرك وفي آخر الآية " الكافرون".
- واستدلوا أصحاب هذا القول كذلك بقوله (ﷻ): ﴿ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72].
- واستدلوا أصحاب هذا القول كذلك بقوله (ﷻ): ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر: 13-14].
- واستدلوا أصحاب هذا القول كذلك بقوله (ﷻ): ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 32-33].
- والكفر هو جحد الحق كالذي يجحد وجوب الصلاة أو الزكاة أو الصوم أو الحج أو بر الوالدين أو تحريم المسكرات أو الزنا أو الربا أو غير ذلك.
- أصحاب القول بأن الشرك أخص من الكفر استدلوا بقوله (ﷻ): ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾[البينة: 1] والواو العاطفة في اللغة تقتضي المغايرة ومعلوم إن أهل الكتاب كفار فهذا يدل على أن الكفر غير الشرك.
- فقالوا الشرك أن تجعل مع الله (ﷻ) نداً فتدعو مثلاً مع الله (ﷻ) أحد ولكن الكفر هو الذي لا يدين بدين الإسلام فكأن الشرك هو لمن يدين بدين الإسلام ثم أشرك مع الله (ﷻ).
- ولا يستلزم من هذا التفريق ان يكون الشرك أعظم من الكفر بل قد يكون الشرك أعظم أو الكفر أعظم وذلك ليردوا على استدلال أصحاب القول الأول بقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48] ولكنهم قالوا إن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشرك فقد يكفر الإنسان بغير الشرك مثل أن يأتي بناقض من سنواقض الإيمان غير الشرك ولكن المشرك لا محالة كافر.

3- أنواع الشرك وأولاً شرك الإلوهية (التوقيت: 13 دقيقة و2 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " وشرك الأمم كله نوعان شرك في الإلهيّة وشرك في الربوبيّة. فالشرك في الإلهيّة والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك وهو شرك عبّاد الأصنام وعبّاد الملائكة وعبّاد الجّن وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر: 3] ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته

لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته ".

- والشرك في الربوبية يُطلق على الشرك في أفعال الله (ﷻ) وهي أن تتخذ مع الله (ﷻ) نداً في أفعاله مثل الخلق والإيجاد والإحياء والإماتة والرزق والتدبير والملك. وهذه الأفعال هي مُقتضى ربوبية الله (ﷻ)
- وقد يكون شركاً في الربوبية أن تتخذ لله (ﷻ) نداً في أسمائه وصفاته كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: 180] فتقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر والقصر. وقد ألحد النصارى والمشركين في أسماء الله (ﷻ) فاشتقوا من أسماء الله (ﷻ) أسماء لآلهتهم فالعُزَّى من العزيز واللات من الله والآب بديلاً عن الله (ﷻ). وسيأتي تفصيل شرك الربوبية بعد ذلك. وقد أشرنا من قبل لشرك المجوس في الربوبية فجعلوا خالق للنور والخير وخالق للظلمة والشر. وكذلك القدرية مثل المجوس فجعلوا العبد يخلق أفعاله بنفسه. وكذلك النصارى المُثلِّثة فقد جعلوا الآلهة ثلاثة.
- القسم الثاني وهو الذي بدأ به المصنف (رحمه الله) هو الشرك في الإلوهية ويُسمَّى شِرك العبادة وهو شرك في أفعال المكلفين وهو أنك تصرف العبادات التي لا تكون إلا لله (ﷻ) لغير الله (ﷻ). وضابطها أن كل عمل أو فعل **ثبت بالشرع** أنه عبادة فصرفه لله (ﷻ) توحيداً وصرفه لغير الله (ﷻ) شرك [1].
- فأفعال العبادات الأصل فيها أنها لا تُصرف لغير الله (ﷻ) فإن صُرِفَت لغير الله (ﷻ) تكون شركاً. فالعبادات القلبية من التوكل والرجاء والخوف والإنابة والخشوع والمحبة إذا صُرِفَت الله (ﷻ) تكون توحيداً إذا صُرِفَت لغير الله (ﷻ) تكون شركاً. وكذلك العبادات البدنية من صوم وصلاة وحج وعمرة وصدقة والنذر والذبح إذا صُرِفَت الله (ﷻ) تكون توحيداً إذا صُرِفَت لغير الله (ﷻ) تكون شركاً.
- فمن صلى للصنم أو ذبح للصنم أو نذر له أو دعا عنده أو دعا له أو تقرَّب للملائكة أو عبدهم أو ذبح لهم أو عبد الجن او عبد الشيوخ والصالحين كما قال المصنف (رحمه الله) وهذا يظهر أكثر في شرك المحبة.
- وكذلك عبادة الأموات فمن ذهب للمقبور فيُناجيه ويكلمه ويُقدِّم له الذبائح والنذور وغيرهما فهذا كله شرك في العبادة فكل العبادة لابد أن تكون خالصة لله (ﷻ) ولا تُصرف لغيره (ﷻ).
- وقد جاء قوله (ﷻ) الذي ذكره المصنف (رحمه الله) عندما سُئِلوا عن ذلك (أي سبب الشرك) قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر: 3]. وفي هذه الآية هم قد أقروا بالعبادة لهذه الأصنام على عكس المشركين في زمننا هذا فأنت عندما تقول له أنت تطوف بالقبر أو تدعو الميت أو تعظِّم الولي أكثر من تعظيمك لله (ﷻ) فتتبع الولي أكثر من إتباعك لله (ﷻ) حتى إن بعضهم يقول إنك لابد أن تكون بين يدي شيخك كالميت بين يدي مُغسِّله فيُقلِّبك يميناً ويساراً فأنت معه حيثما طلب منك ثم يقول لك هذا ليس بشرك فنحن فقط نطلب منهم. وهذا شرك صريح ولكنهم يريدون أن يتحايلوا على ما يفعلوه ويُخرجوه من الشرك على عكس المشركين القدامى الذين أقروا بالعبادة ولكنهم استدلوا باستدلال خاطيء باطل لا يُقبل منهم فهم قالوا إنهم ما يعبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى.
- فهم قاسوا قياساً باطلاً فقاسوا ملك الملوك على ملوك الدنيا. فملوك الدنيا إن أردنا منهم شيء نتقرب إليهم بأعوانهم ومستشارهم ووزرائهم أو أي شخص من الذين لهم حظوة وشفاعة عند الملوك فنذهب إليهم ونتقرب إليهم ونطلب منهم أن يتوسطوا لنا عند الملوك فيُقضى لنا حوائجنا. فكذلك هؤلاء المشركين يتقربون إلى هذه أو هذه الآلهة ليكونوا لهم شفعاء عند الله (ﷻ) فهم يريدون أن يتخذونهم وسيلة للوصول لله (ﷻ) ولا يعبدوهم لذاتهم.
- وهذا الكلام لم يقبله الله (ﷻ) منهم فإن الله (ﷻ) لا يحتاج لهذا ولهذا بيَّن (ﷻ) في أكثر من موضع في القرآن وفي سنة النبي (ﷺ) فقد قال (ﷻ): ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر: 60] فلم يقل (ﷻ) ادعوا أنبيائي أو أدعو أوليائي بل طلب الدعاء له مباشرة (ﷻ) بدون وساطة في الدعاء وقال (ﷻ): ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[الإسراء: 111] ففي (ﷻ) احتياجه للشريك والولد.
- فملك الدنيا في مكانه لا يستطيع أن يرى كل الرعية ولا يعرف أحوالهم فيحتاج إلى وزراء وعيون له تُبلِّغ له حاجات الناس ويأخذون منهم الشكاوى. أما ملك الملوك (ﷻ) فلا يحتاج إلى ذلك فالله (ﷻ) مُطلِّع على العباد قريب منهم بعلمه وإحاطته فيعرف كل شيء كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: 186]. بل ذم الله (ﷻ) المستكبرين عن عبادته ومن يستكبرون أن يُناجوه مباشرة وعدَّ ذلك من الشرك فلا وسطاء بين الله (ﷻ) وبين عباده.

---

[1] وأصل هذه القاعده قوله (ﷻ): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5] فتقديم المفعول به " إياك" على الفعل " نعبد" هو من باب تقديم ما حقه التأخير وهذا في اللغة يفيد الحصر والقصر فالعبادة لا تكون إلا لله (ﷻ) فيكون صرفها لغيره شرك.

- قال المصنف (رحمه الله): " والكتب الإلهيّة كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وتردّه وتقبّح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ". فلو نظرت في القرآن أو السنة ومنهج الرسل تجد أنهم يدعون دائماً إلى توحيد الله (عز وجل) وإفراده بالعبادة وينهى عن الشرك فقال (تعالى): ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[هود: 25-26] وقال (تعالى): ﴿ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[هود: 50] وقال (تعالى): ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾[هود: 61] وقال (تعالى): ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[هود: 84]. فكل هؤلاء الأنبياء جاؤوا وكذلك الشرائع التي أُنزلت معهم بأمر واحد وهو إفراد الله (عز وجل) بالعبادة ونهوا عن شرك العبادة وهو شرك الإلوهية وهو صرف العبادات لغير الله (عز وجل).
- وقد قال هؤلاء المشركين لشعيب (عليه السلام) كما جاء في قوله (تعالى): ﴿ قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾[هود: 87] فهو قد جاءهم بأن يُفردوا الله (عز وجل) بالعبادة ويتركون عبادة ما كان يعبد آباؤهم.
- وهذا هو غاية رسالات الرسل وجميع الرسل متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم.
- قال المصنف (رحمه الله): " وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلاّ بسبب هذا الشرك ومن أجله". فمنذ عهد نوح (عليه السلام) عندما ظهر الشرك إلى مشركي قريش ومن بعدهم عندما أشركوا بالله (عز وجل) أصابهم ما أصابهم من بلاء فقد قال (تعالى) عن قوم نوح: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[القمر: 9-12]. فقد أغرق الله (عز وجل) قوم نوح بتكذيبهم وكفرهم بنبي الله نوح (عليه السلام).
- وكذلك قال (تعالى) عن قوم عاد: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[القمر: 18-20].
- وكذلك قال (تعالى) عن قوم ثمود: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾[القمر: 23-31].
- وكذلك قال (تعالى) عن قوم لوط: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾[القمر: 33-38].
- وكذلك قال (تعالى) عن فرعون وآل فرعون: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴾[القمر: 41-42]. فهذه الأمم كلها أُهلِكَت بسبب الشرك وتكذيبهم لدعوة الرسل.
- والمقصود بأن كل عبادة ثبتت بالشرع أنها عبادة فصرفها لله (عز وجل) توحيداً وصرفها لغير الله (عز وجل) شرك هو العبادات المحضة مثل الصلاة والزكاة والحج وغيرهم. فالربا مثلاً من المعاملات فهو بيع وشراء في النهاية ولا يوجد تعبُّد بين البائع والمشتري فلا أحد يعبد منهما الآخر فلا يدخل تحت العبادات المحضة ولكن لو أنكرت الربا فقد جحدت أمر الله (عز وجل) ولكن هذا كفر غير الشرك لأن هذا تكذيب للقرآن فقد قال (تعالى): ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[البقرة: 275] فلو قلت الربا حلال أو الخمر حلال أو الزنا حلال فهذا كفر فمن حرّم الخبز فهذا كفر (وهناك فارق بين كفر النوع وكفر العين فلا نُسقط هذا الفعل الأشخاص حتى تتحقق شروط وتنتفي الموانع ولكننا نقول إنه عمل كفري) أما العبادات تختلف فالذبح والنذر والصلاة عبادات محضة فصرفها لغير الله (عز وجل) شرك. وهذه العبادات منها عبادات بدنية كما ذكرنا ومثل الصوم ومنها أعمال قلبية مثل الاستعانة وهناك عبادات باللسان مثل الدعاء وهناك عبادات بدنية قلبية مثل الصلاة والحج والعمرة.
- وتجد في كل كتب التوحيد العبادات المحضة ويُبين مصنف الكتاب الشرك فيها وسوف يتعرض لها المصنف (رحمه الله) فتجده بدأ بالمحبة فالمحبة عبادة وأصل الشرك في العبادات هو المحبة ثم سيأتي بالسجود والقبوروالنذور.

4- أصل شرك الإلوهية شرك المحبة (التوقيت: 32 دقيقة و07 ثانية)

وأصله : الشرك في محبة الله. قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية١٦٥] فأخبر سبحانه أنه من أحب مع الله شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذه ندًّا من دونه وهذا على أصح القولين في الآية : أنهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: من الآية١] والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء ٩٧و٩٨].

ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم. فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وأنه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم وأنه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه .

وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبينه تعالى في المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده منه وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله فإذا كان المسوِّي بين الله وبين غيرِه في ذلكِ مشركاً فما الظن بهذا .

- قال المصنف (رحمه الله): " وأصله الشرك في محبّة الله قال تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة: 165] فأخبر (سبحانه وتعالى) أنه من أحبّ مع الله شيئًا غيره كما يحبّه فقد اتّخذ ندًّا من دونه وهذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله".
- بدأ المصنف (رحمه الله) هنا بتفصيل الشرك في العبادة فبدأ بالمحبة. هو قد تعرض لمسألة المحبة في أول الكتاب وأتى بقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165].
- وأراد أن يُبيِّن أولاً إن أصل الشرك في الإلوهية هو الشرك في المحبة. فالإنسان قبل أن يُشرك في شرك العبادات والأفعال لابد أن يكون عنده شرك في المحبة أولاً.
- وقبل أن ندخل في شرح الآيتين اللتان استدل بهما المصنف لابد أن نعلم أن المحبة أنواع وقد ذكرها ابن القيم (رحمه الله) في كتابه " الجواب الكافي" فقال: " وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها أحدها: محبة الله ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله. الثاني: محبة ما يحب الله وهذه هي التي تُدخله في الإسلام وتُخرجه من الكفر وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها. الثالث: الحب لله وفيه وهي من لوازم محبة ما يحب ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله. الرابع: المحبة مع الله وهي المحبة الشركية وكل من أحب شيئا مع الله لا لله ولا من أجله ولا فيه فقد اتخذه ندا من دون الله وهذه محبة المشركين. وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه: وهي المحبة الطبيعية وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[المنافقون: 9] وقال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[النور: 37]" [1].
- النوع الأول من هو محبة الله (عز وجل) وهذه لا تكفي وحدها فالمشركين كانوا يحبون الله (عز وجل) ويحبون معه غيره فأشركوا في هذه المحبة على أحد القولين في الآية ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة: 165] وهذا قول ابن تيمية (رحمه الله) وجمع من العلماء وهو الراجح فهناك قول إنهم يحبون أندادهم ولا يحبون الله (عز وجل) وهو قول كثير من المفسرين. فالمشرك يحب الأنداد محبة العبادة التي لا يصح أن تُصرف لغير الله (عز وجل).
- النوع الثاني من المحبة أن تحب ما يحبه الله (عز وجل) وهذه هي المحبة التي تُدخلك في الإسلام وتُخرجك من الكفر. فأنت عندما تحب ما يحبه الله (عز وجل) فإنك سوف تمتثل لما أمر به الله (عز وجل) بإذعان وقبول وتسليم وتجتنب ما لا يحبه الله (عز وجل). وأعظم شيء يبغضه الله (عز وجل) هو الشرك فإنك إن أحببت ما يحبه الله (عز وجل) وأبغضت ما يُبغضه الله (عز وجل) فإنك حتماً ستكون في الإسلام وبعيداً عن الكفروالشرك.
- النوع الثالث من المحبة هو المحبة لله (عز وجل) وفي الله (عز وجل). وهذه المحبة من لوازم النوع الثاني فلو دخلت في درجة أن تحب ما يحبه الله (عز وجل) فسوف ترقي في هذه المحبة حتى تصل إلى أنك لا تحب إلا لله (عز وجل) أو في الله (عز وجل) ولا تبغض إلا لله (عز وجل) أو في الله (عز وجل). وقال (صلى الله عليه وسلم): "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (عز وجل)" [2]. وقال (صلى الله عليه وسلم): " من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان [3]. فكلما أحب الرجل الرجل لله (عز وجل) لا لمنفعة دنيوية ولا لمصلحة شخصية ويحبه فقط لله (عز وجل) ويُبغض أهل الكفر في الله (عز وجل) من باب الولاء والبراء.
- النوع الرابع من المحبة هو المحبة الشركية وهذه هي المحبة التي تكلم عنها المصنف (رحمه الله) واستدل عليها بالآيات. والمحبة الشركية هي أن تصرف محبة العبادة والتي هي محبة التعظيم مع الخضوع والإذعان لغير الله (عز وجل). وهذه المحبة تخالف المحبة الفطرية الجبلّية وهي أن يحب المرء أبوه أو ولده أو أمرأته أو أمه فهذه ليست فيها الشرك ولكن المحبة الشركية تظهر عندما تصرف المحبة التي لا تكون إلا لله (عز وجل) لغيره وهي المحبة التي تستلزم الخضوع والإذعان والتعظيم مثل صرفها لولي أو شيخ أو للجن أوالملائكة.
- فجاء المصنف (رحمه الله) بدليل في المحبة الشركية كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾[البقرة: 165] وهذه المحبة على تفسيرين:

---

1 راجع كتاب " الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء" لابن قيم الجوزية (رحمه الله) في فصل أنواع المحبة.

2 أخرجه الطبراني في الكبيرعن ابن مسعود (رضي الله عنه). وقال الهيثمي في المجمع: " رواه الطبراني بإسنادين ورجاله أحدهما رجال الصحيح". وحسنه الألباني لشواهده في صحيح الجامع فقال: " فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل والله أعلم"".

3 أخرجه أبو داود عن أبي أمامه الباهلي (رضي الله عنه) وأخرجه الترمذي وأحمد من حديث سهل بن معاذ عن أبيه وأخرجه ابن أبي الدنيا في الاخوان والطبراني في الكبير وابن بطة في الإبانة والبغوي في شرح السنة والبيهقي في الاعتقاد وحسَّن الألباني إسناده في الصحيحة وصحيح الجامع فقال:" فالحديث بمجموع الطريقين صحيح".

أ. إنهم أحبوا الأنداد من نفس نوع المحبة التي لا تكون إلا لله (ﷻ) ولم يحبوا الله (ﷻ) وعلى هذا القول أكثر المفسرين.
ب. إنهم أحبوا الأنداد من نفس نوع المحبة التي لا تكون إلا لله (ﷻ) مع حبهم الله (ﷻ) وهذا هو القول الراجح.

- و قوله (ﷻ): ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: 165] وهذا الجزء من الآية على تفسيرين:

أ. إن الذين آمنوا أكثر حباً لله (ﷻ) من حب هؤلاء المشركين لأندادهم وهذا على أساس إن هؤلاء المشركين لا يحبون الله (ﷻ) ويحبون الأنداد فقط.
ب. إن المؤمنين حبهم لله (ﷻ) أكثر من حب المشركين لله (ﷻ) وهذا على أساس إن هؤلاء المشركين يحبون الله (ﷻ) مع حبهم لإندادهم. وهذا لأن المؤمنين حبهم خالص لله (ﷻ) على عكس محبة المشركين التي ليست خالصة لله (ﷻ).

- وهذه المحبة لابد أن تكون خالصة لله (ﷻ) فالمحبة تكون محبة الله (ﷻ) ومحبة في الله (ﷻ) ومحبة لله (ﷻ) فلا يُشرك في هذه المحبة مع الله (ﷻ) أحد وتظهر هذه المحبة جليَّة في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة: 24].
- ويظهر هذا الشرك جلياً عندما تقول لمن يتبع الولي في موقف تؤكد على أمر حدث أو لم يحدث وهو يكذب : " أحلف بالله (ﷻ)" فتجده يحلف ولا يتردد رغم أنه يعلم إنه كاذب. فلو قلت له: " أحلف بوليِّك" (رغم أن الحلف بغير الله (ﷻ) شرك ولكن نحن نتكلم من باب إقامة الحجة فقط) أفتجده يتغير وجهه ولا يستطيع أن يحلف. وهذا لأنه يُعظِّم ويحب وليَّه أكثر من تعظيمه وحبه لله (ﷻ) فيُقدِّره ويُقدِّمه على لله (ﷻ).
- فمن يتبع الجبابرة ويُجِّلهم ويخشاهم أكثر من الله (ﷻ) فقد أشرك مع الله (ﷻ) في المحبة ويظهر ذلك في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[آل عمران: 31] فعلامة المحبة في إتباع سنة النبي (ﷺ).
- قال المصنف (رحمه الله): " وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: 1] والمعنى على أصح القولين أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحبّ والعبادة وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: 97-98] ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله تعالى وحده هو ربّهم وخالقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده وأنه ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم وأنه (ﷻ) هو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ وهو يجير ولا يجار عليه وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبّة والعبادة فمن أحبّ غير الله تعالى وخافه ورجاه وذلّ له كما يحبّ الله تعالى ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله "
- فهل العدل المذكور في الآية في الخلق والرزق والتدبير؟ لا لم يعدلوا في ذلك. فالكفار كانوا يؤمنون بالربوبية كما أتى في قوله (ﷻ): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[لقمان: 25]. ولكن هذا العدل في المحبة والعبادة كما في قوله (ﷻ): ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: 97-98] فهم كانوا في الضلال والكفر عندما سووهم بالله (ﷻ) فكانت التسوية هي السبب في دخولهم جهنم.
- قال المصنف (رحمه الله): " فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحبّ إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله؟. فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا فما الظن بهذا؟ ".
- أراد المصنف (رحمه الله) أن يُوضِّح أنه من يسوِّي وقع فيما سبق ذكره من الشرك والكفر لأنه فقط سوَّى بين الله (ﷻ) والأنداد فكيف بمن قدَّم محبة غير الله (ﷻ) من ولي أو شيخ أو المقبور أو غير ذلك من الأنداد على محبة الله (ﷻ)!!. فهذا لا شك إنه أشد كفراً وشركاً وإن كان الإثنان مشركين.

5- إنكار المشركين الوقوع في الشرك (التوقيت: 48 دقيقة و02 ثانية)

فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحِّد فهذا أحد أنواع الشرك

- قال المصنف (رحمه الله): " فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التّوحيد والإسلام كانسلاخ الحيّة من قشرها وهو يظن أنه مسلم موحّد فهذا أحد أنواع الشرك". فتجد أغلب هؤلاء المشركين ينكرون أنهم يقعون في الشرك فيقولون: " هذا الدعاء ليس شرك والذبح للأولياء والمقبورين ليس بشرك". فهم يظنون إنهم على التوحيد وهم أيضاً يُفرّغون التوحيد من محتواه فيجعلون التوحيد فقط توحيد الربوبية فتجدهم في الغالب لا يتكلمون عن توحيد العبادة وإن تكلموا عنه يقولون إن الدعاء والنذر لغير الله (عز وجل) ليست عبادة لهم فنحن نعلم إن الله (عز وجل) هو الإله وهو الرب ولكن حقيقة الأمر إنهم يصرفون هذه العبادات لغير الله (عز وجل). فهم يظنون إنهم مسلمون موحدون وهم على الشرك والعياذ بالله.
- ولهذا يجب على الإنسان الدعاء لنفسه بالثبات على دين الله (عز وجل) وعلى الإسلام والتوحيد والإستقامة نسأل الله (عز وجل) ذلك كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[هود: 112] و قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: 102].
- ولهذا لابد أن يحرص الإنسان على تعلم التوحيد ومعرفة خباياه وخصوصاً الأمور التي تجعل الإنسان يقع في الشرك وهو لا يدري فكثير من الناس يقعون في الشرك وهم لا يدرون أنهم يقعون في الشرك وهذا بسبب الجهل بأمور التوحيد ونواقضه.

6- الأدلة على إفراد الله (عز وجل) بتوحيد الإلوهية (التوقيت: 49 دقيقة و44 ثانية)

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه تبطل هذا الشرك وتدحض حُجَج أهله وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به فَخَلْقُهُ وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقول شاهدٌ بأن الله هو الذي لا إله إلا هو وأن كل معبود سواه باطل وأنه هو الله الحق المبين تقدس وتعالى.

وواعجبًا كيف يَعصي الإلهَ ... أم كيف يَجحده الجاحدُ
ولله في كل تحريكةٍ ... وتسكينة أبدًا شاهدُ
وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدل على أنه واحدُ

قال المصنف (رحمه الله): " والأدلة الدّالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله وهي أكثر من أن يحيط بها إلاّ الله بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأنه الله الذي لا إله إلاّ هو وأن كل معبود سواه باطل وأنه هو الحق المبين تقدس وتعالى.

وواعجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبدًا شاهد
وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدل على أنه واحد".

- أراد المصنف (رحمه الله) في ختام كلامه عن شرك الإلوهية إن الأدلة على إفراد الله (عز وجل) بالتوحيد وإبطال الشرك أكثر من أن يحيط بها البشر بل هي لا يُحيصها إلا الله (عز وجل) فانظر في الأدلة الحسية والمادية وخلق الله (عز وجل) من خلق السماوات

والأرض وغيرهما من الذي لو تفكر فيها المرء يعلم عِظَم هذا الخالق ويستلزم منه ذلك أن يعبده فقال (ﷻ) ليُوضح أهمية التفكر في خلقه: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) ﴾[الذاريات: 20-22] وقال (ﷻ) أيضاً ليُوضح أهمية التفكر في خلقه: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾[الغاشية: 17-21]. فكل هذه المخلوقات شاهده على وحدانية الله (ﷻ).

- وكل أوامر ونواهي الله (ﷻ) تدعو إلى التوحيد واجتناب الشرك فأول أمر جاء في القرآن بالتوحيد كما في قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾[البقرة: 21] وأول نهي جاء في القرآن جاء عن الشرك في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 22].
- ولو علِم الإنسان معنى لفظ الجلالة "الله" حقاً وأنه (ﷻ) هو المألوه الذي تألهه العباد محبة وتعظيماً لن يقع في الشرك ومن مرَّ عليه ولم يتدبره ولم يفهم معناه ولوازمه لابد أنه حتماً سيقع في الوقوع في أشياء تقدح في توحيده سواء كانت قدح كلي أو قدح جزئي وسواء كانت كمالاً أو صحة.

الشريط السابع

الشرك في الربوبية واجتماع نوعي الشرك في العبد ورد القرآن على نوعي الشرك وتقسيم آخر للشرك وأمثلة الشرك في العبادات العملية

محتويات الشريط السابع

1- الشرك في الربوبية (التوقيت: 1 دقيقة و20 ثانية) 1

2- اجتماع نوعي الشرك في العبد (التوقيت: 16 دقيقة و19 ثانية) 3

3- رد القرآن على نوعي الشرك (التوقيت: 18 دقيقة و48 ثانية) 3

4- تقسيم آخر للشرك (التوقيت: 26 دقيقة و5 ثانية) 5

5- أمثلة الشرك في العبادات العملية 6

5.1 الشرك في السجود (التوقيت: 36 دقيقة و55 ثانية) 6

5.2 الشرك في الطواف (التوقيت: 42 دقيقة و22 ثانية) 7

5.3 الشرك في الحلق (التوقيت: 49 دقيقة و09 ثانية) 7

5.4 الشرك في تقبيل الأحجار غير الحجر الأسود (التوقيت: 53 دقيقة و02 ثانية) 8

1- الشرك فى الربوبية (التوقيت: 1 دقيقة و20 ثانية)

والنوع الثاني من الشرك : الشرك به تعالى في الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربَّين ، أحدهما خالق الخير[1] والآخر: خالق الشر[2]

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ما تحته ومدبره وهذا شر من عباد الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك في العالم إذ يتضمن من التعطيل وجحد إلاهيته سبحانه وربوبيته وإسناد الخلق إلى غيره مالم يتضمنه شرك أمة من الأمم وشرك القدرية مختصر من هذا وباب يدخل منه إليه ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم. وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا أنهم: « مجوس هذه الأمة»

وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر ، والقرآن الكريم ، بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ؛ فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية ، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية .

---

(١) في المطبوع :« ويقولون له بلسان الفارسية «يزدان » » . ويزدان : يريدون به : «النور»

(٢) في المطبوع :« ويقول له المجوس بلسانهم « أهرمن » » وأهرمن : يريدون به :«الظلمة»

- قال المصنف (رحمه الله): " والنوع الثاني من الشرك: الشرك به تعالى في الربوبيّة كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربّين أحدهما خالق الخير يقولون له بلسان الفارسيّة " يزدان " والآخر: خالق الشر ويقولون له بلسانهم: " أهرمن ". وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون: بأنه لم يصدر عنه إلاّ واحد بسيط وإن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وإن مصدر هذا العالم عن العقل الفعّال هو ربّ كل ما تحته ومدبّره. وهذا شرّ من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والنّصارى وهو أخبث شرك في العالم إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهيّة والربوبيّة واستناد الخلق إلى غيره (سبحانه) ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم. وشرك القدريّة مختصر من هذا وباب يدخل منه إليه ولهذا شبّههم الصّحابة (رضي الله عنهم) بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عبّاس (رضي الله عنهم) وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا أنهم مجوس هذه الأمة"
- المصنف (رحمه الله) بدأ بعد أن تكلم عن الشرك في الإلوهية أن يتكلم عن الشرك في الربوبية وذكر بعض الطوائف التي أشركت في الربوبية ممن تكلمنا عنها سابقاً.
- فتكلم عن شرك المجوس فالمجوس أثبتوا للكون خالقين خالق النور والخير وخالق الظلمة والشر وسُمِّيَ عندهم خالقِ النور يزدان وخالق الشر أهرمن. وجعلوا خالق الخير أعلى من خالق الشر ولم يجعلوهما متساويين فحتى من أشرك في الربوبية لم يجعل كل الشركاء على منزلة واحدة.
- وتكلم عن الفلاسفة الذين أشركوا في ربوبية الله (عز وجل) وقالوا إن الكون كله يرجع إلى العقل الفعَّال ويسمونه الواحد البسيط. وجعلوا العقل الفعَّال هو رأس الهرم ثم يجعلوا تحته الملائكة.
- واختلفوا هل الملائكة هم الذين يخلقون أم العقل الفعَّال هو الذي يخلق وقد أفاض العقل الفعَّال على هذا الخلق فوُجِدَ. فهم سمُّوا الإله بالعقل الفعَّال وهذا من الإلحاد فقد جعلوا العقل الفعَّال يُفيض على الكون فخلق ما خلق.
- وجعل الملائكة الذين هم تحت العقل الفعَّال موجودون منذ القِدم.
- وجعلوا النبوة مكتسبة فيمكن لأي أحد أن يكتسب النبوة.
- وكل شيء عندهم تخيُّل ولا يوجد شيء واقع فالجنة خيالات والنار خيالات.
- ولهذا أخبث شرك هو شرك الفلاسفة لأنهم لم يُثبتوا خالق أو إله ولم يجعلوا له صفات فلم يقولوا إنه يرحم أو يُعذِّب أو يتكلم أو يُنادي فهم عطلوا كل شيء كأنه ليس هناك إله ولهذا هم شر الخلائق.
- وكثير من أهل العلم قالوا إن التوسع في كلام الفلاسفة ليس فيه فائدة إلا إذا كنت ستُناظر أحد من هؤلاء وأما غير ذلك فلا يُنصح بكثرة تعلُّم هذه الكتب أو قراءتها.
- الفلاسفة بدأوا في اليونان وكبيرهم إرسطو ثم بدأ يدخل فيها ابن سينا والفرابي وكلام كل هؤلاء مليء بالكفريات في هذه المسألة. ومعنى كلمة فيلسوف أي محب الحكمة.
- ثم تكلم عن شرك القدرية وقد تكلمنا عنه سابقاً وهو يُعيد الكلام مرَّة أخرى. وقلنا إن القدرية على قسمين: غلاة القدرية الذي نفوا إن الله (عز وجل) يعلم أفعال العباد قبل حدوثها ونفوا أيضاً الكتابة. وهؤلاء الغلاة قد إنقرضوا وقد أتفق أهل العلم على تكفير غلاة القدرية.
- والقسم الثاني هم عامة القدرية الذين أقروا بالعلم والكتابة ونفوا المشيئة والخلق وقالوا إن العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم وأن مشيئة العباد مستقلة. وقد أبدع ابن تيمية (رحمه الله) في الكلام عن هذه الطائفة حتى إنه قسَّم هؤلاء (عامة القدرية) إلى ثلاث فرق: القدرية المجوسية والمُشركية والإبليسية.
- فالمجوسية الذين أنكروا القضاء والقدر وأثبتوا الأمر والنهي. وهم سمُّوا بالمجوسية لأن فيهم شبه بالمجوس الذين أثبتوا خالقين فهم أثبتوا أكثر من خالق لأنهم جعلوا الله (عز وجل) اختص بخلق كل شيء ما دون أفعال العباد وجعلوا العباد يخلقون أفعالهم بأنفسهم فكأن في الكون أكثر من خالق. فالله (عز وجل) عندهم يأمر وينهي ولكن العبد يخلق أفعاله بنفسه.
- والقسم الثاني هم المُشركية. وهم سمُّوا بذلك نسبة إلى أهل الشرك فأقروا القضاء والقدر فقالوا كما أخبر (سبحانه) عن قول المشركين: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾[الأنعام: 148] ولكنهم أنكروا الأمر والنهي فهم يقولون إذا كان الله (عز وجل) قضى وقدَّر فما فائدة الأمر والنهي فهو لن يخرج عن هذا المُقدَّر؟ والمُشركية هم الجبرية الذين يقولون إن العبد مجبور على أفعاله.
- أصل الإشكالية في مسألة القضاء والقدر هو الخلق بين القضاء والقدر من ناحية والأمر والنهي من ناحية أخرى.
- والقسم الثالث هم الإبليسية وهؤلاء أقروا بالقضاء والقدر وكذلك أقروا بالأمر والنهي ولكنهم جحدوا وطعنوا في حكمة الله (عز وجل) فهم يقولون نعم قدَّر الله (عز وجل) ذلك وأمر بذلك ولكن هذا ليس بعدل فكيف الله (عز وجل) يُقدِّر على فلان بأنه من أهل النار ثم يأمره بألا يدخل النار؟.
- أما أهل السنة والجماعة وهم الطائفة الحق الذين يؤمنون بالقدر خيره وشره فهم يؤمنون بالقدر والقدر ويؤمنون بالأمر

والنهي وعلِموا أن الخلق لهم إرادة ومشيئة ولكنها واقعة تحت إرادة ومشيئة الله (ﷻ). فالله (ﷻ) أثبت للخلق مشيئة كما في قوله (ﷻ): ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[التكوير: 28] و أثبت أن هذه المشيئة واقعة تحت مشيئة الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان: 30 & التكوير: 29] فمشيئة الله (ﷻ) نافذة وشاملة لكل شيء.

- ولهذا قال المصنف (رحمه الله): " ولهذا شبّههم الصّحابة (رضي الله عنهم) بالمجوس " وهذا المقصود به القسم الأول (القدرية المجوسية) من الطائفة الثانية (عامة القدرية) وهؤلاء الذين ورد ذكرهم في رواية ابن عمر (رضي الله عنهما) في بداية حديث الإيمان المشهور [1].
- وكل الآثار التي وردت عن القدرية المجوسية في تشبيهم بالمجوس موقوفة على الصحابة ولم تُرفع للنبي (ﷺ) وكذلك لم يروي تشبيهم بالمجوس كل أهل السنن بل بعض أهل السنن.
- والمجوس أثبتوا خالقين فقط وأما القدرية المجوسية جعلوا كل إنسان خالق لأفعاله وبهذا جعل عدد لا حصر لهم من الخالقين فهم أشر من المجوس ولكن نسبتهم للمجوس بسبب إشتراكهم معهم في أصل الإعتقاد.

2- اجتماع نوعي الشرك في العبد (التوقيت: 16 دقيقة و19 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر" فقد يشرك العبد في الربوبية إذا ذهب للمقبور وظنَّ إن هذا المقبور ينفع ويضر ويرزق من دون الله (ﷻ) أو الولي فهذا شرك في الربوبية فالضر والنفع والرزق من لوازم الربوبية. فإن قدَّم لهم بأن ذبح لهم ونذر لهم ودعاهم وتصدَّق لهم وغير ذلك من العبادات فقد أشرك في الإلوهية فهو قد صرف عبادة لغير الله (ﷻ) ثبتت بالشرع أنها عبادة فهذا هو الشرك في الإلوهية. وبهذا يكون اجتمع له الشرك في الربوبية والإلوهية.
- وقد يشرك في الربوبية فقط أو الإلوهية فقط فيعتقد إن الله (ﷻ) هو الخالق الرازق المدبر وهو الذي يحيي ويميت وبيده تصريف كل شيء في الكون ولكنه عند العبادة ذبح ونذر لغير الله (ﷻ) وحلف بغير الله (ﷻ) وأحب محبة العبادة لغير الله (ﷻ) وهذا كله صرف عبادة لغير الله (ﷻ) من العبادات التي لا تكون إلا لله (ﷻ). فهذا موحِّد في الربوبية ومشرك في الإلوهية.
- وقد يكون موحداً في الإلوهية ويقع في بعض الشرك في الربوبية مثل أن يعتقد إن الكوكب هو الذي يعطي الرزق كما في ورد عن زيد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) أنه قال: " صلى لنا رسول الله (ﷺ) صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: " هل تدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: " الله ورسوله أعلم" قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب " [2]. وهذا شرك في الربوبية لأن إنزال المطر من لوازم الربوبية

3- رد القرآن على نوعي الشرك (التوقيت: 18 دقيقة و48 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرّحةً بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] فإنه ينفي شرك المحبّة والإلهيّة وقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: 5] فإنه ينفي شرك الخلق والربوبيّة ".
- فجميع الكتب المُنزَّلة من عند الله (ﷻ) جاءت لترد على أهل الإشراك وتنكر عليهم شرك سواء في الإلوهية أو الربوبية وتُوضَّح إن الله (ﷻ) هو المستحق للتوحيد كله وليس الذين يدعونه أو يعتقدونه من بطلان.
- ولهذا جاءت الآيات في القرآن وما جاء في الكتب الأخرى المُنزَّلة من عند الله (ﷻ) لتبين إفراد الله (ﷻ) في الربوبية أو الإلوهية.
- إفراد الله (ﷻ) بالربوبية جاء في قوله (ﷻ): ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[الأنعام: 59].
- وهناك خمسة أشياء أختص الله (ﷻ) بها جاءت في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان: 34].
- وقال (ﷻ): ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[الأنعام: 18&61]. فهذه هي عبادة القهر التي هي من لوازم الربوبية فالله (ﷻ)

---

[1] راجع المحاضرة الخامسة رقم (1) صـ 5.
[2] راجع المحاضرة الثالثة رقم (1) صـ 4.

له علو ذات وعلو قهر وعلو شأن [1].

- وقال (ﷻ): ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنعام: 65] وهذه الآية تدل على قدرة الله (ﷻ) المطلقة التي لا حدود لها وهذه من لوازم ربوبية الله (ﷻ).
- وقال (ﷻ): ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[الأنعام: 103] وهذه الآية تدل على أن الخلق كله لله (ﷻ) يخلق كل ما كان وكل ما سيكون وهذه من لوازم ربوبية الله (ﷻ).
- أما إفراد الله (ﷻ) بالإلوهية جاء في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام: 162-163] فبيَّن سبحانه وتعالى إن الصلاة والعبادات لابد ألا تُصرف إلا لله (ﷻ) .
- وقال (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: 21] وهذا أول أمر أتى في القرآن هو الأمر بعبادة الله (ﷻ).وأول نهي جاء في القرآن جاء عن الشرك في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 22].
- وكل الأنبياء (عليهم السلام) قالوا لقومهم كما أخبر (ﷻ) عن هؤلاء الأنبياء قولهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: 59&65&73&85 وهود: 50&61&84 والمؤمنون: 23&32] [2].
- واستدل المصنف (رحمه الله) استدلال بديع بآية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] فعلى الرغم من أننا نقراها يومياً ولكن تكلَّم فيها ابن القيم كلاماً بديعاً وآلف فيها ما آلف حتى إنه قال في هذه الآية: "وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن وجمع معاني القرآن في المفصل وجمع معاني المفصل في الفاتحة ومعاني الفاتحة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5]" [3]. فعندا نقرأ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] لابد أن نتدبر القرآن فما نزل القرآن إلا للتدبر والعمل به فقد قال (ﷻ): ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد: 24]. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: " حدثنا الذين كانوا يُقرِّئوننا القرآن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (صلى الله عليه وسلم) عشر آيات لم يُجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل" [4]. ونحن نقرأ هذه الآية في الصلاة سواء كنا أئمة أو مأمومين فلابد أن نعلم كيف نعبده (ﷻ) وكيف نستعينه.
- وهذه الآية فيها تلخيص التوحيد كله ففي الجزءين من الآية حدث فيهما تقديم ما حقه التأخير فالأصل نعبد إياك ونستعين إياك وتقديم ما حقه التأخير في اللغة يفيد الحصر والقصر فالمقصود لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك فلو قلت نعبد إياك فقد تعبد معه غيره لأن هذا ليس فيه حصر.
- فـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] تدل على حصر توحيد الإلوهية لله (ﷻ) أي لا نصرف عبادة إلا لله (ﷻ) سواء كانت عبادات قلبية من توكل وخشية وإنابة ومحبة أو عبادات بدنية سواء باللسان من حِلف وذكر وغير ذلك أو عبادات بدنية من صلاة وحج وعمرة وجهاد وغير ذلك من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة فكل ما ثبت بالشرع إنه عبادة فلا يُصرف ألا لله (ﷻ).
- و ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] تدل على توحيد الربوبية لله (ﷻ) فالاستعانة فيها شكر لله (ﷻ) بالنعمة التي أنعمها عليك وهي النعم التي جاءت بسبب ربوبية الله (ﷻ) من خلق وإيجاد ورزق وغير ذلك.
- فهذه الآية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] فيها تلخيص للتوحيد ككل فعن عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي

---

1 راجع شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ المحاضرة السابعة صـ 5.

2 راجع المحاضرة السادسة صـ 4.

3 يشير الشيخ إلى كتاب " مدارج السالكين" لابن القيم (رحمه الله) الذي ألفه بناءاً على هذه الآية الكلام المذكور ذكره ابن القيم (رحمه الله) في المدارج.

4 أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة في مصنفه وأحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات والطبري في تفسيره والطحاوي في شرح مشكل الآثار من طرق عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن بنحوه. وزاد ابن سعد في آخره: "وإنّه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضع يده على الحلق". وعندهم: أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) أو الذين كانوا يقرئوننا من غير تسمية ورواية التعيين أعلها الإمام الدارقطني في العلل وهو أثر صحيح وقال فيه الشيخ أحمد شاكر: " هذا إسناد صحيح متصل". و ورد هذا المعنى عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن" وهذا الأثر أخرجه الطبري من طريق الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وصححه وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار والحاكم والبيهقي في السنن الكبرى كلهم من طريق شريك عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله (رضي الله عنه) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي. وشريك هو النخعي القاضي يخطىء كثيرا وقال الدارقطني: ليس بالقوي فيما يتفرد به.

(ﷺ) قال: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج" ثلاثا غير تمام. فقيل لأبي هريرة: " إنا نكون وراء الإمام؟" فقال: " اقرأ بها في نفسك" فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الفاتحة: 2] قال الله تعالى: " حمدني عبدي" وإذا قال: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة: 3] قال الله تعالى: " أثنى علي عبدي" وإذا قال: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الفاتحة: 4] قال: " مجدني عبدي" - وقال مرة فوض إلي عبدي - فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] قال: **هذا بيني وبين عبدي** ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[الفاتحة: 6-7] قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " [1] والمقصود بهذا بيني وبين عبدي أي الجزء الأول من الاية وهو " إياك نعبد" توحيد الله (ﷻ) بأفعال العبد والجزء الثاني من الآية وهو " إياك نستعين" توحيد الله (ﷻ) بأفعال الله (ﷻ).

4- تقسيم آخر للشرك (التوقيت: 26 دقيقة و5 ثانية)

فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه والطواف بغير البيت المحرم وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها

- قال المصنف (رحمه الله): " فتضمّنت هذه الآية تجريد التّوحيد لربّ العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات"
- المصنف (رحمه الله) بدأ يُقسم الشرك إلى شرك في الأفعال والألفاظ والإرادات أي النيات. وهناك جملة مهمة جداً لابد أن نوضحها وهي إن كل عبادة ثبتت بالشرع أنها عبادة فصرفها لله (ﷻ) توحيداً وصرفها لغير الله (ﷻ) شرك. وهذا الذي يُصرف لغير الله (ﷻ) قد يكون شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر وهذا يرجع إلى نوع العبادة فهناك بعض العبادات صرفها لغير الله (ﷻ) لا تكون إلا شركاً أكبر وبعض العبادات صرفها لغير الله (ﷻ) قد يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر. ونحن نقول هذا لأن بعضهم أن أي عبادة صُرِفت لغير الله (ﷻ) فهي شركاً أكبر.
- فمثلاً السجود للصنم. رجل سجد لصنم فهذه العبادة لا يُتَصوَّر إلا أن تكون شركاً أكبر سواء اعتقد الصنم ينفع أو لا ينفع. فالسجود فيه تفصيل فقد يكون سجود عبادة وقد يكون سجود تحية والسجود للصنم لا يُتَصوَّر فيه أنه سجود تحية.
- مثال آخر وهو دعاء الميت فلو دعوت الميت وقلت له إقضي لي حاجتي أو اصرف عني الضُر أو أتنني بالرزق فهذا شركاً أكبر لأنك طلبت من الميت ما لا يقدر عليه إلا الله (ﷻ) فرفعت المخلوق لمنزلة الخالق وطلب منه شيء من لوازم ربوبية الله (ﷻ) فهو (ﷻ) الذي بيده الضُر والنفع والخلق وغير ذلك. ولكن إذا ذهبت للميت ليشفع لك عند الله (ﷻ) فهذه فيها خلاف فبعض أهل العلم منهم ابن تيمية (رحمه الله) يقول أنه شركاً أصغر لأنه لم يطلب من الميت شيء من لوازم ربوبية الله (ﷻ) من ضُر أو نفع ولكن طلب من الميت أن يشفع له عند الله (ﷻ) ظناً منه أنه في العالم الآخر فقد يشفع له عند الله

---

1 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (خداج) قال الخليل بن أحمد والأصمعي وأبو حاتم السجستاني والهروي وآخرون:" الخداج النقصان". قال: " يُقال خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان تام الخلقة وأخدجته إذا ولدته ناقصا وإن كان لتمام الولادة ومنه قيل لذي اليدين مخدوج اليد أي ناقص" قالوا: " فقوله (ﷺ) خداج أي ذات خداج". وقال جماعة من أهل اللغة: " خدجت وأخدجت إذا ولدت لغير تمام". (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) قال العلماء المراد بالصلاة هذا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها.

(ﷻ) لما له من صلاح وأنه يُقابل أهل الجنان. وبعض أهل العلم لم يرتضوا هذا الكلام وقالوا هذا شرك أكب. وخلاصة الأمر أنه لابد أن يُرجع للعبادة ليُعلم هل هو شرك أكبر أم أصغر.

- ومن المهم أيضاً أن نعلم أنه لا يُشترط فيمن عمِلَ عملاً شركياً أن يكون جاحداً أو مُكذِّب أو يعتقد ذلك وهذا في بعض العبادات وليس كلها. فمن سجد للصنم واعتقد فيه العبادة أم لم يعتقد فهذا شرك أكبر ومن ذهب للميت فدعاه ليرفع عنه البلاء أو يأتيه بالرز ق اعتقد أو لم يعتقد فهذا شرك أكبر حت لو قال إني لا اعتقد في أن الصنم يفيد أو ينفع وكذلك الميت. فهو طالما أتى بالفعل فهو فعل شرك وصاحبه مشرك. وهذا الكلام (أي أنه لابد أن يعتقد أو يُكذِّب أو يجحد حتى يُشرك) كلام أهل الإرجاء فهم ليس عندهم شرك في الأفعال إلا إذا أعتقد.
- فالمرجئة أرجعوا الأمر للقلب فلابد عندهم أن يعتقد أو يُكذِّب أو يجحد بقلبه وهذا أمر قلبي. فلو أتى عندهم الرجل بكل أفعال الشرك والكفر من ذبح أو نذر أو سجد أو صلى أو صام أو حلف لغير الله (ﷻ) فليس بمشرك إلا إذا اعتقد.
- نعم هناك أفعال لابد فيها أن يُرجع إلى النية ولكن لا يُشترط عموماً في بقية العبادات أن يعتقد أو يُكذِّب أو يجحد بقلبه حتى يُشرك بالله (ﷻ).
- فقد يكون شركاً بالفعل أو القول دون الرجوع إلى النية من اعتقاد أو تكذيب أو جحود فمثلاً من سب الله (ﷻ) أو سب الرسول (ﷺ) فهل نسأله هل أنت معتقد بأن سب الله (ﷻ) أو سب الرسول (ﷺ) تنقيص أم غير تنقيص!! فالطواف بالقبر تعظيماً للمقبور مثلاً شرك فالفعل نفسه شرك.
- أهل الإرجاء لا يكفرون بترك جنس العمل [1] رغم أن الإمام الأجري في الشريعة (رحمه الله) والإمام ابن بطة (رحمه الله) في الإبانة وشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب الإيمان نقلوا الإجماع على تكفير من ترك جنس العمل.
- وقد تكلمنا عن تعريف الإيمان في كتاب لمعة الأعتقاد [2] فقلنا إن من صحة الإيمان عمل بالجوارح فترك جنس العمل يقدح في حة الإيمان.
- والشرك قد يكون في الألفاظ مثل الحلِف بالله (ﷻ) أو دعاء غير الله (ﷻ) وقد يكون بالأفعال سواء هذه الأفعال بدنية نثل الصلاة أو الحج أو الذبح وقد تكون أفعال قلبية مثل التوكل والخشية والإنابة والمحبو وغير ذلك.

5- أمثلة الشرك في العبادات العملية

5.1 الشرك في السجود (التوقيت: 36 دقيقة و55 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره (ﷻ) والطواف بغير بيته المحرّم وحلق الرأس عبوديّةً وخضوعًا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن شرك الأفعال وبدأ بالسجود لغيره (ﷻ). وهنا السجود فيه تفصيل فقد يكون شركاً وقد يكون حراماً.
- اولاً السجود عبادة لله (ﷻ) والدليل على ذلك قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج: 77] وقوله (ﷻ): ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[العلق: 19] والشاهد من الآيتين هو قوله اسجدوا ووجه الاستدلال من الآيتين إن الله (ﷻ) أمر بشيء وكل ما يأمر به الله (ﷻ) فهو عبادة وكذلك النهي عن شيء يُفعل من باب العبادات. فتعريف العبادة كما قال ابن تيمية (رحمه الله): "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة" [3] والله (ﷻ) لا يأمر إلا بما يحب فالأمر الشرعي لابد فيه أن يكون فيما يحبه الله (ﷻ) [4] وبالتالي السجود عبادة.
- وبما أننا أثبتنا بالشرع إن السجود عبادة لله (ﷻ) فصرفها لله (ﷻ) توحيداً وصرفها لغير الله (ﷻ) شرك. فمن سجد لغير الله (ﷻ) فقد أشرك ولكن هنا يوجد تفصيل فهناك سجود عبادة وتعظيم للمسجود له وهذا لا يكون إلا لله (ﷻ) وهناك سجود تحية كما جاء في السنن حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) إنه جاء مرة للنبي (ﷺ) فسجد له فقال له: "ما هذا يا معاذ؟ " فقال: " يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم". فقال:"يا معاذ إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَمِ حقه عليها" [5]. فنحن عندنا سجود التحية ممنوع وهذا الحديث يُبيِّن عِظَم حق

---

1 ترك جنس العمل هو ترك الأعمال بالكليّة.
2 راجع شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ المحاضرة الحادية عشرة.
3 راجع كتاب " رسالة العبودية" لابن تيمية (رحمه الله).
4 راجع شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ المحاضرة التاسعة في مفهوم الإرادة الشرعية صـ 11.
5 أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابن أبي أوفى (رضي الله عنه). قال الألباني في" الصحيحة": "إسناده صحيح على شرط مسلم".

الزوج على زوجته. والشاهد من الحديث أنه لم يقل له إنك أشركت أو كفرت.

- وسجود التحية كان موجوداً في شرع من قبلنا كما جاء في قوله (ﷻ) في سورة يوسف: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[يوسف: 4] فجاء تأويل الرؤيا بسجود التحية في نهاية السورة كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[يوسف: 100] ولكنه أصبح ممنوع في شرعنا بنص حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه).
- فمن فعل سجود التحية فهذا حرام وليس شرك فمن سجد لولي أو شيخ تعظيماً له فهذا شرك. ومن الخطأ الشديد تحية الركوع بين الأعاجم بالانحناء فهذا لا يجوز.
- ولكن تقبيل اليد فيه آثار وردت عن الصحابة فقد ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال له: " لا تفعل يا ابن عم رسول الله (ﷺ)". فقال: " هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا". فقال زيد: " أرني يدك". فأخرج يده فقبلها زيد وقال: " هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا (ﷺ)" [1] ولهذا كان يقول ابن عباس (رضي الله عنهما) لجاريته: " عطِّري يدي فإن زيد يُقبِّل"[2].

5.2 الشرك في الطواف (التوقيت: 42 دقيقة و22 ثانية)

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) الطواف بغير البيت أنه من الأفعال الشركية فالطواف بغير البيت كذلك ممكن يكون شركاً ومنه ما يكونا محرماً.
- نأصل أولاً إن الطواف عبادة فبعض الذين يظهروا على الفضائيات يرى بجواز الطواف حول القبور وأشكل علينا. والدليل على أن الطواف عبادة قوله (ﷻ): ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج: 29] وكلمة " وليطوفوا" تدل على الأمر[3] وقوله (ﷻ): ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة: 125]. وبما أننا أثبتنا بالشرع إن الطواف عبادة لله (ﷻ) فصرفها لله (ﷻ) توحيداً وصرفها لغير الله (ﷻ) شرك وصرف الطواف لغير الله (ﷻ) مثل من طاف حول القبر أو طاف حول المسجد.
- والطواف لا يكون إلا حول الكعبة لقوله (ﷻ): ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج: 29] وكذلك لم يثبت أن النبي (ﷺ) ولا الصحابة (رضي الله عنهم) أنهم طافوا حول أي مكان غير الكعبة. وهذا تعظيم للبيت الحرام فقد قال (ﷻ): ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾[المائدة: 97] وقد جعل له هيئة معينة وعدد أشواط معينة وهذا كله توقيفي لأنه عبادة.
- ولكن الطواف فيه تفصيل فقد يكون شركاً أكبر وقد يكون غير ذلك. فإذا طاف حول هذا القبر تعظيماً للمقبور فكأنه يطوف للمقبور ويُقدِّم العبادة له وهذا شركاً أكبر لأنه صرف عبادة لا تكون إلا لله (ﷻ) لغير الله (ﷻ). وإذا طاف حول المسجد أو القبر ولا يقصد منه تعظيم للمقبور وقال أن أطوف لله (ﷻ) ولكني قلت إن هذا المكان فيه صالح فيكون هذا المكان فيه القبول أو هذا المسجد من المساجد التي يرتادها كثير من الناس ولا أستطيع أن أذهب إلى مكة قليس عندي ما يكفي من المال فقلت أطوف بهذا المسجد ظناً منه إن هذا المسجد فيه بركة فنقول له إن هذا الطواف حول المسجد ذريعة للشرك (وبعضهم قال شرك أصغر) لأن هذا سيؤدي إلى تعظيم هذا المكان [4] وهذا ليس شرك أكبر لأنه لم يصرف طواف العبادة للمقبور.

5.3 الشرك في الحلق (التوقيت: 49 دقيقة و09 ثانية)

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) حلق الرأس والمقصود حلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره (ﷻ). فحلق الرأس أنواع منها ما يكون عبودية لله (ﷻ) وهذا يكون في النسك كالذي حج أو أعتمر ثم حلق رأسه وهذا حلق واجب قد أمر الله (ﷻ) به
- وقد تكون حلاقة الرأس على وجه التشبه بالخوارج فمن سيمات الخوارج حلق الرأس كما قال (ﷺ):" يخرج ناس من قبل

---

1 راجع كتاب " المجالسة وجواهر العلم" لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي وأخرجه ابن عساكر في " تاريخ دمشق" وابن حجر في " الإصابة".

2 لم أقف عليه.

3 من صيغ الأمر دخول لام الأمر على الفعل المضارع كما في الآية.

4 وبعض استدل بقول " تحية البيت الطواف " على أن الطواف قد يكون تحية مثل السجود ولهذا هو معصية وليس شرك. قال الألباني في القول " تحية البيت الطواف " كما في السلسلة الضعيفة: " لا أعلم له أصلا وإن اشتهر على الألسنة وأورده صاحب " الهداية " من الحنفية بلفظ: " من أتى البيت فليحيه بالطواف ". وقد أشار الحافظ الزيلعي في تخريجه إلى أنه لا أصل له بقوله: " غريب جداً". وأفصح عن ذلك الحافظ ابن حجر فقال في " الدراية ":" لم أجده". قلت: ولا أعلم في السنة القولية أوالعملية ما يشهد لمعناه بل إن عموم الأدلة الواردة في الصلاة قبل الجلوس في المسجد تشمل المسجد الحرام أيضا والقول بأن تحيته الطواف مخالف للعموم المشار إليه فلا يقبل إلا بعد ثبوته وهيهات لا سيما وقد ثبت بالتجربة أنه لا يمكن للداخل إلى المسجد الحرام الطواف كلما دخل المسجد في أيام المواسم فالحمد لله الذي جعل في الأمر سعة " وما جعل عليكم في الدين من حرج ". قال القاري في القول " تحية البيت الطواف " كما في " الكبرى ": " قال السخاوي: " لم أره بهذا اللفظ " قلت المراد بالبيت هو الكعبة وهو بيت الله الحرام ومعناه صحيح كما في الصحيح عن عائشة أول شيء بدأ به النبي (ﷺ) حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف الحديث وذلك لأن كل من يدخل المسجد الحرام يسن له أن يبدأ بالطواف فرضا أو نفلا ولا يأتي بصلاة تحية المسجد إلا إذا لم يكن في نيته أن يطوف لعذر أو لغيره وليس معناه أن تحية المسجد ساقطة عن هذا المسجد كما توهم بعض الأغبياء من مفهوم هذه العبارة الصادرة عن الفقهاء وغيرهم.

المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه". قيل: " ما سيماهم؟" قال: " سيماهم التحليق - أو قال: التسبيد" [1]

- وفي زمننا هذا حلق الرأس تشبه بأهل الكفر من لاعبي الكرة أو مغني أو كبير في بلادهم فهذا حرام فقد قال (ﷺ): " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري من تشبه بقوم فهو منهم" [2] والتبرؤ هنا من الفعل وليس الفاعل والمقصود بليس منا أي ليس على هدينا أو ليس على سنتنا فقد نقص إيمانه لكنه لا يخرج من الإيمان إلى الكفر. فهو مع لا إله إلا الله فهو لم يخرج من الإسلام.
- وقد يكون حلق الرأس من النوع المباح فقد يكون شعر الإنسان يُكلِّفه الكثير من مرطبات الشعر وغير ذلك فقال: " أحلق حتى لا أتكلف كثيراً" أو أصابه مرض أو أذى كما جاء في حديث كعب بن عجرة (رضي الله عنه) قال:" مر بي النبي (ﷺ) وأنا أوقد تحت القدر فقال: " أيؤذيك هوام رأسك؟" قلت: " نعم" فدعا الحلاق فحلقه ثم أمرني بالفداء" [3].
- وقد يكون حلقاً شركياً وهو حلق الرأس خضوعاً وعبودية مثل الحلق للولي أو الشيخ تعظيماً له وهذا موجود عند غلاة الصوفية الذين يتبعون أولياؤهم ومريديهم

5.4 الشرك في تقبيل الأحجار غير الحجر الأسود (التوقيت: 53 دقيقة و02 ثانية)

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) تقبيل الحجر الأسود وتقبيل أي حجر من الأحجار غير الحجر الأسود قد يكون شركاً. وقال المصنف (رحمه الله) إن الحجر الأسود يمين الله (عز وجل) في الأرض استدلالاً بحديث: "الركن يمين الله في الأرض يصافح به خلقه" [4].
- وورد في السنة تقبيل الحجر الأسود بالفم فعن عابس بن ربيعة عن عمر (رضي الله عنه) أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي (ﷺ) يقبلك ما قبلتك" [5] فنحن نقبل الحجر الأسود لأن النبي (ﷺ) قبله فهذا نسك في الحج أو تشير بيدك ثم تقبل اليد فعن نافع قال: " رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: " ما تركته منذ رأيت رسول الله (ﷺ) يفعله " [6] أو تشير بالعصا ثم تقبل العصا فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: " طاف النبي (ﷺ) في حجة الوداع على بعيريستلم الركن بمحجن" [7] أو تُشير إليه من بعيد كما قال (ﷺ) لعمر (رضي الله عنه): " يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله فهلل وكبر " [8].
- فلم يرد تقبيل شيء آخروحتى الحديث: "الركن يمين الله في الأرض يصافح به خلقه" [9] بعضهم ضعفه وحتى من صحح الحديث آول الحديث بأن المقصود بيمين الله (عز وجل) هو الاستلام والتقبيل والدليل جاء على ذلك من السنة أن النبي (ﷺ) كان يستلم الحجر ويقبله كما ذكرنا [10].

---

1 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). (تراقيهم) جمع ترقوة وهي العظم بين نقرة النحر والعاتق والمراد أنها لا تصل إلى قلوبهم ولا يتأثرون بها. (فوقه) موضع الوتر من السهم (سيماهم) علامتهم (التحليق) إزالة الشعر (التسبيد) استئصال الشعر.

2 أخرجه أبو داود وأحمد في مسنده وعبد بن حميد في مسنده عن ابن عمر (رضي الله عنه) والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وإرواء الغليل.

3 أخرجه البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (وأنا أوقد) أي أشعل النار (القدر) القدر آنية يطبخ فيها.

4 أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) موقوفا: "الركن -يعني الحجر- يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه".... إلخ. وفي صحيح ابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) مرفوعا في آخر بلفظ: "وهو يمين الله يصافح بها خلقه" وهو إسناده ضعيف فعبد الله بن المؤمل ضعيف. وأخرجه البيهقي في " الأسماء والصفات" وقال في إسناد الحديث: ضعيف. وأورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى وقد سُئِلَ عن حديث "الحجر الأسود يمين الله في الأرض" فذكر أنه روي عن النبي (ﷺ). وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة بلفظ: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده" وقال عنه: " ضعيف".

5 أخرجه البخاري ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

6 أخرجه مسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

7 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. وأخرج أحمد وابن خزيمة وابن جارود وأبي عوانة عن أبي الطفيل (رضي الله عنه) قال:" رأيت رسول الله (ﷺ) يطوف على راحلته بالبيت ويستلم الأركان بمحجنه قال: وأراه يقبل طرف المحجن ثم خرج إلى الصفا فطاف على راحلته". (بمحجن) المحجن عصا معوجة الرأس يتناول بها الراكب ما سقط له ويحول بطرفها بعيره ويحركه للمشي

8 أخرجه أحمد في مسنده وعبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة في مصنفه وشرح معاني الآثار للطحاوي والبيهقي في السنن الكبرى عن عمر (رضي الله عنه). وصححه الألباني في مناسك الحج وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: " حسن".

9 سبق تخريجه في هذه الصفحة.

10 نريد هنا أن نوضح أن أهل السنة يؤلون فقط عندما يوجد دليل وسبب التأويل في هذا الحديث -إن صحَّ- هو أن الله (عز وجل) لا يُقسَّم إلى أجزاء (تعالى). ولكن هذا لا يعني أن نفتح باب التأويل كما فعلت الأشاعرة بدون دليل على ذلك فهم يستدلون بنفس الاستدلال و هو أن الله (عز وجل) لا يُقسَّم إلى أجزاء (تعالى) على نفي بقية الصفات من اليد والساق وغير ذلك من الصفات الثابتة بالأدلة التي لا يصلح تأويلها وأثبتها الصحابة والعلماء عند أهل السنة ولكن استدلالهم لا يصح لأنه ليس عليه دليل. أما الحديث الذي معنا فالله (عز وجل) في السماء بذاته في السماء فكيف يكون جزءاً منه على الأرض وهو يمينه؟. أما نفي اليد والساق وغيرها من الصفات عند الأشاعرة

- والصحيح الذي ورد في الحجر الأسود هو قول ابن عباس (رضي الله عنهما): " قال رسول الله (ﷺ): " نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم " [1].
- وعن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أباه يقول لابن عمر: " ما لي لا أراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود والركن اليماني؟" فقال ابن عمر: " إن أفعل فقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " إن استلامهما يحط الخطايا " [2]. فالذي ورد في التقبيل هو الحجر الأسود فمن قبل غير الحجر الأسود فكأنه صرف عبادة لغير الله (ﷻ) وعظَّم شيء لم يُعظِّمه الله (ﷻ) فوقع في الشرك.
- وترى ذلك بعينك عند الشيعة فهم يسيرون وحجر كربلاء في جيوبهم ويصلون لحجر كربلاء [3] فهذا من الصور المعاصرة لتعظيم حجر غير الحجر الأسود.

وهذا لأنهم يقولون أن الله (ﷻ) لا يُقسَّم إلى أجزاء (ﷻ) فنقول لهم أنكم مثلتم في عقولكم الله (ﷻ) بالبشر في ذهنكم ولهذا وقعتم فيما وقعتم فيه على عكس أهل السنة الذين يثبتون الصفات بلا كيفية لها.

[1] أخرجه أحمد والترمذي وابن خزيمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للترمذي. وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح" وصححه الألباني في الصحيحة وصحيح الجامع.

[2] أخرجه أحمد وأبو يعلى والبيهقي في " السنن" والبغوي في "شرح السنة" من طريق هشيم بن بشير بهذا الإسناد وأخرجه الترمذي وأبو يعلى وابن خزيمة والحاكمةمن طريق جرير بن عبد الحميد وابن خزيمة أيضاً من طريق محمد بن فضيل كلاهما عن عطاء به. وقال البغوي: " هذا حديث حسن". وقال الترمذي: " حديث حسن". وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على ما بينته من حال عطاء بن السائب ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في "المجمع" وقال: " روى ابن ماجه بعضه".

[3] من أراد التعرُّف أكثر على الشيعة فليرجع لمجموعة الشيخ " ممدوح حربي" عن الشيعة وفكرهم وفِرَقِهم.

الشريط الثامن

تابع أمثلة الشرك في العبادات العملية (الشرك في القبور وأحكامها) والأوقات المنهي عن الصلاة فيها

محتويات الشريط الثامن

5- تابع أمثلة الشرك في العبادات العملية (استكمال المحاضرة السابقة)..... 1

5.5 الشرك في القبور (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية) 1

6- تحريم اتخاذ القبور مساجد (التوقيت: 7 دقيقة و5 ثانية) 1

7- حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبر (التوقيت: 12 دقيقة و22 ثانية) 3

8- وجود قبر النبي (ﷺ) في المسجد النبوي (التوقيت: 22 دقيقة و18 ثانية)..... 4

9- شد الرحال لقبر النبي (ﷺ) (التوقيت: 27 دقيقة و02 ثانية)..... 5

10- آداب زيارة قبر النبي (ﷺ) (التوقيت: 27 دقيقة و42 ثانية) 5

11- زيارة النساء للقبور (التوقيت: 29 دقيقة و46 ثانية) 5

12- أقسام الناس في زيارة القبور (التوقيت: 35 دقيقة و40 ثانية)..... 6

13- الأوقات المنهي عن الصلاة فيها (التوقيت: 57 دقيقة و20 ثانية) 9

5- تابع أمثلة الشرك في العبادات العملية (استكمال المحاضرة السابقة)

5.5 الشرك في القبور (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره (ﷻ) والطواف بغير بيته المحرّم وحلق الرأس عبوديّةً وخضوعًا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن صورة من صور شرك الأفعال بعد أن تكلم في الشرك في الربوبية وهي تقبيل القبور واستلامها والسجود لها.
- فقبل ذلك تكلمنا عن تقبيل الأحجار غير الحجر الأسود وهو لا يُفيد ولا ينفع كما مر في المحاضرة السابقة في قول عمر (رضي الله عنه) أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي (ﷺ) يقبلك ما قبلتك" [1]. فتقبيل الحجر نسك ولكن الحجر لا ينفع ولا يضُر بذاته فهذا من العبادات التوقفية وما كان لنا أن نُقبِّل أي حجر حتى الحجر الأسود إلا أنه جاء الدليل في الحجر الأسود.
- والأصل عدم تقبيل غير الحجر الأسود لأن العبادات التوقيفية تكون موقوفة على ما جاءت به فقط من غير نقص ولا زيادة. فلكي تُقبِّل ما دون الحجر الأسود تحتاج إلى دليل يُثبته لأن التقبيل عبادة توقيفية.
- فكذلك تقبيل القبور ممنوع لأنه لم يثبت كما ذكر المصنف (رحمه الله) فمن فعلها يكون قد فعل شيئاً محرماً. فتعظيم القبر والمقبور لا يجوز لأن الأصل أن التعظيم التعبدي لله (ﷻ) فإذا صُرِف لغير الله (ﷻ) فيكون شركاً وكذلك ذكر المصنف (رحمه الله) استلامها أو السجود لها. والسجود كما ذكرنا يكون شركاً أكبر لو كان عبادة ومحرم لو كان سجود تحية.
- وكذلك نهى بعض أهل العلم أن يُتحرَّى الدعاء عند القبور وهو أن يدعو الإنسان الله (ﷻ) عند القبر. وقد يقول أنه يدعو الله (ﷻ) عند قبر رجل صالح وأذهب عند قبره لأدعو الله (ﷻ) ولا أدعو هذا الميت الصالح فقال أهل العلم أن هذه من البدع المنكرة التي لا تصح لأنه خصَّ هذا المكان بعبادة وبركة معينة لم يأتي لها أصل في الشرع والله (ﷻ) قد بيَّن لنا إن الدعاء عبادة وحتى تُخصِّص المكان بالعبادة لابد لك من دليل.
- وقد جاء الدليل بتخصيص بعض الأماكن بالعبادة مثل الطواف عند الكعبة وبعض الأزمنة بالعبادة مثل الدعاء يوم عرفة ولم يأتي تخصيص أن تذهب عند القبر وتدعو عند القبر فهذا من البدع وليس من الشرك لأنه دعا الله (ﷻ) ولكنه أتخذ وسيلة غير مشروعة وهي الدعاء عند القبر نفسه.
- وهذه البدعة سوف تؤدي بعد ذلك إلى التعظيم لأنه إذا دعا عند القبر فاستُجِيبَ له ووجد إن الدعاء تحقق فيظن إن هذا المكان فيه بركة ثم ينتقل بعد ذلك إلى الدعاء إلى المقبور لأنه سيظن أن استجابة الدعاء لبركة صاحب هذا القبر ولهذا هذه البدعة وسيلة من وسائل الشرك وكل ما كان وسيلة للشرك أمر الشرع أن يجتنبه المرء.

6- تحريم اتخاذ القبور مساجد (التوقيت: 7 دقيقة و5 ثانية)

وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء مساجد يصلِّي لله فيها فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله تعالى فهذا لم يعلم قول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفيه عنه أيضًا « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفيه أيضا عنه ﷺ : « إن من

[1] راجع تخريجه في المحاضرة السابعة رقم (5) صـ 8

كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » .

وفي «مسند الإمام أحمد» ، و«صحيح ابن حبان» عنه ﷺ : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج » وقال ﷺ :« و اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال ﷺ : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله »

- قال المصنف (رحمه الله): " وقد لعن النبي (ﷺ) من اتّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد فكيف من اتّخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله؟ فهذا لم يعلم قول الله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5]. وفي الصحيح عنه (ﷺ) أنه قال: " لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذّر ما صنعوا. وفيه عنه أيضاً : " إن من شرار النّاس من تدركهم السّاعة وهم أحياء والذين يتّخذون القبور مساجد" وفيه أيضاً عنه (ﷺ): "إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون القبور مساجد ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد فإنّي أنهاكم عن ذلك" وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبّان عنه (ﷺ): " لعن الله زوّارات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج" وقال (ﷺ): " اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد" وقال (ﷺ): "إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرّجل الصّالح بنوا على قبره مسجدًا وصوّروا فيه تلك الصّور أولئك شرار الخلق عند الله ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن صورة أخرى من صور شرك الأفعال وهي اتخاذ القبور مساجد. وهذه من المسائل المهمة جداً والتي انتشرت في البلدان ويُقال إنها أول ما بدأت بدأت عندنا في مصر[1] فهم أول من اتخذوا القبور مساجد وأول من وضعوا القباب ثم انتشرت بعد ذلك في أيام الدولة العُبيدية الذين ينحدرون من الدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) وهي نسبة باطلة وهذا زوراً وبهتاناً وأصلهم من الشيعة الروافض وبعضهم من المجوس ثم انتشر بعد ذلك في البلدان الإسلامية.
- وتجد هذا الأمر قد انتشر في أغلب البلدان الإسلامية وإن كان ولله الحمد لم ينتشر في بلاد الحرمين وبعض البلاد المجاورة لهم من بلاد الخليج وهذا بتأثير من الدعوة السلفية دعوة التوحيد التي انتشرت في الجزيرة العربية قديماً.
- فتجد في مصر البدوي والحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة وكثير في الصعيد وغير ذلك. وفي سوريا الجيلاني وغيره. وفي الأردن والعراق حدِّث ولا حرج وغيرهم من البلدان مثل بلاد المغرب. وكل هذه القبور التي أُتُخِذَت مساجد أو العكس.
- والحقيقة إن أكثر أهل العلم صرَّح بتحريم اتخاذ القبور مساجد أو العكس وقالوا إن هذا من الشرك. وبعضهم قال هذا مكروه والكراهة التي ذُكِرَت في بعض الكتب هي كراهة تحريم وهذا إحساناً بالظن بهم إن المقصود من الكراهة الكراهة التي هي دون التحريم وذلك لأن الأدلة والأحاديث جاء في التحريم متواترة على مسألة نهي النبي (ﷺ) اتخاذ القبور مساجد كما أتى المصنف (رحمه الله) ببعض هذه الأحاديث التي تدل على التحريم منها قوله (ﷺ): " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا

[1] قال ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى: "ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا أحد من أهل البيت ولا صالح أصلا بل عامة هذه المشاهد محدثة بعد ذلك. وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة الملبسون على المسلمين وفشت فيهم كلمة أهل البدع وذلك من دولة المقتدر في أواخر المائة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القداحية بأرض المغرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر"

قبور أنبيائهم مساجد" [1] وهذا كان في مرض موته (ﷺ) وقوله (ﷺ): " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد" [2] وقوله (ﷺ): "إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون القبور مساجد ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد فإنّي أنهاكم عن ذلك" [3].

- وهذه كلها أدلة صريحة ثابتة تدل على نهي النبي (ﷺ) عن اتخاذ القبور مساجد لأنها مدعاة للعبادة والله (ﷻ) يقول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] فأهل " إياك نعبد لا يمكن أن يعبدوا مع الله (ﷻ) شيء.
- واتخاذ القبور مساجد من صور الشرك لأن هذا تعظيم للقبر الذي يُسجد إليه ويكون في القبلة وتسجد إلى المقبور وكل ذلك نهى عنه (ﷺ) فما حدث في قوم نوح أنهم بدأوا أولاً في التصوير ثم عُبدوا في النهاية [4].

7- حكم الصلاة في المساجد التي فيها قبر (التوقيت: 12 دقيقة و22 ثانية)

- واختلف أهل العلم في مسألة معينة وهي الصلاة في المسجد الذي فيه القبر هل الصلاة فيه صحيحة أم باطلة. وقد اختلفوا على قولين:
  - أ. الصلاة باطلة ويجب أن تُعاد وهذا مذهب الإمام أحمد وابن حزم (رحمهما الله).
  - ب. الصلاة صحيحة تجزأ ولكنها مكروهة عند القبروهو قول الجمهور من الشافعية والمالكية والشافعي ومالك (رحمهم الله) وطائفة من أهل العلم وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) قال: "تصح مع التحريم" [5] والمقصود أنه يحرم عليه ذلك ولكن صحت الصلاة فهي صحيحة مع الإثم.
- العلماء متفقون على عدم جواز الصلاة في المسجد الذي فيه قبرولكن الاختلاف فيمن صلى هل صلاته صحيحة أم باطلة وهذا هو مبحثنا. فلو دخلت وأنت لا تعلم إن المسجد به قبر فلو قلنا باطلة فلابد أن تُعيد الصلاة ولو قلنا إنها صحيحة وتجزأ مع الكراهة فلا تُعيد الصلاة. ولو كنت تعلم عن المسجد به قبر فالعلماء يقولون لا تدخل لتصلي فإن صليت فبطلت عند الحنابلة ولم تبطل عند الجمهور وصحت وتأثم.
- فإن كان القبر داخل -إن صح أن نقول- حرم المسجد (والأصح أن نقول حدود المسجد) فهذا مسجد به قبر فلا تصح الصلاة فيه. وإذا كان القبر خارج حدود (سور) المسجد فلا إشكال في الصلاة فيه لأن القبر أصالة خارج حدود المسجد.
- وهناك قاعدة في الإسلام إنه لا يجتمع قبر ومسجد فلو بُنِيَ أحدهم فوق حِطام الآخر فالذي بُنِيَ آخراً يُهد. فإذا كان هناك قبر ثم أُزيل ثم بُنِيَ فوقه مسجد فيُهد المسجد. فإذا كان هناك مسجد ثم أُزيل ثم بُنِيَ فوقه قبر فيُرفع القبر.
- ولو كان هناك قبر بُنِيَ منذ زمن بعيد ثم أُزيل القبر وبعد فترة طويلة بُنِيَ فوقه مسجد مسجد فيُكشف عن الأرض فإذا كان أثر بناء المسجد مازال موجوداً فيُهد المسجد. أما إذا كان القبر ليس له أثر أو هناك أمكانية لنفل القبور فيُنقل.
- وقال (ﷺ): " لعن الله زوّارات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسُرُج" [6]. فأتى النهي في الحديث عن السُرُج وهي المصابيح وقالوا يجوز استخدام المصابيح إذا كنت ستدفن ليلاً ولكن لا تضع المصابيح والسُرُج لتنير القبورلأن هذا يكون من باب التعظيم للقبور فهذا وسيلة إلى الشرك. طبعاً يجوز إضاءة الشوارع الخارجية حول سور القبر ولكن القبور نفسها ليست مضاءة. فبعض العلماء قال بتحريم اتخاذ السُرُج وبعضهم قال بالكراهة ولكن لم يُجوِّز أحد مطلقاً وضع السُرُج على القبور فحتى من رخَّص قال للحاجة أو الضرورة مثل الدفن ليلاً وهذا واضح من فعل النبي (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم).

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والبخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية لمسلم.

2 أخرجه أحمد وأبو حاتم وابن حبان والبزار وابن أبي شيبة والنسائي وابن خزيمة والطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود (رضي الله عنه). والحديث قال عن إسناده شيخ الإسلام في "الاقتضاء": " إسناده جيد" وقال الهيثمي في "المجمع": "إسناده حسن" وقال أحمد شاكر في تحقيقه على "المسند": "إسناده صحيح". وحسَّن إسناده الألباني في "تحذير الساجد" و "أحكام الجنائز". والحديث له أصل أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود بدون زيادة " والذين يتخذون القبور مساجد ".

3 أخرجه مسلم عن جندب (رضي الله عنه).

4 أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: " كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين قال: " وكذلك في قراءة عبد الله: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[البقرة: 213] فَاخْتَلَفُوا ". وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية هذا الحديث وعزاه للبخاري في صحيحه ولفظه ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال: " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام" وعزاه في قصص الأنبياء بلفظه. وبعد البحث لم أجد الحديث في صحيح البخاري مع أن ابن كثير (رحمه الله) نفسه ذكر هذا الحديث في التفسير عند قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[البقرة: 213] وعزاه للحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد ذكره السيوطي في الإتقان وعزاه للحاكم فقط.

5 قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ": "وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من التشبيه باليهود واتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعيدة بعبدة الأصنام لو كان القبر في جانب القبلة وكراهة كونه في جانب القبلة أكثر من كراهة كونه يمينا أو يسارا وإن كان خلف المصلي فهو أخف من كل ذلك لكن لا يخلو عن كراهة ".

6 أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد وابن ماجة والحاكم عن حسان بن ثابت (رضي الله عنه). والحديث صحيح لغيره دون الزيادة: " والمتخذين عليها المساجد والسُرُج" كما قرره الألباني في تحذير الساجد وصحيح الجامع والضعيفة. وضعفه الإمام مسلم وغيره بهذه الزيادة وضعفه الألباني في الضعيفة وتحذير الساجد.

8- وجود قبر النبي (ﷺ) في المسجد النبوي (التوقيت: 22 دقيقة و18 ثانية)

- وهذا يجعلنا نتكلم عن مسألة وجود قبر النبي (ﷺ) في المسجد النبوي. فعندما تأتي تتكلم عن مسألة حرمة الصلاة في المسجد الذي فيه قبر يقول المسجد النبوي فيه قبر النبي (ﷺ) فيُشكل عليك بذلك.
- نقول الأصل اشتداد غضب الله (ﷻ) على مُتخذي القبور مساجد كما جاء في الأحاديث. فلابد أن نُوضَّح أن المسجد النبوي بُنِيَ أولاً وقبر النبي (ﷺ) كان أصلاً حجرة للنبي (ﷺ) وهي حجرة عائشة (رضي الله عنها) وإلى وقت خلافة الوليد بن عبد الملك لم تكن الغرف دخلت في المسجد. ولكن في وقت خلافة الوليد بن عبد الملك أراد أن يقوم بتوسيع فأراد أن يُدخل حجرات النبي (ﷺ) وقد نُصِحَ وقتها بألا يفعل ولكنه فعل فأدخل الحجرات داخل المسجد ولكن حَرِصَ كل الحرص هو وكل من توسَّع بعده على جعل المنطقة الجنوبية للحجرات لا تدخل في المسجد فكانت التوسعات دائماً بأتجاه الشمال وبهذا يظل القبر خارج المسجد بل هو مشطور شرطة معينة بحيث ألا يستطيع أحد عند قبره (ﷺ) أن يستقبل القبلة أو يُصلِّي فلم يتم التوسعة بعد القبر فهو لم يدخل في المسجد مطلقاً.

مخطط المسجد النبوي

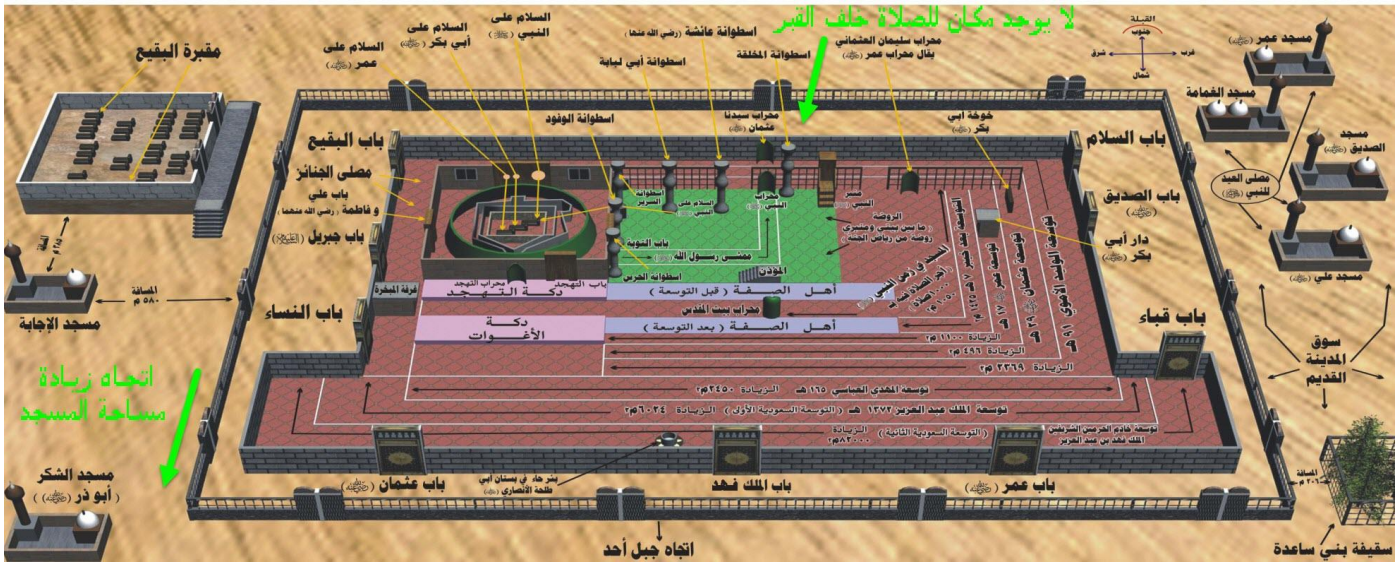
لا يوجد مكان للصلاة خلف القبر
مقبرة البقيع
السلام على عمر (رضي الله عنه)
السلام على أبي بكر (رضي الله عنه)
السلام على النبي (ﷺ)
اسطوانة عائشة (رضي الله عنها)
اسطوانة أبي لبابة
اسطوانة المخلقة
محراب سليمان العثماني
بدل محراب عمر (رضي الله عنه)
مسجد عمر (رضي الله عنه)
مسجد الغمامة
مسجد الصديق (رضي الله عنه)
مصلى العيد للنبي (ﷺ)
مسجد علي (رضي الله عنه)
اسطوانة الوفود
محراب سيدنا عثمان (رضي الله عنه)
خوخة أبي بكر (رضي الله عنه)
باب البقيع
مصلى الجنائز
باب علي و فاطمة (رضي الله عنهما)
باب جبريل (عليه السلام)
باب السلام
باب الصديق (رضي الله عنه)
دار أبي بكر (رضي الله عنه)
باب النساء
باب قباء
مسجد الإجابة
المسافة ٥٨٠ م
أهل الصفة (قبل التوسعة)
أهل الصفة (بعد التوسعة)
دكة الأغوات
سوق المدينة القديم
اتجاه زيادة مساحة المسجد
مسجد الشكر (أبو ذر (رضي الله عنه))
باب عثمان (رضي الله عنه)
باب الملك فهد
باب عمر (رضي الله عنه)
سقيفة بني ساعدة
اتجاه جبل أحد

- الخلاصة إن المسجد بُنِيَ أولاً فلم يتم اتخاذ المسجد على القبر وأيضاً لم يتم ذلك في زمن النبي (ﷺ) وأيضاً هو ليس في المسجد فأنت لو كنت هناك لن تستطيع أن تُصلِّي في اتجاه القبر.
- وهذه التوسعة في وقت خلافة الوليد بن عبد الملك كانت بعد وفاة كل أصحاب النبي (ﷺ) فلم يشهدها أحد من الصحابة (رضي الله عنهم) [1].
- وعامة فعل الوليد بن عبد الملك ليس حجَّة وخصوصاً إنه خالف صحيح حديث النبي (ﷺ) التي ذكرها المصنف (رحمه الله). وقال لي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لأبي الهياج الأسدي: " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ﷺ)؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته" [2] فمسألة القبور جاءت من قوله وفعله (ﷺ). فمن فعله (ﷺ) أنه جعل علي (رضي الله عنه) لا يجعل القبر يرتفع عن الأرض حتى لا يُصلَّى عنده. وقوله (ﷺ): " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [3] فسَّرته عائشة (رضي الله عنها) وابن عباس (رضي الله عنهما) بقولهما: " يحذر ما صنعوا" كما في رواية البخاري والمقصود ألا يفعل مثلهم المسلمون فيتأخذوا قبره (ﷺ) مسجداً فيؤدي ذلك إلى وقوعهم في الشرك.

---

1 الوليد بن عبد الملك بدأ التوسعة عام 88 هـ وانتهى منها عام 91 هـ في حين إن آخر صحابي توفي من أصحاب رسول الله (ﷺ) هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ويُقال الكناني (رضي الله عنه) توفي سنة 102 هـ وقيل 110 هـ بمكة المكرمة. فهذه التوسعة كانت في آخر عهد الصحابة (رضي الله عنهم).

2 أخرجه مسلم عن علي (رضي الله عنه).

3 راجع تخريجه في الصفحة السابقة.

9- شد الرحال لقبر النبي (ﷺ) (التوقيت: 27 دقيقة و02 ثانية)

- ولابد أن نفرّق بين من يشد الرحال للمسجد النبوي ومن كان في المدينة فيذهب لزيارة قبر النبي (ﷺ). فهناك كثير من الناس من يخطئون أنه يجوز شد الرحال لزيارة قبر النبي (ﷺ) ولكن شد الرحال يكون للمسجد النبوي لقوله (ﷺ): " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة **مساجد**: المسجد الحرام ومسجد الرسول (ﷺ) ومسجد الأقصى" [1]. فالأصل أنك تذهب لزيارة المسجد النبوي لعِظَم ثواب الصلاة فيه كما قال (ﷺ): " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" [2] ولا تشد الرحال لزيارة قبره (ﷺ).

10- آداب زيارة قبر النبي (ﷺ) (التوقيت: 27 دقيقة و42 ثانية)

- هناك آداب لزيارة قبر النبي (ﷺ) كما في زيارة القبور الأخرى. فعندما تذهب إلى القبر تقول الدعاء المأثور عند الذهاب إلى القبور وهو قوله (ﷺ): " السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون" [3].
- ولا يصح أن تذهب لتدعو النبي (ﷺ) ولا تذهب لتدعو عند القبر فهذا لم يرد عن الصحابة (رضي الله عنهم) وفعل ذلك (دعاء النبي (ﷺ) او الدعاء عند القبر) إما أن يكون شركاً أصغر أو محرماً كما ذكرنا في الدعاء عند القبور.
- والدعاء لايصح سواء كنت مستقبلاً القبر أو مستدبره فليس هناك ميزة عند قبر النبي (ﷺ) فتحري الدعاء عند القبور ذريعة إلى الشرك فهو ليس بشرك.
- ومنع الدعاء عند القبور من باب سد الذرائع فالذين فُتِنُوا بعبادة القبور كانت بدايته أنه يذهب إلى القبر ليدعو عنده فهذا المكان مبارك فلم يفعل الشرك في أول مرة فيُفتن إذا أُجيب له الدعاء فيُظن ببركة الدعاء ثم يذهب ليدعو بعد ذلك المقبور.

11- زيارة النساء للقبور (التوقيت: 29 دقيقة و46 ثانية)

- أتى المصنف (رحمه الله) بموضوع زيارة النساء للقبور عندما ذكر قوله (ﷺ): " لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" [4].
- مسألة زيارة النساء للقبور فيها خلاف بين أهل العلم فبعض أهل العلم جعلها على الأحكام الخمسة (واجب ومحرم ومندوب ومكروه ومستحب) ولكننا نلخص المسألة على ثلاثة أقوال:
  أ. التحريم مطلقاً
  ب. الجواز
  ج. الكراهة
- أما القول الأول ممن قالوا بالتحريم مطلقاً استدلوا ذكر قوله (ﷺ): " لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج" وحديث آخر " لعن الله زائرات القبور" [5]. والحق أن حديث " لعن الله زائرات القبور" فيه ضعف وإن اختلف

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (لا تُشدُّ الرحال) لا يسافر بقصد العبادة والصلاة فيها والرحال جمع رحل وهو للبعير كالسرج للفرس وشده كناية عن السفر.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

3 أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها). وفي رواية أخرى عند مسلم عن بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة: " السلام عليكم أهل الديار (وفي طريق زهير بن حرب (رضي الله عنه): السلام على أهل الديار) من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية"

4 الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وأخرجه ابن ماجه (1575) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ولفظه: " لعن رسول الله (ﷺ) زوَّارات القبور" وعند الجميع هو من رواية أبي صالح باذان عن ابن عباس وقد قال عنه الحافظ في التقريب: "ضعيف مدلس". وقد اشتمل الحديث على ثلاث جُمل:
الأولى: " لعن زائرات القبور" وفي لفظ ابن ماجه: "زوَّارات" وهو بلفظ: "لعن الله زوَّارات القبور" عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عند أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح" ولفظ "زوَّارات" فيه للنسبة لا للمبالغة والمعنى: ذوات زيارة نظير قوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: 46] أي: ليس بذي ظلم.
الثانية: " والمتخذين عليها المساجد " وقد تواترت بذلك الأحاديث وقد ذكر المصنف جملة منها.
الثالثة: " والسرج " وقد جاء من هذه الطريق الضعيفة عن ابن عباس لكن يدلُّ لتحريم ذلك عموم قوله (ﷺ): "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" وقوله (ﷺ): "وكلُّ بدعة ضلالة". راجع كلام الألباني في الحديث في تحذير الساجد وصحيح الجامع والضعيفة.

5 راجع تخريجه في رقم (4) في نفس الصفحة هنا.

أهل العلم في تصحيحه ولكنه يُعضض حديث " لعن الله زوَّارات القبور. وقول أم عطية (رضي الله عنها): " نُهينا عن اتباع الجنائز ولم يُعزم علينا " [1]. وقد ورد النهي في الحديث عن اتباع الجنائز تصريحاً للنساء فمن باب أولى النهي عن زيارة القبور فاتباع الجنازة أن تسير خلف الجنازة وليس المقصود عدم صلاتها على الميت فلها أن تذهب للمسجد وتصلي الجنازة. ورد على من فهم من قول أم عطية (رضي الله عنها): " ولم يُعزم علينا " أنه لم يتأكد النهي علينا فقالوا إن هذا ظن أم عطية أو أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يؤكد النهي فهذا لا ينفي التحريم.

- القول الثاني قالوا بالكراهة دون التحريم وهذه رواية عن الإمام أحمد.
- القول الثالث الجواز ولكن قيدوها بإذا أُمنت الفتنة فإن لم تؤمن الفتنة مُنِعَ مطلقاً وهذا هو قول الجمهور من الشافعية وغيرهم. واستدلوا بعموم قوله (صلى الله عليه وسلم): " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها" [2] وهذا يشمل الرجال والنساء فالأصل أنه لا فرق بينهما في الأحكام إلا أن يأتي الدليل بالتخصيص. وثبت عن عائشة (رضي الله عنها) أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن (رضي الله عنه) وقالت: " لو شهدتك ما زرتك" [3]. وحديث آخر عن عبد الله ابن أبي مليكة قال: " أن عائشة (رضي الله عنها) أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: " يا أم المؤمنين أليس نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن زيارة القبور؟" قالت: " نعم نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها" [4]. وكذلك من قول أم عطية (رضي الله عنها): " ولم يُعزم علينا". وحملوا حديث " زوَّارات القبور" على كثرة زيارة النساء للمقابر.
- المسألة فيها خلاف عريض لكن أرى عن التحريم هو الأولى كما في القول الأول لأن هناك حديث اللعن " لعن الله زوَّارات القبور". بعضهم قال " زوَّارات القبور" تدل على الكثرة فنرد عليهم ما هو ضابط الكثرة؟. فالشرع يأتي منضبطاً فكيف نضبط مسألة الكثرة؟ فهل نقول يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً. ويعضض هذا الحديث وإن كان فيه ضعف " لعن الله زائرات القبور" ولكنه يعضض المعنى بأن المقصود زيارة القبور. وورد النهي في الحديث عن اتباع الجنائز تصريحاً للنساء فمن باب أولى النهي عن زيارة القبور. وثالثاً إنه قد يؤدي إلى مفاسد مثل الاختلاط بين الرجال والنساء. وكذلك مسألة سد الذريعة فالنساء يحملون كثير من العاطفة وقد لا تستطيع أن تتمالك فيؤدي ذلك إلى وقوعها في النياحة وغير ذلك. وحتى الجمهور الذين قالوا بالجواز إذا أمِنَت الفتنة ولكن إذا لم تُؤمن الفتنة فقد رجعوا إلى النهي والفتنة لا تؤمن على الرجال فما بال النساء؟. ولابد أن تنتبه النساء إن المسألة فيها لعن فهي مسألة ليست هيّنة.

12- أقسام الناس في زيارة القبور (التوقيت: 35 دقيقة و40 ثانية)

والناس في هذا الباب – أعني زيارة القبور – على ثلاثة أقسام :

– قوم يزورون الموتى فيدعون لهم . وهذه هي الزيارة الشرعية

– وقوم يزورونهم يدعون بهم وهؤلاء هم المشركون وجهلة العوام والطَّغَام من غلاتهم

– وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم وقد قال النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد »(١) وقد حمى النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقًا لقوله تعالىٰ:

(١) في المطبوع بعد الحديث : « وهؤلاء هم المشركون في الربوبية ».

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أم عطية (رضي الله عنها).

2 أخرجه مسلم عن بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه). (نهيتكم عن زيارة القبور) هذا الحديث مما صرح فيه بالناسخ والنسوخ جميعا قال العلماء يعرف نسخ الحديث تارة بنص كهذا وتارة بإخبار الصحابي ككان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وتارة بالتاريخ إذا تعذر الجمع وتارة بالإجماع كقتل شارب الخمر في المرة الرابعة والإجماع لا ينسخ لكن يدل على وجود ناسخ.

3 أخرجه الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) وفيه عنعنة ابن جريج وهو مدلس كما في "الجنائز" للألباني وراجع ضعيف الترمذي للألباني.

4 أخرجه الحاكم والبيهقي عن عائشة (رضي الله عنها). وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي: " صحيح". وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: "رواه ابن أبي الدنيا في القبور والحاكم بإسناد جيد". وروى الأثرم في "سننه" والبيهقي عن عبد الله بن أبي مليكة: " أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها: " يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟" قالت: " من قبر أخي عبد الرحمن". فقلت لها:" أليس كان نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن زيارة القبور؟" قالت: " نعم كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها".

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد ﴾ حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعة إلى التشبه بعبّاد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد ﷺ الذريعة بأن مَنَعَ الصلاة من بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين الذين يسجد المشركون فيها للشمس

- قال المصنف (رحمه الله): " والنّاس في هذا الباب أعني زيارة القبور على ثلاثة أقسام: قوم يزورون الموتى فيدعون لهم. وهذه هي الزّيارة الشرعيّة وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون في الألوهيّة والمحبّة وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم وقد قال النبي (ﷺ): "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد" وهؤلاء هم المشركون في الربوبيّة".
- أراد المصنف (رحمه الله) أن يُكمل مسألة القبور وبيَّن إن أقسام الناس في زيارة القبور على ثلاثة أقسام:
  أ. قوم يزورون الموتى فيدعون للموتى
  ب. قوم يزورون الموتى فيدعون بالموتى كأن يقول للميت أدعو الله (عز وجل) لي.
  ج. قوم يزورون الموتى فيدعون الموتى فيقول يا فلان إغفر لي أو يا فلان إرزقني المال أو الولد أو يا فلان أرفع عني المرض والهم والحزن.
- هناك صنف رابع لم يذكره المصنف (رحمه الله) هو أن تدعو الله (عز وجل) عند القبر. والمهم النوع الذي فيه شرك لأنه هو مبحثنا في الكتاب كما سنوضح.
- فالشرك هو الصنف الثالث وهو أن تذهب للميت فتدعو الميت نفسه كما بيَّن الله (عز وجل) في قوله (سبحانه وتعالى): **﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾**[الأحقاف: 5-6] وقوله (سبحانه وتعالى): **﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾**[فاطر: 13-14] وهذه الآية فيها أربع مقامات لمن يدعو الميت كما سيأتي. والقطمير هو أحقر شيء وهو الغلاف الذي يكون على أحقر الأمور [1] فالمقام الأول انه حتى الغلاف على أحقر الأشياء لا يملكه فكيف تدعونه من دون الله (عز وجل). والمقام الثاني أنكم إن تدعوهم لا يسمعوا هذا الدعاء فهؤلاء المقبورين والموتى لا يسمعون كما في قوله (سبحانه وتعالى): **﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾**[فاطر: 22]. والمقام الثالث إنهم حتى لو كانوا يسمعون لا يستجيبوا لكم فهو ميت ليس عنده القدرة الإجابة. والمقام الرابع والأخير إنهم يوم القيامة يتبرَّؤن منكم ومن أفعالكم كما في قوله (سبحانه وتعالى): **﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾**[القصص: 63].
- وقد أتفق أهل العلم على أن الصنف الثالث فعله شرك أكبر مخرج من الملة.
- هذه الأقسام التي ذكرها المصنف (رحمه الله) ذكرها من قبله ابن تيمية وابن القيم (رحمهما الله) وغيرهم من أهل العلم.
- فالصنف الأول هو الزيارة الشريعة للمقابر وهو إنهم يزورون الموتى فيدعون لهم. والزيارة الشرعية لها ثلاث مقاصد:
  أ. أن تذهب للتذكرة والاتعاظ للآخرة (أولاً تبدأ بالفائدة لنفسك).
  ب. أن تذهب لتدعو للميت (ثانياً تبحث عن الفائدة لغيرك).
  ج. أن يُحسن الزائر إلى نفسه باتباعه للسنة. فزيارة القبور سنه كما ذكرنا في " نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها" [2]. فأنت عندما تزورها تأخذ أجر.
- ولابد أن ننبه على إن الزيارة المحرمة وهي التي تتضمن منكرات أو أشياء محرمة أو بدعة شركية أو غير شركية قد اتفق

---

[1] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير القطمير: "قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفي والحسن وقتادة وغيرهم: القطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة أي: لا يملكون من السموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير".

[2] راجع تخريجه في الصفحة السابقة رقم (2).

أهل العلم على أنها لا تجوز وبعض أهل العلم وضعها تحت الشرك وبعضهم جعلها بدعة على حسب الفعل نفسه.

- الصنف الرابع وهو أن تدعو الله (ﷻ) عند القبر ظناً منه إن هذا المكان فيه بركة فهذه بدعة لأنه أتخذ وسيلة غير مشروعة في الدعاء.
- الصنف الثاني وهو المشكلة وهو أن تذهب للميت وتقول أدعو الله (ﷻ) لي. فبعض أهل العلم قالوا هذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن هذا لا يختلف كثيراً عما كان يفعله المشركون من إتخاذهم الأصنام زلفى لتقربهم إلى الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ): ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر: 3] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر: 13-14] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[المؤمنون: 117] فهؤلاء اعتبروا هذا من دعاء الميت نفسه والحق إن هذه الأدلة عامة تصح في الصنف الأول الذي يدعو الميت نفسه.
- أما شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) خالف أصحاب هذا الرأي وقال إن هذه الحالة ليست من الشرك الأكبر ولكنها بدعة محرمة لأن الداعي لم يطلب من الميت نفسه ولم يطلب من الميت الفعل. فردَّ عليه أصحاب الرأي الأول أنه طلب من الميت أن يدعو الله (ﷻ) وهو لا يستطيع ذلك. فردَّ عليهم ابن تيمية (رحمه الله) بأنه فعل ذلك بتأويل لأن بعض الفرق تُنازع في مسألة سماع الموتى فالصحيح إن الميت لا يسمع إلا في الحالات الخاصة التي جاءت في الأدلة كما في قليب بدر فعن بن عمر (رضي الله عنهما) قال: " اطلع النبي (ﷺ) على أهل القليب فقال: " وجدتم ما وعد ربكم حقا؟" فقيل له: " تدعو أمواتا؟" فقال: " ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون" [1] ولكن الأصل قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾[فاطر: 22].
- وهناك زيارة مباحة وهي أن تزور قريبك الميت الكافر فلك أن تزوره ولكن ليس لك أن تدعو له كما زار النبي (ﷺ) قبر أمه وهي كافرة وهذا من باب رقة القلب على أمه (ﷺ) [2].
- والدليل على أنها ماتت كافرة هو أن نُهِيَ أن يستغفر لها [3] وكذلك الحديث عن أنس أن رجلاً قال: " يا رسول الله أين أبي؟" قال: " في النار" فلما قفى دعاه فقال: " إن أبي وأباك في النار" [4]. فعند أهل السنة لا خلاف إن أبي النبي (ﷺ) كافران أما بعض الطوائف المبتدعة فعندهم أنهما ليسا بكافرين. ومن الكذب أن يقول أحدهم إن النبي (ﷺ) كان يحزن لقراءة سورة المسد لأن السورة فيها عمه وهو قرآن يتلى إلى يوم القيامة!!.
- ونبين بعد ذلك بعض البدع عند زيارة القبور فمنها: قراءة القرآن عند القبر لأن قراءة القرآن عبادة والأصل إن العبادة توقيفية ولم يأتي دليل بجواز قراءة القرآن عند المقابر. والنبي (ﷺ) زار القبر أكثر من مرة والصحابة (رضي الله عنهم) ذهبوا لزيارة القبور أكثر من مرة ولم يرد إن أحدهم قرأ القرآن عند المقابر. يجوز أن تتلى آيات في أثناء الموعظة التي تكون عند القبر كما سيأتي في مسألة الموعظة. والدليل على ذلك قوله " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" [5]. والمقصود من " لا تجعلوا بيوتكم قبورا " أي لا تجعلوها مثل القبور التي لا يُصلَّى ولا يُقرأ القرآن عندها. وهذه العبادة توقيفية وقد قال النبي (ﷺ): " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [6].
- أما الوعظ (الخطبة) عند القبور ففيها خلاف بين أهل العلم هل هي سنة أم لا. والحق أنها لم تحدث إلا مرة واحدة فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: " كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي (ﷺ) فقعد وقعدنا حوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له فقال: "أعوذ بالله من عذاب القبر" ثلاث مرات ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: " يا أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان" قال: " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. (القليب) يعني قليب بدر وهو حفرة رميت فيها جيف كفار قريش المقتولين ببدر وفسر بالبئر العادية القديمة.

2 أخرج مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " زار النبي (ﷺ) قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: " استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت"

3 راجع الحديث في رقم (2).

4 أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه). (فلما قفى) قال في النهاية أي ذهب موليا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره

5 أخرجه أبو داود وأحمد عن أبي هريرة (رضي الله عنه). قال ابن تيمية:" وهذا إسناد حسن ورواته ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه صاحب مالك فيه لين لا يقدح بحديثه". وصححه النووي في الأذكار وحسنه ابن عبد الهادي كما في قرة عيون الموحدين.

6 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم.

ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض" قال: " فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: " ما هذه الروح الطيبة؟" فيقولون: " فلان ابن فلان" بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله فيقول الله (ﷻ): " اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى" قال: " فتُعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: " من ربك؟" فيقول: " ربي الله" فيقولان له: " ما دينك؟" فيقول: " ديني الإسلام" فيقولان له: " ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟" فيقول: " هو رسول الله" فيقولان له: " ما علمك؟" فيقول: " قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت" فينادي مناد من السماء: " أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة" قال: " فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال: " ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: " أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد" فيقول له: " من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير" فيقول: " أنا عملك الصالح" فيقول: " يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي" قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: " أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب" قال: " فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: "ما هذا الروح الخبيث؟" فيقولون: " فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له" ثم قرأ رسول الله (ﷺ): ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[الأعراف: 40] فيقول الله (ﷻ): " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا" ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: 31] فتُعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: " من ربك؟" فيقول: " هاه هاه لا أدري" فيقولان له: " ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟" فيقول: " هاه هاه لا أدري" فينادي مناد من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: " أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت تُوعد" فيقول: " من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟" فيقول: "أنا عملك الخبيث" فيقول: " رب لا تُقم الساعة" [1].

- والصحيح إنها ليست بسنة فبعض أهل العلم منعوا الخطبة عند القبر وبعضهم قال هي قد تكون سنة وقد لا تكون سنة بمعنى إنها إن فُعِلَت مرة أو مرتين فلا بأس ولكن لا تُفعل على الدوام حتى لا يُظن إنها سنة مؤكدة. وبعضهم قيدها وقال لا يفعلها إلا من كان من أهل العلم من العلماء وطلبة العلم والدعاة الذي إذا خطب يلتف حوله الناس كما كان النبي (ﷺ).
- وللأسف أصبحت هناك قناعة عند كثير من الناس إن الخطبة واجبة بعد دفن الميت في حين هم يتركون الأصل وهو قوله (ﷺ): "استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل" [2]. فحق الميت أن يُدعى له لا أن يُخطب عند قبره فهو يحتاج إلى الدعاء لأنه في ذلك الوقت يُسأل في قبره.
- وقال عمرو بن العاص (رضي الله عنه): "إذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا عليَّ التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي" [3]. وقدر ما تنحر جزور هو حوالي ثلث ساعة.

13- الأوقات المنهى عن الصلاة فيها (التوقيت: 57 دقيقة و20 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " وقد حمى النبيّ (ﷺ) جانب التّوحيد أعظم حماية تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] حتى نهى عن الصّلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعةً إلى التّشبيه بعبّاد الشّمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذّريعة بأن منع من الصّلاة بعد العصر والصّبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشّمس".

---

1 أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه الحاكم وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحيهما وابن حبان عن البراء بن عازب (رضي الله عنه). قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي" ووافقه الذهبي وقد أطال الإمام الحافظ ابن القيم القول في تصحيحه والرد على من أعلّه في تهذيب السنن.

2 أخرجه الإمام أبو داود والحاكم عن عثمان (رضي الله عنه). قال الحاكم:" صحيح ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

3 أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه). (فشنُّوا عليَّ التراب) ضبطناه بالسين المهملة وبالمعجمة وكذا قال القاضي إنه بالمعجمة والمهملة قال وهو الصب وقيل بالمهملة الصب في سهولة وبالمعجمة التفريق (جزور) الجزور هي الناقة التي تنحر وهي الجمل.

- هذه العبارة منقولة عن ابن القيم (رحمه الله) ولكن لابد أن تُعدَّل كلمة الصلاة إلى صلاة التطوع كما قال ابن القيم (رحمه الله) فالنهي ليس على عموم الصلاة في هذه الأوقات.
- وأوقات النهي عن الصلاة نُقسمها لخمس:

1. بعد العصر إلى أن تصفر الشمس.
2. بعد إصفرار الشمس إلى غروب الشمس.
3. من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس.
4. وقت طلوع الشمس.
5. قُبيلَ صلاة الظهر قبل زوال الشمس (حوالي عشر دقائق قبل الأذان).

- وهذه الأوقات الخمس لا يجوز فيها صلاة التطوع ابتداءاً. وسبب ذلك حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): " إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب" [1]
- وحديث عقبة بن عامر (رضي الله عنه): " ثلاث ساعات كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب" [2].
- وحديث عمرو بن عبسة (رضي الله عنه): " يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة" قال: " صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار" [3].
- فحديث عمرو بن عبسة (رضي الله عنه) بيَّن سبب النهي عن هذه الأوقات وهو عدم التشبه بأهل الكفر لأن الكفار يسجدون للشيطان عند شروق الشمس وعند غروبها. وهذا أصل من أصول الشريعة أن أي شيء فيه تشبه بأهل الكفر نهى عنه الشارع (سبحانه وتعالى) وهذا حفظاً لجناب التوحيد فقد يظن ضعاف الإيمان أنه لا فرق بين صلاة المسلمين وصلاة الكفار فكأنه لا فرق بين الإيمان والكفر.
- ومسألة جواز الصلاة في الأوقات التي ذكرها المصنف (رحمه الله) على عدة أقوال عند أهل العلم:

أ. من أجاز أجاز الصلوات ذوات الأسباب فقط فأي صلاة لها سبب يجوز أدائها في أوقات النهي وهي:

1- قضاء فوائت فالصلاة الفائتة مثل إنك قمت بعد أذان الفجر أو قمت قبل الشروق بدقائق ولم تستطع أن تُدرك الجماعة فترجع إلى حديث النبي: " من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها " [4]
2- صلاة تطوع ذات سبب يجوز صلاتها في هذه الأوقات وقالوا من ذلك السنن الراتبة فعن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: " سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) ينهى عنها ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم دخل علي وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلت إليه الجارية فقلت: " قومي بجنبه فقولي له: " تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما فإن أشار بيده فاستأخري عنه" ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه فلما انصرف قال: " يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان" [5] فالنبي (صلى الله عليه وسلم) قضى هذه السنة الراتبة بعد صلاة العصر. وكذلك حديث قيس بن عمرو (رضي الله عنه) قال: " رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلا يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " أصلاة الصبح مرتين؟" فقال له الرجل: " إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلها فصليتهما". قال: " فسكت النبي (صلى الله عليه وسلم)" [6]. وبعضهم قال تُصلَّى بعد الضحى لكن الصحيح أنه لو صلاها بعد الصبح فلا بأس.

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (تبرز) تظهر (تحينوا) من التحين وهو طلب وقت معلوم.

2 أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه). (حين يقوم قائم الظهيرة) الظهيرة حال استواء الشمس ومعناه حين لا يبقى للقائم في الظهيرة ظل في المشرق ولا في المغرب أي قبل الظهر بعشر دقائق (تضيف) أي تميل والمقصود بعد العصر.

3 أخرجه مسلم عن عمرو بن عبسة (رضي الله عنه). (يستقل الظل بالرمح) أي قبل الظهر بعشر دقائق

4 أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه). وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14] "

5 أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة (رضي الله عنها). (بني حرام) بطن من الأنصار (أبي أمية) هو والد أم سلمة (رضي الله عنها) واسمه سهيل أو حذيفة بن المغيرة المخزومي.

6 أخرجه ابن ماجة وأحمد وأبي داود والبيهقي والطبراني والترمذي والدارقطني عن قيس بن عمرو (رضي الله عنه). وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

3- الصلوات المقصودة لذاتها مثل ركعتى الطواف فلو مثلاً صليت الفجر ثم طفت وأردت أن تصلي ركعتي الطواف فتصليهما حتى في وقت النهي. وكذلك تحية المسجد لقوله (ﷺ): " إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" [1]. وهاتان الركعتان فيهما خلاف ولكن الراجح أن تصليهما. وكذلك ركعتي الاستخارة وسنة الوضوء

ب. منع كل الصلوات في هذه الأوقات الخمس حتى الصلوات ذوات الأسباب التي تكلمنا عنها ومنهم مالك وأبو حنيفة (رَحِمَهُمُ اللهُ) ورواية عن أحمد (رَحِمَهُ اللهُ).

ج. وهنا أقوال أخرى ولكن أهمهم القولين السابقين.

- والصحيح القول الأول لأن الأدلة جاءت تدل عليه فالنبي (ﷺ) صلى بعد العصر وأجاز للصحابي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أن يصلي يعد الفجر فكل هذه أدلة على صحة القول الأول وهو جواز الصلوات ذات الأسباب في وقت النهي.

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي قتادة (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

الشريط التاسع

الشرك في السجود والتشريك في المشيئة وبيان معنى العبادة والشرك في الإرادات والنيات

الشريط التاسع الشرك في السجود والتشريك في المشيئة وبيان معنى العبادة والشرك في الإرادات والنيات

محتويات الشريط التاسع

1- الشرك في السجود والحَلِف بغير الله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و14 ثانية) 1

2- التشريك في المشيئة (التوقيت: 19 دقيقة و01 ثانية) 4

1- بيان لمعنى العبادة (التوقيت: 33 دقيقة و37 ثانية) 7

2- الشرك في الإرادات والنيات (التوقيت: 48 دقيقة و28 ثانية)..... 9

1- الشرك فى السجود والحَلِف بغير الله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و14 ثانية)

وأما السجود لغير الله فقال عليه الصلاة والسلام :« لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا الله» ولا «ينبغي» في كلام الله ورسوله إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدا﴾ [مريم:٩٢] ، وقوله تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[يس: من الآية٦٩] وقوله تعالى :﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ،وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾[الشعراء: من الآية٢١٠و٢١١] وقوله تعالى :﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾[الفرقان: من الآية١٨].

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال :« من حلف بغير فقد أشرك » صححه الحاكم وابن حبان

قال ابن حبان أخبرنا الحسن بن سفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن الحسن بن عبيد الله النخعي عن سعد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر: وحيك ! لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله تعالىٰ فقد أشرك ».

- قال المصنف (رحمه الله): " وأمّا السّجود لغير الله فقد قال عليه الصّلاة والسّلام: " لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلاّ لله". و" لا ينبغي" في كلام الله ورسوله (ﷺ) إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[مريم: 92] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[يس: 69] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[الشعراء: 211] وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾[الفرقان: 18] . ومن

الشريط التاسع الشرك في السجود والتشريك في المشيئة وبيان معنى العبادة والشرك في الإرادات والنيات

الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5]. الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه (ﷺ) أنه قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك" صحّحه الحاكم وابن حبّان. قال ابن حبّان: أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي ثنا عبد الرّحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعي عن سعيد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر (رضي الله عنهما) فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر (رضي الله عنهما): " ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك ".

- أكمل المصنف (رحمه الله) بعض صور الشرك التي بدأها في مسألة القبور واتخاذ القبور مساجد والصلاة عندها وكل هذا من باب صور الشرك في الإلوهية والعبادة. أيضاً أتى بصورة أخرى من صور الشرك في العبادة وهي حكم السجود لغير الله (عز وجل).
- وبيَّن المصنف (رحمه الله) أنه لا ينبغي لأحد أن يسجد لغير الله (عز وجل) كما في قوله (ﷺ): " لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله" [1].
- والسجود أولاً هو عبادة وأي فعل ثبت بالشرع أنه عبادة فصرفه لله (عز وجل) توحيداً وصرفه لغير الله (عز وجل) شرك. والسجود جاء من هيئات الصلاة التي أُمِرَ المسلم بفعلها لله (عز وجل) وكذلك الركوع والقيام. ومن الأدلة على أن السجود عبادة قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الحج: 77] وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[العلق: 19] وغيره من الأدلة التي تدل على أن السجود جزئاً من عبادة الصلاة أو خارج الصلاة مثل سجود التلاوة وسجود الشكر.
- فصرف عبادة السجود يكون شركاً ولكن المسألة فيها تفصيل. فالسجود قد يكون شركاً وقد يكون محرماً. فسجود العبادة الذي فيه تعظيم والذي لا يكون إلا لله (عز وجل) كالسجود تعظيماً للصنم أو للولي أو الشيخ أو صاحب الطريقة أو يسجد عند القبر فهذا لا يكون إلا شركاً لأن الأصل إن هذا التعظيم ألا يُصرف إلا لله (عز وجل). أما إذا كان السجود للتحية كما في حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه) إنه جاء مرة للنبي (ﷺ) فسجد له فقال له: "ما هذا يا معاذ؟ " فقال: " يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم". فقال:" يا معاذ إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَمِ حقه عليها" [2]. فبيَّن (ﷺ) إن هذا السجود منهي عنه ولكنه لم يصل لدرجة الشرك لأن ليس فيه التعظيم للمسجود له. والتحية المشروعة عند المسلمين هي السلام وهي أن تقول: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" والتحية للأموات في الدعاء الذي علمه لنا النبي (ﷺ): " السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون" [3].
- وكذلك أتى النهي في الحديث " لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله" [4] وهذا الحديث فيه كلام في سند رواته وإن كان الحاكم صححه بألفاظ أخرى مثل " لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر" [5]. المهم إن المصنف (رحمه الله) أراد أن يقول إن كلمة " لا ينبغي" إذا جاءت في آية أو حديث فهي تدل على غاية الامتناع ولهذا عندما أراد الله (عز وجل) أن يُنكر على النصارى الذين نسبوا الولد لله (عز وجل) فقال (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[مريم: 92] فغاية الامتناع أن يكون للرحمن ولداً. وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[يس: 69] فيمتنع على النبي (ﷺ) أن يكون من الشعراء وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[الشعراء: 210-211] فيمتنع على الشيطان أن يكونوا قد أتوا بالقرآن وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾[الفرقان: 18].
- فكلمه " ما ينبغي" لغة وشرعاً المقصود بها غاية الامتناع في حق ما ذُكِرَ فيه. فيمتنع غاية الامتناع أن يسجد المرء لأحد إلا

---

1 ذكره السيوطي في " الدر المنثور" قال: " وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: " بلغني أن رجلا قال: " يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟" قال: " لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: 79-80]. قال المناوي في " الفتح السماوي": " قال الحافظ ابن حجر: " لم أجد له إسنادا". ونقله الواحدي في " الأسباب" عن الحسن البصري وكذا أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عنه. ولكن هناك حديث معاذ الصحيح عن منع السجود للنبي (ﷺ) في المحاضرة السابعة رقم (5) صـ 6 وسيأتي قريباً.

2 راجع المحاضرة السابعة رقم (5) صـ 6.

3 راجع المحاضرة الثامنة رقم (3) صـ 5.

4 سبق تخريجه في هذه الصفحة.

5 أخرج أحمد والنسائي والهيثمي في " مجمع الزوائد" عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: " قال رسول الله (ﷺ): " لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها". وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد": " رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخي أنس وهو ثقة ووافقه الألباني في " إرواء الغليل".

لله (ﷻ).

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) صورة أخرى من صور الشرك وهي حكم الحلف بغير الله (ﷻ). وكما ذكرنا من قبل إن كل شرك يُباين قوله (ﷻ): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] إما أن يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر. فإن كان من الشرك الأكبر فقد باين وناقض التوحيد بالكليَّة وأما إذا كان شركاً أصغر فهو يناقض جزءاً من التوحيد أو يُباين كمال التوحيد وهذا يرجع إلى الفعل أو العمل أو العبادة التي يُنظر إليها.
- فالحلف باللات والعزى أو الأصنام كما كان يحلف مشركي العرب سابقاً أو من حلف بالولي كالجويني أو الجيلاني أو البدوي أو السيدة زينب وغيرهم سواءاً كانوا أولياء أحياء أو أموات أو حلف بالمقبورين الميتين حتى لو حلف بالنبي (ﷺ) فهذا شرك أكبر لقوله (ﷺ): " من حلف بغير الله فقد أشرك" [1] وهذا الحديث على العموم فأي حَلِف حتى لو كان بالنبي (ﷺ) أو رسول مرسل فهذا يكون من الشرك. وفي هذا الحديث عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه (ﷺ) نهى عن الحلف بالكعبة على الرغم مما لها في قلوب المسلمين. فالحلف تعظيم للمحلوف به وهذا لا يكون إلا لله (ﷻ).
- ولهذا كما ورد في الحديث "أن يهوديا أتى النبي (ﷺ) فقال: " إنكم تشركون" تقولون: " ما شاء الله وشئت" وتقولون: " والكعبة". فأمرهم النبي (ﷺ) إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: " ورب الكعبة" وأن يقولوا: " ما شاء الله ثم شئت" [2].
- وقال (ﷺ): " من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق" [3].
- وقال (ﷺ): " عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله (ﷺ): " ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت" [4].
- وعن الطفيل (رضي الله عنه) أخي عائشة (رضي الله عنها) لأمها قال: " رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: " إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله" قالوا: " وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد" ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: " إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله" قالوا: " وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد". فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي (ﷺ) فأخبرته فقال: " هل أخبرت بها أحداً؟" قلت: " نعم" فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده" [5].
- وقال ابن مسعود (رضي الله عنه): " لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً " [6]. وابن مسعود (رضي الله عنه) لا يستحل الحلف بالله (ﷻ) كاذباً ولكن توجيه كلام ابن مسعود (رضي الله عنه) أن الحلف بالله (ﷻ) كاذباً هو معصية وكبيرة من الكبائر ولكن الحلف بغير الله (ﷻ) شرك فخطورة المعصية أو الكذب أقل من الشرك فالشرك أعظم الذنوب فهو لا يُغفر والمعصية في مشيئة الله (ﷻ).
- وقد انتشرت ألفاظ الحلف بغير الله (ﷻ) وهي من الشرك مثل أن تقول: " وحياتي" أو " وحياتك" أو " بالذمة" أو " بأمي" أو " بأمك" أو " رحمة أبوك" أو " ورحمة أمك". وهذه الألفاظ كلها يُنهى عنها لأنها من الألفاظ الشركية التي تأتي من باب الحلف بغير الله (ﷻ).

---

1 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والطيالسي وابن حبان في "الإحسان": والحاكم والبيهقي من طرق عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر (رضي الله عنه) مرفوعاً وفيه قصة فعن سعد بن عبيدة قال: " سمع ابن عمر رجلاً يحلف: لا والكعبة فقال له ابن عمر: " إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "من حلف بغير الله فقد أشرك " وفي لفظ لأحمد قال: " قال سعد بن عبيدة: " كنت مع ابن عمر في حلقة. قال: " فسمع رجلاً في حلقة أخرى وهو يقول: لا وأبي فرماه ابن عمر بالحصى. فقال: " إنها كانت يمين عمر فنهاه النبي (ﷺ) وقال: "إنها شرك" ولفظ ابن حبان قال: " قال سعد بن عبيدة: " كنت عند ابن عمر فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر: " ويحك لا تفعل ... الخ". والحديث حسنه الترمذي وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي. وقد أعلَّ البيهقي هذا الحديث بقوله بعد إخراجه: "وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر" ثم احتج البيهقي على هذه الدعوى بما أخرجه من طريق الإمام أحمد في المسند: " ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن سعد بن عبيدة قال: " كنت عند عبد الله بن عمر فقمت وتركت رجلاً عنده من كندة فأتيت سعيد بن المسيب. قال: " فجاء الكندي فزعاً فقال: " جاء ابن عمر رجل فقال: " أحلف بالكعبة؟" قال: " لا ولكن احلف برب الكعبة فإن عمر كان يحلف بأبيه فقال رسول الله (ﷺ): "لا تحلف بأبيك فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك" والكندي المذكور اسمه محمد كما جاء في بعض أسانيد أحمد وهو مجهول كما نص عليه أبو حاتم كما في الجرح والتعديل. والصحيح إن الألفاظ التي تقدم ذكرها ترده وتصرح بحضور سعد بن عبيدة هذه الحادثة وقد اجتمع على لفظها ثقتان إمامان: الأعمش عند أحمد والحسن بن عبيد الله النخعي عند ابن حبان. ويجمع بين الراويتين: بتكرر الحادثة فمرة سمعها سعد من ابن عمر ومرة سمعها من الكندي. ومن تأمل اللفظين ظهر له ذلك والله تعالى اعلم.

2 أخرجه النسائي وأحمد عن قتيلة بنت صيفي الجهنية (رضي الله عنها). والحديث قال فيه الحاكم: " حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وصحح ابن حجر إسناده في"الإصابة وصححه الألباني في الصحيحة.

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري.

5 أخرجه أحمد وابن ماجه والدارمي وأبو يعلى والطبراني وصححه البوصيري في " مصباح الزجاجة" وقال: " هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم". وصححه الألباني في الصحيحة.

6 رواه الطبراني في " الكبير" وقال المنذري في " الترغيب" وكذا الهيثمي في المجمع: "ورواته رواة الصحيح". وهو حديث صحيح كما قال الألباني في الإرواء.

- والحلف بغير الله (ﷻ) قد يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر. فلو حلف بالولي أو الشيخ أو الميت (وإن كان الميت شركاً أكبر لا محالة فهو من باب التعظيم يقيناً) فاعتقد إن المحلوف به في منزلة الله (ﷻ) اعتقاداً فيقول " والحسين" أو " وعلي" أو " والبدوي" معتقداً أنه يحلف به كأنه يحلف بالله (ﷻ) فهذا شرك أكبر. حتى عن بعضهم إذا قلت له أحلف بالله (ﷻ) يحلف كاذباً وإذا قلت له أحلف بالولي لا يحلف بالولي إذا كان الأمر فيه كذب وهذا يدل على تعظيمه للمحلوف به.
- حتى لو حلف فقال " والله وفلان" فأشرك أي شيء مع الله (ﷻ) في الحلف فهذا شرك أكبر لأن هذا من باب التعظيم لأنه أشركه بالتشريك بحرف العطف " الواو" مع الله (ﷻ) فهذا يدل على تعظيمه للمحلوف به ما لا يُعتقد إلا في الله (ﷻ).
- أما إذا كان معتقداً أن الأمور كلها بيد الله (ﷻ) وأن الله (ﷻ) هو الذي بيده كل شيء ولكن حلف من باب أن هذا مما يجري على لسانه فهو من باب العادة والتقليد وليس إن المحلوف يُعظِّمه كما يُعظِّم الله (ﷻ) وكثير من الناس يحلفون من هذا الباب فهذا من باب الشرك الأصغر. فمن فعل ذلك فلابد أن نقول له: قل " لا إله إلا الله" وهذا حتى في الشرك الأكبر ولكن الشرك الأكبر مخرج من الملة
- وخطورة الشرك الأصغر أنه قد يُجر إلى الشرك الأكبر فهو وسيلة إليه. فمن اعتاد الحلف بغير الله (ﷻ) فسوف يؤدي بعد ذلك إلى التعظيم والاعتقاد فينجَرُ إلى الشرك الأكبر.
- فـ " لا إله إلا الله" إما أن تكون كفارَّة له لو كان شركاً أصغر أو تُدخله مرة أخرى في الإسلام لو كان شركاً أكبر. فنحن غير مطالبين أن نقول للحالف بغير الله (ﷻ) هل أنت معتقد أو لا ولكن إذا سمعته تقول له قل " لا إله إلا الله" لقوله (ﷺ): " من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله " [1].
- وعامة القرائن تدل إن كان من العوام فهذا غالباً يكون من باب العادة والتقليد وأما كان من أحد أصحاب الطرق ومن الذين يُعظِّمون آل البيت فهذا غالباً من باب التعظيم.

2- التشريك في المشيئة (التوقيت: 19 دقيقة و01 ثانية)

ومن الإشراك : قول القائل لأحد من الناس : ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال :« **أجعلتني لله ندًا ؟ قل ما شاء الله وحده** » هذا مع أن الله سبحانه قد أثبت للعبد مشيئة كقولـه تعـالى ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك وأنا في حَسَبِ الله وحَسَبِكَ ومالي إلا الله وأنت وهذا من الله ومنـك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وأنـت لي في الأرض فـوازن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من : شـاءَ الله وشئت ثم انظر أيها أفحش يتبين لك أن قائلها أولى بالبعد مـن ﴿إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ﴾ وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعـل رسـول الله ﷺ نداً فهذا قد جعل من لا يدانيه لله نداً .

---

1 سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

الشريط التاسع الشرك في السجود والتشريك في المشيئة وبيان معنى العبادة والشرك في الإرادات والنيات

- قال المصنف (رحمه الله): " ومن الإشراك قول القائل لأحد من النّاس: ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبيّ (ﷺ) أنه قال له رجل: " ما شاء الله وشئت" فقال: " أجعلتني لله ندًا؟ قل ما شاء الله وحده". هذا مع أن الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[التكوير: 28] ".
- هنا يذكر المصنف (رحمه الله) صورة أخرى من صور الشرك وهو التشريك في المشيئة. وقد استدل بحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلاً قال للنبي (ﷺ): " ما شاء الله وشئت". قال: " أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده" [1].
- فهذا التشريك لم يقبله النبي (ﷺ) ولم يقبل هذا الكلام وبيَّن إن هذا من باب الندِيَّة وهو أنك تجعل المشيئة لله (عز وجل) مساوية أو موازية لمشيئة المخلوق وجئت بحرف " الواو" والأصل في حرف " الواو" أنه يقتضي المساواة والاشتراك في الشيء. فمن يقول " ما شاء الله وشاء فلان" فكأنك ساويت بين الله (عز وجل) وبين هذا المخلوق ورفعت المخلوق إلى منزلة الخالق فجعلته نداً لله (عز وجل). وقد بيَّن النبي (ﷺ) العلة من النهي عن التشريك وهو الندِيَّة فكأنك من شرَّك بحرف "الواو" فقد جعل النبي (ﷺ) مع الله (عز وجل) نداً.
- فالعبد له مشيئة والله (عز وجل) له مشيئة كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: 29] وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[التكوير: 28] وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان: 30 & التكوير: 29]. وعلى الرغم من وجود مشيئة حقيقية للعبد ولكن النبي (ﷺ) لم يرتضي أن تتساوى المشيئتان في التشريك في حرف " الواو" فما بالك بمن شرَّك مع الله (عز وجل) ممن لم يكن له مشيئة من حجر أو شجر أو مقبور؟ وما بالك إذا كان النهي جاء في تشريك الله (عز وجل) مع النبي (ﷺ) فما بالك بمن هو دونه (ﷺ) من شيخ من المشايخ؟.
- فتجد منهم من يقول: " أنا بك وبصاحب هذا المقام" وهذا أصبح مشاهد في عصرنا.
- وملخَّص المشيئة إنها على ثلاثة أحوال:

أ. أن تقول: " ما شاء الله وحده" وهذا أفضل الأحوال للحديث ولأنها محض التوحيد.
ب. أن تقول: " ما شاء الله ثم شئت" وهذا بعد المرتبة السابقة وقد جاء فيها نص [2].
ج. أن تقول: " ما شاء الله وشاء فلان" وهذه هي الشرك.

- أما قول " ما شاء الله" على من رأى شيئاً حسناً أتى من قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾[الكهف: 39]. وعن عبد الله بن عامر (رضي الله عنه) قال: " انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل" قال: " فانطلقا يلتمسان الخمر" قال: " فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل" قال: " فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني فأتيت النبي (ﷺ) فأخبرته قال: " فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه" قال: " فضرب صدره بيده" ثم قال: " اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها" قال: " فقام فقال رسول الله (ﷺ): " إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليبركه فإن العين حق" [3]. وهدف التبريك عدم الإصابة بالعين.
- قال المصنف (رحمه الله): " فكيف بمن يقول: أنا متوكّل على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك وما لي إلاّ الله وأنت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السماء وأنت لي في الأرض؟؟ وزن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب النّاس اليوم وبين ما نهى عنه من: ما شاء الله وشئت ثم انظر أيّها أفحش؟ يتبيّن لك أن قائلها أولى بالبعد من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] وبالجواب من النبي (ﷺ) لقائل تلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله (ﷺ) ندًا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندًا".
- التوكل عبادة قلبية لا تكون إلا لله (عز وجل) فقد قال (سبحانه وتعالى): ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة: 23] وهذا لا يصح فيها التشريك بحرف " الواو" أو التشريك بحرف " ثم".
- والتشريك كذلك ممنوع في القول " وأنا في حسب الله وحسبك وما لي إلاّ الله وأنت وهذا من الله ومنك و الله لي في السماء

---

1 أخرجه أحمد وابن ماجة والبخاري في " الأدب المفرد" والنسائي وابن أبي شيبة وابن عدي في "الكامل" والخطيب في " تاريخ بغداد" والطحاوي في "مشكل الآثار" وأبو نعيم في "الحلية" عن ابن عباس (رضي الله عنهما). وحسنه الأرناؤوط في تخريج مسند أبي بكر وحسنه الألباني في الصحيحة.

2 راجع الحديث رقم (2) صـ 3.

3 أخرجه أحمد والحاكم وابن السني والحاكم والطيالسي ومالك وابن حبان والطبراني عن عبد الله بن عامر (رضي الله عنه). وصحَّحه الحاكم وسكت عنه الذهبي. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: " قوله: " العين حق " صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف مع وهم فيه" وحسّنه الألباني في الصحيحة". (الخمر): كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره (وصبها) الوصب: دوام الوجع ولزومه وقد يُطلق الوَصَب على التعب والفتور في البدن (فليبركه) يبرك: يدعو له بالبركة.

وأنت لي في الأرض ". ولكن القول " وهذا من بركات الله وبركاتك " قول فيه تفصيل. فيجوز أن تذكر البركة للمخلوق فيجوز أن تقول هذا من بركات فلان والدليل على حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: " خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لي فأقام رسول الله (ﷺ) على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: " ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله (ﷺ) وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء". فجاء أبو بكر ورسول الله (ﷺ) واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: " حبست رسول الله (ﷺ) والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء". قالت: " فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ﷺ)على فخذي فنام رسول الله (ﷺ) حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا " فقال أسيد بن الحضير: - وهو أحد النقباء – " **ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر**" فقالت عائشة: " فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته " [1]. فكانت الواقعة الواردة في الحديث تيسير على المسلمين بالتيمم عند عدم وجود الماء. وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا" قال: " فيُسقون" [2].

- فالممنوع في التبرُّك هو التشريك بحرف "الواو" فلك أن تقول للمخلوق منفرداً إذا أردت أن تمدحه فتقول : " هذه من بركاتك" ولكن لا تُشركه مع الله (عز وجل). والمسألة فيها نظر في مسألة التشريك بحرف "ثم" والأولى ألا تفعل حفظاً لجناب التوحيد.
- فالألفاظ من حيث الصحة والفساد ممكن أن نقسمها إلى:

أ. لفظ فاسد شرعاً لا يصح أن تقوله من كل وجه مثل أن تحلف بالنبي (ﷺ) أو تحلف بمخلوق وهذا لابد أن يُنهى عنه.
ب. لفظ سليم شرعاً وهذا يصح أن تقوله من كل وجه فلا يوجد فيه احتمال وهذا يثبت بالكتاب أو السنة كما جاء في الحلف بالله (عز وجل) فقط أو أن تحلف برب الكعبة وهذا يُقر عليه المرء.
ج. اللفظ المتردد الذي يحتمل وجه للصحة أو الفساد فهذا لابد أن يُراعى فيه الاستخدام وتنظر عندما تستخدمه هل أخذت فيه جانب الصحة أم جانب الفساد وهذا لابد أن يُنظر فيه إلى المقاصد والأولى اجتناب هذه الألفاظ.

- والقول " هذا فضل الله ثم فضلك" فهذا فيه المراتب الثلاث المذكورة في المشيئة:

أ. أن تقول: " هذا فضل الله وحده" وهذا أفضل الأحوال لأنها محض التوحيد.
ب. أن تقول: " هذا فضل الله ثم فضلك" وهذا بعد المرتبة السابقة وقد جاء فيها نص [3].
ج. أن تقول: " هذا فضل الله وفضل فلان" وهذه هي الشرك.

- وهذا لأن الفضل جاء يُنسب للمخلوق كما في قوله (تعالى): ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[النور: 22] [4]. فكل ما جاء يُنسب إلى المخلوق يجوز استخدام ثم فيه ولكن إذا لم يأتي فيه نص فالأولى ألا تخوض فيه. وهذا بشرط ألا تكون هذه الصفة ممنوعة أصلاً أن تُنسب إلى المخلوق مثل التوكل.

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم. (بالبيداء أو بذات الجيش) موضعان بين المدينة وخيبر والشك من الراوي (عقد) العقد كل ما يعقد ويعلق في العنق ويسمى أيضا قلادة (التيمم) التيمم في اللغة هو القصد قال الأزهري: " التيمم في كلام العرب القصد يقال تيممت فلانا ويممته وتأممته وأممته أي قصدته". أما شرعاً فهو استخدام الصعيد الطيب في الطهور.

2 أخرجه البخاري عن أنس (رضي الله عنه). (قحطوا) أصابهم القحط وهو الجدب وقلة المطر (نتوسل) نتشفع ونتقرب ونطلب السقيا.

3 فقد أثبت الله (عز وجل) فضل النبي (ﷺ) على زيد (رضي الله عنه) فقال (تعالى): ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ** ﴾[الأحزاب: 39]. وقد أثبت النبي (ﷺ) فضله على عمه أبي طالب في الحديث المتفق عليه والرواية لمسلم أن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) أنه قال: " يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟" قال: " نعم هو في ضحضاح من نار **ولولا أنا** لكان في الدرك الأسفل من النار".

4 وهذه الآية نزلت بعد براءة عائشة (رضي الله عنها) في حادثة الأفك وكان أحد الذين تكلموا في عائشة (رضي الله عنها) مسطح بن أثاثة (رضي الله عنه) فكما جاء عند البخاري ومسلم أن أبا بكر (رضي الله عنه) أراد أن يمنع عنه النفقه " الفضل" لأنه كان ينفق عليه لقرابته وفقره فقال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): " والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال" فأنزل الله: ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[النور: 22]. قال أبو بكر الصديق: " بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي" فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: " والله لا أنزعها منه أبداً"

1- بيان لمعنى العبادة (التوقيت: 33 دقيقة و37 ثانية)

وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي السجود والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى .

وفي «مسند الإمام أحمد» أن رجلاً أُتي به إلى النبي ﷺ قد أذنب ذنباً ، فلما وقف بين يديه قال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال ﷺ : «عرف الحق لأهله» . وخرَّجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع قال حديث صحيح .

وأما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله :﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥] فاستمسك بهذا الأصل ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تحقق معنى الكلمة الإلهية .

- قال المصنف (رحمه الله): " وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] هي السّجود والتوكّل والإنابة والتّقوى والخشية والتّوبة والنّذور والحلف والتّسبيح والتّكبير والتّهليل والتّحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبّدًا والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى .وفي مسند الإمام أحمد أن رجلاً أُتِيَ به إلى النبي (ﷺ) قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمّد فقال (ﷺ): "عرَّف الحق لأهله ". وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع وقال: "حديث صحيح".

- ذكر المصنف (رحمه الله) بعض العبادات الأخرى التي تندرج تحت قوله (تعالى): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] وهو فقط يأتي بصور من العبادات لأن العبادات كثيرة جداً فمنها عبادات قلبية أوعبادات باللسان أو عبادات بدنية. وكل ما يندرج تحت العبادة فهو محض حق لله (عز وجل) ولا تُصرف لغيره. فمن صرف أي عبادة لغير الله (عز وجل) فهو لم يحقق معنى قوله (تعالى): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5].
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتعرض لمسألة التوبة. والتوبة عبادة لقوله (تعالى): ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور: 31] و قوله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[التحريم: 8] ووجه الشاهد من الآية فعل الأمر "توبوا" والله (عز وجل) لا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه فإذا أمر الله (عز وجل) بشيء كان هذا عبادة والقاعدة إن كل ما تُؤمر به نزل تحت منزلة العبادة فأصبح شرعاً.
- وفي مسند الإمام أحمد أن رجلاً أُتِيَ به إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال: " اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمّد" فقال (صلى الله عليه وسلم): "عرَّف الحق لأهله " [1]. ففي هذا الحديث أثنى النبي (صلى الله عليه وسلم) عليه ومدحه وهذا إقرار من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن التوبة لا تكون إلا لله (عز وجل).
- وقد يُشكل بعضهم علينا بحديث عائشة (رضي الله عنها) عندما قالت إنها أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قام على الباب فلم يدخله فعرفت في وجهه الكراهية فقلت: " يا رسول الله **أتوب إلى الله وإلى رسوله** (صلى الله عليه وسلم) ماذا أذنبت؟" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " ما بال هذه النمرقة؟" قلت: " اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يُعذَّبون فيُقال لهم أحيوا ما خلقتم" وقال: " إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة" [2]. وهذا من باب أدب الصديقة بنت الصديق (رضي الله عنها) أنها قدمت التوبة مع عدم معرفتها للذنب فبمجرد أن رأت تغيُّر وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) علِمَت أن هناك أمر حدث فقدمت التوبة ثم سألت عن ذنبها وهذا من حسن فهمها للقرآن من قوله (تعالى): ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾[التوبة: 43] فالله (عز وجل) قدَّم التوبة للنبي (صلى الله عليه وسلم) ثم وضَّح له عن سبب التوبة وهو الإذن للمنافقين.
- وبما أن التوبة لا تكون إلا لله (عز وجل) فلابد من توجيه حديث عائشة (رضي الله عنها). والتوجيه هنا من المتن فهناك توبة التي تكون استغفار وإنابة لله (عز وجل) فالتوبة في اللغة هي العودة والرجوع والتوبة الثانية تكون بمعنى الاعتذار أو طلب المسامحة. والدليل على ذلك تكرارها لحرف الجر "على" مرتين وهذا يدل على أن التوبة الأولى " أتوب إلى الله" غير الثانية "وإلى رسوله" فتكرار حرف الجر في اللغة يدل على المخالفة والأصل في الكلام أنه للتأسيس لا للتوكيد [3]. وبعضهم قال إنه يجوز التوبة للرسول (صلى الله عليه وسلم) في حياته وهذا استثناء خاص أما بعد موته (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز لأحد أن يقول: " أتوب إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)" فالنبي (صلى الله عليه وسلم) قد مات فليس له التوبة أو الاعتذار. ولابد أن نؤكد هنا عن مناجاة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند القبر لا تصح كما ذكرنا بالتفصيل عند الكلام عن الشرك في القبور والثابت فقط هو دعاء القبور عند المرور على قبره (صلى الله عليه وسلم) وتُسلَّم عند القدوم وعند السفر [4] والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) تصله وأنت في مكانك كما هو معلوم [5].

---

[1] راجع المحاضرة الأولى رقم (2) صـ 7.

[2] راجع المحاضرة الأولى رقم (3) صـ 7.

[3] الأصل في اللغة أن التكرار لابد أن يكون له هدف من الاثنين: الأول التأكيد على المعنى مثل "جاء محمد جاء محمد" والثاني التأسيس وهو أنه رغم أنه في الظاهر الكلام يدل على التكرار إلا أنه في حقيقته تدل الجملة الثانية على معنى مخالف للجملة الأولى كما في قوله (صلى الله عليه وسلم): " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى". فقد يظهر أن الجملة الثانية تكرار للجملة الأولى ولكن الصحيح إن الجملة الأولى " إنما الأعمال بالنيات " باعتبار المنوي وهو العمل " ما هي نيتك في العمل نفسه مثل هل تقصد ركعتي الفجر أم صلاة الصبح؟" والثانية " وإنما لكل امرئ ما نوى" باعتبار المنوي له وهو المعمول له " هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا؟" ويدل لهذا ما فرَّعه عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" وعلى هذه فيبقى الكلام لاتكرار فيه. والأصل في اللغة العربية إن الكلام للتأسيس لا للتوكيد

[4] راجع المحاضرة الثامنة تحت عنوان الشرك في القبور.

[5] وهذا للحديث الذي رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وأحمد والدارمي وصححه الألباني الصحيحة عن أوس بن أوس (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة **فإن صلاتكم معروضة عليَّ**" قالوا: " يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟" قال: " إن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء". (أرمت) بليت.

الشريط التاسع الشرك في السجود والتشريك في المشيئة وبيان معنى العبادة والشرك في الإرادات والنيات

2- الشرك في الإرادات والنيات (التوقيت: 48 دقيقة و28 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " وأما الشرك في الإرادات والنيّات: فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقُم بحقيقة قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] فإن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] هي الحنيفيّة ملّةُ إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85] فاستمسك بهذا الأصل ورُدَّ ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تُتحقِّقُ معنى الكلمة الإلهيّة".
- وكما قال المصنف (رحمه الله) إن الشرك في الإرادات والنيّات هو البحر الذي لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه ولهذا هو أعظم أنواع الشرك لأنه غالباً يقع فيه عموم الناس. وهو أمر قلبي لا يطلع عليه أحد إلا الله (عز وجل) فهو أمر بين العبد وربه فالنية والإرادة محلهما القلب ولهذا قال (تعالى): ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾[يوسف: 106] فهم ظاهرهم الإيمان وباطنهم الشرك. فهذا يريد بعمله الرياء والسمعة بين الناس أو رضا متبوعه من دون الله (عز وجل) أو غير ذلك.
- ولذلك كانت النية هي أساس العمل كما ذكرنا في القواعد [1] فإذا سَلِمَت النية صحَّ العمل لأن الله (عز وجل) كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" [2] فالله (عز وجل) هو المطلع على الباطن.
- وخطورة النية تظهر في قوله (تعالى): ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء: 18-19] والعاجلة هي الدنيا وقيَّد الله (عز وجل) السعي للآخرة بالإيمان في قوله (تعالى) " وهو مؤمن" فلا عمل يقبل بدون إيمان.
- والحديث المشهور الذي جاء في القواعد الفقهية [3] قوله (صلى الله عليه وسلم): " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى" [4] يدل على أهمية النية.
- وكذلك قوله (تعالى): ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[آل عمران: 85]. فمن اتخذ ديناً غير الإسلام أو شريعة غير شريعة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلن يُقبل منه. والعجيب أنك تجد أحدهم يقول: إن شخص معتقد ومقتنع باليهودية أو النصرانية ولم يتزحزح إيمانه بهذا ويقول إنه قد يدخل الجنة رغم وضوح الآية بأنه في الآخرة من الخاسرين.
- ثم وضَّح المصنف (رحمه الله) أن الرياء يمنع تحقيق العبادة فـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] الحقيقية لابد أن تؤدي إلى منع الرياء والعُجب بالنفس يمنع ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5].
- وأول حديث يُذكر في ذلك حديث أول من تُسعَّر بهم النار. فعن سليمان بن يسار قال: " تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام: " أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" قال: " نعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " قاتلت فيك حتى استشهدت" قال: " كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار " [5] ورغم إن أعمالهم من أعظم الأعمال وهي قراءة القرآن والإنفاق والجهاد في سبيل الله

---

1 راجع شرح قاعدة " الأمور بمقاصدها" في شرح الشيخ للقواعد الفقهية.

2 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

3 راجع شرح قاعدة " الأمور بمقاصدها" في شرح الشيخ للقواعد الفقهية.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن عمر (رضي الله عنه).

5 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (ناتل أهل الشام) وفي الرواية الأخرى فقال له ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه. قوله (صلى الله عليه وسلم) في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[البينة: 5] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا.

وكل الناس يتطلع أن يكون واحداً من هؤلاء إلا لأنها لم تكن لوجه الله (ﷻ) فكانوا أول من تُسعَّر بهم النار وإحبط العمل.

- العمل لغير الله (ﷻ) له حالات:

أ. يعمل العمل والمقصود منه مُرَاءَة المخلوقين وهذا هو الشرك وهذا يستحيل أن يصدر من مسلم ولا يصدر إلا عن منافق.

ب. يعمل العمل لله (ﷻ) ثم يعرض له الرياء أثناء العمل. فإذا دفع الرياء لا إشكال فيه فالعمل صحيح ولكن إذا استرسل معه الرياء فهنا يُنظر في العمل فبعض أهل العلم قالوا: حكمه كقطع النية. وبعضهم قال: يُنظر للعبادة فإذا كان لا يصح أولها إلا بآخرها أي أن العبادة كلٌ متكامل لا يتجزأ فهنا لَزِمَ الإعادة فقد بطلت العبادة وإذا كانت العبادة تصح مُجزَّئة فالجزء الذي رائى فيه بَطُلَ والجزء الذي لم يُرائي فيه صحَّ ومثال ذلك قراءة القرآن فالآيات التي كانت النية فيها خالصة لله (ﷻ) صحَّت وقُبِلَت والجزء الذي لم تكن النية خالصة لله (ﷻ) ورائى فيه الناس فيه مثل أن دخل عليه أحد الناس وهو يقرأ بصوت طيِّب فشجَّعه فبدأ يقرأ ليُسمعه هو بَطُلَ وحَبِطَ.

ج. بدأ العمل رياءاً ثم أخلص في اثناء العمل فحكمه مثل الحالة (ب)

د. أن يظل الرياء مع العمل لله (ﷻ) من أول العمل إلى آخره فهذا عمل مُحبَط لقوله (ﷺ): " قال الله تبارك وتعالى: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" [1].

- ولابد هنا أن نُوضَّح أن هناك فرق بين قاعدة الرياء في الأعمال وقاعدة التشريك في النيات [2] ونُوضَّح حالات قاعدة التشريك في النيات بما يلي:

أ. فعل عمل واحد بنيَّتان وكلاهما عبادة جاء فيها نص كما في قوله (ﷺ): " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" [3]. ففي هذا الحديث أرشد (ﷺ) إلى الصوم لمن لم يستطع الزواج. فإن صام لله (ﷻ) " النية الأولى" ولأنه أعزب لا يستطيع أن يتزوج فيعفَّ نفسه "النية الثانية" فهذا تشريك في النية وهذا ليس برياء. فهو هنا فعل عبادتان وهما عبادة الصوم والامتثال لأمر النبي (ﷺ).

ب. فعل العبادة يبتغي ما عند الله (ﷻ) ومع ذلك يبتغي منفعة دنيوية مباحة ثبتت بالشرع كما في قوله (ﷺ): " من سرَّه أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه" [4]. فمن أراد أن يصل الرحم عبادة لله (ﷻ) وأيضاً يُزاد له في الرزق فهذا لا شيء فيه ولكن كلما كانت لله (ﷻ) كان الثواب أعظم وكلما اختلطت بالنية لله (ﷻ) النية الدنيوية كلما كان الثواب أقل فمن وصل الرَحِم لله (ﷻ) فقط أعظم ثواباً ممن وصل الرحم لله (ﷻ) ولزيادة الرزق والأجل. ونُبيّن هنا أنه لا يصح أن يتعلم أحدهم العلم لله (ﷻ) وليكون مشهوراً لأن مشهوراً لم يرد فيها نص فهذا مما يبطل العبادة.

ج. يعمل العمل لله (ﷻ) ويتحدث به فهذا يُبطل العمل إلا إذا كان لحث الناس على الخير مثل أن يكون رجل يتصدق فهو يتكلم أنه يتصدق حتى يحث الأغنياء من حوله للتصدُّق غَيرة منه مثل رجل يجلس في وسط رجال أعمال أو أنه يقصد تبرئة نفسه مثل فعل سيدنا عثمان عندما جاؤوا ليقتلوه فقال "" أنشدكم الله هل علمتم أنى اشتريت رومة من مالي فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين؟". قيل: " نعم". قال: " فعلام تمنعوني أن اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟.أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟". قالوا: " نعم". قال: " فهل علمتم أن أحدا من الناس منع أن يصلي فيه قبلي؟. أنشدكم الله هل سمعتم النبي (ﷺ) يذكر كذا وكذا- أشياء من شأنه عددها- ". قال: " ورأيته أشرف عليهم مرة أخرى فوعظهم وذكرهم فلم تأخذ منهم الموعظة" [5].

---

1 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (تركته وشركه) هكذا وقع في بعض الأصول "وشركه" وفي بعضها " وشريكه" وفي بعضها " وشركته" ومعناه أنه غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به.

2 راجع شرح التشريك في النيات تحت قاعدة " الأمور بمقاصدها" في شرح الشيخ للقواعد الفقهية.

3 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يا معشر الشباب) قال أهل اللغة المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف فالشباب معشر والشيوخ معشر والأنبياء معشر والنساء معشر وكذا ما أشبهه والشباب جمع شاب ويجمع على شبان وشبية والشاب من بلغ ولم يجاوز الثلاثين (الباءة) فيها أربع لغات حكاها القاضي عياض الفصيحة المشهورة الباءة بالمد والهاء والثانية الباة بلا مد والثالثة الاء بالمد بلا هاء والرابعة الباهة بهائين بلا مد وأصلها في اللغة الجماع مشتقة من المباءة وهي المنزل ومنه مباءة الإبل وهي مواطنها ثم قيل لعقد النكاح باءة لأن من تزوج امرأة بوأها منزلا واختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجان إلى معنى واحد أصحهما أن المراد معناه اللغوي وهو الجماع فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنة وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنة فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء (وجاء) هو رض الخصيتين والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (سرَّه) أحب ذلك ورغب فيه (يُبسط) يوسع ويبارك. (يُنسأ له في أثره) يُمدُّ له في عمره ويُؤخَّر أجله ويُخلَّد ذكره. (فليصل رحمه) فليبر بأقاربه وليحسن إليهم

5 راجع المحاضرة الرابعة والخامسة عشرة من شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ رقم (1) صـ 23. (الرشاء) حبل الدلو ونحوها

الشريط العاشر

بطلان الشفعاء والوسطاء في التقرب إلى الله (ﷻ) وشرك التعطيل والتمثيل

محتويات الشريط العاشر

1- بطلان الوسطاء والشفعاء في التقرب لله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و42 ثانية) 1
2- تقسيم آخر للشرك (التوقيت: 14 دقيقة و20 ثانية)..... 3
3- أنواع الشرك في الربوبية والأسماء والصفات 4
3.1 شرك التعطيل (التوقيت: 17 دقيقة و54 ثانية)..... 4
3.2 تلازم الشرك والتعطيل (التوقيت: 24 دقيقة و04 ثانية)..... 5
3.3 طوائف شرك التعطيل (التوقيت: 29 دقيقة و05 ثانية)..... 5
3.4 شرك التمثيل (التوقيت: 43 دقيقة و33 ثانية)..... 8

1- بطلان الوسطاء والشفعاء في التقرب لله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و42 ثانية)

فإن قيل : المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وإنما قصد تعظيمه وقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وَتَدخُلَ بي عليه فهو الغاية وهذه وسائل فَلِمَ كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ومخلداً في النار وموجباً لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم ؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل يمنع أن تأتيَ به شريعة من الشرائع ؟ وما السر في كونه لا يُغفَرُ من بين سائر الذنوب كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: من الآية٤٨].

قلنا الشرك شركان : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته .

فأما الشرك الثاني فهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى .

- قال المصنف (رحمه الله): " فإن قيل: المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلاّ بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبيّة وإنما قصد تعظيمه وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه وتدخل بي عليه فهو الغاية وهذه وسائل فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه مخلداً في النار وموجبا لسفك دماء أصحابه واستباحة حريمهم وأموالهم؟ وهل يجوز في العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرّب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط أم ذلك قبيح في الشرع والعقل يمنع أن تأتي به شريعة من الشرائع وما السر في كونه لا يغفر من بين الذنوب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116] ؟؟".
- لابد أن نؤكد أن العناوين الموضوعة فوق كل فقرة ليست من متن المصنف (رحمه الله) ولكنها من المُحقِّق. بدأ المصنف (رحمه الله) في طرح سؤالاً مهماً جداً وسيُجيب عليه خلال الفصول التالية وهو: لماذا يُنهى عن الشرك ولا يُغفر كما قال (تعالى): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116] مع أن قصد المشرك حفظ تعظيم جناب الله (ﷻ)؟. فالمشرك عندما تسأله عن سبب شركه يقول أن لا أشرك تنقصياً لله (ﷻ) ولكني أُعظِّم الله (ﷻ) وأنا أعبد الله (ﷻ) وما أريد إلا تعظيم جناب الله (ﷻ) ولكي أتصل بالله (ﷻ) لابد لي من وسائط وهذه الوسائط تساعدي في الوصول إلى الله (ﷻ) حتى يسمع لي وتصله حاجتي. ويقول إن هذا الوسائط هو لا يعبدها استقلالاً ولكنها وسائل إلى غاية وهي أنه يريد عبادة الله (ﷻ). ويقول أنا أيضاً أقول ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] فأنا أعبد الله (ﷻ) ولكن حال قولهم ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر: 3].
- فإذا كان هذا هو حال المشرك وهو أنه يريد حفظ جناب الله (ﷻ) فلماذا كان الشرك لا يُغفر مع أن قصده خير وهو تعظيم الله (ﷻ) وهو يريد عبادة الله (ﷻ)؟. هل هذا لإن الشرك منهي عنه فقط فالله (ﷻ) نهى عنه واعتبره ذنب مثل الذنوب لكنه عظّمه أم لأن قبح الشرك معروف ذمه بالعقل وبالشرع كما أن مدح التوحيد بالشرع والعقل؟. وهو سيحاول في الفقرات التالية توضيح لماذا عِظَم العقاب على أنه لا يغفر للمشرك الذي أشرك.
- وهناك نقاط سنقف معها في كلام المصنف (رحمه الله). أولاً مسألة الوسائط: فهناك وسائط منهي عنها وهناك وسائط مشروعة وممدوحة. فلأهل السنة وسائط ولأهل الكفر والشرك والبدع وسائط.
- فالوسائط المشروعة عند الله (ﷻ) هي الرسل. فالله (ﷻ) عندما أراد أن يُنزّل كتابه فأرسل رسولاً من الملائكة على رسول من البشر فأرسل جبريل (عليه السلام) كرسول من عنده (ﷻ) على رسول من أهل البشر وهم رسل الله (ﷻ). ولكن دور هذه الوسائط التبليغ عن الله (ﷻ) الدين والشرائع كما في قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[المائدة: 67] وفي قوله (ﷻ): ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: 165].
- وهذه وسائط ممدوحة مشروعة بل وجب على البشر أن يؤمنوا بهذه الوسائط وأن يؤمنوا بجميع الرسل الذين جاءوا من عند الله (ﷻ) ومن كفر برسول واحد فقد كفر فمن أركان الإيمان الستة أن تؤمن بالرسل جميعاً وهذه أحد الأركان الذي لا يعذر أحد لو لم يأتي بها.
- أما الوسائط المذمومة في الشرع والعقل هي الوسائط التي يأتي بها المشركون الذين يأخذونها ويدَّعون إنها وسائط تقربهم إلى الله (ﷻ) سواء كان هذا الوسيط من الشجر أو الحجر أو الصنم أو حتى النبي (صلى الله عليه وسلم) نفسه او النصارى الذين يُألِّهون عيسى (عليه السلام) ورفعوه إلى قدر الإلوهية أو مشركي قريش الذين كانوا يتخذون الأصنام. وفي زمننا هذا هنا من يعبدون الصنم أو البقر أو الفرج أو الشيطان فكل هذه العبادات يتخذونها ظناً منهم إنها وسائل أو وسائط تقربهم إلى الله (ﷻ) وهذه الوسائط وأمثالها هي التي تؤدي إلى الوقوع في الشرك وهذه التي لا يمكن أن يحقق المرء بها قوله (ﷻ): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5].
- وهذا الشرك هو الذي يُستباح فيه الدم والمال وتُقطع فيه الرقاب لأنه من كان مشركاً ولم يدخل في الإسلام بعد أن تصله دعوة المسلمين وأراد أن يظل على الشرك بخلاف أهل الكتاب المخيَّرين بين الجزية أو الدخول في الإسلام فهذا يُستباح ماله ودمه ويحل قتله لأنه لم يدخل في دين الإسلام فإما عليه الإسلام أو القتل.
- وأراد المصنف (رحمه الله) أن يُوضّح أنه كما إن التوحيد ثابت وممدوح بالنقل (السمع) والعقل فكذلك الشرك مذموم وقبحه

معروف بالعقل والشرع (السمع [1]) معاً. فاثبات التوحيد بالشرع جاء من قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾[البقرة: 21] وقوله (ﷻ): ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾[الأنعام: 102] وقوله (ﷻ): ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[مريم: 65] فهذه الآيات جاء فيها الأمر بتوحيد الله (ﷻ) وإفراد التوحيد له.

- كذلك إفراد الله (ﷻ) ثابت بالعقل فإنك إن نظرت في مخلوقات الله (ﷻ) من السماوات والأرض والجبال وغيرهم تُوقن إن هذه المخلوقات لابد لها من خالق ولهذا قال كثيراً (ﷻ) في القرآن ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[يس: 68] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: 82 & محمد: 24] ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[البقرة: 221 & إبراهيم: 25 & القصص: 43&46&51 & الزمر: 27 & الدخان: 58].
- وضرب في ذلك الأمثلة العقلية التي تدل على التوحيد كقوله (ﷻ): ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: 76].
- كذلك الشرك مذموم ومقبوح عقلاً وشرعاً. فبالشرع أول نهي جاء في القرآن في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: 22] وكل رسول جاء إلى قومه قال ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: 59&65&73& 85 وهود: 50&61&84 والمؤمنون: 23&32].
- وكذلك الشرك مذموم بالعقل فكيف تعبد الذي خلقك ومنَّ عليك بالنعائم ثم تشرك معه أحد آخر أو تعبد مع هذا الإله مخلوقاً آخر وهو مخلوق ضعيف لا يقدر على شيء سواء في الإلوهية أو في الإسماء والصفات كالإلحاد في أسمائه بوضع العُزَّى مكان العزيز واللات مكان الله وإلحاد النصارى مثل وضع الآب مكان الرب؟ فأراد المصنف (رحمه الله) أن يُبيِّن إن النهي عن الشرك ليس فقط لأنه نهي من الله (ﷻ) ولكن لأنه معلوم قبحه شرعاً وعقلاً فهو ليس كبعض النواهي التي تأتى من عند الله (ﷻ) تعبدية غير معقولة المعنى فلا نعرف الحكمة من النهي فيها.

2- تقسيم آخر للشرك (التوقيت: 14 دقيقة و20 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " قلنا: الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله. وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته. وأما الشرك الثاني وهو الذي فرغنا من الكلام فيه وأشرنا إليه الآن وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى".
- قسَّم المصنف (رحمه الله) الشرك إلى قسمين: الأول هو الشرك في الربوبية والأسماء والصفات وهو شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله والثاني هو الشرك في الإلوهية وهو وشرك في عبادته ومعاملته. وهذا تكلمنا عنه من قبل وخصوصاً شرك الإلوهية (وهذا هو الشرك الثاني المقصود في كلامه) الذي تكلمنا فيه عن الشرك في السجود والحلف والقبور والذبح وغير ذلك وسيشبع الكلام فيه بعد ذلك فأصل الكتاب أنه في توحيد الإلوهية والعبادة.
- ومن مميزات هذا الكتاب حسن التقسيم فقد قسَّم المصنف (رحمه الله) تقسيمات رائعة فيه وإن كان أغلب ما فيه مأخوذ من كتب ابن القيم (رحمه الله) مثل مدارج السالكين والجواب الكافي وغير ذلك وكذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.
- أولاً الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ومنه إنكار علو ذات الله (ﷻ) والإلحاد في الأسماء كما ذكرنا أو التعطيل في صفات الله (ﷻ) سواء يعطلها بالكلية فلا يُثبتها أو يُحرفها فيثبت البعض ويُعطِّل باقي الصفات
- والشرك في الأسماء والصفات لا يخرج عن أحد الصور التالية:

أ. تشبيه الخالق بالمخلوق.
ب. تشبيه المخلوق بالخالق.

- فاليهود شبهوا الله (ﷻ) بصفات لا تكون إلا في المخلوق كما في قوله (ﷻ): ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[آل عمران: 181] وقالوا إن الله (ﷻ) يتعب [2] وغيرها من التشبيهات.

---

[1] سُمِّي الشرع بالسمع لأنه وصل إلينا سماعاً من النبي (ﷺ).

[2] ورد ذلك في سفر التكوين 2:2: " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل" تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

- وعكسهم النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق فجعلوا عيسى (عليه السلام) الذي هو عبد لله (ﷻ) إلهاً وجعلوا مريم (عليها السلام) إلَهَة وهذا ورد في قوله (ﷻ): ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[المائدة: 116].
- واما الشرك في الإلوهية فقد أنزل الله (ﷻ) الكتب وأرسل الرسل جميعاً حتى تدعو الناس لعبادة الله (ﷻ) وعدم صرف العبادة لغيره من المخلوقين فهذا هو الشرك في العبادة.

3- أنواع الشرك في الربوبية والأسماء والصفات

3.1 شرك التعطيل (التوقيت: 17 دقيقة و54 ثانية)

وأما الشرك الأول فهو نوعان :

أحدهما : شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون في قوله ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: من الآية ٢٣] وقال هامان : ﴿ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطلع إلىٰ إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾[1].

(١) في المطبوع :«وقال : يا هامان ....كاذبًا».

- قال المصنف (رحمه الله): " أما الشرك الأول: فهو نوعان: أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون في قوله: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 23]؟ وقال: ﴿ يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: 38] [1] ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن شرك التعطيل. وشرك التعطيل هو نفي وتعطيل أسماء الله (ﷻ) وهذا أشد شركاً من الذي يشرك في عبودية الله (ﷻ) وإن كان الأثنين مشركين والأثنين إن ماتوا على ما هم عليه فهما مُخلدان في نار جهنم وذلك لأن شرك التعطيل ينفي أسماء وصفات الإله فكأنه يعبد معدوماً لا إنه يعبد إله في حين إن شرك العبادة يُثبت فيه المشرك أن لله (ﷻ) أسماء وصفات ولكن يصرف العبادة لله (ﷻ) ولغيره فهو مُعظِّم لله (ﷻ) وقاصد لله (ﷻ) ولكنه يُشرك في صرف العبادة لغير الله (ﷻ).
- وأصل شرك التعطيل جاء من فرعون فقد طلب من هامان بناء الصرح للإطلاع إلى إله موسى (عليه السلام) وهذا الإطلاع ليس إقراراً من فرعون على أن الله (ﷻ) في علو كما يستدل بها بعض الناس في إثبات علو ذات الله (ﷻ) فوق السماوات بل هذا إنكاراً منه وهذا من باب استهزاءه بما يقول موسى (عليه السلام) فليُنتبَه إلى ذلك. فأهل المنطق يقولون لأهل السنة إن كنتم تقولون بعلو ذات الله (ﷻ) فوق السماوات فإن من قال ذلك هو فرعون والصحيح إن هذا ما قاله موسى (عليه السلام) لفرعون فموسى (عليه السلام) هو من قال لفرعون إن الله (ﷻ) في السماء.

1 هنا أخطأ المصنف (رحمه الله) في ذكر الآية فقمت باصلاحها.

3.2 تلازم الشرك والتعطيل (التوقيت: 24 دقيقة و04 ثانية)

والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه معطِّل حق التوحيد

- قال المصنف (رحمه الله): "والشرك والتّعطيل متلازمان فكل مشرك معطّل وكل معطّل مشرك لكن الشرك لا يستلزم أصل التّعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق (ﷻ) وصفاته ولكنه معطّل حق التّوحيد".
- المصنف (رحمه الله) أراد أن يُوضح إن كل مشرك معطل وكل معطل مشرك ولكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل. والحق إن كل مشرك معطل ومشبِّه لأن المشرك عطَّل الله (ﷻ) عما يستحقه وأيضاً شبَّهه بالمخلوق. فهو عندما مثلاً يذبح لغير الله (ﷻ) أو ينذر لغير الله (ﷻ) فهو أشرك لأنه فعل العبادة لغير الله (ﷻ) ثم عطَّل لأنه عطَّل حق التوحيد لله (ﷻ) فإنك إن كنت موحداً لله (ﷻ) فللإله حقوق ومنها أنك تُفرد له العبادة فهو عندما نذرلغير الله (ﷻ) أوذبح لغير الله (ﷻ) عطَّل حق الله (ﷻ).
- وهو أيضاً مُشبِّه لأنه صرفها للمخلوق فكأنه شبَّه المخلوق بالخالق فقد صرف له ما لا يُصرف إلا لله (ﷻ).
- وكل معطل مشرك لأنه من عطَّل بالكلية أسمائه وصفاته أو بالجزئية فقد أشرك بأنه عبد عَدَم مع الله (ﷻ) ولهذا أنكر إبراهيم (عليه السلام) على أبيه آزر فقال كما أوضح الله (ﷻ) في قوله (ﷻ): ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾[مريم: 42] فمن لا يسمع ولا يبصر لا يستحق العبادة والجماد في حكم المعدوم لأنه لا ينفع ولا يضر في شيء.
- لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل فقد يكون المرء مشركاً لكنه غير معطل في أصل التعطيل. فأصل التعطيل تعطيل فرعون فهو عطَّل علو ذات الله (ﷻ) وأسمائه وصفاته وقد يكون المرء مُقرَّاً بالأسماء والصفات ولكنه يُعطِّل حق التوحيد فهناك من المشركين من يُعظِّمون الله (ﷻ) ويُقرّون له الأسماء الحسنى والصفات العلى ولكن يُفردون العبادات لغيره.

3.3 طوائف شرك التعطيل (التوقيت: 29 دقيقة و05 ثانية)

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو: التعطيل وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: تعطيل المصنوع عن صانعه

الثاني: تعطيل الصانع عن كماله الثابت له

الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد

ومن هذا شرك أهل الوحدة ومنه: شرك الملاحدة القائلين بقِدَم العالم وأبديته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها العقول والنفوس ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة.

- قال المصنف (رحمه الله): " وأصل الشرك وقاعدته التي يُرجع إليها هو التّعطيل وهو ثلاثة أقسام أحدها تعطيل المصنوع عن صانعه. الثاني: تعطيل الصّانع عن كماله الثابت له. الثالث: تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التّوحيد. ومن هذا شرك أهل الوحدة ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديّته وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمّونها العقول والنفوس. ومنه شرك معطّلة الأسماء والصفات كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة".
- المصنف (رحمه الله) أراد استكمالاً للقسم الأول من الشرك وهو الشرك في الربوبية والأسماء والصفات وذكر النوع الأول منه وهو شرك التعطيل وأراد أن يُوضّح الطوائف التي أشركت في نوع شرك التعطيل.
- كلمة الصانع التي ذكرها المصنف (رحمه الله) كرهها كثير من أهل السلف لأنها كلمة لم تثبت بالشرع. فكلمة الصانع ليست إسم لله (ﷻ) ولكنها قد تكون من باب الإخبار[1] ولكن قد يستخدمه أهل السنة للرد على الخصوم. فالطوائف المبتدعة يأتون بمصطلحات مثل الصانع يعبّرون بها عن رب العزة (ﷻ) فهي كلمة دخيلة على أهل السلف وهذه الكلمة أصلاً من عبارات الفلاسفة.
- بدأ المصنف (رحمه الله) في بيان الطوائف التي أشركت شرك التعطيل وبدأ بطائفة أهل الوحدة أي أهل وحدة الوجود الذين يقولون إن الوجود واحد أي يجعلون وجود الخالق كوجود المخلوق وعين الخالق عين المخلوق فلا فرق بين الخالق والمخلوق فكل ما في الكون هو الخالق فكل ما يتصف به المخلوق عندهم من حسن وقبح يتصف به الخالق.
- فمن لازم كلامهم أنه لا يوجد إلا الله (ﷻ) فكل من عبد غير الله (ﷻ) فهو عابد لله (ﷻ). فمن عبد الأحجار والأشجار والأصنام فهو عابد لله (ﷻ). ولازم كلامهم كذلك إن موسى (عليه السلام) لم ينكر على قومه عبادتهم للعجل وأنكر على هارون (عليه السلام) أنه أنكر على قومه عبادة العجل فعندهم العجل هو الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً.
- وبعضهم قال إن فرعون من كبار المُحقّقين عندهم فهو مُصيب في دعوى الربوبية لأن فرعون عندهم هو الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً فالمخلوق هو عين الخالق.
- ومن يقولون بوحدة الوجود كفار كفر لا مجال فيه للشك.
- الطائفة الثانية التي ذكرها هي طائفة الفلاسفة. وهؤلاء قالوا إن الخالق يُسمَّى العقل الفعَّال أو النفس الفعَّالة. وقالوا إن العقل الفعَّال هو الذي يفيض على العالم وقالوا إن العالم قديم ليس له بداية وبعضهم جعل العالم سلسلة لا تنتهي أبداً فهو حلقات تنتهي ثم تبدأ مرة أخرى.
- ومنهم الدهريون الذين قالوا كما أوضح الله (ﷻ) في قوله (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية: 24]. فعندهم البطون تدفع (المرأة تلد) والأرض تبلع (في القبور).
- ومنهم أسماء شهيرة مثل ابن عربي وابن الفارض وابن سينا والحلاَّج والفرابي وابن سبعين. والحق إنه ليس في الإسلام فلسفة فهم يسمونهم الفلاسفة الإسلاميين وهذا غير صحيح. وهؤلاء من شدة ما وصلوا إليه من كفر لم يفرقوا بين العبد وبين الله (ﷻ) فيقولون: " كل ما ترى أمامك هو الله" وقال الحلاج: " وأنا الحق وما في الجبة إلا الله" [2] تعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً والجبة هو الشيء الذي يلبسه فهم مثل أهل الوجود عين الخالق مثل عين المخلوق.
- ويقولون أعلى حالات الوحدة بين العبد والرب هي حالة معاشرة الرجل لأمرأته تعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً [3].
- وهذا الكلام الذي قالوه كفر واضح بيّن لا يحتاج إلى كلام.
- ثم تكلَّم عن الطائفة الثالثة وهي الجهمية [4]. والجهمية تكلمنا عنها في شرك التعطيل وهم نسبة إلى جهم بن صفوان وهم عطلوا كل أسماء الله (ﷻ) وصفاته فلم يُثبتوا لله (ﷻ) أسماء ولا صفات فكأنهم عبدوا معدوم غير موجود.
- ومن أجود ما قيل في الجهمية قول حماد بن زيد: "مَثَلُ الجهمية مثل رجل قيل له: " أفي دارك نخلة؟" قال: " نعم". قيل: " فلها خوص؟" قال: " لا". قيل: " فلها سعف؟" قال: " لا". قيل: " فلها كَرَب؟" قال: " لا". قيل: " فلها جذع؟" قال: " لا". قيل: " فلها أصل؟" قال: " لا". قيل: " فلا نخلة في دارك" هؤلاء مِثل الجهمية قيل لهم: " لكم ربّ؟" قالوا: " نعم". قيل: " يتكلم؟" قالوا: " لا". قيل: " فله يد؟" قالوا: " لا". قيل: " فله قدم؟" قالوا: " لا". قيل: " فله إصبع؟" قالوا: " لا". قيل: " فيرضى ويغضب؟" قالوا: " لا". قيل: " فلا رب لكم" [5].

---

1 راجع كلمة الشيخ عن الإخبار في شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ في المحاضرة الثالثة صـ6.
2 راجع المحاضرة الثالثة رقم (3) صـ 5.
3 لم أقف عليه.
4 لمزيد من التفصيل يُرجى الرجوع لكتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" للدكتور " مانع الجهني".
5 رواه ابن شاهين في "شرح مذاهب أهل السنة" قال: "حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني حدثنا أبي عن سليمان بن حرب قال: قال حماد بن زيد:" ..." وذكره. شرح مذاهب أهل السنة. ورواه أبو يعلى في "إبطال التأويلات" عن أبي القاسم عبد الكريم وذكره أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني التيمي في "الحجة في بيان المحجة". (خوص) ورق النخل (سعف) جريد النخل (كَرَب) الأصلُ العريض للسَّعف إذا يَبِسَ

- ثم تكلَّم عن الطائفة الرابعة وهي القرامطة [1]. والقرامطة حركة باطنية نسبة إلى حمدان بن الأشعث ويُلقَّب بقرمط وهذا مذهب حقيقته الإلحاد فلا يؤمنون بالمعاد ولا بالجنة ولا بالنار ولا بالعقاب.
- وهؤلاء دخلوا مكة سنة 317 هـ وأقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم وقتلوا المسلمين في وقت الحج (8 ذي الحجة) قبل عرفة بيوم وسالت الدماء في الحرم وظل الحجر الأسود معهم حتى عام 339 هـ وأخذوه إلى المنطقة الشرقية (الدمَّام الآن) حتى إن الفقهاء وضعوا مسائل في هذا الزمان أنه لو عاد الحجر فكيف يُستلم وطوال فترة عدم وجود الحجر هل يُشار إليه أم لا ؟ وغيرها من المسائل المتعلقة بعدم وجود الحجر الأسود. وهذه مسألة عظيمة ليست بالهيِّنة.
- هم أيضاً لهم معتقدات كفرية من باب شرك التعطيل.

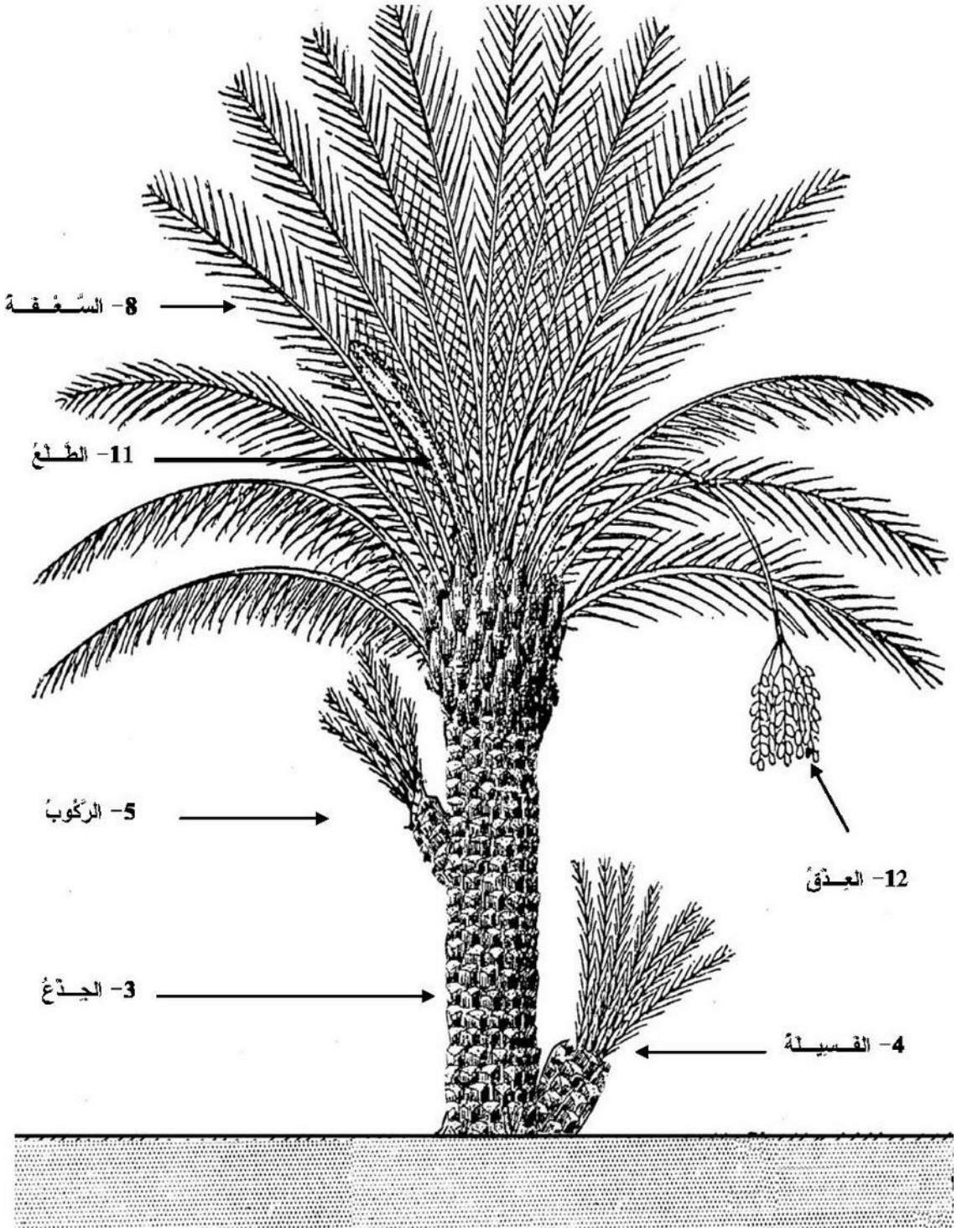

[1] لمزيد من التفصيل يُرجى الرجوع لكتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" للدكتور " مانع الجهني".

- ثم تكلَّم عن الطائفة الخامسة وهي المعتزلة [1]. والمعتزلة اتباع واصل بن عطاء وكان يجلس في مجلس الحسن البصري (رحمه الله) ثم اعتزل مجلس الحسن ولهذا سُمُّوا المعتزلة.
- للمعتزلة أصول خمسة: التوحيد والعدل وإنفاذ الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالمنزلة بين المنزلتين وكلها أسماء بمحتوى مخالف لأصول أهل السنة والجماعة.
- أما أصل التوحيد عندهم هو القول بخلق القرآن وإنكار رؤية الله (ﷻ) في الآخرة ويُثبتون الأسماء وينفون الصفات فيقولون سميع بلا سمع وعليم بلا علم فكأنه لا يُثبت شيء فيقولون سميع عبارة عن حروف السين والميم والياء والعين أنضمت إلى بعضها وكوَّنت كلمة سميع ولكنها ليس معناها إن الله (ﷻ) يسمع.
- وأما أصل العدل عندهم هو إن الله (ﷻ) لا يمكن أن يكون قد خلق أفعال العباد من معاصي وذنوب فالعدل عندهم إن العباد يخلقون أفعالهم فالله (ﷻ) لا يُنسب إليه خلق الشر والذنوب والمعاصي التي يفعلها العباد مع أن الله (ﷻ) قال: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الرعد: 16 & الزمر: 62] وقال (ﷻ): ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 96].
- وأما أصل المنزلة بين المنزلتين إنه من فعل الكبائر فهو في الدنيا بين منزلتين فلا هو كافر ولا هو مؤمن ولكنه في الآخرة خالد مُخلَّد في نار جهنم أبداً. وسبب ذلك إنهم جعلوا آيات الوعيد التي جاءت في الكفَّار تنطبق على فُسَّاق المسلمين وأصحاب الكبائر منهم. فصاحب الكبيرة عندهم لا يقولون كافر مثل الخوارج ولا مسلم مثل أهل السنة لكنه في الدنيا بين الإسلام والكفر.
- وأما أصل إنفاذ الوعد والوعيد يقولون إنه من حقق التوحيد عندهم لابد أن يدخل الجنة أُجرة وثمن على الطاعات ولا يدخل الجنة برحمة الله (ﷻ) ولكن لابد على الله (ﷻ) حتماً أن يُدخله الجنة. وكذلك الوعيد فمن وقع عندهم تحت الوعيد من أصحاب الكبائر فيجب على الله (ﷻ) أن يُعذِّبه في الآخرة فالله (ﷻ) عندهم لا يمكن أن يتخلف وعيده. والصحيح عند أهل السنة إن الله (ﷻ) لا يُخلف وعده ولكنه قد يُخلف وعيده. فإذا وعد الناس بالجنة فلابد أن يُدخلهم الجنة ولكن إذا توعَّدهم بالجحيم فإن كان مسلماً إن شاء الله (ﷻ) فعل وإن شاء لم يفعل ولكن في حق الكافر لابد أن يُنفذ وعيده كما في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116] [2].
- وأما أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم فيه مثل الخوارج يخرجون على السلطان الجائر وليس الكافر بكبائر الذنوب أو المعاصي ويُنكرون شرط القُرَشيَّة في الإمام الأعظم أو الخليفة [3].
- وكل ما سبق ذكره من الطوائف أشركت في النوع الأول من القسم الأول من شرك الربوبية والأسماء والصفات وهو شرك التعطيل. ثم سيبدأ المصنف في ذكر النوع الثاني من الشرك تحت القسم الأول من شرك الربوبية والأسماء والصفات وهو شرك التمثيل.

3.4 شرك التمثيل (التوقيت: 43 دقيقة و33 ثانية)

النوع الثاني : شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه تعالى إلهاً آخر كالنصارى في المسيح واليهود في عزير والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة.

وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهؤلاء أكثر مشركي العالم وهم طوائف جمَّة منهم من يعبد أجزاء سماوية ومنهم من يعبد أجزاء أرضية ومن هؤلاء

---

1 لمزيد من التفصيل يُرجى الرجوع لكتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" للدكتور " مانع الجهني".

2 كان الأولى الاستدلال بقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[المائدة: 5] وذلك لأن هناك من يرى فرق بين الشرك والكفر والآية التي استدل بها الشيخ تدل على الشرك فقط.

3 هذا للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) أنه قال: " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان".

من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة ومنهم من يزعم أنه من جملة الآلهة ومنهم من يزعم إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل .

- قال المصنف (رحمه الله): " النوع الثاني: شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه إلهًا آخر كالنصارى في المسيح واليهود في عزير والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة وشرك القدرية والمجوسيّة مختصر منه".
هذا هو النوع الثاني من القسم الأول من شرك الربوبية والأسماء والصفات وهو شرك التمثيل. وهو أن تعطي لأي مخلوق نفس أو بعض مما هو حقٌّ لله (ﷻ) فحتى المجوسية الذين قالوا بخالق النور وخالق الظلمة لم يجعلوهما متساويان.
- فالتمثيل هو أنه جعل مع الله (ﷻ) إلهاً آخر وأعطاه مثل ما أعطيه لله (ﷻ) في باب الأسماء والصفات والأفعال.
- فالنصارى قد ألّهوا المسيح (عليه السلام) ومريم (عليها السلام) أو قالوا هو ابن لله (ﷻ) وصرفوا لعيسى (عليه السلام) ما لا يُصرف إلا لله (ﷻ). وكذلك فعل اليهود مع عُزير فجعلوه ابن لله (ﷻ) كما فعلت النصارى مع المسيح (عليه السلام).
- واختلفوا هل عُزير نبي أم غير نبي؟ والمشهور أنه نبي وقد جاء في زمن بين داود وسليمان (عليهما السلام) وبين زكريا ويحيي (عليهما السلام). وقيل أنه جاء في زمن لم تكن التوراة تُقرأ وتُحفظ فقذف الله (ﷻ) التوراه كلها فحفظها كلها فسردها على بني إسرائيل وقالوا إن نبوته لم تثبت بدليل فلابد أن يأتي دليل حتى نثبت النبوة له. وهؤلاء وقعوا في شرك التمثيل فقد رفعوا المخلوق إلى منزلة الخالق.
- وبعضهم قال في النبي (ﷺ):

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن آخذا يوم المعاد يدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك **علم اللوح والقلم** [1].

- فجعل من علم النبي (ﷺ) علم اللوح وعلم القلم وجعل للنبي (ﷺ) جود الدنيا والآخرة. ولهذا قال ابن رجب: " هذا السفيه لم يترك لله شيئاً" أي: من جودك أنت الدنيا والآخرة ومن علومك علم اللوح والقلم أي: علم اللوح المحفوظ من علمك يا رسول الله وهذا من الغلو في رسول الله (ﷺ)" [2] وهذا أيضاً من شرك التمثيل لأنه مثل ما فعل اليهود والنصارى فهو عند حدوث المصائب يلوذ بالنبي (ﷺ).
- وهذا منتشر في الطرق الصوفية الذين عندهم من المشايخ والأولياء فبعضهم يقول إن الولي أعلى من النبي بل إن الولي يأتي يوم القيامة يكون عند باب جهنم فيأخذ ما يريد من اتباعه ويُدخلهم الجنة. وبعضهم يقول إن الأولياء يتحكمون في الكون ويسمونهم الأقطاب وكذلك الشيعة يرفعون علي (رضي الله عنه) ومن ثبت معه جعلوا لهم تصرُّف في الكون وكفَّروا بقية الصحابة.
- وتكلم المصنف (رحمه الله) كذلك عن القدرية والمجوس اللذان تكلمنا عنهما سابقاً وقلنا إن القدرية مثل المجوس فقد جعل المجوس للكون خالقين والقدرية المجوسية جعلوا كل عبد يخلق أفعال بنفسه وبهذا كانوا مثل المجوس الذين جعلوا للكون أكثر من خالق. بل هم أسوء من المجوس فالمجوس أثبتوا خالقين فقط وأما هؤلاء أثبتوا عدد ضخم من الخالقين فكل العباد عندهم خالقين.
- قال المصنف (رحمه الله): " وهؤلاء أكثر مشركي العالَم وهم طوائف جمّة منهم من يعبد أجزاء أرضية ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة ومنهم من يزعم أنه إذا خصّه بعبادته والتبتّل إليه أقبل عليه

---

1 هذا البيت قاله البوصيري في البردة. (ضرتها) يقصد بها الدار الآخرة.
2 لم أقف عليه.

واعتنى به ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه حتى تقرّبه تلك الآلهة إلى الله (ﷻ) فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل".

- فتجد الآن إن هؤلاء الذين ذكرهم المصنف (رحمه الله) أصبحوا طوائف كثيرة فمنهم من يعبد البقر وحتى الأصنام بعض الآن أصبح يعبدها وحتى الحجر والشجر والشيطان نفسه وطائفة في الهند تعبد الفرج. وكل هذه الطوائف ضابط شركها واحد وهو شرك التمثيل.
- ومنهم من تكلم فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) إن من يُصنَّف في دين المشركين فهذا من الشرك والردة عن الإسلام. والذي جعل ابن تيمية (رحمه الله) يتكلم هذا الكلام الكتاب الذي صنَّفه فخر الدين الرازي في عبادة الكواكب والأصنام [1] وتكلم في كتابه عن حسن ذلك ومنفعته ورغَّب فيه وكثير من العلماء على كلام ابن تيمية أرادوا أن يُكفِّروا الرازي. ولكن الحق إن ابن تيمية (رحمه الله) أراد أن يُبيِّن أن الفعل وهو التصنيف في دين المشركين كفر ولكن الرازي له كلام آخر يُبيِّن أنه كان على خطأ ولكنه رجع لصوابه وقال الأبيات المشهورة في حال أهل الكلام:

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم ند رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال ... فزالوا والجبال جبال [2]

- ثم قال بعد هذه الأبيات ليدل على عودته لمنهج السلف: " لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[فاطر: 10] ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه: 5] وأقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[طه: 110]. ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".
- فالحق إن شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يُفرِّق بين كفر العين وكفر النوع فهو قد يقول هذا فعل كفر ولكنه لا يُكفِّر صاحبه لانتفاء شروط وتحقق موانع على تكفيره فلابد أن تُقام عليه الحجة وتُزال عنه الشبهة [3]. وهذا لا يعني أن ابن تيمية (رحمه الله) لا يُكفِّر العين ولكن المسألة ترجع إلى الفعل الذي أُتي به فالمسألة ليست على الإجمال بل تحتاج إلى تدقيق وتمحيص.
- وتجد وللأسف بعض الناس ينكرون على أهل السنة عدم تكفيرهم لبعض العلماء حتى إنهم تجرَّأ على بعض العلماء المحسوبين على أهل السنة مثل العز بن عبد السلام والنووي وابن حجر (رحمهم الله) وإن كان عندهم بعض الأخطاء في بعض المسائل ولكنهم يريدون أن يرموهم بالكفر [4]. رغم أن الإمام أحمد (رحمه الله) كان يُنكر على **بعض** مقالات الجهمية وقال إن مقالتهم كفرية (كفر نوع) لكنه كان يتورع عن تكفيرهم (كفر عين) فالمسألة ليست على العموم فلابد أن يُرجع إلى الحالة.
- لابد هنا أن نؤكد إن غلاة الجهمية كفَّار ولكن بعضهم متأول مثل الأشاعرة وهو المتأولون هم من توقف الإمام أحمد في تكفيرهم وإن قال إن كلامهم كفر.
- وللأسف تجد بعضهم يكفِّر أهل السنة إن لم يُكفِّر الجهمية وهذا وللأسف عمَّ في كثير من مسألة الشركيات وهذا مذهب موجود عند بعض من يتكلمون في التوحيد والعقيدة وأصبح منهج أنه من لم يُكفِّر المشرك الذي أتى بأعمال الشرك فهو يُكفِّره وهو من أهل السنة. وعندما تقول له إنه كان عنده عذر أو عنده تأويل فلابد من التمحيص فيقول لا فهو يريد المسألة على الإطلاق.
- نعم هناك أشياء لا يُتوقَّف في كفر فاعلها عيناً مثل السجود للصنم وسب الدين وسب الله (ﷻ) وسب النبي (ﷺ) وإلقاء المصحف في القاذورات أو غير ذلك ولكن هناك أفعال أو أقوال لابد أن يُعلم فيها مقصد القائل والفاعل في ذلك.

---

1 قال ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى: "وهذا موجود في كلام متقدمي الجهمية ومتأخريهم مثل ما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الجهمي الجبري وإن كان قد يخرج إلى حقيقة الشرك وعبادة الكواكب والأوثان في بعض الأوقات. وصنف في ذلك كتابه المعروف في السحر وعبادة الكواكب والأوثان مع أنه كثيرا ما يحرم ذلك وينهى عنه متبعا للمسلمين وأهل الكتب والرسالة. وينصر الإسلام وأهله في مواضع كثيرة كما يشكك أهله ويشكك غير أهله في أكثر المواضع وقد ينصر غير أهله في بعض المواضع فإن الغالب عليه التشكيك والحيرة أكثر من الجزم والبيان"

2 راجع كلام الفخر الرازي (رحمه الله) في كتابه "أقسام اللذات" وراجعها في "طبقات الشافعية" لابن السبكي و"عيون الأنباء". (عقال) داء عضال لا يُبرأ منه وليس له شفاء والمقصود من " نهاية إقدام العقول عقال" من كثرة أعمال العقل خارج الحدود الشرعية كإعمال العقل في أسماء الله وصفاته فهذا يؤدي إلى مرض لا شفاء منه وهو الضلال المبين.

3 راجع كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف تحت عنوان " تكفير المطلق (كفر النوع) وتكفير المعيَّن (كفر العين)"

4 راجع المحاضرة السادسة عشرة في شرح لمعة الاعتقاد للشيخ رقم (3) صـ 7 .

- وأكثر المشركين في طائفة التمثيل وضابط الشرك في هذه المسألة هو الجهل وهو نوعان:

أ. جهل الإعراض عما جاءت به الرسل من وحي. فمن أعرض عن الوحي (كتاب أو سنة) ولا يرفع لذلك رأساً ولا يُصغي لحجج الله (ﷻ) ولا سننه ويشتغل بالدنيا ولا يبحث عن الحقيقة فهذا لا يُعذر لأن هذا أعرض قاصداً متعمداً كما قال (ﷻ): ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾[السجدة: 22] وكذلك من قوله (ﷻ): ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[الأحقاف: 3] وقوله (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: 10]. فهنا منشأ هذا الجهل الإعراض فهو ليس معذوراً فيه فهو أعرض عن الوحي الذي جاءه من كتاب أو سنة.

ب. الجهل بمعنى عدم العلم فهو لا يكفر بذلك ولكنه يُعذَّر ويُغلَّظ عليه حتى يتعلم لأننا لو قلنا له إنك في الدنيا لو أردت أن تشتري أو تبيع أو تتزوج أو تفعل أي أمر من أمور الدنيا إنك تسأل كيف تفعله فمن باب أولى في أصول دينك [1].

[1] الأفضل استخدام لفظ " ما لا يُعذر المسلم بجهله" لأن الدين لا يُقسَّم إلى أصول وفروع لكن الشيخ يقصد من كلمة أصول هو ما يُبنى عليه الدين وهو العقيدة .

الشريط الحادي عشر
سبب قبح الشرك

محتويات الشريط الحادى عشر

1- سبب قبح الشرك (التوقيت: 2 دقيقة و5 ثانية) 1

1- سبب قبح الشرك (التوقيت: 2 دقيقة و5 ثانية)

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال فنقول اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق

أما الأول فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية ، وهي: التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع فمن علَّقَ ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالىٰ و سَوَّى بين التراب وربِّ الأرباب فأي فجور وذنب أعظم من هذا ؟!.

واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلًا وشرعاً وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً ومن خصائص الإلهية العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل فمن أعطاهما لغيره فقد شبَّه بالله سبحانه وتعالى في خالص حقه وقُبحُ هذا مستقر في العقول والفطر ولكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً – كما رَوى ذلك عن الله أعرف الخلق به وبخلقه – عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً .

ومن خصائص الألوهية : السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به .

ومنها : التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

ومنها : التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

ومنها: الحلف باسمه تعظيمًا فمن حلف بغيره فقد شبهه به .

ومنها : الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به .

ومنها: حلق الرأس .. إلى غير ذلك .

- قال المصنف (رحمه الله): " فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرّسول (ﷺ) على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدّم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السّؤال فنقول: اعلم أن حقيقة الشرك: تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق. أمّا الخالق فإن المشرك شبّه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهيّة وهي التفرّد بملك الضّر والنفع والعطاء والمنع فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوّى بين التراب وربّ الأرباب فأي فجور وذنب أعظم من هذا؟. واعلم أن من خصائص الإلهيّة: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعا وفطرةً فمن جعل ذلك لغيره فقد شبّه الغير بمن لا شبيه له ولشدّة قبحه وتضمّنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرّحمة أنه لا يغفره أبدًا. ومن خصائص الإلهيّة والعبوديّة التي لا تقوم إلاّ على ساق الحب والذّل فمن أعطاهما لغيره فقد شبّهه بالله (سبحانه وتعالى) في خالص حقه".
- هناك تصحيح لقول المصنف (رحمه الله): " اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق ". فهذا الكلام منقول عن ابن القيم (رحمه الله) في الجواب الكافي ولكنه منقول خطئاً لأن ابن القيم (رحمه الله) قال: " هو التشبُّه بالخالق وتشبيه المخلوق به هذا هو التشبيه في الحقيقة لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله (ﷺ). فعكس الأمر من نكس الله قلبه وأعمى بصيرته وأركسه بكسبه وجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية " [1].
- هنا المصنف (رحمه الله) بدأ يرد على السؤال الذي سأله قبل ذلك وهو: لماذا كان العذاب ينتظر المشرك بأن الله (عز وجل) قال (سبحانه وتعالى): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116] وقال هل هذا يرجع إلى النهي فقط أي النهي عن الشرك فقط أم لأن قبح الشرك وحسن التوحيد معلوم عقلاً وشرعاً؟ ولماذا يُعذَّب المشرك مع أن قصده تعظيم جناب الله (عز وجل) ولو سألته قال: " ما أريد إلا الله (عز وجل)" وهذا الوسائط والأصنام وغير ذلك من العبادات التي يصرفها لغير الله (عز وجل) أنا أريد بها التقرب إلى الله (عز وجل). فإذا كان قصده التقرب إلى الله (عز وجل) ومع ذلك توعَّدُه الله (عز وجل) بألا يغفر له ما عليه من شرك وأن يُدخله جهنم.
- وقد ذكرنا في الأسبوع الماضي الطوائف التي أشركت في التعطيل والتمثيل وهو الجانب الأول في الإشراك في أسماء الله (عز وجل) وصفاته وأفعاله. ولهذا قال المصنف (رحمه الله): " فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرّسول (ﷺ) على

[1] راجع كلام ابن القيم في كتابه " الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" أو له اسم آخر وهو " الداء والدواء".

من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدّم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السّؤال".

- ثم أراد أن يُبيِّن المصنف (رحمه الله) أن حقيقة الشرك محصور في مسألتين وهو التشبُّه بالخالق كما صححنا أو تشبيه المخلوق بالخالق.
- أولاً نُبيِّن في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116] أن في الآية نفي وهو أن الله (ﷻ) لا يغفر الشرك والنفي هنا يكون أشد بلاغة من النهي لأن النفي عبارة عن نهي وزيادة [1]. فلما ينفي الله (ﷻ) أنه يغفر لمن أشرك ومات على الشرك هذا يتضمن زيادة بلاغية عن من ينهي عن الشرك فقد بيَّن الله (ﷻ) في أكثر من آية أنه لا يغفر للمشركين أبداً كما جاء في أكثر من موضع مثل قوله (ﷻ): ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾[المؤمنون: 104] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72].
- وقد كرَّر المصنف (رحمه الله) أمثلة العبادات التي لا تُصرف إلا لله (ﷻ) وهدف التكرار أن يجعل هذه المسألة تستقر عن الدارس والقارئ وترسيخ ذلك في الذهن وهذه من الطرق التي يُثني عليها أهل العلم بأن تُلخَّص ثم تُعيد مرة أخرى بعض الأشياء التي تراها مهمة حتى تُرسَّخ في الأذهان المقصد الذي تُريده من التأليف أو الكتاب.
- فأراد المصنف (رحمه الله) أن يُبيِّن أنه إذا كان الله (ﷻ) هو الإله المألوه بحق فمن خصائص إلوهيته (ﷻ) هي العبادة وهي أن تُصرف العبادة له. فأراد المصنف (رحمه الله) أن يُبيِّن إن صرف هذه العبادات لغير الله (ﷻ) فقد صرفت شيءٌ ملكُ لله (ﷻ) أو شيء يستحقه الله (ﷻ) لغيره. ولهذا وقع المشرك في أعظم الذنوب لأنه تصرَّف في ملك الله (ﷻ) وفيما يستحقه الله (ﷻ). فإذا كان الله (ﷻ) هو الإله المُستحق للعبودية فالمشرك عندما يصرف هذه العبادة لغيره فقد تصرَّف في مِلك الله (ﷻ) وأعطى ما يُستحق إلا لله (ﷻ) لغيره وهذا هو سبب عِظَم ذنب المشرك.
- وأنت أيضاً إذا قلت له أنت تُشرك بالله (ﷻ) قال: " أنا لا أريد إلا تعظيم الله (ﷻ)" فنقول له كيف تُعظِّم الله (ﷻ) وأنت قد أستقر في قلبك تعظيم هذه المخلوقات التي تعبدها من دون الله (ﷻ)؟. فمن عبد صنماً أو أتبع ولياً أو شيخاً وعبده من دون الله (ﷻ) أو إتبع هواه أو إتبع شيطاناً أو غير ذلك فقد استقر في قلبه حب وتعظيم هذه المخلوقات عن الله (ﷻ) فكيف يستقيم أن يجتمع في القلب تعظيم وحب الله (ﷻ) مع غيره؟ فهذا لا يستقيم أبداً.
- ولهذا أهم شيء نتكلم عنه الآن هو العبودية الذي هو من خصائص الإلهية فهي حق خالص لله (ﷻ) وقد بيَّن الله (ﷻ) أنه لم يخلق الإنس والجن إلا للعبادة كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56].
- وبيَّن الله (ﷻ) أنه من عنده من الملائكة يعبدوا الله (ﷻ) فقال (ﷻ) في الملائكة: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[الأنبياء: 19] وذمَّ المستكبرين عن عبادته (ﷻ) فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر: 60].
- وبيَّن الله (ﷻ) أنه ما أرسل الرسل إلا لدعوة الناس إلى عبادة الله (ﷻ) فقال (ﷻ): ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: 25] وقوله (ﷺ): " بعثت بالسيف بين يدي الساعة **حتى يعبد الله وحده لا شريك له** وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم" [2]. فبيَّن النبي (ﷺ) أن الله (ﷻ) أرسله بالسيف حتى يُعبد الله (ﷻ). وهذا الحديث يرد على من يتخوفون أن يقولوا إن الإسلام انتشر بالسيف وغير ذلك فمن أراد السيف فله السيف ومن لم يُرد السيف وأراد أن يعبد الله (ﷻ) بغير السيف فله ذلك. فالاسلام خيَّر أهل الكتاب إما أن يدخلوا في الإسلام بالدعوة أو يدفعوا الجزية ويظلون على ما هم عليه. وأما إن كانوا من غير أهل الكتاب فليس لهم إلا الدخول في الإسلام أو المقاتلة. فليس السيف لحب الدنيا أو الرئاسة أو الأرض أو المنافع أو الخيرات ولكن هو لعبادة الله (ﷻ). فبيَّن الله (ﷻ) أنه ما أرسل الرسل إلا ليدعو الناس لتوحيد الله (ﷻ) [3].

---

[1] والزيادة هي نفي حقيقة الشيء أي أن الله (ﷻ) ينهى عن الشرك وأضافة إلى ذلك يُوضِّح أن حقيقة الشرك ليست حسنة كما أراد المشرك أن يقول أنه يقصد التعظيم ولكن حقيقته سيئة وهي أنه أنزل المخلوق منزلة الخالق أو العكس كما ذكرنا في شركي التشبيه والتمثيل.

[2] أخرجه أحمد والمنتخب من مسند عبد بن حميد والطبراني عن ابن عمر (رضي الله عنهما). وصححه الألباني في إرواء الغليل وصحيح الجامع.

[3] وهنا لابد ان نُوضِّح نقطة هامة وهي أن الإسلام لا يبدأ بالسيف ولكن عندما يذهب المسلمون لفتح أي بلد يبدأون بالدعوة إلى الله (ﷻ) فإنا تركهم ملوك هذه البلاد يدعون إلى الله (ﷻ) فلا يوجد سيف. ولكن إذا أبى طواغيت هذه البلاد أن يسمع الناس الإسلام فلابد من إزالة هذه الطواغيت بالقوة حتى يسمع الناس الحق. والعجيب أن كل الدول التي تتشدق على المسلمين من اليهود والنصارى والروس ويقولون إن الإسلام انتشر بالسيف هم أنفسهم من يفرضون أفكارهم بالقوة على البلاد وما أمر فلسطين والبوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق وسوريا وغيرهم من البلاد المسلمين منا ببعيد. وهذا أكبر دليل على أن هذا هو المنهج البشري أن القوي هو الذي ينتصر فأعداء الله (ﷻ) ينتصرون لأغراض عقائدية فاسدة ودنيوية زائلة ونحن المسلمون لا ننتصر إلا لعقيدتنا وليس لقتل الناس وسفك دمائهم كما

- حتى إن الله (ﷻ) عندما أراد أن يُثني ويمدح النبي (ﷺ) وغيره من مخلوقاته أطلق لهم وصف العبادة فقال الله (ﷻ) في نبيه (ﷺ) في مقام الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[الإسراء: 1] وفي مقام تحدي المشركين في أن يأتوا بمثل القرآن قال (ﷻ): ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[البقرة: 23] وفي مقام دعوته (ﷺ) إلى توحيد الله (ﷻ) قال (ﷻ): ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن: 19] وفي مقام الوحي قال (ﷻ): ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[النجم: 10].
- وعندما أراد الله (ﷻ) أن يُثني على اهل الجنة وصفهم بالعباد في قوله (ﷻ): ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[الإنسان: 6] فأفضل الثناء على الخلق أنهم يُصفون بأنهم عُبَّاد لله (ﷻ).
- والعبادة في اللغة تأتي بمعنى التذلُّل فيُقال طريق مُعبَّد أي طريقٌ مُذلَّل. والعبادة في الشرع تُطلق على غاية الذل الخضوع مع غاية الحب. فركني العبادة هما الذل والخضوع مع الحب فلا تستقيم أي عبادة إلا بهذين الركنين.
- فقد تجد المرء يحب ولكنه لمن يحبه لا يخضع ولا يتذلل له فهذا ليس عابداً له وقد ترى الرجل لا يحب شخص ولكنه يخضع ويتذلل له خوفاً منه أما العابد فلابد أن يجمع بين الأمرين وهما غاية الحب وغاية التذلل والخضوع. ويُضاف عند أهل السنة والجماعة ركناً ثالثاً وهو الخوف فالعبادة لا تستقيم إلا بالخوف والرجاء والحب. فلو عبد بالخوف فقط كان حرورياً وهم الخوارج [1] ومن عبد بالرجاء فقط كان مثل المرجئة [2] ومن عبد بالحب فقط كان مثل الصوفية [3] كقول رابعة العدوية : " ما عبدت الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في جنته فأكون كأسير السوء ولكني عبدته حباً لذاته وشوقاً إليه" [4]. والعباد الحق هم من يجمعون بين المحبة والخوف والرجاء لله (ﷻ).
- والعبادة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) وهو تعريف بديع: " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة" [5]. فيندرج تحت هذا التعريف عبادة القلب واللسان والجوارح. فمن عبادة القلب التوكل

فعلوا هم في كل البلاد الإسلامية التي دخلوها. فالمسلمون عندما يستسلم أعدائهم يتركونهم ولا يفعلون معهم شيء على عكس من يقتل المسلمين في المساجد ويقتل النساء والأطفال الأبرياء دون شفقة أو رحمة.

[1] وهذا اللفظ قد ورد عند البخاري ومسلم والرواية لمسلم أن امرأة قالت لعائشة (رضي الله عنها): " أتقضي إحدانا الصلاة أيام محيضها؟ فقالت عائشة: أحرورية أنت؟ قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله (ﷺ) ثم لا تؤمر بقضاء". **وهذا اللفظ يعود على الخوارج** كما أخرج الحاكم وعبد الرزاق في " المصنف" والطبراني وأخرج أحمد بعضه ورواه بكامله ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" وابن الجوزي في " تلبيس إبليس" وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: " لما خرجت **الحرورية** اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت علياً فقلت: " يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم". قال: " إني أخاف عليك". قلت: " كلا". قال ابن عباس: " فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن" قال أبو زميل:" كان ابن عباس جميلاً جهيراً". قال ابن عباس: " فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا: " مرحبا بك يا ابن عباس فما هذه الحلة؟" قال: " قلت: " ما تعيبون عليَّ لقد رأيت على رسول الله (ﷺ) أحسن ما يكون من الحلل ونزلت: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق} [الأعراف: 32]" قالوا: " فما جاء بك؟" قلت: " أتيتكم من عند صحابة النبي (ﷺ) من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد". فقال بعضهم: " لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول: {بل هم قوم خصمون} [الزخرف: 58]" قال ابن عباس: " وأتيت قوماً لم أر قوما قط أشد اجتهاداً منهم مُسْهَمَةٌ وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم فمضى من حضر" فقال بعضهم: " لنكلمنه ولننظرن ما يقول". قلت: " أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله (ﷺ) وصهره والمهاجرين والأنصار؟" قالوا: " ثلاثاً". قلت: " ما هن؟" قالوا: " أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله تعالى: {إن الحكم إلا لله} [الأنعام: 57] وما للرجال وما للحكم؟" فقلت: " هذه واحدة". قالوا: " وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حل سبيهم وغنيمتهم ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم". قلت: " هذه اثنتان فما الثالثة؟" قال: " إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين". قلت:" أعندكم سوى هذا؟" قالوا: " حسبنا هذا". فقلت لهم: " أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه (ﷺ) ما يرد به قولكم أترضون؟" قالوا: " نعم". فقلت: " أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم} [المائدة: 95] إلى قوله {يحكم به ذوا عدل منكم} [المائدة: 95] فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: {وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما} [النساء: 35] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة أخرجت عن هذه؟" قالوا: " نعم" قال:" وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} [الأحزاب: 6] فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض" قلت: " أخرجت من هذه؟" قالوا: " نعم" قال: " وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم قد سمعتم أن النبي (ﷺ) يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين: " اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله " فقال المشركون: " لا والله ما نعلم إنك رسول الله لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك" فقال رسول الله (ﷺ): " اللهم إنك تعلم أني رسول الله اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله " فوالله لرسول الله خير من علي وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه" قال عبد الله بن عباس: " فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة". قال الحاكم في تعليقه على الحديث: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه" وقال الذهبي في التعليق: " على شرط مسلم".(مُسْهَمَةٌ) يُقال لونه يسهم: إذا تغير عن حاله لعارض. وقال الهيثمي: "رواه الطبراني وأحمد بعضه ورجالهما رجال الصحيح". لمزيد من المعلومات حول الخوارج راجع كتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" لمانع الجهني.

[2] راجع كتاب " ظاهرة الإرجاء" للشيخ سفر الحوالي وكتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" لمانع الجهني.

[3] راجع كتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة" لمانع الجهني.

[4] راجع المحاضرة الأولى رقم (1) صـ 7.

[5] راجع كتاب " رسالة العبودية" لابن تيمية (رحمه الله) وكذلك مجموع الفتاوى.

والخشية والإنابة والخضوع وغير ذلك وعبادة اللسان الذكر وغيره وعبادة الجوارح مثل عبادة الصلاة والحج وغير ذلك.

- وهناك تقسيم آخر للعبادات فقد تكون العبادة بدنية مثل الصلاة ومالية مثل الذبح وبدنية مالية مثل الحج. فبعضهم قال إن أفضل العبادات البدنية الصلاة وأفضل العبادات المالية الذبح والدليل قوله (ﷻ): ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[الكوثر: 2] و قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأنعام: 162] فهاتان الآيتان جمعتا بين الصلاة والذبح (النسك في الآية الثانية هو الذبح).
- فمن استطاع أن يحقق غاية الذل والخضوع مع غاية الحب فقد أدرك العبادة الحق. فكلما ارتقى المرء في هذين الركنين تراه يحقق أعلى المقامات في العبادة وتراه يكون أقرب إلى الله (ﷻ).
- ولا عجب في ذلك فقد قال (ﷺ): " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" [1] فالسجود غاية الذل والخضوع. فأشرف ما في الإنسان هو الوجه فهو يضعها على الأرض لله (ﷻ) متذللاً خاضعاً. وهذا يستشعره من يُطيل في السجود ويُخلص في الدعاء وهو يخضع لله (ﷻ) ففي هذا الموطن يشعر بقربه لله (ﷻ).
- وأراد المصنف (رحمه الله) أن يُبيِّن إن العبادة من خصائص الله (ﷻ) في الإلوهية التي لا يمكن أن تُصرف إلا لله (ﷻ) فمن صرفها لغير الله (ﷻ) فقد تعدَّى على حق الله (ﷻ). وهذا هو سبب عدم الغفران ووقوع العقاب من الله (ﷻ).
- ذكر المصنف (رحمه الله) كلمة " رب الأرباب" وهذه الكلمة لم يرتضيها كثير من أهل العلم ولكن الحق أنها لا شيء فيها فقد قال (ﷻ) حاكياً عن سيدنا يوسف (عليه السلام): ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[يوسف: 39] والله (ﷻ) هو رب هذه الأرباب جميعاً ومن كرهها قال أن هذه الكملة لم ترد في القرآن أو السنة وهي توحي بوجود أرباب أخرى ففيها نوع من التشريك.
- قال المصنف (رحمه الله): " وقُبح هذا مستقر في العقول والفطر".
- وبعد أن تكلم في مسألة خصائص الربوبية بيَّن مسألة مهمة جداً وهي حسن التوحيد وقبح الشرك هل هو ثابت بالسمع (الشرع) والعقل أم لا؟. فقد قال المصنف (رحمه الله): " وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعا وفطرةً ". وهذا كلام بديع وكما قلنا أغلب الكلام منقول عن ابن القيم (رحمه الله) وعن ابن تيمية (رحمه الله). فحسن التوحيد وقبح الشرك ثابت بالسمع (الشرع) والعقل والفطرة. فقد بيّن الله (ﷻ) في القرآن كثير من البراهين العقلية والأمثلة التي تُبيَّن حسن التوحيد وقبح الشرك حتى إنه خاطب العباد بهذا المفهوم المستقر في العقول لأن الله (ﷻ) عندما يأتي بالأمثلة والأقيسة في القرآن فكأنه يُخاطب الناس بما هو مستقر عندهم لأنك عندما تأتي بمثال لأحد فأنت تأتي له بما يستطيع أن يعقل ما تقوله لأنك تُشبَّه له هذه الأمثلة.
- فالفطرة والعقل كما سنبين مستقر فيهما حسن التوحيد وذم الشرك ثم يأتي الشرع ليُبيَّن هذا الكلام. فقد بيَّن الله (ﷻ) من الأمثلة قوله (ﷻ): ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمر: 29] وقوله (ﷻ): ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[النحل: 75] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[النحل: 76] وأصرحها قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: 73-74] .
- وهذه أدلة وبراهين كثيرة في القرآن تُبيَّن إن الثابت في العقل عند العباد بأن توحيد الله (ﷻ) هو الحُسن وأن الشرك هو المذموم كما سنُبيَّن.
- وهناك نقطة مهمة جداً لابد أن نُبيِّنها وهي أننا عندما نقول إن التوحيد ثابت بالعقل والفطرة لا يعنى أن الله (ﷻ) يُعذِّب العباد على التوحيد حتى يُرسل رسولاً أو حتى يُبيَّن لهم شرعاً فالعذاب لا يكون فقط بمعرفة التوحيد بالعقل والفطرة وهذا كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: 15] وقوله (ﷻ): ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾[الملك: 8-9] فسُألوا هل جاءهم نذير يُبلغهم دعوة الله (ﷻ) لكي يستحقوا العذاب أم لا؟ وهذا يدل

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (أقرب) مبتدأ حذف خبره وجوبا لسد الحال مسده وهي قوله وهو ساجد فهو مثل قولهم أخطب ما يكون الأمير قائما إلا أن الحال هناك مفردة وههنا جملة مقرونة بالواو أي أقرب ما يكون الإنسان من رحمة ربه حاصل في حال كونه ساجداً.

على أن إبلاغ الرسول ومخالفة قومه له من شروط إنزال العذاب على المخالفين وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[القصص: 59].

- وهذه المسألة مسالة شائكة وهي هل الله (ﷻ) يُعذِّب على ترك التوحيد قبل إرسال الرسل (عليهم السلام) أم بعد إرسال الرسل (عليهم السلام) وهل هم يستحقون ذلك قبل إرسال الرسل (عليهم السلام) أم لا يستحقون؟ فهذه المسألة يتم بحثها تفصيلاً في كتب أخرى [1].
- وقوله (ﷻ): ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾[الأنعام: 131] فقوله (ﷻ): ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ ﴾[الأنعام: 131] تدل على أن ترك التوحيد ظلم وهذا يرد على من قال إن ترك التوحيد لا يكون قبيحاً إلا أن يأتي الشرع بأنه قبيح فالتوحيد محمود عقلاً وفطرة قبل ورود الشرع والشرك مذموم عقلاً وفطرة قبل ورود الشرع وقوله (ﷻ): ﴿ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: 131] يرد على الطائفة التي تقول إن الله (ﷻ) يُعذِّب بدون إرسال الرسل على أن التوحيد مستقر بالعقل والفطرة فقط ولا يحتاج إلى شرع.
- وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[القصص: 47] وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾[طه: 134].
- الشاهد هو وإن كان التوحيد ثابت حُسنِهِ عقلاً وفطرةً وشرعاً إلا أن الله (ﷻ) لا يُعاقب على ترك التوحيد حتى يرسل الرسل (عليهم السلام) كما في الآيات التي تكلمنا عنها.
- وأيضاً يُبيِّن الله (ﷻ) على أن العلة في إرسال الرسل ومعهم الشرع حتى لا يكون للناس حجة كما في قوله (ﷻ): ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[النساء: 165] و قوله (ﷻ): ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: 155-157]. فهذه الآيات تُبيِّن على أن إرسال الرسل لكي تنقطع الحجة على العباد.
- وأيضاً مما يُبيِّن إن التوحيد حسنه مستقر في العقول وفي الفِطَر وإن الشرك ذمُّه مستقر في العقول وفي الفِطَر أن الله (ﷻ) يُخاطب كثير من الناس على التذُّكر كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس: 3& هود: 24&30 & النحل: 17& المؤمنون: 85& الصافات: 155& الجاثية: 23] وقوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: 44&73&76&242& آل عمران: 65&118& الأنعام: 32&151& الأعراف: 169& يونس: 16& هود: 51& يوسف: 2& 109& الأنبياء: 10&67& المؤمنون: 80& النور: 61& الشعراء: 28& القصص: 60& يس: 62& الصافات: 138& غافر: 67& الزخرف: 3& الحديد:17] وقوله (ﷻ): ﴿ انْظُرُوا ﴾[الأنعام: 11&99& الأعراف: 86& يونس: 101] وقوله (ﷻ): ﴿ فَانْظُرُوا ﴾[آل عمران: 137& النحل: 36& النمل: 69& العنكبوت: 20& الروم: 42] و قوله (ﷻ): ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[الحشر: 2] وقوله (ﷻ): ﴿ سِيرُوا ﴾[الأنعام: 11& النمل: 69& العنكبوت: 20& الروم: 42] وقوله (ﷻ): ﴿ فَسِيرُوا ﴾[آل عمران: 137& النحل: 36] وقوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[يوسف: 109& الحج:46& غافر: 82& محمد: 10] وقوله (ﷻ): ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[الروم: 9& فاطر:44& غافر: 21] فكل هذه الآيات يُبيِّنها لعباده.
- فإذا لم تكن هذه القضايا مستقرة فما بعدها ليس فيه فائدة فالتوحيد أوضح شيء مُرَّكب داخل العقل والفطرة فإن كان هذا أمر غير مستقر فما دونه أولى فالتوحيد هو أوضح الواضحات فلابد أن يكون مستقر في العقول والفطرة ان التوحيد محمود وأن الشرك مذموم وإلا كان ما دونه لا يمكن التعلق به عقلاً ولا فطرة.
- والشرك مذموم في العقول والفطر كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس: 3& هود: 24&30 & النحل: 17& المؤمنون: 85& الصافات: 155& الجاثية: 23] وقوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: 44&73&76&242& آل

[1] راجع كتاب "أهل الفترة ومن فى حكمهم" لموفق أحمد شكري.

عمران: 65&118& الأنعام: 32&151& الأعراف: 169& يونس: 16& هود: 51& يوسف: 2& 109& الأنبياء: 10&67& المؤمنون: 80& النور: 61& الشعراء: 28& القصص: 60& يس: 62& الصافات: 138& غافر: 67& الزخرف: 3& الحديد:17] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق: 37] وقوله (ﷻ): ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[الحج: 46].

- ومن الأدلة العقلية على قبح الشرك أن الله (ﷻ) قد بيَّن آثار أهل الشرك و بيَّن آثار الأقوام الذين عذبهم الله (ﷻ) مثل قوم عاد وقوم ثمود كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ﴾[العنكبوت: 38]. فعندما يجعل الله (ﷻ) آثار لهذه الأقوام يراها الناس فيعلمون أن ما كانت تفعله هذه الأقوام هو من المذموم وليس من الذي فيه حسن كما في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[العنكبوت: 34] وقوله (ﷻ): ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت: 35] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (78) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[الحجر: 75-79].
- قال المصنف (رحمه الله): " لكن لما غيّرت الشياطين فطر أكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا كما روى عن الله أعرف الخلق به وبخلقه ".
- ثم بيَّن المصنف (رحمه الله) إن الذي غيَّر فطرة الناس وعقول الناس من التوحيد إلى الشرك هم الشياطين. فمن الأسباب التي أدت إلى تحول الناس من الفطرة الصحيحة والعقل الصحيح هم الشياطين كما في قوله (ﷻ): ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[البقرة: 257]. وجاء في قوله (ﷺ): " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال **وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم** وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال: " إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان" وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت: " رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة" قال: " استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك" قال: " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال" قال: " وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك «وذكر» البخل أو الكذب والشنظير الفحاش " ولم يذكر أبو غسان في حديثه: «وأنفق فسننفق عليك»" [1] وقوله (ﷺ): " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة (رضي الله عنه): ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: 30] الآية" [2]. وهذا الحديث يدل على أن فطرة الناس كانت

---

[1] أخرجه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي (رضي الله عنه). (كل مال نحلته عبدا حلال) في الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال الخ ومعنى نحلته أعطيته أي كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك وأنها لم تصر حراما بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق (حنفاء كلهم) أي مسلمين وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية (فاجتالتهم) هكذا هو في نسخ بلادنا فاجتالتهم وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل وقال شمر اجتال الرجل الشيء ذهب به واجتال أموالهم ساقها وذهب بها (فمقتهم) المقت أشد البغض والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله (ﷺ) (إلا بقايا من أهل الكتاب) المراد بهم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك) معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده والصبر في الله تعالى وغير ذلك وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته ومن يتخلف وينابذ بالعداوة والكفر ومن ينافق (كتابا لا يغسله الماء) معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الزمان (إذا يثلغوا رأسي) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر (نغزك) أي نعينك (لا زبر له) أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي وقيل هو الذي لا مال له وقيل الذي ليس عنده ما يعتمده (لا يتبعون) مخفف ومشدد من الاتباع أي يتبعون ويتبعون وفي بعض النسخ يبتغون أي يطلبون (والخائن الذي لا يخفى له طمع) معنى لا يخفى لا يظهر قال أهل اللغة يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته وكتمته هذا هو المشهور وقيل هما لغتان فيهما جميعا (وذكر البخل أو الكذب) هكذا هو في أكثر النسخ أو الكذب وفي بعضها والكذب والأول هو المشهور في نسخ بلادنا (الشنظير) فسره في الحديث بأنه الفحاش وهو السيئ الخلق.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) يجعلانه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا حسب ملتهما بترغيبهما له في ذلك أو بتبعيته لهما. (تنتج البهيمة) تلد الدابة العجماء. (بهيمة جمعاء) تامة الأعضاء مستوية الخلق (تحسون) تبصرون (جدعاء) مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك أي إن الناس يفعلون بها ذلك فكذلك يفعلون بالولود الذي يولد على الفطرة السليمة (اقرؤوا إن شئتم) أن تتأكدوا هذا المعنى (فطرة الله) ملة الإيمان

على الملة الحنيفية السَمِحَة ثم انتكست هذه الفطر بفعل الشياطين أو الوالدين كما جاء في الحديث.

- قال المصنف (رحمه الله): " عموا عن قبح الشرك حتى ظنّوه حسنًا ".
- وهنا يتكلم المصنف (رحمه الله) هل الشرك يُغاير الكفر أم لا؟ [1]. والصحيح أن الشرك هو تسوية المخلوق بالخالق بأن يرفع المخلوق منزلة الخالق أو ينتقص من الخالق ويسوّيه بالمخلوق. وأما الكفر لا يُشترط فيه الشرك فقد يكفر بسب الله (عز وجل) وسب الرسول أو بالاستحلال أو غير ذلك.
- ولهذا أهل الكتاب كفار والبوذيين مشركين والحق أن من يقول بالتثليث هم كفار ومشركين وأما من يقول إن عيسى عبد الله (عز وجل) ولم يؤمن بالنبي (صلى الله عليه وسلم) فهو كافر.
- قال المصنف (رحمه الله): " ومن خصائص الإلهيّة: السّجود فمن سجد لغيره فقد شبّهه به. ومنها: التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به. ومنها: التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به. ومنها: الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبّهه به. ومنها: الذّبح له فمن ذبح لغيره فقد شبّهه به. ومنها: حلق الرّأس إلى غير ذلك".
- وتكلمنا من قبل عن هذه العبادات [2] ولكن نُوضّح مسألة مهمة جداً وهي إن هناك من الأقوال والافعال ما هي صريحة في الكفر فمن قالها أو فعلها فهو يكفر بذلك. وهناك من الأقوال والافعال ما هي ليست صريحة في الكفر فهي تحتمل الكفر والإيمان.
- ولهذا نفرق فإن كانت الأقوال والأفعال صريحة في الكفر فلا يُسأل فيها قائلها أو فاعلها عن نيته واعتقاده وهل هو جاحد أم غير جاحد حتى لا نقع في مسالة الإرجاء
- فغلاة أهل الإرجاء لا يُكفرّون إلا بالتكذيب أو الجحود فلا يقولون إن المرء كافر إلا إذا جحد أو كذَّب. والأقل منهم درجة من لا يقولون إن الفعل أو القول نفسه كفر ولكنهم يقولون إنه دلالة على الكفر فهو دلالة على التكذيب والجحود.
- فأهل السنة عندهم الكفر أنواع فمنه كفر جحود وكفر استحلال وهو أن المرء يستحل أمر حراماً كاستحلال الخمر أو يكون كفر تكذيب أو يفعل شيء فيه كفر مثل السجود للصنم أو يقول قولاً كفرياً مثل سب الله (عز وجل) أو سب النبي (صلى الله عليه وسلم) أو سب الدين أو يكون الكفر تركاً مثل ترك الصلاة فقد أجمع الصحابة على كفر تارك الصلاة [3].
- ويكفي فقط أن يأتي المرء بناقض واحد من هذه النواقض فلا يجب أن يأتي بكل هذه النواقض كلها وقد لا يكفر لاعتبارات أخرى[4]. والمهم أن أنواع الكفر ليست محصورة كما هي عند أهل الإرجاء في التكذيب والجحود فقط.
- فهناك من الأفعال والأقوال ما هي صريحة في الكفر مثل السجود لصنم وهذا يُخالف من سجد لشخص فقد يكون سجود المقصود منه التحية [5] وكذلك سب الله (عز وجل) أو سب النبي (صلى الله عليه وسلم) أو سب الدين فهذا الفعل في ذاته كفر. ولكن إذا احتمل القول أو الفعل فلابد أن يُستفسر من فاعله. فمثلاً لو سجد لرجل نسأله هل سجدت سجود تعظيم أم تحية؟ فلو كان تحية فهو حرام مثل الركوع والسجود في الألعاب القتالية في بداية المبارة ولو سجد تعظيماً له فهذا كفر مثل السجود لشيخه أو وليه تعظيماً أما لو كان السجود لصنم فلا يمكن أن يكون سجوده للصنم تحية.
- طبعاً مسألة التكفير من المسائل التي لابد أن يتورع فيها المرء فالأمر ليس هيناً ولكننا نتكلم الآن من باب التأصيل فقط فلابد من التمهل فيها وقياسها بميزان الشرع.
- بعض الناس يظن إن الأمر لو كان عبادة فأداه المرء لغير الله (عز وجل) على أنه عبادة كان شركاً أكبر ولو أداه على أنه ليس بعبادة كان شركاً أصغر. وهذا الضابط فيه نظر ويحتاج لتفصيل فمثلاً سجد للصنم فهذه عبادة فلو سجد له عبادة فهذا شركاً أكبر وأما لو لم يسجد للصنم عبادة على ضابطهم يكون شركاً أصغر على ضابطهم فمثلاً لو قال أحدهم لشخص: " اسجد لهذا الصنم وأعطي لك 100 ألف جنيه" فقال هذا الشخص: " بسيطة أخذ الأموال واسجد سريعاً فأنا لا أعبده" فعندهم هذا شركاً أصغر وهذا غير صحيح فطالما سجد للصنم فهو شركاً أكبر لأنه لا يحتمل غير ذلك. فالضابط المذكور ليس مضطرداً في جميع الحالات فلا يؤخذ على إطلاقه هكذا.
- ومن الأفعال التي لا تحتمل في الدلالة أنك رايت رجل يُلقي المصحف في القاذورات فهذا لا يمكن أن يكون إلا كفر. أما لو رأيته يلقي المصحف في النار فلابد هنا من تفصيل فلا يمكن أن تقول إن هذا الفعل كفر مباشرة ولكن نبحث عن القرائن فلو رأيت المصحف جديداً فهذه قرينة (ولكننا لا نجزم بذلك) على أن هذا استهزاءاً ولكن إذا وجدت المصحف بالياً ومُقطّعاً فكأنه

والتوحيد ومعرفة الخالق سبحانه (فطر الناس) خلقهم (لا تبديل لخلق الله) لا تفاوت بين الناس في أصل خلقتهم ولا يستطيع أحد أن يغير طبيعة نفوسهم حقيقة. (القيم) المستقيم والمقوم لأمور الناس.

[1] راجع المحاضرة السادسة صـ 2.

[2] راجع المحاضرة السابعة والثامنة والتاسعة.

[3] راجع كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف في باب النواقض العملية في قرب نهاية الكتاب.

[4] راجع الشروط والموانع لتكفير المعين في كتاب " نواقض التوحيد" للشيخ عبد العزيز عبد اللطيف.

[5] راجع المحاضرة التاسعة.

يريد أن يستن بسنة عثمان (رضي الله عنه) عندما جمع المصاحف وحرَّقها لجمع الناس على مصحف واحد فقط [1]. فالقرينة هنا هي

---

[1] ***معنى الجمع في اللغة*** الجَمْع: مصدر الفعل "جَمَع" يقال: جمع الشيء يجمعه جمعا
معنى الجمع في الاصطلاح جمع القرآن الكريم يطلق في علوم القرآن على معنيين:
أحدهما: جمعه بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب ويدل له قوله (تعالى): ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[القيامة: 17] أي : جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك.
الثاني: جمعه بمعنى كتابته ويدل له ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري في قصة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومما ورد فيه قول عمر بن الخطاب لأبي بكر (رضي الله عنه): " وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن" وقول أبي بكر الصديق لزيد بن ثابت (رضي الله عنه): " فتتبع القرآن فاجمعه" أي اكتبه كله.

إطلاق لفظ جمع القرآن

أغلبهم يطلق عبارة جمع القرآن الكريم في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) وجمعه في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وجمعه في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ويريدون بالجمع معاني مختلفة فبتدبر الأمر وتتبع الروايات نجد أن لفظ الجمع حين يطلق:
- في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) يقصد به حفظه عن ظهر قلب وكتابته على الأدوات المتوفرة ذلك الوقت.
- وحين يطلق في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) يُقصد به كتابة القرآن الكريم في مصحف واحد مسلسل الآيات مرتب السور.
- وحين يطلق في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) يُقصد به نسخ المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) بمصاحف متعددة.

حفظ القرآن في السماء

قال (تعالى): ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[عبس: 13-16] فهو في اللوح المحفوظ مصون مستور عن الأعين لا يطلع عليه إلاّ الملائكة المقربون ولا يمسه في السماء إلاّ الملائكة الأطهار ولا يصل إليه شيطان ولا يُنال منه فالشياطين لا تمس هذا الكتاب وليس لها سبيل إليه وإنما تحف به الملائكة المقربون ويؤكد الله (تعالى) وصفه بكونه مكنونا ومحفوظا إلى يوم القيامة كما في قوله تعالى (تعالى): ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[البروج: 21-22]

حفظ القرآن الكريم على الأرض

لقد حفظ الله (عز وجل) القرآن الكريم على الأرض بواسطة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي استقبله فأحسن الاستقبال وحفظه أتم حفظ وقام به خير قيام وبلغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة العدد فمن ذلك قوله (تعالى): ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[القيامة: 16-19] و قوله (تعالى): ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾[الأعلى: 6] ويتبين من ذلك أن الله (عز وجل) حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم أصحابه (رضي الله عنهم) والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك. ولعل من أبرز دواعي حفظه - غير تكفل الله (عز وجل) بحفظه - ما يلي :

1. مجيء القرآن الكريم معجزا متميزا في نظمه فريدا في أسلوبه لا يطاوله كلام البلغاء ولا تدنو منه فصاحة الفصحاء.
2. تشريع قراءة القرآن الكريم في الصلاة فرضا كانت أم نفلاً سراً أم جهراً مما جعلهم يحرصون على حفظ القرآن الكريم لأداء هذه العبادة.
3. ارتباط القرآن الكريم بالتشريعات.
4. الترغيب في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتعلمه وتعليمه.
5. سهولة حفظ القرآن الكريم وتيسيره.

الأدوات التي كتب عليها الوحي

كان كتاب الوحي يكتبون القرآن فيما كان ميسرا لهم في زمنهم ومن الأدوات التي كتب فيها: -

1. الرِّقاع: وهي جمع رقعة وهي القطعة من الجلد وقد تكون من غيره كالقماش أو الورق وهو غالب ما كتب عليه الوحي. قال زيد بن ثابت (رضي الله عنه): "كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نؤلف القرآن من الرقاع".
2. الأكتاف: وهي جمع كتف وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان. قال السيوطي: "هو العظم الذي للبعير أو الشاة". قال زيد بن ثابت (رضي الله عنه) بعد أن أُمِر بجمع القرآن: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال".
3. العُسُب: وهو جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.
4. اللِّخاف: وهو جمع لَخْفَة وهي صفائح الحجارة.
5. الأقتاب: وهو جمع قتب وهو قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليه الإنسان قال زيد بن ثابت (رضي الله عنه) في رواية ابن أبي داود: " فجمعت القرآن أجمعه من الأكتاف والأقتاب والعسب وصدور الرجال.
6. ومما كانوا يكتبون فيه: الصحف والألواح والكرانيف وغيرها.

جمع القرآن

يطلق جمع القرآن تارة على حفظه في الصدور وتارة على كتابته. فعلى المعنى الثاني نقول: ان القرآن جمع ثلاث مرات فالجمع الأول كتب كله في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) لكن غير مجموع في موضوع واحد ولا مرتب السور بل كان مفرقا في العسب واللخاف والرقاع والاقتاب ونحوها مع كونه محفوظا في الصدور. والجمع الثاني جمع أبى بكر الصديق (رضي الله عنه). وأما عن سبب عدم جمعه (صلى الله عليه وسلم) القرآن في مجلد لأمرين الأول: الأمن فيه من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده (صلى الله عليه وسلم) بين أظهرهم والثاني: خوف نسخ شيء منه بوحي قرآن يبدله.
اختلف فيمن جمع القرآنفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقيل: أربعة وقيل: ستة وقيل: خمسة فعد المربعون أبياً ومعاذاً وزيد بن ثابت وأبا زيد وهو قول أنس. فقيل: من أبو زيد قال بعض عمومتي. وعد بعضهم مجمع بن جارية وسالماً مولى أبي حذيفة وترك زيداً وأبا زيد وعثمان وتميماً الداري (رضي الله عنهم). وعد بعضهم أبا الدرداء مكان تميم. وحكى ابن عيينة عن الشعبي أنه قال: لم يقرأ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا ستة كلهم من الأنصار: أُبي ومعاذ وأبو الدرداء وسعد بن عبيد القاري وأبوزيد وزيد (رضي الله عنهم). فقيل هو ابن ثابت (رضي الله عنه) وقيل: لا. والأول أظهر. وقال الشعبي: غلب زيد بن ثابت الناس بالقرآن والفرائض. وقيل: أول من حفظ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الأنصار سعد بن عبيد (رضي الله عنه) ومن الخزرج أبي ومعاذ (رضي الله عنه) والخلاف في غيرهما والجمهور على عثمان وزيد وتميم (رضي الله عنهم). كان زيد (رضي الله عنه) حافظاً للقرآن وجامعا له فما ووجه تتبعه المذكورات انه كان يستكمل وجوه قراءاته ممن عنده ما ليس عنده وكذا نظره في المكتوبات التي قد عرف كتابتها وتيقن أمرها فلا بد من النظر فيها وإن كان حافظا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا وإذا استند الحافظ عند الكتابة إلى أصل يعتمد عليه كان آكد واثبت في ضبط المحفوظ. قُبِضَ النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يكن القرآن جمع في شيء. قال الخطابي: " إنما لم يجمع (صلى الله عليه وسلم) القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة. بدأ جمع القرآن بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على يد أبو بكر (رضي الله عنه) بمشورة عمر (رضي الله عنه). وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن" فالجواب من وجهين: -

1. أنه لا ينافي ذلك لأن الكلام في كتابه مخصوصة على صفة مخصوصة وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله (ﷺ) لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور.
2. ذلك كان خشية اختلاطه بالسنة.

قال الحاكم في المستدرك: " جمع القرآن ثلاث مرات: إحداها بحضرة النبي (ﷺ) والثانية بحضرة أبي بكر (رضي الله عنه). روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) وفيه أنه قال: " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر.. " الحديث وكان سببه ذهاب كثير من القراء في مقتل أهل اليمامة. وقال علي (رضي الله عنه): " أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر رحمة الله على أبو بكر هو أول من جمع كتاب الله". وقال أبو بكر (رضي الله عنه) لعمر ولزيد (رضي الله عنهما): " اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. رجاله ثقات مع انقطاعه. قال ابن حجر: " وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب". وقال ابن حزم: " على كتبة المصحف وجمع القرآن بين الدفتين بالرأي والظن". قال السخاوي في قول زيد (رضي الله عنه) عن آخر سورة التوبة: " لم أجدها مع غيره: أي لم أجدها مكتوبة مع غيره لأنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة". وقال السيوطي: " أو المراد أنهما يشهدان على ذلك مما عرض على النبي (ﷺ) عام وفاته". عن الليث بن سعد قال: " أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها فإن رسول الله (ﷺ) جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر آتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده". وقال الحارث المحاسب في كتاب فهم السنن: " كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه (ﷺ) كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فيبيت رسول الله (ﷺ) فيها قرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء". فإن قيل: كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجوز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي (ﷺ) عشرين سنة فكان تزوير ما ليس منه مأمونا وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه.

جُمِعَ القرآن في صحف أو مصحف على ذلك النمط الآنف بمزاياه السابقة التي ذكرناها بين يديك لم يعرف لأحد قبل أبي بكر (رضي الله عنه) وذلك لا ينافي أن الصحابة كانت لهم صحف أو مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل لكنها لم تظفر بما ظفرت به الصحف المجموعة على عهد أبي بكر من دقة البحث والتحري ومن الاقتصار على ما لم تنسخ تلاوته ومن بلوغها حد التواتر ومن إجماع الأمة عليها ومن شمولها للأحرف السبعة.

مدة جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قرابة خمسة عشر شهرا حيث بدأ بعد معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة أو أوائل الثانية عشرة وانتهى قبل وفاة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وكانت في الشهر السادس من السنة الثالثة عشرة وتم ذلك جمعا وكتابة قبل وفاته (رضي الله عنه) ويدل على ذلك قول زيد بن ثابت (رضي الله عنه) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري " فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله"

سمات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

اتسم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بعدة سمات من أبرزها:

1. أن كتابته قامت على أدق وسائل التثبت والاستيثاق فلم يقبل فيه إلاّ ما أجمع الجميع على أنه قرآن وتواترت روايته.
2. أنه جمع في مصحف واحد مرتب الآيات والسور.
3. موافقته لما ثبت في العرضة الأخيرة.
4. اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته وتجريده مما ليس بقرآن.
5. اشتماله على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة.
6. إجماع الصحابة على صحته ودقته وعلى سلامته من الزيادة والنقصان وتلقيهم له بالقبول والعناية حتى قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): " أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع بين اللوحين"

تسميته بالمصحف

بعد أن أتم زيد جمع القرآن الكريم أطلق على هذا المجموع "المصحف" فقد روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه المصاحف أنه قال: " لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: " التمسوا له اسماً" فقال بعضهم: السِّفْر وقال بعضهم: " المصحف فإن الحبشة يسمونه المصحف". وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه "المصحف". وعلى أي حال فإن المصحف يطلق على مجموع الصحائف المدون فيها القرآن الكريم أما القرآن فهو الألفاظ ذاتها.

جمع عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان (رضي الله عنه). روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قَدِمَ على عثمان (رضي الله عنه) وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان (رضي الله عنه): " أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف نسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إلى حفصة (رضي الله عنها) فأمر زيد ابن ثابت عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (رضي الله عنهم) فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم" ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق. قال زيد : " ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ﷺ) يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[الأحزاب: 23] فألحقناها في سورتها في المصحف. قال ابن حجر: " وكان ذلك في سنة خمس وعشرين". قال: " وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستنداً" انتهى.

فكرة الجمع في عهد عثمان (رضي الله عنه)

لما سمع عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ما سمع وأخبره حذيفة (رضي الله عنه) بما رآه جمع (رضي الله عنه) أعلام الصحابة واستشارهم في علاج هذه الفتنة وذلك الاختلاف فأجمعوا أمرهم على ثلاثة أمور:

1. أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.
2. أن ترسل نسخة إلى كل مصر من الأمصار فتكون مرجعا للناس منه يقرؤون ويُقرئون وإليه يحتكمون عند الاختلاف.
3. أن يحرق ماعدا هذه النسخ.

ثم شرع عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في تنفيذ هذه الأمور وكان ذلك في أواخر سنة 24هـ وأوائل سنة 25هـ حيث عهد إلى مجموعة من الصحابة من خيرة الحفاظ والكتاب مؤلفة من أربعة أشخاص هم زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي وسعيد بن العاص القرشي الأموي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي. ويُلاحظ أن زيد بن ثابت هو الأنصاري الوحيد أما الثلاثة الآخرون فهم قرشيون وكان نصيبهم كبيراً لأن القرآن نزل بلغة قريش. وتشير بعض الروايات إلى أن الذين ساهموا في نسخ المصاحف اثنا عشر رجلاً. والظاهر أنه لا تنافي بين رواية البخاري التي اقتصرت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضافت إليهم خمسة أو سبعة فرواية البخاري حددت المجموعة الأساسية والروايات الأخرى أضافت إليهم ممن ساعدهم بالإملاء

والكتابة. وكانت فكرة عثمان (ﷺ) صائبة ولم تخرج عن مشورة وإجماع الصحابة الكرام في عهده. وأخرج ابن أبي داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة قال: " قال عليّ (ﷺ): لا تقولوا في عثمان (ﷺ) إلا خيراً فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا". قال : " ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذه يكاد يكون كفراً". قلنا: " فما ترى؟" قال: " أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد قال لا تكون فرقة ولا اختلاف" قلنا: " فنعم ما رأيت".

سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان (ﷺ)

بينت لنا الروايات السابقة أن سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان (ﷺ) يمكن إرجاعه إلى ما يلي: -

1. رفع الاختلاف والتنازع في القرآن الكريم وقطع المراء فيه وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يمكن أن يقرأ بها القرآن الكريم.
2. حماية النص القرآني من أي إضافة أو نقص نتيجة وجود عدد من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن.

نشر عثمان بن عفان المصاحف في الأمصار وتسمية المصحف وبعد أن تم العمل بنسخ المصاحف أعاد عثمان بن عفان (ﷺ) الصحف إلى حفصة أم المؤمنين (ﷺ) وأمر بتوزيع المصاحف على الأمصار ليقضي على التنازع والاختلاف في قراءة القرآن الكريم فأرسل إلى كل مصر من الأمصار بمصحف من المصاحف التي نسخت واحتفظ عنده بمصحف سمي "المصحف الإمام".

عدد المصاحف واختيار الحفاظ

وقد وقع الاختلاف في عدد هذه المصاحف: -

1. فقيل: إنها ثمان نسخ.
2. وقيل: إنها أربع نسخ.
3. وقيل: إنها خمس نسخ.

قال ابن حجر: "فالمشهور أنها خمسة" وقرره السيوطي في الإتقان. وعلى أي حال فإن الجميع يكاد يتفق على خمسة وهي الكوفي والبصري والشامي والمدني العام والمدني الخاص - الذي حبسه عثمان لنفسه وهو المسمى بالإمام. والتي محل خلاف ثلاثة هي: المكي ومصحف البحرين واليمن. وإن كان بعضهم أضاف مصر.

ولم يكتف عثمان (ﷺ) بتوجيه هذه المصاحف إلى تلك البلدان وإنما اختار حفاظًا يثق بهم فأرسلهم إليها ليقرئوا أهل البلد المرسل إليهم مع ملاحظة أن تكون قراءته موافقة لخط المصحف.

حرق الصحف والمصاحف الأخرى ورضا الصحابة عن ذلك

بعد أن أرسل عثمان (ﷺ) المصاحف التي تم نسخها إلى الأمصار أمر بما سواها مما كان بأيدي الناس أن يحرق كما في حديث أنس السابق الذي أخرجه البخاري: "فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق". وقد استجاب الصحابة (ﷺ) كلهم لذلك وقاموا بحرق مصاحفهم حتى عبد الله بن مسعود (ﷺ) فإنه بعد أن امتنع في أول الأمر رجع طواعية لما علم صواب ذلك وأن مصلحة الأمة فيما فعله عثمان (ﷺ).

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان (ﷺ)

جمع أبي بكر (ﷺ) كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي (ﷺ) وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قروه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئه بعض فخشى من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة وهو ما قرره القاضي أبو بكر في الانتصار.

عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق

اختلف في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق والمشهور أنها خمسة. وأخرج ابن أبي داود من طريق حمزة الزيات قال: " أرسل عثمان أربعة مصاحف". قال ابن أبي داود: " سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: " كتب سبعة مصاحف فأرسل إلى مكة والشام وإلى اليمن وإلى البحرين وإلى البصرة وإلى الكوفة وحبس بالمدينة واحداً".

ترتيب الآيات

الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبوجعفر بن الزبير في مناسباته وعبارته: " ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه (ﷺ) وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين".

ترتيب السور

ترتيب السور فعل النبي (ﷺ) على الأصح والآيات بالوحي عن الجمهور وحكي عليه الإجماع وحكى القرطبي قولين وكذلك اختلفت المصاحف في ترتيب السوردون الآيات. وقال أبوجعفر النحاس: " المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله (ﷺ) لحديث واثلة أعطيت مكان التوراة السبع الطوال قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي (ﷺ) وأنه في ذلك الوقت وإنما جمع في المصحف على شيء واحد لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله (ﷺ) على تأليف القرآن. وقالا بن الحصار: " ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحي". وقال ابن حجر: " ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توفيقياً". قال: " ومما يدل على أن ترتيبها توفيقي ما أخرجه أحمد وأبوداود عن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي قال كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف الحديث وفيه فقال لنا رسول الله (ﷺ): " طرأ على حزب من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه" فسألنا أصحاب رسول الله (ﷺ) قلنا: " كيف تُحزّبون القرآن؟" قالوا: " نُحزّبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى نختم". قال: " فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله (ﷺ)". قال: " ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه".

وقد ذهب إليه البيهقي إلى أن جميع السور ترتيبها توفيقي إلا براءة والأنفال ولا ينبغي أن يستدل بقراءته (ﷺ) سوراً على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراء ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز".

عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة. وعدد حروفه وذكرنا قول ابن عباس وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان وعد الأصناف والأثلاث إلى الأعشار وأوسع القول في ذلك فراجعه منه. وقد قال السخاوي: " لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان والقرآن لا يمكن فيه ذلك".

الحكمة في تسوير القرآن

قيل: " تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله والإشارة إلى أن كل سورة نمط مستقل فسورة يوسف تترجم عن قصته وسورة إبراهيم براءة تترجم عن أحوال المنافقين وأسرارهم إلى غير ذلك والسور سوراً طوالاً وأوساطاً وقصاراً تنبيها على أن الطول ليس من شرط الإعجاز فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدريج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه".
وقال الزمخشري وما اختاره السيوطي: " أنزل الله التوراة والإنجيل والزبوروما أوحاه إلى أنبيائه مسورة وبوب المصنفون في كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم". ومنه حديث أنس: " كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا". ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل ومنها أن التفصيل بسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني والنظم إلى غير ذلك من الفوائد. واستدل السيوطي بما أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: " كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وذكروا أن الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال".

يترتب على معرفة الآيات وعددها أحكام فقهية

قال السيوطي: " منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات. ومنها اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية كاملة ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة وكذا الطويلة على ما أطلقه الجمهور. ومنها اعتبارها في الوقف عليها". وقال الهذلي في كامله: " اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني: " العدد ليس بعلم وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه". قال: " وليس كذلك ففيه من الفوائد معرفة الوقف ولأن الإجماع انعقد على أن الصلاة لا تصح بنصف آية". منها ذكر الآيات في الأحاديث والآثار أكثر من أن يحصى كالأحاديث في الفاتحة أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي والآيتين خاتمة البقرة وكحديث اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[البقرة: 163] و ﴿ الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[آل عمران: 1-2] وفي البخاري عن ابن عباس: " إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[الأنعام: 140].

معرفة حفاظه ورواته

روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: " سمعت النبي (ﷺ) يقول خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيّ بن كعب" أي تعلموا منهم. والأربعة المذكورون إثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما واثنان من الأنصار وسالم وهو ابن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ هوابن جبل. قال الكرماني: " يحتمل أنه (ﷺ) أراد الإعلام بما يكون بعده أي أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك". وتعقب بأنهم لم ينفردوا بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة ومات معاذ في خلافة عمر ومات أبيّ وابن مسعود في خلافة عثمان وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة وعاش بعدهم زمناً طويلاً. فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول ولا يلزم من ذلك ألا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة. وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلاً.

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة

سبعة وهم عثمان وعليّ وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري (رضي الله عنهم) كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء قال: " وقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس (رضي الله عنهم) واشتهر من رواة كل طريق من طرق السبعة راويان".
ما لا يثبت كونه من الأحرف السبعة لا يجب القطع بنفيه خلافا لبعض المتكلمين. وقد قطع الإمام أبوبكر بخطأ الشافعي وموافقيه في إثبات البسملة أنها من القرآن غير التي في النمل. قال بعض المتأخرين: " والصواب القطع بخطأ القاضي وموافقيه وأنها آية من القرآن حيث أثبتها الصحابة (رضي الله عنهم) مع تجريد المصاحف عن التفسير ونحوه مما ليس قرآنا والصواب هو أنها آية من القرآن مستقلة.

مزايا جمع عثمان (رضي الله عنه)

1. الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحادا.
2. إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة.
3. ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن بخلاف صحف أبي بكر (رضي الله عنه) فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.
4. كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن على ما مر بك من عدم إعجامها وشكلها ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.
5. وتجريدها من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ ومنسوخ أو نحو ذلك.

وقد استجاب الصحابة لعثمان فحرقوا مصاحفهم واجتمعوا جميعا على المصاحف العثمانية حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان وأنه أبى أن يحرق مصحفه رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية واجتماع الأمة عليها وتوحيد الكلمة بها. وبعدئذ طهر الجو الإسلامي من أوبئة الشقاق والنزاع وأصبح مصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف عائشة ومصحف علي ومصحف سالم مولى أبي حذيفة أصبحت كلها وأمثالها في خبر كان مغسولة بالماء أو محروقة بالنيران ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[الأحزاب: 25]. ولن يقدح في عمله هذا أنه أحرق المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية فقد علمت وجهة نظره في ذلك على أنه لم يفعل ما فعل من هذا الأمر الجلل إلا بعد أن استشار الصحابة واكتسب موافقتهم بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم وشكرهم. روى أبو بكر الأنباري عن سويد بن غفلة قال سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: " يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق مصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله".

سبب اختلاف القراءات السبع

قال ابن حجر في فتح الباري: " وسبب اختلاف القراءات السبع وغيرها كما قال ابن أبي هشام: " إن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل قال فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة (رضي الله عنهم) بشرط موافقة الخط وتركوا ما يخالف الخط امتثالا لأمر عثمان (رضي الله عنه) الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة.

المعنى الراجح في الأحرف السبعة

رأى جمهور المفسرين أن الأحرف السبعة باقية في التنزيل وقد استوعبتها المصاحف العثمانية وما هي إلا تحديد لوجهة الاختلاف في أداء الكلمة القرآنية وفق ما أذن به النبي (ﷺ). وقد أعتبر الإمام أبو الفضل الرازي ممثلاً لرأي الجمهور وقد نهج من جاء بعده على منواله في اختياره وننقل لك هنا اختياره كالتالي:
" الكلام لا يخرج عن سبعة أحرفٍ في الاختلاف:

1. **اختلاف الأسماء من إفرادٍ وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث** مثاله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[المؤمنون: 8& المعارج: 32]. قرىء هكذا: ﴿ لِأَمَانَاتِهِمْ ﴾ جمعاً وقرىء ﴿ لأَمَانَتِهِمْ ﴾ بالإفراد.
2. **اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر** مثاله: قوله تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[سبأ: 19]. قرىء هكذا بنصب لفظ ﴿ رَبَّنَا ﴾على أنه منادى وبلفظ ﴿ بَاعِدْ ﴾ فعل أمر وقرىء هكذاً ﴿ رَبُّنَا بَعِّدْ ﴾ برفع ﴿ رَبُّ ﴾ على أنه مبتدأ وبلفظ ﴿ بَعِّدْ ﴾ فعلاً ماضياً مضعّف العين جملته خبر.

التي تُبيَّن لأن هذا اللفظ محتمل بخلاف القاذورات التي ليست فيها هذه القرينة.

- وقد تكلمنا من قبل تفصيلاً على جميع العبادات التي ذكرها المصنف (رحمه الله) في هذه الفقرة ولكن نزيد هنا إن الهندوس والبوذيين وبعض من يعبدون الولي وغيرهم يحلقون لهم الرأس تعظيماً وهذا حلق عبادة الذي أصله ألا يكون إلا لله (عز وجل).
- ونذكر كذلك هنا أنه من قال: " أنا نصراني" للمُنصِّرين في أفريقيا لكي يأخذ أموالهم ويمنعهم عن تالتنصير فهذا لا يجوز فهذه الكلمة مما لا يجوز فيها الكذب إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فالإباحة فقط في الإكراة.
- وورد عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) موقوفاً وقد رفعه طارق بن شهاب إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحيح أنه موقوف على سلمان الفارسي (رضي الله عنه): " دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب". قالوا: " وكيف ذلك يا رسول الله؟" قال: " مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما: " قرِّب" قال: " ليس عندي شيء أُقرِّب" قالوا له: " قَرِّب ولو ذباباً" فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: " قرِّب" فقال: " ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله فضربوا عنقه فدخل الجنة" [1]. فهو ما قرَّب إلا خوفاً من القتل وعلى الرغم من ذلك دخل النار.
- وحتى لو كانت هناك مجاعات في أفريقيا فليمت جوعاً على الإسلام خيراً له من أن يتنصر ويموت كافراً. والمُنصَّر لن يتركه حتى يتأكد من دخوله الكنيسة ودق الصليب عليه.

3. **اختلاف وجوه الإعراب** مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[البقرة: 282] قريء بفتح الراء وضَمِّها فالفتح على أن ﴿ لَا ﴾ ناهية فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين أما الضم فعلى أنَّ ﴿ لَا ﴾ نافية فالفعل مرفوع بعدها.
4. **الاختلاف بالنقص والزيادة:** مثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾[الليل: 3] قريء بهذا اللفظ وقريءَ أيضاً ﴿ وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ﴾ بنقص كلمة ﴿ مَا خَلَقَ ﴾
5. **الاختلاف بالتقديم والتأخير:** مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾[ق: 19] وقريء ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾.
6. **الاختلاف بالإبدال:** مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾[ق: 19] بالزاي وقريء ﴿ نُنْشِرُهَا ﴾ بالرَّاء.
7. **السابع: اختلاف اللغات "اللهجات"** كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك مثاله قوله تعالى: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ ﴾[القيامة: 4] قريءَ بالفتح والإمالة في لفظ ﴿ بَلَى ﴾.

وعلى اختيار الرازي هذا جاءت آراء جماهير علماء القرآن وأشهر من حرر هذه المسألة ابن قتيبة في المشكل والطيب الباقلاني في الإعجاز وابن الجزري وإن يكن لكل واحد منهم وجه انفراد غير أنهم التزموا منهج الوجوه السبعة المذكورة مع تغيير طفيف.

[1] أخرجه أحمد في (الزهد) عن سلمان (رضي الله عنه). ووقع في النسخة المطبوعة (عن سليمان) وهو تحريف والصواب أنه (عن سلمان) وأبو نعيم في الحلية في ترجمة (سلمان الفارسي) كلاهما من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: " دخل رجل الجنة في ذباب ..." فذكره موقوفا وإسناده صحيح رجاله ثقات وله طريقان آخران ذكرهما أبو نعيم معلقة ولم يسق ألفاظهما حيث قال عقب روايته: " رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله ورواه جرير من- كذا- منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرشد عن سلمان نحوه". وهو وإن كان موقوفا فلعله مما لا مجال للرأي فيه والله أعلم ولكن لا يقال: إن حكمه الرفع لأن سلمان كان قبل إسلامه من أهل الكتاب فيحتمل الخبر أن يكون قد تلقاه عنهم لذلك يبقى الخبر موقوفا عليه ولا يأخذ حكم الرفع.

الشريط الثاني عشر

شرك التشبُّه وأسباب وقوع الناس في الشرك

محتويات الشريط الثاني عشر

1- شرك التشبُّه (التوقيت: 1 دقيقة و20 ثانية)..... 1
2- أسباب وقوع الناس في الشرك (التوقيت: 22 دقيقة و38 ثانية)..... 1
2.1 حقيقة الشرك التشبيه والتشبُّه (التوقيت: 25 دقيقة و32 ثانية).....3
2.2 السبب الأول للوقوع في الشرك: ظن السوء (التوقيت: 26 دقيقة و44 ثانية) 3
2.3 التأكيد على أن حقيقة الشرك التشبيه والتشبُّه (التوقيت: 44 دقيقة و41 ثانية).....6
2.4 ذكر الأمثال لتوضيح معنى الشرك (التوقيت: 46 دقيقة و09 ثانية).....6
2.5 السبب الثاني للوقوع في الشرك: ما قدروا الله حق قدره (التوقيت: 51 دقيقة و51 ثانية) 7.

1- شرك التشبُّه (التوقيت: 1 دقيقة و20 ثانية)

هذا في جانب التشبيه وأمَّا في جانب التشبه فمَن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت أقدام خلقِهِ.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال :« **يقول الله عز وجل : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدًا منهما عذبته** »

وإذا كان المصور الذي يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً فما الظن بالتشبيه بالله في الربوبية والإلهية كما قال ﷺ «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم** »

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : يقول الله عز وجل :« **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة** »

فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وكذلك من تشبه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضي القضاة ونحوه.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال :« إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه (ملك الملوك) لا مالك إلا الله » وفي لفظ « أغيظ رجل عند الله رجل تسمى بملك الأملاك »

- قال المصنف (رحمه الله): " **هذا في جانب التّشبيه. وأمّا في جانب التّشبّه: فمن تعاظم وتكبّر ودعى النّاس إلى إطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبّه بالله ونازعه في ربوبيّته وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذّر تحت أقدام خلقه. وفي الصحيح عنه (ﷺ) أنه قال: " يقول الله (ﷻ): " العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحدٍ منهما عذّبته". وإذا كان المصوّر الذي يصنع الصور بيده من أشد النّاس عذابًا يوم القيامة لتشبّهه بالله في مجرّد الصّنعة فما الظّن بالمشبّه بالله في الربوبيّة والإلهيّة؟ كما قال (ﷺ) : " أشدّ النّاس عذابا يوم القيامة المصوّرون يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" وفي الصحيح عنه (ﷺ) أنه قال: "يقول الله (ﷻ): " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرّةً فليخلقوا شعيرةً" فنبّه بالذّرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما. وكذلك: من تشبّه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلاّ له كملك الملوك وحاكم الحكّام وقاضي القضاة ونحوه وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: " إن أخنع الأسماء عند الله رجلٌ تسمّى بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلاّ الله" وفي لفظ: "أغيظ رجلٍ عند الله رجلٌ تسمّى ملك الأملاك".**
- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن النوع الثاني من الشرك وهو شرك التشبُّه. فقد ذكرنا من قبل إن الشرك على نوعين: إما تشبيه الخالق بالمخلوق أو تشبيه المخلوق بالخالق. فأما تشبيه الخالق بالمخلوق وهو أن يصرف للمخلوق عبادات لا تكون إلا لله (ﷻ) وهذا صرف حق التوحيد فمن وحَّد الله (ﷻ) فمن حقوق التوحيد أنه من آمن بالله (ﷻ) رباً وإلهاً فالعبودية لا تكون إلا له.
- فمن صرف عبادة لمخلوق فقد شبَّه المخلوق بالخالق وأنزله منزلة الخالق وتكلمنا عنه في جانب الأسماء والصفات وفي جانب توحيد العبادة. ففي جانب الأسماء والصفات من نفى صفات عن الله (ﷻ) أو شبَّهه بالمعدومات أو إنه أثبت بعض الصفات وعطَّل بعض الصفات وفي جانب توحيد العبادة من صرف العبادات من توكل وسجود وصلاة وطواف وغير ذلك لغير الله (ﷻ) فهذا كله يقع تحت شرك التشبيه فطالما صرف هذه الأشياء للمخلوقين فقد شبَّه المخلوق بالخالق ورفع المخلوق منزلة الخالق .
- والآن هو يتكلم عن الجانب الثاني وهو جانب التشبُّه وهو أن يتشبه المرء بأشياء لا تكون إلا لله (ﷻ). وهنا يتكلم عن من شيوخ الطوائف والطرق الذين يدعون مُتبِّعيهم إلى عبادتهم فكأنه تشبَّه بالله (ﷻ). فتجدهم يقولون لمُتبِّعيهم عندما يصيبك غم أو هم أدعوني تجدني عندك.
- فهذا رفع نفسه منزلة الخالق الإله تعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً ولهذا أتى المصنف بحديثه (ﷺ) متحدثاً عن الله (ﷻ): " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته" [1]. فهذا الحديث يُبيِّن إن الكبرياء والعظمة لا تكزن إلا لله (ﷻ) فمن أدعى هذه الصفات التي لا تكون إلا لله (ﷻ) أي تسبَّه بالخالق فهذا جانب من جوانب الشرك فكان حقاً على الله (ﷻ) أن يُعذِّبه وأن يكون من أشد الناس عذاباً.
- وكذلك حديثه (ﷺ) الذي ذكره المصنف (رحمه الله): " قال الله (ﷻ): " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة " [2]. فنبَّه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها.
- ويشير المصنف (رحمه الله) إلى مسألة مهمة وهي مسألة التصوير وروى حديثه (ﷺ): " قال الله (ﷻ): " إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون " [3]. وهذا قياس بديع من عند المصنف ومثل من عند النبي (ﷺ) فهو يُبيِّن إذا كان المصورون الذين لا يدعون الإلوهية على الأشياء التي يصورونها ولايدعون أنهم يخلقون كخلق الله (ﷻ) فهم ليسوا كمن أدعى الإلوهية أو أدعى لنفسه صفة من صفات الله (ﷻ) مثل الكبر والعظمة التي لا تكون إلا لله (ﷻ) وليس مثل رؤساء الطوائف الذي يدعون مُتبِّعيهم ليدعوه هو ولكنهم يبنون التماثيل والتصوير عموماً وهذا وهو دون الشرك وهو محرم وهم لا يعتقدون أنهم يخلقون كخلق الله (ﷻ) ولا يقصدون ذلك وعلى الرغم من ذلك بيَّن (ﷺ) في حديثه إنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.
- وكل هذا لأنهم فقط أقتربوا من أنهم يضاهئون الله (ﷻ) في الخلق وأقتربوا من فعل لا يكون إلا لله (ﷻ) وهو الخلق مع عدم قصدهم ذلك فجعل الله (ﷻ) لهم أشد العذاب فما بالنا فيمن دعى الناس لعبادته؟. مع أن الله (ﷻ) يقول (ﷻ): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].
- فمن استكبر عن عبادة الله (ﷻ) وذهب يدعو الولي أو الرئيس الذي عنده أو الشيخ وترك الله (ﷻ) فبيَّن الله (ﷻ) أنهم

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (العز إزاره) هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في إزاره ورداؤه يعود إلى الله تعالى للعلم به وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى ومن ينازعني ذلك أعذبه ومعنى ينازعني يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة) معناه فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله (ﷻ) كذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أي فليخلقوا حبة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله (ﷻ) وهذا أمر تعجيز كما سبق.

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. والزيادة " يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم" عند أحمد في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفة.

سيدخلون جهنم داخرين

- وقال (ﷻ): ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: 186]. فالذي لابد أن يُسأل هو الله (ﷻ) فلا يُسأل الشيخ الفلاني أو الولي الفلاني أو صاحب الطريقة.
- فكل هؤلاء الطواغيت الذين يدعون مُتبّعيهم إلى عبادتهم دخلوا في جانب التشبُّه.
- وهنا لابد أن نُعرِّج على مسألة المُصوِّرين لأن المصنف (رحمه الله) أنكرها وهي تدخل في جانب العقيدة وأحياناً تدخل في الفقه والصحيح إنها في جانب العقيدة. وهذه المسألة مما عمت به البلوى الآن والذين أدين لله (ﷻ) به أنه كل ما كان تصويراً فهو حرام. فكل ما يدخل تحت إسم التصوير فهو حرام لأنه (ﷺ) قال: " قال الله (ﷻ): " إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون ".
- وبعضهم أدخل فيها تفصيلات منها هل هو حبس ظل أم لا؟ وهل هو متحرك أم لا؟. فالذين أدين إلى الله (ﷻ) به إن اللفظ عام " المُصورّون" فكل ما يدخل تحت مُسمَّى التصوير يُخشى عليه أن يدخل تحت الحديث. نعم المسألة فيها خلاف عند أهل العلم لكن الحق أنه كل ما أستدلوا به عبارة عن تبريرات لاستخراج العلة من النهي أو قُل الحكمة من النهي. فنرد عليهم إن من يصنعون التماثيل الآن لا ينطبق عليهم حكمة التحريم في عهد النبي (ﷺ) وهي العبادة لهذه التماثيل.
- وبعضهم يقول هل يدخل المُصوَّر الفوتوغرافي تحت هذا التصوير والحق أن من يُصوَّر فوتوغرافياً الآن لا يُطلق عيه طبيب أو مهندس ولكن يُطلق عليه مُصوَّر فهو يدخل تحت عموم الحديث المذكور.
- نعم يُستثنى ذلك عند الضرورة فكثير من الأشياء تجوز عند الضرورة فيخرج من النهي والتحريم. ومن قال بجواز التصوير لا أدري ما هي العلة التي يُفنِّدها بعض أهل العلم في مسالة خروج بعض أنواع التصوير فهذه كلها اجتهادات ولا يوجد عندهم دليل قاطع قي المسألة.
- ولهذا يُفضَّل في هذه المسألة أن يُحتاط فيها. وللأسف حدث تسيُّب في هذا الأمر فعبادات الناس ضاعت فمن يذهب الآن إلى عبادتين من أجل العبادات وهما العمرة والحج والناس يركبوا فيهما أكباد الأبل ويدفع الإنسان أموال طائلة تجده يحمل محموله في يده ويقوم بتصوير الطواف أو بعدما ينتهي من مناسكه يتصور عند المقام أو الحجر أو الكعبة.
- ولا أدري حقيقة كيف مثل ذلك يخشع في العبادة على الرغم من أنه قد أتى من بعيد وتؤدي مناسك الحج والعمرة. فمسألة التصاوير خرَّبت على الناس العبادات.
- والصور لغير ذات الأرواح متفَّق عليه بين أهل العلم بأنه يجوز التصوير فيه. أما الصور ذات الأرواح فلا يمكن أن تكون مقبولة.
- فهناك في هذه المسألة من وسَّع جداً وهناك من ضيَّق جداً وهناك من أباح عند الضرورة. وهنا من منع التماثيل والرسومات وأباح فقط التصوير الفوتوغرافي والفيديو لأنه حبس ظل فقط. وهذا هو المشهور عندنا فيما عمت به البلوى والخلق في ذات الأرواح متقن لهذا الفتنة فيه أكثر.
- وبيَّن المصنف (رحمه الله) أنه كما أن هناك فعل اقترب من مضاهئة الله (ﷻ) فكذلك في الأسماء فعن أبي شريح (رضي الله عنه) أنه كان يُسمَّى أبا الحكم فقال له النبي (ﷺ): " إن الله هو الحكم وإليه الحكم". فقال: " إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين". فقال: " ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟" فقلت: " شريح ومسلم وعبد الله". قال: " فمن أكبرهم؟" قلت: " شريح". قال: " أنت أبو شريح" [1]. ففي هذا الحديث غيَّر النبي (ﷺ) وفي حديث لصحابي آخر لم يُغيَّر اسمه [2] والسبب في ذلك أن علة تسميته أبي الحكم هو أنه يحكم بين قومه فالاسم جاء للفعل وهو الحكم ولكن لأن صفة الحكم لا تكون إلا لله (ﷻ) فغيَّر النبي (ﷺ) اسمه من أجل ذلك.
- ولهذا كل فعل أو قول يقترب من جانب التشبُّه لله (ﷻ) فجاء الشرع ليسد هذا الباب لحفظ جناب التوحيد الذي هو حق الله (ﷻ) على العباد.

[1] أخرجه النسائي وأبو دواد عن أبي شريح (رضي الله عنه). والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وصحيح سنن النسائي.
[2] لم أقف عليه.

2- أسباب وقوع الناس فى الشرك (التوقيت: 22 دقيقة و38 ثانية)

وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك وكذلك [1] كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ لكونه شبهه به وأخذ مالا ينبغي أن يكون إلا له .

فأشرك معه سبحانه فيه غيره فبخسه سبحانه [2] حقه فهذا قبيح عقلًا وشرعاً ولذلك لم يشرع ولم يغفر فاعلمه [3] .

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تُطلِعهُ على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فذلك نفي لعلم الله ولسمعه [4] وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنباً .

وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يُلَيِّنُهُ ويُعَطِّفُهُ عليهم فقد أساء الظن بإفضال ربه وبره وإحسانه وسعة وجوده .

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به وهذا يتوعده في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال الله تعالى﴿ الظَّانِّينَ بالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[الفتح: من الآية٦]. وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ ،فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات٨٦و٨٧] أي : فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج في الإطلاع على ضرورات

عباده لمن يكون بابًا للحوائج إليه ونحو ذلك . وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين فأما من لا يشغله سمعٌ عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده . فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح ظنٍّ(٥) ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك ممتنع(٦) في العقول والفطر .

---

(١) في المطبوع :«لذلك».

(٢) في المطبوع :«إلا له فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه».

(٣) في المطبوع :«ولم يغفر لفاعله».

(٤) في المطبوع :«وسمعه».

(٥) في المطبوع :«الظن».

(٦) في المطبوع :«يمتنع».

- قال المصنف (رحمه الله): " وبالجملة فالتشبيه والتشبّه هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرّب إلى غيره بعبادةٍ ما يقرّبه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ لكونه شبّهه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلاّ له فالشرك منعه (ﷻ) حقّه فهذا قبيح عقلاً وشرعًا ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله. واعلم أن الذي ظن أن الرّب (ﷻ) لا يسمع له أو لا يستجيب له إلاّ بواسطة تُطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظنّ بالله ظنّ السّوء فإنه إن ظنّ أنه لا يعلم أو لا يسمع إلاّ بإعلام غيره له وإسماعه فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه وكفى بذلك ذنبا وإن ظنّ أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه عليه فقد أساء الظّن بأفضال ربّه وبرّه وإحسانه وسعة جوده. وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظّن ولهذا يتوعّدهم في كتابه على إساءة الظّن به أعظم وعيد كما قال تعالى: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: 6] وقال تعالى عن خليله إبراهيم (عليه السلام): ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: 86-87] أي: فما ظنّكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون بابا للحوائج إليه ونحو ذلك. وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورةً لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين. فأما من لا يشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرّحمة فما تصنع الوسائط عنده؟. فمن اتخذ واسطةً بينه وبين الله تعالى فقد ظنّ به أقبح الظن ومستحيل أن يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع في العقول والفطر".

2.1 حقيقة الشرك التشبيه والتشبُّه (التوقيت: 25 دقيقة و32 ثانية)

- هنا جمَّع المصنف (رحمه الله) الأقوال السابقة فقال " وبالجملة". فحقيقة الشرك لا يخرج عن أمرين إما تشبيه أو تشبُّه. فخلاصة الشرك هو أنه إما في ذات المعبود من أسمائه وصفاته وهذا هو جانب التشبيه.
- فمن تقرَّب لغير الله (عز وجل) بعبادة فقد أشرك فهذا قد شبَّه المخلوق بالله (عز وجل) فالله (عز وجل) توحيده في هذا القسم وهو توحيد الله (عز وجل) في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.
- وهذا الشرك كما ذكرنا مقبوح في العقل والشرع والفطرة وهذا تكلمنا عنه في المحاضرات الماضية.

2.2 السبب الأول للوقوع في الشرك: ظن السوء (التوقيت: 26 دقيقة و44 ثانية)

- ثم بيَّن المصنف (رحمه الله) إن السبب في وقوع الناس في الشرك أمرين: الأول هو ظن السوء والثاني هو " ما قدروا الله حق قدره".
- فالمدخل الأول هو الظن بالله (عز وجل) ظن السوء. والظن أحياناً يأتي بمعنى اليقين وأحياناً بمعنى الشك. واليقين هو الحكم الذهني الجازم المطابق للواقع. واليقين في التوحيد أصل من الأصول وواجب من الواجبات فالجهل بهذه الأمور إما يُوقع المرء في الشرك أو على الأقل في الحرام.
- العلم يُخالف المعرفة فالمعرفة فيها ظن ولهذا يُوصف الله (عز وجل) بأنه عليم ولا يُوصف بأنه عارف لأن العلم يقيني والمعرفة فيها ظن. فإن صحَّ قد يُقال على العبد العارف ولكن الله (عز وجل) لا يُقال عليه العارف لأن علمه يقيني فقد علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون.
- أحياناً الظن يُطلق على اليقين كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[البقرة: 46]. فهذا الظن ليس ظن تردد بل هم مُستقنين من أنهم سيلاقو ربهم.
- وأحيانا يُطلق على تجويز أحد الأمرين فأنت تُجوِّز أحدهما على الآخر وهذا يُسمَّى غلبة الظن ونحن عندنا قاعدة فقهية إن غلبة الظن أحياناً ينزل منزلة اليقين. وهذا هو أغلب معنى للظن وهو إن هناك أمرين وأنت تُرجِّح أحدهما على الآخر.
- وأحيانا يُطلق على التردد والشك كما قال هنا المصنف (رحمه الله) كما يظن إن الله (عز وجل) لا يسمع إلا أن يُسمع له ولا يستجيب إلا أن يكون بينه وبين الله (عز وجل) واسطة.
- فالمشرك إما أن يظن لا يستجيب إلا أن يكون بينه وبين الله (عز وجل) واسطة أو أنه يظن إن الله (عز وجل) لا يسمع حقاً كما جاء في بعض الطوائف التي تكلمنا عنها مثل الجهمية فهم قد نفوا إن الله (عز وجل) سميع ونفوا السمع ونفوا العليم ونفوا العلم ونفوا البصير ونفوا البصر.
- والذي يظن بالله (عز وجل) هذا الظن لابد أن يقع في مفاسد ثلاثة: المفسدة الأولى هي مناقضة أسماء الله (عز وجل) وصفاته كما حدث مع الجهمية.
- والمفسدة الثانية إنه ينفي صفات الكمال عن الله (عز وجل). وكما سيأتي معنا إن بعض الطوائف التي لم تُثبت صفات الغضب والمحبة وغير ذلك من الصفات الاختيارية الفعلية فلابد أنه سينفي صفات الكمال عن الله (عز وجل).
- والمفسدة الثالثة إن هذا يؤدي إلى نقص مقام الإلوهية والربوبية لأنه من يُحرَّف بعض أسماء الله (عز وجل) وصفاته فكيف يعبد عدماً وكيف يعبد رباً لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم؟.
- وقد ذكر المصنف (رحمه الله) إنه من يظن هذا بالله (عز وجل) فظنَّ إن حوائجه لا تُرفع إلى الله (عز وجل) إلا عن طريق الوسطاء والشفعاء ومثل ذلك مشركو قريش عندما قالوا كما أخبر (سبحانه وتعالى): ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[الزمر: 3]. فهم أثبتوا جانب ولكن وقعوا في جانب آخر وكذلك أتباع الطوائف الذين لهم شيوخ وأولياء فهم يتبعونهم كأنهم يُبلِّغونهم إلى الله (عز وجل) ويقربوهم منه.
- وقد ورد عن عائشة (رضي الله عنها) في المرأة التي جاءت تشتكي إلى الله (عز وجل) والتي ذكرها في قوله (سبحانه وتعالى):﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾[المجادلة: 1]: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله (عز وجل):﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية" [1].
- كذلك في مسألة العلم فإذا ظن المرء كما قال المصنف (رحمه الله) بأن الله (عز وجل) يسمع ويرى ولكنه يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه

[1] اخرجه البخاري تعليقاً ووصله النسائي في النكاح (باب: الظهار) ووصله من طريقه الحافظ في (التعليق) وصحَّحه وأحمد في (المسند) وابن ماجه والحاكم في (المستدرك) عن عائشة (رضي الله عنها). وذكره ابن كثير في تفسير الآية

عليه فهذا كأنه نفى علم الله (ﷻ). وهذه كلها أصول في توحيد الربوبية بأن يُثبت بأن الله (ﷻ) يسمع ويبصر فكيف يعبد ألهاً لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم؟ هذا أمر لا يمكن تقبله.

- ولهذا قال المصنف (رحمه الله): " وإن ظنّ أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه عليه فقد أساء الظّن بأفضال ربّه وبرّه وإحسانه وسعة جوده ". وهذه المسألة ترجع لسوء الظن لأنه ظنَّ إن الله (ﷻ) لا يستجيب من نفسه فلابد أن يليّنه أحد أو يتقرب إليه أحد كأنه واسطة.
- وهكذا أشرك من ظنَّ هذا الظن لأنه جعل الخالق مثل الملوك الذين يحتاج الرعية لواسطة ليتقربوا بها إليهم وليُلَيَّن له عند الملك فيحتاج إلى مساعد ووزير وحاجب عند الملك. فكأنه شبَّه الله (ﷻ) بالملوك الضعفاء الذين يحتاجون إلى يليّنهم ويعطّفهم حتى يستجيبوا لطلبات الرعية. فعندما ظنَّ أن الله (ﷻ) مثل الملوك فهذا هو ظن السَوء وهذا هو الشرك الذي وقع فيه لأنه شبَّه الله (ﷻ) وهو الخلق بالملوك المخلوقين الضعفاء.
- والملوك أحياناً لا يعلمون ما يحدث فيحتاجون إلى من يُبلِّغهم ما يحدث. فعندما يكون أطراف ملكه متناهية أو عنده بلد كبيرة ويعرف أحوال الناس فيحتاج من يُبلِّغه ما يحدث. فالمشرك عندما ظن إن الله (ﷻ) يحتاج إلى من لمن يُعلمه بما يحدث فهو قد وقع في التشبيه.
- والظن منه كفري ومنه ما دون الكفر. فمن ظنَّ بأن الله (ﷻ) لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم أو يحتاج إلى من يُسمعه أو يُعلمه أو يليّنه أو يُعطِّفه فهذه ظنون كُفرية.
- ونؤكد بأن الكفر أنواع فقد يكون بالقول أو الفعل أو الترك أو الإعراض أو الجحود أو التكذيب أو الاستحلال فنحن لا نحصرها في كفر التكذيب أو الاستحلال كما فعل المرجئة ولهذا كان عندهم الإيمان تكذيباً فقط. فأهل السنة والجماعة عندهم الإيمان قول وعمل. قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح.
- وهذا الظن الكفري الذي ذكره (ﷻ) في المنافقين في قوله:﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[الفتح: 6] فقد ظنَّ المنافقون في غزوة الخندق وفي أماكن إن الله (ﷻ) لن ينصر رسوله (ﷺ) [1] فوعدهم الله (ﷻ) في هذه الآية بأربعة أشياء: الأولى: عليهم دائرة السوء أي ستدور الدائرة عليهم والثانية: غضب الله (ﷻ) عليهم ومن غضب الله (ﷻ) عليه فقد هوى وانتهى ووقع في جهنم والثالثة لعنهم الله (ﷻ) والرابعة أشد ما تكون أعد لهم جهنم وساءت مصيراً. فكل من كان على درب المنافقين فله هذه الأربع فالله (ﷻ) لا يُخلف الوعد ولكن يُخلف الوعيد.
- المنافق أصلاً لم يؤمن ولكن نحن لنا ظاهره في الدنيا فالله (ﷻ) بيَّن إن باطنه الكفر وظاهره الإسلام فهو أصلاً عند الله (ﷻ) من الكافرين وقد جعل الله (ﷻ) عذاب المنافقين أشد من عذاب الكافرين كما في (ﷻ):﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: 145] لأنهم يُلبّسون على الناس.
- وقد ذكر الله (ﷻ) قول خليله إبراهيم (عليه السلام):﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: 86-87] والمقصود من الآية وما ظنكم بالله (ﷻ) إذا عبدتم معه غيره وظننتم أنه يحتاج في الإطلاع على عباده وأن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك؟
- والاستفهام في الآية السابقة استفهام إنكاري فهذا الاستفهام من باب الإنكار عليهم. ولهذا قدَّم المفعول لأجله على المفعول به.
- وقد قال (ﷻ):﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72] فما ظنهم بعد أن أشركوا بالله (ﷻ) هل يُجازيكم بعد ذلك؟ لا فقد بيَّن أنه من يشرك به فقد حرَّم الله (ﷻ) عليه الجنة ومأواه النار.
- فالشرك حابط للأعمال كما إن الحدث ينقض الوضوء فكذلك الشرك يُبطل الأعمال فكل من أشرك فقد حبِطَت أعماله. فإن صلى وزكَّى وصام يخلد في النار بالشرك الذي يفعله لأن الأعمال في هذه الحالة ليس لها قيمة فكل ما فعله في الدنيا من أعمال وظنَّ إنها صالحة ولكنه أشرك مع الله (ﷻ) ومات على الشرك فإن كل هذه الأعمال حابطة كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72].
- ثم وضَّح المصنف (رحمه الله) إن الملوك يحتاجون للوسائط لعجزهم عن إدراك حال الرعيَّة. فإذا كان الملك الدنيوى عنده من العجز والضعف أنه يحتاج إلى من يساعده فكيف تُسَوي هذا الملك الضعيف بالله (ﷻ) القوي العزيز ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

---

[1] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير الآية: "وقوله: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ أي: يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ أي: أبعدهم من رحمته ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ "

قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: 74]. فكيف تُشبَّه الملك الضعيف الذي لا يستطيع أن يعلم كل شيء عن رعيته بالله (ﷻ) وتريد أن تتخذ وسائط بينك وبين الله (ﷻ)؟

- وهذا من أقبح الظن والأفعال والأعمال التي قال (ﷻ) فيها:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: 13] فالشرك من أقبح الظنون وأشد أنواع الظلم وإنه ممتنع في العقول والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكاً له كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[الروم: من الآية٢٨] أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي ؟!! فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي .

وبالجملة : فما قدروا الله[1] حق قدره من عبد معه من ظن أنه يوصل إليه قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾[الحج: من الآية٧٣] الآية إلى أن قال ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٧٤] وقال ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]. فما قَدَرَ القويَّ العزيز حق قدره من أشرك معه الضعيف الذليل .

(١) في المطبوع :«فما قدر حقَّ»

- قال المصنف (رحمه الله): " واعلم أن الخضوع والتألّه الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قرّرناه لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك العظيم الرّحيم القريب المجيب ومملوكا له كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الروم: 28] أي: إذا كان أحدكم يأنف أنن يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفردٌ به وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي فمن زعم ذلك فما قدّرني حقّ قدري ولا عظّمني حقّ تعظيمي. وبالجملة فما قدّر الله حقّ قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل إليه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ [الحج: 73] الآية إلى أن قال: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 74] وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67] فما قدَّر القويّ العزيز حقّ قدره من أشرك معه الضّعيف الذّليل".

2.3 التأكيد على أن حقيقة الشرك التشبيه والتشبُّه (التوقيت: 44 دقيقة و41 ثانية)

- هنا يُكرر المصنف (رحمه الله) ولكن بطريقة أخرى يُرسَّخ في ذهن القارئ والمخاطب الأصول التي يُنبَّه عليها. فرجع مرة أخرى يتكلم عن التشبيه والتشبُّه بأن أصل الشرك هو تشبيه المخلوق بالخالق (عز وجل) أو يتشبَّه المخلوق بالخالق في صفة من الصفات التي لا تكون إلا لله (عز وجل) وقال إن هذا كله يرجع إلى مسألة ظن السوء كما سنبين أنه سيُأصَّل هذا مرة أخرى في الكلام التالي بأن كل هذا يرجع أنه ظنَّ بالله (عز وجل) ظن السوء ونسب بعض الأمور لله (عز وجل) التي لا تكون إلا للمخلوقين الضعفاء الذين يحتاجون لهذا.
- فمن ظنَّ إن الله (عز وجل) لا يسمع ولا يستجيب لعباده إلا عن طريق الوسطاء فهذا كله من الأسباب التي تؤدي إلى وقوع المرء في الشرك لأنه يُشبِّه الله (عز وجل) بالمخلوقين الضعفاء.

2.4 ذكر الأمثال لتوضيح معنى الشرك (التوقيت: 46 دقيقة و09 ثانية)

- بدأ المصنف (رحمه الله) بعد ذلك في ذكر الأمثال التي ذكرها الله (عز وجل) في كتابه ليُفهمهم ويُقرِّب إليهم مراد الله (عز وجل) في هذه المسائل وقد قال (تعالى): ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[العنكبوت: 43]. ولهذا كثير من السلف عندما يقرأ المثل ولا يفهمه يبكي ويقول: " انا لست من العالمين" [1].
- ولهذا ذكر الأمثال في القرآن للتأكيد على المعاني التي يريدها الله (عز وجل) ويُبيِّن الغايات ويُقرِّب الأشياء فيُقرَّب المعقول مع المحسوس أو محسوس ومحسوس آخر وكل هذا حتى يعقلها العالمون.
- ومن تتبَّع الأمثال في القرآن يجدها بضعٌ وأربعون مثل تقريباً قد جُمِعَت الأمثال من كلام ابن القيم (رحمه الله) فهو لم يُؤلفه تأليف مستقل في كتاب الأمثال في القرآن ففي هذا الكتاب معظم الأمثال التي ذُكِرَت في القرآن.
- بدأ المصنف (رحمه الله) في ذكر المثال الأول وهو قوله (تعالى): ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [الروم: 28]. فالله (عز وجل) أتى بمثال بديع يُلقي به الحجَّة على هؤلاء الناس الذين يشركون مع الله (عز وجل) فيقول إذا كان لكم أنت عبيد مملوكين لكم فتأنفون أن هؤلاء العبيد يُشاركونكم في الأموال وفي أملاككم فإذا كنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف أنتم تُشركون عبيد الله (عز وجل) فيما لا يكون إلا لله (عز وجل)؟.
- وهذا مثل بديع واضح يُلقي عليهم الحجَّة فهذا المملوك لك اصلاً مال لك فتأنف من أن يُشاركك في شيء هو حق خالص لك فكيف تمنعون ذلك على أنفسكم وتُبيحون ذلك لله (عز وجل)؟. فالأصل أنك تُفرد خصائص الربوبية والألوهية لله (عز وجل) كما إنك لا ترُيد أن يُشارك عبيدك في حقك الخالص فالله (عز وجل) أولى ألا يُشاركه أحد في العبودية فالعبودية حق خالص لله (عز وجل).
- هناك مثل آخر ممتع قال فيه أهل العلم إنه قطع عروق الشرك وهو قوله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 73-74].
- وهذا المثل من أعظم الأمثال التي وردت في القرآن لقطع عروق الشرك فكل إنسان لابد أن يتأمل هذا المثل. فمقصود الآية أنه من تُسمونهم آلهه من دون الله (عز وجل) لن يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً لأنهم عاجزون فحتى الذبابة المخلوق البسيط الصغير

---

[1] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير الآية: "وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن مرة قال: " ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ "

الذي لا يُساوي شيئاً عند الله (ﷻ) هم لا يستطيعون أن يخلقوه. وإن هذا الذباب الضعيف سلبهم شيء لا يستطيعون أن يأخذوه من هذه الذبابة.

- وهذا يُبيّن مدى عجز الإنسان حتى في خلق الذبابة التي لا تساوي شيء والعجز الأكبر إن هذا الذباب لو أخذ منك شيء لا تستطيع أن تردَّه وتستنقذه منه وهذا يدل على عجز الآلهة التي يدعوها المشرك من دون الله (ﷻ).
- بعضهم قال إن المقصود بـ "الطالب والمطلوب" إن الطالب هو الصنم والمطلوب هو الذباب. وبعضهم قال الطالب هو العابد والمطلوب عو الصنم وهذا كله ورد عن ابن عباس وغيره وكلها تصح ليس فيها شيء [1].

2.5 السبب الثاني للوقوع في الشرك: ما قدروا الله حق قدره (التوقيت: 51 دقيقة و51 ثانية)

- ثم إلى أن قال (ﷺ): ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 74]. وهذا هو المقصود بأنه ما وقع هؤلاء فيما وقعوا فيه من الشرك إلا بظن السوء أو ما قدروا الله حق قدره. فهؤلاء لم يُعظِّموا الله (ﷻ) حق التعظيم فالتقدير هنا بمعنى التعظيم.
- فمن عظَّم الله (ﷻ) حق التعظيم لا يمكن أن يأتي بهذا الشرك. فمن عظَّم الله (ﷻ) في العبادة لا يستطيع أن يدعو مع الله (ﷻ) هذه الآلهة التي لا تنفع من دون الله (ﷻ).
- هناك لفتة في قوله (ﷺ): ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الحج: 74] وهي تكلُّم الله (ﷻ) عنهم بصفة الغيب لا بصفة المُخاطب بعد أن كان الكلام في الآيات التي قبلها للمُخاطب وهذا قال أهل اللغة فيها التفات وهذا فيه نوع من التنقيص والاستخفاف بهم فعندما تتكلم عن أحد بضمير الغائب وهو موجود أو وأنت تخاطبه فهذا فيه نوع من التنقيص والاستخفاف. وقد فعل الله (ﷻ) ذلك لأنهم ليسوا من أهل المخاطبة فهم لا يستحقوا أن يُخاطبهم الله (ﷻ).
- وجاء في آخر الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 74] وهذا الجزء من الآية مهم جداً ففيه احتمال أنه تهديد من الله (ﷻ) بأنه قوي عزيز سينتقم منهم بهذه الوقاحة وهذا الظن السوء الذي ظنُّوه بالله (ﷻ) وعدم تعظيم الله (ﷻ) وتقديره حق التعظيم والتقدير. وهناك تفسير آخر بأن الشيء الآلهة الضعيفة التي تتكلمون عنها كيف تُشبّهونها بالله (ﷻ) القوي العزيز. فهذه المخلوقات التي يدعي المشرك إنها آلهه وهي لا تستطيع أن تخلُق ولا تستطيع أن تأتي بما يُستلب منها من الذباب.
- فهذه الآية تُبيَّن العجز الذي عند المخلوقين التي رفعها بعض المخلوقات إلى قدر الإلوهية وما عظَّموا الله (ﷻ) مع أن الآيات تنزل علينا بأن الله (ﷻ) له الخلق والقدرة والعزَّة كما في قوله (ﷺ): ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: 12] وقوله (ﷺ): ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: 27] فكل ذلك هيِّنٌ على الله (ﷻ) وقوله (ﷺ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: 58] فالآيات والدلائل كثيرة التي تُبين قوة وقدرة الله (ﷻ).
- ثم ختم المصنف (رحمه الله) بقوله (ﷺ): ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67]. فما قدَّر القويّ العزيز حقّ قدره من أشرك معه الضّعيف الذّليل. وهذه الآية جاءت في حديثه (ﷺ) عندما جاء حبر إلى رسول الله (ﷺ) فقال: " يا محمد أو يا رسول الله إن الله جعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيهزهن فيقول: أنا الملك" قال: فضحك النبي (ﷺ) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قال: "﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: 67] إلى آخر الآية" [2]. وعندما تظهر النواجذ فهذا يدل على شدة الضحك تصديقاً لقول الحبر. وقراءة الآية بعد انتهاء الحبر يدل على إقرار النبي (ﷺ) على ما قاله الحبر في هذا الحديث.
- فهذه الآية لها مناسبة وهي مناسبة مناسبة هذا الحديث. وجاء ذكر هذه الآية كما في حديث عن عائشة قالت: " سألت رسول الله (ﷺ) عن قوله (ﷻ): ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ [إبراهيم: 48] فأين يكون الناس يومئذ؟ يا رسول الله فقال: " على الصراط" [3].
- فالآية ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67] فيها صفة ولازم صفة. فالقبض فيه دلالة على قدرة وإحاطة الله (ﷻ) وعلى سعة قدرته وإحاطته بجميع المخلوقات لأنه إذا كان قابض على أرضه والسماوات مطويات بيمينه فهذا لا شك فيه دلالة على قدرة وإحاطة الله

---

[1] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير الآية: "قال ابن عباس: " الطالب: الصنم والمطلوب: الذباب" واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق. وقال السدي وغيره: " الطالب: العابد والمطلوب: الصنم. "

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)

[3] أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها).

(ﷻ) وعلى سعة قدرته وإحاطته بجميع المخلوقات ولكن هذا لازم الصفة وأصل الصفة هو إثبات صفة يد الله (ﷻ) اليمين فنجن نثبت صفة يد الله (ﷻ) اليمين حتى لا نقع فيما وقعت فيه المتأولين المُحرّفين بأنهم نفوا الصفة.

- نعم لازم الصفة إن الله (ﷻ) في قبضته كل شيء وأن الله (ﷻ) تحت ملكه كل شيء وعموم الإحاطة والقدرة ولكن أصل الصفة التي في الآية هو إثبات صفة يد الله (ﷻ) اليمنى.

الشريط الثالث عشر

الطوائف الضالة وأسباب ضلالهم وعبادتهم للشيطان

محتويات الشريط الثالث عشر

1- أسباب ضلال الطوائف الضالة (التوقيت: 1 دقيقة و24 ثانية) 1
2- ما هي الطوائف الضالة؟ 3
2.1 أول الطوائف الضالة: الملاحدة والفلاسفة (التوقيت: 7 دقيقة و40 ثانية)..... 3
2.2 ثاني الطوائف الضالة: القدرية المحضة (التوقيت: 18 دقيقة و14 ثانية)..... 8
2.3 ثالث الطوائف الضالة: القدرية الجبرية (التوقيت: 21 دقيقة و49 ثانية) 9
2.4 رابع الطوائف الضالة: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة (التوقيت: 25 دقيقة و38 ثانية) 9
2.5 خامس الطوائف الضالة: المشركون الأوائل واليهود والنصارى والحلولية والاتحادية والنُصيريين العلويين (التوقيت: 29 دقيقة و30 ثانية)..... 10
2.6 سادس الطوائف الضالة: الشيعة الرافضة (التوقيت: 33 دقيقة و44 ثانية) 10
2.7 سابع الطوائف الضالة: الدهريين (التوقيت: 38 دقيقة)..... 11
3- عبادة غير الله (ﷻ) عبادة للشيطان (التوقيت: 45 دقيقة و48 ثانية) 14

1- أسباب ضلال الطوائف الضالة (التوقيت: 1 دقيقة و24 ثانية)

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين :

أحدهما :ظنهم[1] بالله ظن السوء .

والثاني : لم يقدروا الرب حق قدره فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً بل ترك الخلق سدىً وخلقهم عبثاً ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجها[2] عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا : إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله هو[3] سبحانه وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟

وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ومحبته ورضاه وغضبه وحكمته مطلقًا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلًا اختياريًا بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً أو جعله يحل في مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود ولا قدره حق قدره من قال : إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح في الرب تعالى الله عن قول الرافضة وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في رب[4] العالمين : إنه

أرسل ملكًا ظالمًا فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمناً طويلاً يقول : أمرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء أنبياء الله وأوليائه وأحبابه[٥] والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويُقبِل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمان مئة عام فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذين[٦] كانوا فيه يختلفون ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

---

(١) في المطبوع :«الظن بالله».

(٢) في المطبوع :«أخرجهما».

(٣) في المطبوع : بدون : «هو».

(٤) في المطبوع :«في قول رب العالمين....».

(٥) في المطبوع :«أبناء الله وأحبائه».

٦) في المطبوع :«الذي» .

- قال المصنف (رحمه الله): " **واعلم أنك إذا تأمّلت جميع طوائف الضّلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين أحدهما الظّن بالله ظنّ السّوء ولم يقدروا الرّب حقّ قدره** ".
- هنا أراد المصنف (رحمه الله) أن يضع أصلاً لكل الطوائف التي خالفت في العقيدة فأراد أن يُرجِعَ كل ما خالفوا فيه إلى أصلين فالأصل الأول هو الظن بالله (عز وجل) ظن السوء والأصل الثاني إنهم ما قدروا الله (عز وجل) حق قدره وهذا يرجع إلى قوله (سبحانه وتعالى):﴿ **الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ** ﴾[الفتح: 6] وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾[الحج: 74] ثم فصَّل في كل طائفة كما سيأتي معنا في أصل من هذين الأصلين ضلت.
- وهذا الظن إما أن يكون ظناً كفرياً أو ظن دون الكفري من الفسق والظلم وغير ذلك. بعض الطوائف ظنت بالله (عز وجل) ظن الكفر كما سيأتي معنا وبعضهم ظنَّ ما هو دون الكفر.
- ولكن يمكن إجمال كل ما وقعت فيه هذه الطوائف من ضلال سواء كان ظن سوء أو عدم تقدير الله (عز وجل) حق التقدير ونشأتها يرجع إلى ثلاثة أسباب:

أ. **قلة الفهم لكلام الله (عز وجل)** فهم لم يفهموا كلام الله (عز وجل) فهماً صحيحاً دقيقاً كما جاء عن الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ب. **تعظيم الرأي** فيُقدِّمون العقل على النقل. فكثير من الطوائف كما جاء عن المعتزلة وغيرهم قدَّموا العقل على النقل فوقعوا

فيما وقعوا فيه من ضلالات. فمن المعلوم إن عقول الناس تتفاوت في الفهم والإدراك فإن قدَّم العقل على النقل فلابد أن يقع في الهوى والضلال لأن النقل حاكم على العقل.

ج. **تقديم هوى النفس** لأن الهوى يصد عن الحق فإذا هوى أحد شيء فلابد أن يُدافع عن هذا الهوى.

- وهذه الثلاث تختلف من طائفة إلى أخرى فكلما غالت الطائفة في هذه الثلاث كلما وقعت في ضلال أكثر والطائفة التي قلت فيها هذه الثلاث وقعت في ضلال أقل. فالمسألة نسبية ولكن المجمل إنهم يشتركون في هذه الأسباب.

2- ما هي الطوائف الضالة؟

2.1 أول الطوائف الضالة: الملاحدة والفلاسفة (التوقيت: 7 دقيقة و40 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **فلم يُقدِّره حقّ قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتابًا بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثاً** ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن طائفة الضلال الأولى وهي التي أنكرت إرسال الرسل والكتب وتُرِكَ الخلق سُدى. فهذا ظن كفري لأن هؤلاء أنكروا ما جاء في الكتاب أو السنة فالايات كثيرة على إثبات هذه الأمور مثل قوله (تعالى): ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا** ﴾[النحل: 36] وقوله (تعالى): ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾[القيامة: 36] وقد فسرها الشافعي (رحمه الله) بقوله: " لا يُأمر ولا يُنهى" [1] و بعض السلف قالوا في تفسيرها: " لا يُجازى ولا يُثاب" [2].
- وهذا الظن هو ظن الملاحدة ولا شك إن هذا ظن كفري فهو تكذيب لكلام الله (عز وجل) وسنة النبي (عليه السلام).
- وقال (تعالى): ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾[المؤمنون: 115-116] فالله (عز وجل) لم يخلق الخلق عبثاً لا يأمرهم ولا ينهاهم.
- فأدلة إثبات إرسال الله (عز وجل) للرسل والكتب كثيرة في القرآن منها قوله (تعالى): ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾[النساء: 163].
- فمن قال إن الله (عز وجل) لم يُرسل رسولاً ولم يُنزل كتاباً فلا شك إنه قد وقع في الظن الكفرى فهم قد ظنوا في الله (عز وجل) ظناً كفرياً وما قدروا الله (عز وجل) حق قدره.
- وهنا نُعرِّج على مسألة الرسول والنبي لأن الله (عز وجل) بيَّن إنه قد أرسل الرسل وأرسل الأنبياء. والخلاف بين أهل العلم في مسألة ما الفرق بين النبي والرسول فيها أقوال كثيرة ولكن نُجمل فيها فنقول إن الراجح إن النبي هو من أُوحِيَ إليه بشرع مُكمِّل لما قبله وأُمِرَ بتبليغه وهذا مثل كل أنبياء بني إسرائيل التي جاءت من بعد موسى (عليه السلام) إلى ظهور عيسى (عليه السلام) كانوا على شريعة موسى (عليه السلام) مثل يحيي وداود وسليمان (عليهم السلام) فكلهم كانوا على شريعة موسى (عليه السلام) ويُكملوا عليها مع بعض الاختلافات إلى ان جاء عيسى (عليه السلام) بشريعة جديدة وهذا بخلاف الرسول الذي جاء بشرع جديد وأُمِرَ بتبليغه [3].

---

[1] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير الآية: "وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ قال السدي: يعني: لا يبعث. وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: " يعني لا يؤمر ولا ينهى".

[2] لم أقف عليه.

[3] وهنا سنتكلم كلاماً أكثر تفصيلاً عن النبي والرسول في معنى النبوة والرسالة لغةً وشرعًا والفرق بين النبي والرسول.

1. **تعريف النبوة والرسالة لغة وشرعًا:**

أولاً: النبوة لغةً: مشتقة من النبأ بمعنى الخبر كما في قوله (تعالى): ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[الحجر: 49] وقوله (تعالى): ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾[التحريم: 3]. وجاء في "لسان العرب": النبأ: الخبر والنبيء: المخبرُ عن الله (عز وجل) لأنه أنبأ عنه وهو فعيل بمعنى فاعل.قال ابن بري: " صوابه أن يقول: فعيل بمعنى مُفعِل مثل نذير بمعنى مُنذر وأليم بمعنى مؤلِم".وقال الفراء: " النبي هو من أنبأ عن الله فتُرِك هَمزُه". قال: " وإن أُخذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض - أي: إنه شُرِّفَ على سائر الخَلق - فأصله غيرُ الهمز". وعلى ذلك فالنبوة في الأصل مشتقةٌ من النبأ وأصلها الهمزُ لكن لَمَّا كثُر استعمالها خُفِّف بإسقاط الهمز أما اشتقاقه من النبوة والنباوة فهو ضعيف من ناحية اللغة. قال ابن تيمية: "وهو - أي: لفظ النبي - من النبأ وأصله: الهمزة وقد قُرِئ به وهي قراءة نافع يقرأ: "النَّبِيء" لكن لما كثر استعمالُه لُيِّنت همزتُه كما فُعل مثلُ ذلك في الذرية وفي البرية وقد قيل: هو من النبوة وهي العلو فمعنى النبي: المُعلَى الرفيع المنزلة والتحقيق أن هذا المعنى داخلٌ في الأول فمَن أنبأه الله وجعله منبئًا عنه فلا يكون إلا رفيعَ القدر عليًّا وأما لفظ العلو والرفعة فلا يدل على خصوص النبوة إذ كان هذا يوصف به مَن ليس بنبي بل يوصف بأنه الأعلى كما قال (تعالى): ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ** ﴾ [آل عمران: 139]. وقراءة الهمزة قاطعةٌ بأنه مهموز وأيضًا فإن تصريفه أنبأ ونبَّأ يُنْبِئ ويُنَبِّئ بالهمزة ولم يُستعمل فيه نَبَا ينْبُو وإنما يقال: هذا ينبو عنه والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها ويقال: النَّبْوة وفي فلان نبوةٌ عنَّا أي: مجانَبة فيجب القطعُ بأن النبيَّ مأخوذ من الإنباءِ لا من النَّبوة". ولهذا نقول: إن كلمة "نبي" جاءت في القرآن "في القراءات" على وجهين يعني على قراءتين متواترتين: الأولى: "النبيّ" بالياء. والثانية: "النَّبِيء" "يا أيُّها النَّبِيءُ" والفرق ما بين "النبي" و"النبيء": أن النبيء هو مِن "نُبِّئَ". وكلا الأمرين حاصلٌ في النبي (عليه السلام) وفي كل نبي فهو مرتفع ولأجل ذلك فهو نبي وهو منبَّأ ولأجل ذلك فهو نبيءٌ ولهذا نقول: إن كلمة "نبي" صارت من الرفعة لأجل أنه نبيء يعني أنه نبّئ فصار في نبوةٍ وارتفاع عن غيره من الناس.

ثانياً: الرسول لغةً:

الرسول في اللغة: مأخوذ من الإرسال بمعنى التوجيه أو من الرَّسل بمعنى التتابع أخذًا من قولهم: " رَسَل اللبن" إذا تتابع دَرُّه. وجاء في لسان العرب: " والإرسال التوجيه وقد أرسل إليه والاسم: الرِّسالة والرَّسالة والرسول والرسول بمعنى الرسالة يؤنَّث ويذكَّر والرسول: الرسالة والمرسَل والرسول معناه في اللغة: هو الذي يتابع أخبار من بعثه أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رسلاً أي: متتابعة وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي: ذو رسالة والرسول: اسم من أرسلت وكذلك الرسالة". وعلى ذلك فالرسول في اللغة إما أن يكون مأخوذًا من الإرسال بمعنى التوجيه وهو ظاهر من حيث المعنى وإما أن يكون مأخوذًا من التتابع فيكون الرسول هو من تتابَع عليه الوحي.

ثالثاً: هل هناك فرق بين النبي والرسول شرعاً:

أ. المذهب الأول: قول من قال: إنه لا فرق بين الرسول والنبي فكل نبيّ رسولٌ وكل رسولٍ نبيٌّ. وهذا قال به طائفةٌ قليلة من أهل العلم من المتقدمين ومن المتأخرين ومنهم من يُنسب إلى السنة.

ب. المذهب الثاني: أن النبي والرسول بينهما فرق وهو أن النبيَّ أدنى مرتبةً من الرسول فكل رسولٍ نبيٌّ وليس كلُّ نبي رسولاً. هذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنَّة وذلك لأدلة كثيرة استدلوا بها على هذا الأصل مبسوطة في مواضعها ونختصر لكم بعضها: قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾[الحج: 52] و قوله (ﷻ): وجه الاستدلال أنه عَطف بالواو فقال: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ والعطف بالواو يقتضي المغايرة مغايرة الذات أو مغايرة الصفات وهنا المقصود منه أن الصفة التي صار بها رسولاً غيرُ النعت الذي صار به نبيًّا وهو المقصود مع تحقُّق أن الجميعَ وقع عليهم الإرسالُ. وكذلك إن النبوة ثبتت لآدم (عليه السلام) فآدمُ كما صح في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في المعجم الكبيروابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في شُعَب الإيمان وصحَّحه الألباني في الصحيحة "نبيٌّ مكلَّمٌ" وأن هناك أنبياءَ جاؤوا بعد آدم - عليه السلام - كإدريس وشيث وكغيرهما وإدريس ذكره الله (ﷻ) في القرآن والرُّسل أولهم نوح (عليه السلام) وجعل الله (ﷻ) أولي العزم من الرسل خمسة وجعل أولهم نوحًا (عليه السلام) فهذا يدل على أن آدم (عليه السلام) لم يحصُل له وصف الرسالة بل جاء في الحديث قولُه (ﷺ): " آدمُ نبيٌّ مكلَّمٌ" ووُصِف نوحٌ بأنه رسول ووصف إدريس بأنه نبي فدل هذا على التفريق بين المقامين. وكذلك ما جاء في حديث أبي ذر (رضي الله عنه) من التفريق بين عدد الأنبياء وعدد المرسلين فجعل عدد الأنبياء أكثر من مائة ألف مائة وأربعة وعشرين ألفًا أو نحو ذلك وجعل عدد الرسل أكثر من الثلاثة مائة بقليل بضعة عشرة وثلاثمائة رسول. والله (ﷻ) قص علينا خبر بعض الرسل وحجب عنا قصص البعض الآخر فقال (ﷻ): ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[النساء: 164] وهذا الحديث - حديث أبي ذر (رضي الله عنه) - حسَّنه بعض أهل العلم وإن كان إسناده - عند التحقيق - فيه ضعْفٌ لكن فيه جمل صحيحة وهو حديث طويل رواه ابن حبان غيره (هذا من كلام الشيخ صالح آل الشيخ).

ج. المذهب الثالث: أن النبي أرفعُ من الرسول وهو قول غلاة الصوفية وأن الرسول دون النبي.

رابعاً: أقوال أهل العلم في الفرق بين النبي والرسول:

1. قال البيضاوي في تفسيره: " الرسول مَن بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمُّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى (عليهم السلام) ولذلك شبَّه النبيُّ (ﷺ) علماءَ أمته بهم فالنبي أعمُّ من الرسول... وقيل: الرسول مَن جمع إلى المعجزة كتابًا منزلاً عليه والنبي غير الرسول مَن لا كتاب له وقيل: الرسول من يأتيه الملَكُ بالوحي والنبي: يقال له ولِمَن يوحَى إليه في المنام".
2. قال القرطبي: " الرسول والنبي اسمان لمعنيَيْن فإن الرسول أخصُّ من النبي وقيّم الرسول اهتمامًا بمعنى الرسالة وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم ولذلك ردَّ رسولُ الله (ﷺ) على البراء حين قال: " وبرسولك الذي أرسلت" فقال له: " قل: آمنتُ بنبيك الذي أرسلت" خرجه في الصحيح [إضافة: الحديث رواه مسلم عن البراء بن عازب (رضي الله عنه)] وأيضًا فإن في قوله: " برسولك الذي أرسلت" تكريرَ الرسالة وهو معنى واحد فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخلاف قوله: " ونبيك الذي أرسلت" فإنهما لا تكرار فيهما وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً لأن الرسولَ والنبي قد اشتركا في أمر عام هو النبأ وافترقا في أمر خاص وهي الرسالة فإذا قلت: محمد رسول من عند الله تضمن ذلك أنه نبي ورسول الله وكذلك غيره من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم".
3. قال النسفي تفسيره: " والفرق بينهما أن الرسولَ مَن جمع إلى المعجزة الكتابَ المنزل عليه والنبي من لم يُنزل عليه كتابٌ وإنما أُمر أن يدعو إلى شريعة مَن قبله وقيل: الرسول: واضع شرع والنبي: حافظُ شرع غيره".
4. قال الشوكاني في فتح القدير: " قيل: الرسول الذي أُرسل إلى الخَلق بإرسال جبريل إليه عِيانًا ومحاورته شفاهًا والنبي الذي يكون إلهامًا أو منامًا. وقيل: الرسول مَن بعث بشرع وأُمر بتبليغه والنبي من أُمر أن يدعو إلى شريعة من قبله ولم يُنزل عليه كتابٌ ولا بد لهما جميعًا من المعجزة الظاهرة". ولكن هذا التفريق كذلك مدفوعٌ بقوله (ﷻ): ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ [غافر: 34] فيوسف (عليه السلام) نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل لم يأتِ بشرع جديد ومع ذلك فهو رسول بنص هذه الآية. وعليه فإن التفريق المختار: " أن الرسول هو من بُعث إلى قوم مخالفين فدعاهم إلى دين الله سواءٌ دعاهم بشرع جديد أو بشرع مَن قبله والنبي: هو من بُعث إلى قوم موافقين فأقام فيهم دين الله".
5. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في النبوات: " النبي: هو الذي يُنبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالته فهو نبي وليس برسول قال (ﷻ): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج: 52]... فذكر إرسالاً يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما آدم كان نبيًّا مكلَّمًا". فيوسف أُرسل إلى أقوام مخالفين مشركين فبلَّغهم دين الله بشريعة من قبله. إذا تبين لك ذلك وأن الصحيح هو قول الجمهور وهو أن ثمة فرقًا بين النبي والرسول فما تعريف النبي وما تعريف الرسول في الاصطلاح؟ قلنا: إن النبي يقع عليه الإرسال ولكن لا يسمى رسولاً عند الإطلاق. والله (ﷻ) جعل ملائكة مرسلين وإذا قلنا: الرسول فلا ينصرف بالإطلاق على المبلِّغ للوحي جبريل (عليه السلام). والله (ﷻ) أرسل الريح وأرسل المطر وأرسل أشياء من العذاب ولا يقع عند الإطلاق أن يُقال: هذه مرسَلة أو هذه رسالةُ الله أو هذه الأشياء رسولٌ من إطلاق المفرد وإرادة الجمع به. ولهذا نقول: قد يقال عن هذه الأشياء كما جاء في القرآن قد يقال عنها: إنها مرسلة كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ [المرسلات: 1] ولكن إذا أُطلق لفظ الرسول فلا ينصرف إلى من أُرسل من الملائكة وإنما ينصرف إلى من أُرسل من البشر. وهذا يدل على أن الفرق قائمٌ بين النبي بين الرسول وأن النبي إرسالُه خاص وأن الرسول إرساله مطلَق. فلهذا نقول دلت آية سورة الحج في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: 52] على أن كلاً من النبي والرسول يقعُ عليه إرسال. فما الفرق بينهما من جهة التعريف؟ الجواب: أن العلماء اختلفوا على أقوال كثيرة في تعريف هذا وهذا ولكن الاختصار في ذلك مطلوب وهو أن تعريف النبي - وهي مسألة اجتهادية -: هو من أوحى الله إليه بشرع لنفسه أو أمَره بالتبليغ إلى قوم موافقين يعني موافقين له في التوحيد والرسول: هو من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم مخالفين. وتلحظ أن هذا التعريف للنبي وللرسول أنه لا مدخل لإيتاء الكتاب في وصف النبوة والرسالة فقد يعطى النبي كتابًا وقد يعطى الرسولُ كتابًا وقد يكون الرسول ليس له كتاب وإنما له صحف كما قال (ﷻ): ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [الأعلى: 19] وقد يكون له كتاب.

- بعضهم قال النبي هو من أُوحِيَ إليه بشرع ولم يُأمر بتبليغه والرسول الذي أُوحِيَ إليه بشرع وأُمِرَ بتبليغه. وهذا الكلام فيه نظر فما فائدة النبي الذي يُوحى إليه ولم يُأمر بالتبليغ؟ خاصة وأن النبي (ﷺ) بيَّن في الحديث الصحيح فقال: " عُرِضَت علي الأمم **فرأيت النبي (ﷺ) ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد** إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: " هذا موسى (عليه السلام) وقومه ولكن انظر إلى الأفق" فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: " انظر إلى الأفق الآخر" فإذا سواد عظيم فقيل لي: " هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: " فلعلهم الذين صحبوا رسول الله (ﷺ)" وقال بعضهم: " فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله" وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: " ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه فقال: " هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشة بن محصن فقال: " ادع الله أن يجعلني منهم" فقال: " أنت منهم" ثم قام رجل آخر فقال: " ادع الله أن يجعلني منهم" فقال: " سبقك بها عكاشة" [1]. فطالما أتى مع النبي أحد كما جاء في الحديث فهو قد أُمِرَ بالتبليغ.
- والرسول والنبي إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. فإذا جاء ذكر الرسول والنبي في آية واحدة أو حديث واحد افترقا في المعنى فيكون الرسول هو الذي جاء بشرع جديد وأُمِرَ بتبليغه والنبي هو الذي أُوحِيَ إليه بشرع مُكمِّل لما قبله وأُمِرَ بتبليغه. وإذا جاء الرسول منفرداً أو النبي منفرداً جمع الرسول (أو النبي) بين معني الرسول والنبي فأصبح يجمع المعنيين.
- والذي يدل على هذه التفرقة بين الرسول والنبي قوله (ﷻ): ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴾[مريم: 51] وقوله (ﷻ): ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴾[مريم: 54].
- وأصبح يُدندن هذه الأيَّام عن أمرأة ليس لها علاقة بالدين أصلاً يُقال عليها بأنها طبيبة نفسية وتكلمت بأن الرسل غير معصومين واستدلت بقوله (ﷻ): ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى** ﴾[عبس: 1]. والذي ردَّ عليها أخطأ أيضاً عندما قال لها: " انتبهي إلى الطب ولا تتكلمي في الدين" وقال أيضاً: " إن الرسل معصومون". والصحيح إن الرسل معصومون من الكبائر والخطأ في تبليغ الوحي والرسالة ولكن قد يقعون في الصغائر ولكن لا يُقرُّون عليها فهي عندما جاءت تستدل بقوله (ﷻ): ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى** ﴾[عبس: 1] فهذا صحيح في خطأ النبي (ﷺ) لكن الله (ﷻ) لم يُقرَّه على ذلك.
- فهذا نوح (عليه السلام) كما في قوله (ﷻ):﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ**

فإذًا من جعل الفيصل أو الفرق بين النبي والرسول هو إيتاء الكتاب أي وحيًا جاءه بكتاب منزل من عند الله (ﷻ) فهذا ليس بجيد بل يقال كما ذكرت لك في التعريف أن المدار على:

أ. أن النبي موحًى إليه والرسول موحى إليه.
ب. أن النبي يوحى إليه بشرع أو بفصل في قضية شرع يشمل أشياء كثيرة وكذلك الرسول يوحى إليه بشرع.
ج. أن النبي يوحى إليه لإبلاغه إلى قوم موافقين أو ليعمل به في خاصة نفسه كما جاء في الحديث عند البخاري ومسلم: " ويأتي النبي وليس معه أحد"الرسول يُبعث إلى قوم مخالفين له.

ولهذا جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في المشكاة " العلماء ورثة الأنبياء" ولم يجعلهم ورثة الرسل وإنما قال: " وإن العلماء ورثة الأنبياء" وذلك لأن العالِم في قومه يقوم مقام النبي في إيضاح الشريعة التي معه فيكون إذًا في إيضاح الشريعة ثَم شبَهٌ بين العالِم والنبي ولكن النبي يوحى إليه فتكون أحكامه صوابًا لأنها من عند الله (ﷻ) والعالِم يوضّح الشريعة ويعرض لحُكمه الغلطُ. يتعلق بهذه المسألة بحث وهو أن الرسول قد يكون متابعًا لشريعة من قبله كما أن النبي يكون متابعًا لشريعة من قبله. فإذًا الفرق بين النبي والرسول في اتباع الشريعة - شريعة مَن قبله - أن النبي يكون متابعًا لشريعة من قبله والرسول قد يكون متابعًا - كيوسف عليه السلام جاء قومه بما بُعث به إبراهيم عليه السلام ويعقوب - وقد يكون مبعوثًا بشريعة جديدة. وهذا الكلام وهذه الاحترازات لأجل أن ثمة طائفة من أهل العلم جعلت كلَّ محترز من هذه الأشياء فرْقًا بين النبي والرسول فالكتاب قد يعطاه النبي وقد يعطاه الرسول ولكن بعثُه لقوم موافقين أو مخالفين هذا مدار فرق بين النبي والرسول. فالرسول قد يُبعث بشريعة من قَبله بالتوحيد بالديانة التي جاء بها الرسول لمن قبله لكن يرسل إلى قوم مخالفين وإذا كانوا مخالفين فلا بد أن يكون منهم من يصدِّقه ويكون منهم من يكذبه لأنه ما من رسول إلا وقد كذب كما جاء في ذلك الآيات الكثيرة. وقال بعض العلماء: إن الرسول هو الذي يرسَل إلى أمة كافرة فيؤمن به بعضهم ويكفر به بعضهم نوح (عليه السلام) أرسل إلى الكفار آمن به بعضهم وكفر به بعضهم هودٌ رسول صالح رسول. والذين أرسلوا بشرائع يرسلون إلى أمم كافرة وينزل عليهم شرائع أوامر ونواهٍ يؤمن بهم بعضهم ويكفر بهم بعضهم مثل: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ونبينا محمد (ﷺ). أما النبي فهو الذي يرسَل إلى قوم مؤمنين - لا يرسل إلى الكفار - يرسل إلى قوم مؤمنين إذا كان ذلك كذلك فأي شريعة سبقت آدم؟! لكنه نبي إلى بنيه ولم يقع الشرك في زمانه وشيث نبي. ولهذا كان نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك فنوحٌ أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك ولأنه أرسل إلى بنيه وإلى غير بنيه أما آدم قبله وكذلك أيضًا شيث قبله لكن ما وقع الشركُ وقعت المعاصي كما قَتل قابيلُ أخاه هابيل. ولهذا قال الله (ﷻ): ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ** ﴾ [البقرة: 213] ﴿ **وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا** ﴾ [يونس: 19]. وقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم وقع الشرك هذا معنى قوله (ﷻ): ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** ﴾ [البقرة: 213]. وبالمثل داود وسليمان أنبياء لأنهم كلِّفوا بالعمل بالتوراة جميعًا إلى بني إسرائيل الذين جاؤوا بعد موسى داود وسليمان وزكريا ويحيى كلهم كلِّفوا بالعمل بالتوراة حتى جاء عيسى هؤلاء هم الأنبياء فالأنبياء على هذا. والخلاصة إن الصواب الذي أقره أهل العلم إن الرسول هو الذي يُبعث إلى أمة من أهل الشرائع الكبيرة الذين يرسلون إلى أمم إلى أمة كافرة يؤمن به بعضُهم ويكفر بعضهم والأنبياء: هم الذين يوحى إليهم ويرسَلون إلى المؤمنين خاصة ويكلَّفون بالعمل بشريعةٍ سابقة.

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية لمسلم.

﴿ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[هود: 45-46] دعا بنجاة ابنه لأن الله (ﷻ) وعده بنجاة أهله فلم يُقرَّه الله (ﷻ) على ذلك وقال إنه ليس يدخل ضمن أهلك.

- فالرسل قد يقعون في الصغائر لكن لا يُقرُّون عليها فالعصمة من الكبائر والعصمة من خطأ تبليغ الوحي والعصمة من الكفر والشرك ولكنه بشر في النهاية فلابد أن يصدر عنه أخطاء [1].

---

[1] فقد اتفقت الأمة على أن الرسل معصومون في تحمل الرسالة فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ وقد تكفل الله جل وعلا لرسوله (ﷺ) أن يُقرئه فلا ينسى إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه وتكفل له بأن يجمع له القرآن في صدره كما في قوله (ﷻ): ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[الأعلى:6-7] قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة:17 -18] فهم معصومون في التبليغ عن رب العزة (ﷻ) ولا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم . قال (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[المائدة: 67] وهم معصومون أيضا من الوقوع في الكبائر. وأما الصغائر فأكثر علماء الإسلام على أنهم ليسوا بمعصومين منها وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرُّون عليها. قال ابن تيمية: " القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول". والدليل على وقوع الصغائر منهم مع عدم إقرارهم عليها قوله (ﷻ) عن آدم (عليه السلام): ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[طه: 121-122] وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم وعدم إقراره عليها مع توبته إلى الله منها. وقوله (ﷻ): ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[القصص:15-16]. فموسى اعترف بذنبه وطلب المغفرة من الله بعد قتله القبطي وقد غفر الله له ذنبه. وقوله (ﷻ): ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[ص:24-25] وكانت معصية داود هي التسرع في الحكم قبل أن يسمع من الخصم الثاني. وهذا نبينا محمد (ﷺ) يعاتبه ربه (ﷻ) في أمور كثيرة ذكرت في القرآن منها قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التحريم : 1] وكذا عاتبه في الأسرى وفي خبر ابن أم مكتوم. وقد يستعظم بعض الناس مثل هذا ويذهبون إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة الدالة على هذا و يحرفونها والدافع لهم إلى هذا القول شبهتان:

الأولى: أن الله (ﷻ) أمر باتباع الرسل والتأسي بهم والأمر باتباعهم يستلزم أن يكون كل ما صدر عنهم محلاً للاتباع وأن كل فعل أو اعتقاد منهم طاعة ولو جاز أن يقع الرسول في معصية لحصل التناقض لأن ذلك يقتضي أن يجتمع في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث إننا مأمورون بالتأسي به والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية. وهذه الشبهة صحيحة وفي محلها لو كانت المعصية خافية غير ظاهرة بحيث تختلط بالطاعة ولكن الله (ﷻ) يُنبِّه رسله ويبين لهم المخالفة ويوفقهم إلى التوبة منها من غير تأخير.

الثانية: أن الذنوب تنافي الكمال وأنها نقصى وهذا صحيح إن لم يصاحبها توبة فإن التوبة تغفر الحوبة ولا تنافي الكمال ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته خيراً منه قبل وقوعه في المعصية كما نُقِلَ عن بعض السلف: " كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة" وقال آخر : " لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه". ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار فالأنبياء لا يقرون على ذنب ولا يؤخرون توبة فالله عصمهم من ذلك وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها. والله أعلم.

وقد سُئِلَ الشيخ محمد صالح المنجد السؤال التالي: " سؤالي عن الرسول (ﷺ) بعض المسلمين يقولون إنه بدون خطايا وآخرون يقولون إنه ليس بدون خطايا.أنا شخصيا لا أعتقد أنه بدون خطايا لأنه بشر. هل يمكنك أن تخبرني بالرأي الصحيح من الكتاب والسنة؟ ولكم جزيل الشكر. والله أكبر"

وكان رد الشيخ كالتالي: " الجواب:

أولا: استعمال كلمة خطايا في السؤال خطأ كبير لأن الخطايا جمع خطيئة وهذا مُحال على الرسل والأصح أن تقول أخطاء جمع خطأ لأن الخطأ قد يكون عفوياً وليس كذلك الخطيئة.

ثانياً: أما الخطيئة فإن الرسل ومنهم محمد (ﷺ) لم يرتكبوا شيئاً منها بقصد معصية الله تعالى بعد الرسالة وهذا بإجماع المسلمين فهم معصومون عن كبائر الذنوب دون الصغائر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) : " إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول." مجموع الفتاوى " (4 / 319).

وهذا سؤال موجه إلى اللجنة الدائمة حول الموضوع:

سؤال: " بعض الناس يقولون ومنهم الملحدون: إن الأنبياء والرسل يكون في حقهم الخطأ يعني يخطئون كباقي الناس قالوا: " إن أول خطأ ارتكبه ابن آدم قابيل هو قتل هابيل ... داود عندما جاء إليه الملكان سمع كلام الأول ولم يسمع قضية الثاني .... يونس وقصته لما التقمه الحوت وقصة الرسول مع زيد بن حارثة قالوا بأنه أخفى في نفسه شيئا يجب عليه أن يقوله ويظهره قصته مع الصحابة: انتم أدرى بأمور دنياكم قالوا بأنه اخطأ في هذا الجانب. قصته مع الأعمى وهي ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ فهل الأنبياء والرسل حقا يخطئون وبماذا نرد على هؤلاء الآثمين ؟

الجواب: نعم الأنبياء والرسل يخطئون ولكن الله تعالى لا يقرهم على خطئهم بل يبين لهم خطأهم رحمة بهم وبأممهم ويعفو عن زلتهم ويقبل توبتهم فضلا منه ورحمة والله غفوررحيم كما يظهر ذلك من تتبع الآيات القرآنية التي جاءت فيما ذكر من الموضوعات في هذا السؤال ... وأما أبناء آدم فمع انهما ليسا من الأنبياء .... بين الله سوء صنيعه بأخيه .... انتهى [عبد العزيز بن باز - عبد الرزاق عفيفي - عبد الله بن غديان - عبد الله بن قعود. " فتاوى اللجنة الدائمة "برقم 6290 (3 / 194)].

ثالثاً: أما قبل الرسالة فقد جوَّز عليهم العلماء أنه قد يصدر منهم بعض صغائر الذنوب وحاشاهم من الكبائر والموبقات كالزنا وشرب الخمر وغيرها فهم معصومون من هذا. وأما بعد الرسالة فإن الصحيح أنه قد يصدر منهم بعض الصغائر لكن لا يُقرون عليها. قال شيخ الإسلام: " وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل. " مجموع الفتاوى " (4 / 320). وهم معصومون في التبليغ عن الله تعالى. قال شيخ الإسلام (رَحِمَهُ اللَّهُ): " فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله (ﷻ) فلا يكون خبرهم إلا حقا وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه . " مجموع الفتاوى " (18 / 7).

رابعاً: أما الخطأ الذي بغير قصد فهو في سبيلين:

أ. في أمور الدنيا فهذا يقع ووقع من رسول الله (ﷺ) وهو فيه مثل سائر البشر كأمور الزراعة والطب والنجارة وغيرها لأن الله تعالى لم يقل لنا إنه أرسل إلينا تاجراً أو مزارعاً أو نجاراً أو طبيباً فالخطأ في هذه الأمور جِبِلِّيّ لا يقدح برسالته (ﷺ). عن رافع بن خديج قال: " قَدِمَ نبي الله (ﷺ) المدينة وهم يُأبِّرون النخل قال: " ما تصنعون؟" قالوا: " كنا نصنفه" قال: " لعلكم لو لم تفعلوا كان أحسن" فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال: " إنما أنا بشر مثلكم إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر" رواه مسلم (2361). ومعنى التأبير: التلقيح. نلاحظ أن الرسول (ﷺ) قد أخطأ في هذا الأمر من أمور الدنيا لأنه كسائر البشر ولكنه لا يخطئ في أمر الدين.

- ومعنى عدم الإقرار المذكور هو عدم ترك النبي على خطئه بل ينزل الوحي ليُصحَّح له كما حدث مع إبراهيم ونوح والنبي محمد (عليهم السلام). فهذا إبراهيم (عليه السلام) أراد أن يستغفر لأبيه آزر فبيَّن الله (عز وجل) أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين وكذلك قوله (ﷺ): " لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك" فنزلت آية عدم الاستغفار [1] ونوح عندما أراد أن يُنجِّى ابنه فقال له (سبحانه وتعالى) يرد عليه : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[هود: 46] رغم أنه اعتمد على قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[هود: 40] فظنَّ (عليه السلام) أنه يدخل تحت قوله ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾[هود: 40] وأن ابنه يدخل فيما قبل الاستثناء ﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾[هود: 40].
- ولكن النبي قد يقع في خطأ كما قال إبراهيم (عليه السلام): " وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات" [2] وآدم (عليه السلام) أكل من الجنة وهو نبي وقد قال فيه (سبحانه وتعالى): ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[طه: 121-122] ولكن النبي لا يُقرُّ على ذلك فإما يُغفر له أو يُبيَّن له.

ب. وأما الخطأ بأمور الدين من غير قصد فالراجح في ذلك من أقوال العلماء أنه يقع من النبي مثل هذا ولكن على سبيل فعل خلاف الأولى. فقد تعْرض له المسألة وليس عنده في ذلك نص شرعي يستند إليه فيجتهد برأيه كما يجتهد العالِم من آحاد المسلمين فإن أصاب نال من الأجر كِفْلين وإن أخطأ نال أجراً واحداً وهذا قوله (ﷺ): " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد " رواه البخاري (6919) ومسلم (1716) من حديث أبي هريرة. وقد حدث هذا منه في قصة أسرى بدر. عن أنس قال : " استشار رسول الله (ﷺ) الناس في الأسارى يوم بدر فقال: " إن الله (عز وجل) قد أمكنكم منهم". قال: " فقام عمر بن الخطاب فقال: " يا رسول الله اضرب أعناقهم". قال: " فأعرض عنه النبي (ﷺ). " قال: " ثم عاد رسول الله (ﷺ). فقال: " يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس". قال: " فقام عمر فقال: " يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي (ﷺ)". قال: " ثم عاد النبي (ﷺ) فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر فقال: " يا رسول الله إن ترى أن تعفو عنهم وتقبل منهم الفداء". قال:" فذهب عن وجه رسول الله (ﷺ) ما كان فيه من الغم" قال: " فعفا عنهم وقبل منهم الفداء". قال: " وأنزل الله (عز وجل): ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال:68]" رواه أحمد (13143) . فنلاحظ أن هذه الحادثة لم يكن عند رسول الله فيها نص صريح فاجتهد واستشار أصحابه فأخطأ في الترجيح. ومثل هذا في السنّة قليل فيجب أن نعتقد العصمة للرسل والأنبياء وأن نعلم أنهم لا يعصون الله تعالى وأن ننتبه غاية الانتباه لقول من يُريد أن يطْعن في تبليغه للوحي من خلال كونه (ﷺ) قد يُخْطئ في أمور الدنيا وشتّان ما بين هذا وهذا وكذلك أن ننتبه للضالين الذين يقولون إنّ بعض الأحكام الشّرعية التي أخبر بها النبي (ﷺ) هي اجتهادات شخصيّة قابلة للصواب والخطأ أين هؤلاء الضلال من قول الله تعالى. ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[النجم:3-4] نسأل الله أن يجنّبنا الزّيغ وأن يعصمنا من الضلالة والله تعالى أعلم والله أعلم". ولمزيد من التفاصيل راجع رسالة دكتوراة تسمى: "رد شبهات حول عصمة النبى (ﷺ) فى ضوء السنة النبوية الشريفة" للباحث عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى.

[1] أخرجه البخاري و مسلم عن المسيب بن حزن (رضي الله عنه) قال:" لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله" فقالا له: " أترغب عن ملة عبد المطلب؟" فأعاد عليه النبي (ﷺ) فأعادا فكان آخر ما قال: " هو على ملة عبد المطلب" وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال له النبي (ﷺ): " لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك" فأنزل الله (عز وجل) ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[التوبة:113] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص:56]".

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري قوله (ﷺ): " لله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداع وتدنو منهم الشمس فبلغ ذلك الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا ترون إلى ما كنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم بآدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسد لك ملائكته وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون: أنت يا نوح أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك عبدا شكورا ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإني كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد (ﷺ) فيأتون محمدا (ﷺ) وفي رواية: فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو: كما بين مكة وبصرى" وزاد في رواية في قصة إبراهيم: "وذكر قوله في الكواكب: هذا ربي وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا وقوله: إني سقيم"

- وكذلك سليمان (عليه السلام) كما أخبر عنه (ﷺ): " قال سليمان بن داود نبي الله: " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله" فقال له صاحبه - أو الملك -: " قل إن شاء الله" فلم يقل ونَسِيَ فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله (ﷺ): " ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا له في حاجته " [1].
- وأما نسيانه (ﷺ) في الصلاة فهذا من بشريته ففي الصحيحين عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: " قال عبد الله (رضي الله عنه) قال:" صلى النبي (ﷺ) قال إبراهيم: " لا أدري زاد أو نقص" فلما سلم قيل له: يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: " وما ذاك" قالوا: " صليت كذا وكذا" فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا بوجهه قال: " إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به ولكن إنما أنا بشر مثلكم **أنسى كما تنسون** فإذا نسيت فذكروني وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين" [2] ولكنه لا ينسى في الوحي فقد حَفِظَ الله (عز وجل) له الوحي كما في قوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: 9] وكذلك مسألة سحره (ﷺ) التي تكلمنا عنها وهذه مسألة أخرى [3].
- فهذه هي الطائفة الأولى التي أنكرت إن الله (عز وجل) أرسل رسول أو أنزل كتاب.

2.2 ثانى الطوائف الضالة: القدرية المحضة (التوقيت: 18 دقيقة و14 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **ولا قدَّره حقّ قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجهما عن خلقه وقدرته**".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن طائفة الضلال الثانية وهم القدرية النُفاة. وهؤلاء ظنوا ظناً ليس كفرياً لوجود الشبهه عندهم. ولهذا بعض أهل العلم لم يُكفِّروا القدرية ولكن ليس المقصود بذلك غُلاة القدرية الذين أنكروا علم الله (عز وجل) وقدرته فهؤلاء كفار وهؤلاء غير موجودين الآن تقريباً. ولكن القدرية الذين أثبتوا مراتب القدر الأربعة (العلم والكتابة والإرادة والمشيئة والخلق) [4] عموماً ولكن جاءوا في أفعال المخلوقين وتحديداً في مرتبتي الإرادة والمشيئة والخلق فجعلوهما للمخلوق وليس لله (عز وجل). فهم أثبتوا المراتب الأربعة إجمالاً ولهذا لم يكفروا فالمرتبتين الأولى والثانية (العلم والكتابة) آمنوا بهما كُليَّة ولكن الثالثة والرابعة (الإرادة والمشيئة والخلق) قالوا إنه أراد وشاء وخلق كل شيء إلا أفعال العباد ولكنهم لو كانوا مثل غلاة القدرية الذين لم يُقرُّوا بمرتبتي العلم والكتابة لكفروا بذلك.
- والذي جعلهم يقولون ذلك شبهة ولهذا ظنهم ليس كفرياً [5] وهذه الشبهة أن ما نراه من معاصي وذنوب العباد لا يمكن أن يكون الله (عز وجل) خلقها أو أرادها فكيف يخلق الله (عز وجل) المعاصي والذنوب.
- وهؤلاء جاءت الشبهة عندهم من أنهم أرادوا أن ينفوا عن الله (عز وجل) أنه يخلق الشر والمعاصي والذنوب فنسبوها للعباد ولكنهم وقعوا في شر أكبر بأنهم أخرجوا من أرادة الله (عز وجل) ومشيئته وقدرته وخلقه أفعال العباد. فكأن العباد يخلقون ويريدون أشياء بأرادة ومشيئة غير واقعة تحت مشيئة الله (عز وجل).
- فهم أرادوا أن يُنزِّهوا الله (عز وجل) عن أنه يخلق ويريد ويشاء المعاصي فأخرجوها من تحت عموم الملك والقدرة والخلق. ولا شك إن هذا بهتان عظيم ولكن العلماء قالوا إن فيها شبهة فنزل هذا الظن من الكفر إلى دون ذلك.

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (وكان له دركا في حاجته) أي سبب إدراك لها ووصول إليها وقال النووي هو اسم من الإدراك أي لحاقا قال الله (عز وجل): ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا ﴾ [طه : 77].

2 راجع المحاضرة الخامسة رقم (1) صـ 3.

3 راجع المحاضرة الخامسة.

4 راجع شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ المحاضرة التاسعة صـ 10.

5 من أحد موانع التكفير وجود شبهة عند المرء وهذا يُسمى عند العلماء التأويل السائغ. ولكن عموماً ليس كل تأويل يُقبل فيه النقاش وذلك لأن كثير من المتأولين في الحقيقة يتسترون تحت مظلة التأويل وهم يقصدون تحريف وتكذيب هذا الدين. ولهذا وضع العلماء ضوابط بناءاً عليها يقولون إن هذا التأويل مقبول النقَّاش فيه حتى وإن كان عليه ردود ولا يُكفَّر صاحبها وهذا يُسمَّى عند العلماء التأويل الصائغ. وقد ذكر ابن حجر (رحمه الله) في فتح الباري شروط التأويل الصائغ فقال: " قال العلماء: " كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب وكان له وجه في العلم " وقال ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى: " إن الأحاديث المتضمنه للوعيد يجب العمل بها في مقتضاها باعتقاد أن فاعل ذلك الفعل متوعد بذلك الوعيد لكن لحوق الوعيد له متوقف على شروط وله موانع وهذه القاعدة تظهر بأمثلة منها أنه قد صح عن النبي (ﷺ) أنه قال: " لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه" وصح عنه من غير وجه أنه " قال لمن باع صاعين بصاع يدا بيد: أوه عين الربا" كما قال: " البر بالبر ربا إلا هاء وهاء" الحديث وهذا يوجب دخول نوعي الربا: ربا الفضل وربا النسيئة في الحديث. ثم إن الذين بلغهم قول النبي (ﷺ): " إنما الربا في النسيئة" فاستحلوا بيع الصاعين بالصاع يدا بيد مثل ابن عباس (رضي الله عنه) وأصحابه: أبي الشعثاء وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير وعكرمة وغيرهم من أعيان المكيين الذين هم من صفوة الأمة علما وعملا: لا يحل لمسلم أن يعتقد أن أحدا منهم بعينه أو من قلده بحيث يجوز تقليده: تبلغهم لعنة آكل الربا لأنهم فعلوا ذلك متأولين تأويلاً سائغاً في الجملة". فالخلاصة إن التأويل السائغ له ثلاثة شروط:
-1 أن يكون له وجه من اللغة.
-2 أن يكون له مُستند شرعي سواء من القرآن أو السنة أو الأدلة المبينة عليهما مثل الإجماع والقياس وغيرهما من أدلة أصول الفقه.
-3 ألا يُصادم معلوماً من الدين بالضرورة.

- فالقدرية أشبه بالمجوس لأنهم جعلوا كل مخلوق خالق لأفعاله فكأنه تعدَّد عندهم الخالقين فكانوا مثل المجوس.

2.3 ثالث الطوائف الضالة: القدرية الجبرية (التوقيت: 21 دقيقة و49 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **ولا قدَّر الله حقّ قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا إنه يُعاقب عبده على ما لم يفعله بل يعاقبه على فعله (تعالى) وإذا استحال في العقول أن يُجبِرَ السّيد عبده على فعل ثمّ يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين؟ وقول هؤلاء شرّ من أشباه المجوس القدريّة الأذلين**".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم على طائفة الضلال الثالثة وهم القدرية الجبرية وهم عكس القدرية المحضة. فالجبرية هم الذي قالوا إن الإنسان كالغصن والريشة في مهب الريح فهو ليس له تصرُّف أو اختيار أو عمل أو مشيئة.
- بل قالوا إن أفعال العباد الله (عز وجل) هو الذي يفعلها تعالى الله (عز وجل) عما يقولون. والرد عليهم كيف أن الله (عز وجل) يفعل هذه الأفعال ثم يُعاقب العبد على فعله لم يفعله بل فعله الله (عز وجل) على زعمهم؟.
- وهؤلاء هم الجبرية الذين قالوا بالجبر أي أن العبد مجبور على هذا الفعل فهو ليس له إرادة ولا مشيئة بل أن الله (عز وجل) هو الذي فعله.
- وهؤلاء أشرُّ من القدرية فالفرق بينهما إن القدرية أثبتوا إن الله (عز وجل) يأمر وينهى ولكن ضلُّوا في إثبات القدر. والجبرية العكس أثبتوا القدر ولكن لم يُثبتوا الأمر والنهي فيقولون إن الله (عز وجل) لا يأمر ولا ينهى فهل يأمر وينهى نفسه؟ فعندهم من يعمل الأعمال هو الله (عز وجل) فليس عندهم فائدة أن تُصلِّي أو تصوم أو تنتهي عن المحرمات فما تفعله ليس بملكك ولكن الله (عز وجل) هو الذي يفعل ذلك.
- فالقدرية عظَّموا الأمر والنهي وضلوا في القدر والجبرية عظَّموا القدر وضلوا في الأمر والنهي. ولذلك كانوا الجبرية أشد خبثاً من القدرية فالقدرية أثبتوا الحكمة وهي أن الله (عز وجل) ما خلق العباد إلا ليأمرهم وينهاهم ويستجيبوا وأما الجبرية ضلوا في هذه الحكمة فليس عندهم حكمة من خلق العباد فعندهم الله (عز وجل) خلق العباد فيُدخِل من يشاء الجنة ويُدخل من يشاء النار. فلو عبدَّت الله (عز وجل) طول عمرك وآخر عصى الله (عز وجل) طوال عمره ففي النهاية لا فارق فسيُدخِل من يشاء الجنة وسيُدخل من يشاء النار.
- والقدرية والجبرية ضالون ومبتدعون ولكن الجبرية أضل لأنهم نفوا الحكمة من الخلق وهي الأمر والنهي. بل إن الجبرية نسبوا إلى الله (عز وجل) الظلم فيُعاقب هذا ويُثيب هذا بدون أمر ولا نهي.
- أما الطرف الوسط وهم أهل السنة والجماعة أثبتوا الإثنين فأثبتوا القدر وأثبتوا الأمر والنهي. فقالوا إن الله (عز وجل) قدَّر كل هذه الأشياء والله (عز وجل) جعل للعبد إرادة ومشيئة تحت مشيئته والله (عز وجل) ونهى فقد قال (تعالى): ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾[القيامة: 36] ولهذا هم الطائفة الفائزة التي وازنت بين الأمرين.

2.4 رابع الطوائف الضالة: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة (التوقيت: 25 دقيقة و38 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **ولا قدَّره حقّ قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبّته وغضبه وحكمته مطلقا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلاً اختيارياً بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه**".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم على طائفة الضلال الرابعة وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وإن كانوا درجات. فأشدهم ضلالاً هم غلاة الجهمية ثم الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة. وكل هؤلاء مشتركون في الضلال في الأسماء والصفات ولكن غلاة الجهمية والجهمية نفوا الاسم والصفة والمعتزلة أثبتوا الإسم ونفوا الصفة والأشاعرة أثبتوا الأسماءوسبع صفات والباقي حرَّفوه. والأشاعرة يدخل معه الماتريدية والكُلابية فالماتريدية أثبتوا ثمان صفات.
- ولكن الذي ذكره المصنف (رحمه الله) من صفات هي صفات الأفعال الاختيارية (الصفات الفعلية) ولهذا كلامه أقرب أن يكون عن الأشاعرة عن غيرهم لأن هذه الصفات كلها التي ذكرها المصنف (رحمه الله) فهي جزء من الصفات المُشكلة بين أهل السنة والأشاعرة وهي الصفات الاختيارية وطبعاً من باب أولى ينسحب الكلام على الجهمية وغلاتهم والمعتزلة.
- وهذا للرد على الأشاعرة الذي أثبتوا سبع صفات فالأصل عن القول في بعض الصفات كالقول في كل الصفات كما ذكرنا في شرح اللمعة فإن كنت تُثبت سبع صفات فما الذي يمنعك من إثبات بقيَّة الصفات؟ [1].
- فالأشاعرة نفوا عن الله (عز وجل) الصفات الاختيارية من المحبة والرضا وغيرهما والتي ضابطها عن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها فإن شاء أحب وإن شاء لم يحب و إن شاء رضِيَ وإن شاء لم يرضي و إن شاء غضِبَ وإن شاء لم يغضب و إن شاء رحِمَ وإن شاء لم يرحم والمقصود بالرحمة الفعلية وليست الذاتية.

[1] راجع شرح كتاب " لمعة الاعتقاد" للشيخ المحاضرة السابعة صـ 2.

- وكما ذكرنا إن الصفات إما ذاتية لا تنفك عن ذات الله (ﷻ) ويدخل تحتها الصفات الخبرية التي مسماها عندنا أبعاض وأجزاء كاليد والقدم والساق والأصبع والعين وغير ذلك أو الصفات الاختيارية الفعلية التي ضابطها مشيئة الله (ﷻ) إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.
- فالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وحتى الفلاسفة وقعوا في مسألة الصفات ولم يُقدِّروا الله (ﷻ) حق قدره لأنهم لم يُثبتوا صفات الإله الواردة في الكتاب والسنة فيسلب عن الله (ﷻ) الغضب والمحبة والرضا والضحك.

2.5 خامس الطوائف الضالة: المشركون الأوائل واليهود والنصارى والحلولية والاتحادية والنُصيريين العلويين (التوقيت: 29 دقيقة و30 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **ولا قدَّره حقّ قدره من جعل له صاحبةً وولدًا وجعله يحلّ في مخلوقاته أو جعله عين هذا الوجود** ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن طائفة الضلال الخامسة وهي أكثر من طائفة من طوائف الضلال وهم المشركون الأوائل الذين جعلوا لله (ﷻ) صاحبة وولداً عندما قالوا إن الملائكة بنات الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون واليهود والنصارى الذين قالوا اتخذ الله (ﷻ) ولداً فاليهود قالت عزير ابن الله (ﷻ) والنصارى قالت المسيح ابن الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون والنصارى الذين قالوا يقولون إن الله ثالث ثلاثة تعالى الله (ﷻ) عما يقولون.
- وهؤلاء كلهم يدخلون تحت قوله (ﷻ): ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾[الحج: 74] وقد قال (ﷻ) في النصارى: ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾[مريم: 88-95].
- وهناك من جعل الله (ﷻ) يحل في مخلوقاته كالحلولية والاتحادية وكذلك النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة تعالى الله (ﷻ) عما يقولون.
- والحلولية والاتحادية قالوا إن الله (ﷻ) حلَّ في العباد فقد قال الحلاج: " وأنا الحق وما في الجبة إلا الله" [1] تعالى الله (ﷻ) عما يقولون. فكأنهم يقولون إن الله (ﷻ) قد حلَّ في العبد.
- وكذلك النُصيريين العلويين الذين يقولون إن الله (ﷻ) قد حلَّ في علي تعالى الله (ﷻ) عما يقولون.
- ولازم قولهم أنه ليس هناك أمر ونهي فكيف الله (ﷻ) يأمر وينهى نفسه؟ ولهذا هذا نوع من الإلحاد فالحلولية والاتحادية ليس عندهم دين ولا شريعة أصلاً.

2.6 سادس الطوائف الضالة: الشيعة الرافضة (التوقيت: 33 دقيقة و44 ثانية)

- قال المصنف (رحمه الله): " **ولا قدَّره حقّ قدره من قال إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمّن غاية القدح في الرّب تعالى الله عن قول الرّافضة** ".
- بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن عن طائفة الضلال السادسة وهي الشيعة الرافضة. وهم يدَّعون محبة آل البيت فهم قالوا إن الله (ﷻ) أرسل الرسول (ﷺ) والرسول (ﷺ) لم يُبلِّغ الرسالة على الوجه الصحيح وهذا معناه إن الله (ﷻ) تركه يفتح البلاد ويسبي النساء دون وجه حق وهو يدَّعي النبوة.
- بل يدَّعون إن الرسول (ﷺ) بايع علي (رضي الله عنه) ثلاث مرات أثنين في السر وواحدة في الجهر كما في عقيدتهم الخَرِبَة وكذلك الرسول (ﷺ) لم يُبيِّن الوصية التي في علي (رضي الله عنه) وأن الله (ﷻ) تركه كل هذه المدَّة نُصرة لأصحابه على أولياءه.
- وهذا هو مقصود المصنف من قوله " ولا قدَّره حقّ قدره من قال إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته " فهو يقصد إن الرسول علي (رضي الله عنه) على زعمهم رفع الله (ﷻ) أعداءه على زعمهم أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) وجعلهما يتملكون الحكم وجعلهما خلفاء ومن بعدهم ووضع أولياء رسوله فلم يجعل الملك في آل بيت النبي (ﷺ). وهذا يتضمن غاية القدح في الله (ﷻ) فكيف الله (ﷻ) ينصر رسول ويجعل له التأييد والنُصرة وفتح البلاد وتوحيد الأمة ويدعو الناس إلى لا إله ألا الله ويفتح به بلاد الإسلام ويجعل له التمكين في الأرض وهو على غير الحق؟.
- قال المصنف (رحمه الله): " **وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول ربّ العالمين: إنه أرسل ملكا ظالما فادعى**

---

[1] راجع المحاضرة الثالثة رقم (3) صـ 5.

النبوّة وكذب على الله ومكث زمنًا طويلاً يقول أمرني بكذا ونهاني عن كذا ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه والرّب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدّلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذّل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام. فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرّافضة تجد القولين سواء".

- وهذا هو نفس كلام اليهود فاليهود عندهم إن الله (ﷻ) أرسل ملك ومكّن له وجعل يقتل النساء وجلس مُدَّه طويلة في الأرض يعيث فيها فساداً والروافض يتهمون الصحابة بالكفر يقولون كلهم أرتدوا إلا بعضهم.
- وكما أن اليهود اتهموا مريم (عليها السلام) بالزنا فالرافضة اتهموا عائشة (رضي الله عنها) بالزنا حتى إن ابن القيّم أتى بسبعين اعتقاد عند الرافضة يُشابه سبعين اعتقاد عند اليهود [1].
- وكذلك اليهود قالوا بالبداءة وهي إن الله (ﷻ) لم يكن يعلم ثم عَلِمَ فهم نسبوا الجهل لله (ﷻ) وكذلك الرافضة. فاليهود قالوا بالحزن والندم فادَّعوا إن الله (ﷻ) نَدِمَ بعد أن خلق السماوات والأرض وحَزِنَ بعد أن وجد من عباده ما يفعلون فاتهموا الله (ﷻ) إنه لم يكن يعلم ثم عَلِمَ.

2.7 سابع الطوائف الضالة: الدهريين (التوقيت: 38 دقيقة)

- قال المصنف (رحمه الله): **" ولا قدَّره حقّ قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ولا يبعث من في القبور ليُبيِّن لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ".**
- ختم المصنف (رحمه الله) كلامه بطائفة الضلال السابعة وهي الدهرية. والدهريون هم الذين أنكروا البعث سواء كانوا من الفلاسفة أو غيرهم.
- وهذا يرجع إلى قوله (ﷻ): ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾[الصافات: 51-61]. وقصة هذه الآية أنه كان هناك رجلان في الدنيا وكان أحدهما يؤمن بالبعث والعودة وأنه سيرجع بعد ذلك لله (ﷻ) فكان الثاني يُوبخُّه على ذلك وقال له ﴿ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ أي سنرجع ونُحاسب على ما فعلناه فكان الثاني يُوبخُّه ويقول له كيف تؤمن بذلك ثم حدث يوم القيامة فدخل هذا الجنة ودخل هذا النار فكان الذي في الجنة يقول ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ فيقول تعالوا نطلع عليهم فهو في الجنة والثاني في النار ففُتِحَ له باب على النار فرأى أنه في النار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ فلما رآه على ما هو فيه ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾أي كنت ستضلني لو اتبعتك على ما كنت عليه من توبيخي وإنكارك عليَّ إيماني بالبعث ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ . فهذه الآيات تُبيِّن جزاء من أنكر البعث من الأمم السابقة لنا ولكل من أنكر البعث في كل الطوائف [2].

---

1 هذا الكلام لابن تيمية (رحمه الله) وليس ابن القيّم (رحمه الله) وراجع كلام ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب " منهاج السنة" من قوله :".. ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل.."

2 قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره في تفسير هذه الآيات: " يُخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها؟ وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الصافات:51] قال مجاهد: يعني شيطانا. وقال العوفي عن ابن عباس: " هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا". ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان وكلاهما متعاديان قال الله تعالى: ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[الأنعام:112] وكل منهما يوسوس كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس:1-5]. ولهذا ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [الصافات:51-52] أي أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء؟! يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد. ولهذا ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[الصافات:53] قال مجاهد والسدي: " لمحاسبون؟" وقال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: " لمجزيون بأعمالنا؟". قال: ﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾[الصافات:54] أي مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة. ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾[الصافات:55] قال ابن عباس وسعيد بن جبير وخليد العصري وقتادة والسدي وعطاء الخراساني [وغيرهم]: " يعني في وسط الجحيم". وقال الحسن البصري: " في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد". وقال قتادة: " ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي. وذكر لنا أن كعب الأحبار قال: في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً". ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ﴾ [الصافات:56] يقول المؤمن مخاطبا للكافر: " والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك". ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[الصافات:57] أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل [عليَّ] ورحمني فهداني للإيمان وأرشدني إلى توحيده ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف:43] . وقوله: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الصافات:58-59] هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة لا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ

- والدهريون على أربعة أصناف:

أ. من يُسمُّون أنفسهم بالفلاسفة المسلمين الذين قالوا إن الدنيا ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع. فليس عندهم خلق ولا بعث ولا حساب بعد ذلك بل هي أرحام النساء تدفع أي أن أرحام النساء تلد من نفسها دون وجود خالق والأرض تبلعهم بعد الموت.

ب. الصنف الأول من الدورية الذين يقولون إنه كل 36 ألف سنة تعود الأرض كما كانت بمن عليها. فالخلق قبل 36 ألف سنة يعودون مرة أخرى ويحيون مرة أخرى.

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[الصافات:60]. قال ابن أبي حاتم: " حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: " قال ابن عباس (ﷺ) في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة: ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[الطور:19] قال ابن عباس (ﷺ): " قوله ﴿ **هَنِيئًا** ﴾ أي: لا يموتون فيها فعندها قالوا: ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾[الصافات:58-59]. وقال الحسن البصري: " علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا: " ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾[الصافات:58-59] قيل [لهم] لا. قالوا: ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[الصافات:60]. وقوله: ﴿ **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** ﴾[الصافات:60] قال قتادة: " هذا من كلام أهل الجنة". وقال ابن جرير: " هو من كلام الله تعالى ومعناه: لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا إليه في الآخرة". وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني إسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة. قال أبو جعفر بن جرير: " حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة البهراني في قوله: ﴿ **إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ** ﴾ [الصافات:51] قال: " إن رجلين كان شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذي له حرفة للآخر: " ليس عندك حرفة ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال: " كيف ترى هذه الدار؟ ابتعتها بألف دينار؟" قال: " ما أحسنها!" فلما خرج قال: " اللهم إن صاحبي ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك دارا من دور الجنة" فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما. فلما أتاه قال: " إني تزوجت امرأة بألف دينار". قال: " ما أحسن هذا!" فلما انصرف قال: " يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وإني أسألك امرأة من الحور العين". فتصدق بألف دينار ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث. ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال: " إني ابتعت هذين البستانين" فقال: " ما أحسن هذا!" فلما خرج قال: " يا رب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة". فتصدق بألفي دينار ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه وإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيئا الله به عليم فقال عند ذلك: " ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا". قال: " فإنه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة". قال: " فإنه كان لي صاحب يقول: " أئنك لمن المصدقين؟" قيل له: " فإنه في الجحيم". قال: " هل أنتم مطلعون؟" فاطلع فرآه في سواء الجحيم. فقال عند ذلك: ﴿ **قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** ﴾ [الصافات:56-57] الآيات". قال ابن جرير: " وهذا يقوي قراءة من قرأ: ﴿ **أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ** ﴾ [الصافات:52] بالتشديد. وقال ابن أبي حاتم: " حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار أبو حفص قال: سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية: {﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ** ﴾ [الصافات:51-52] قال: فقال لي: " ما ذكرك هذا؟" قلت: " قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه؟" فقال: " أما فاحفظ كان شريكان في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: " ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئا؟ أتجرت به في شيء؟" فقال له المؤمن: " لا فما صنعت أنت؟" فقال: " اشتريت به أرضا ونخلاً وثماراً وأنهاراً" قال: " فقال له المؤمن: " أو فعلت؟" قال: " نعم". فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: " اللهم إن فلانا -يعني شريكه الكافر-اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضاً ونخلاً وثماراً وأنهاراً في الجنة". قال: " ثم أصبح فقسمها في المساكين". قال: " ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: " ما صنعت في مالك أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟" قال: " لا فما صنعت أنت؟". قال: " كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون بي فيها ويعملون لي فيها". فقال له المؤمن: " أوفعلت؟" قال: " نعم". قال:" فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: " اللهم إن فلانا -يعني شريكه الكافر-اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا ويتركهم أو يموتون فيتركونه اللهم وإني أشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقاً في الجنة". ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: " ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: " ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال لا فما صنعت أنت؟" قال: " أمري كله قد تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها". فقال له المؤمن: " أوفعلت؟" قال: " نعم". فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال: " اللهم إن فلانا -يعني شريكه الكافر-تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدا فيتركها أو يموت فتتركه اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء في الجنة". ثم أصبح فقسمها بين المساكين. قال: " فبقي المؤمن ليس عنده شيء". قال: " فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته". قال: " فجاءه رجل فقال: " يا عبد الله أتزاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقينها؟" قال: " نعم". قال: " فواجره نفسه مشاهرة شهرا بشهر يقوم على دوابه". قال: " فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له: " سرقت شعير هذه البارحة؟" فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال: " لآتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يوما ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا". قال: " فانطلق يريده فلما انتهى إلى بابه وهو ممس فإذا قصر مشيد في السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم: " استأذنوا لي صاحب هذا القصر فإنكم إذا فعلتم سره ذلك" فقالوا له:" انطلق إن كنت صادقا فنم في ناحية فإذا أصبحت فتعرض له". قال: " فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام". فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له: " ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟" قال: " بلى وهذه حالي وهذه حالك". قال: " أخبرني ما صنعت في مالك؟" قال: " لا تسألني عنه". قال: " فما جاء بك؟" قال: " جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا". قال: " لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك؟" قال: " أفرضته" قال: "من؟" قال: " الملي الوفي". قال: " من؟" قال: " الله ربي". قال: " وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال: ﴿ **أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ** ﴾". قال السدي: " محاسبون"-قال: " فانطلق الكافر وتركه". قال: " فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان". قال: " فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول: " لمن هذا ؟" فيُقال: " هذا لك". فيقول: " يا سبحان الله! أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟!" قال: " ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول: " لمن هذا؟" فيُقال: " هؤلاء لك". فيقول: " يا سبحان الله! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟!" قال: " ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول: " لمن هذه؟" فيُقال: " هذه لك. فيقول: يا سبحان الله! أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟!" قال: " ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول: ﴿ **إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ** ﴾ قال: " فالجنة عالية والنار هاوية". قال:" فيُريه الله شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول ﴿ **قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ** ﴾ بمثل ما من عليه". قال: " فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت".

☜ والطائفتان (الفلاسفة و الصنف الأول من الدورية) هم الذين جاء فيهم قوله (ﷻ): ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[المؤمنون: 37] وكذلك كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[الجاثية: 24]. بعضهم فسَّر نموت ونحيا بأن الذي يموت الآباء والذي يحيا الأبناء. وبعضهم فسَّر على قول الدورية أي أن المقصود نموت ثم نحيا دورياً كل 36 ألف سنة.

ج. الصنف الثاني من الدورية وهم مشركي العرب ومن وافقوهم على اعتقادهم وهم الذين اعتقدوا بالبداءة بأن الله (ﷻ) بدأ الخلق ولكنه لن يُعيده وهم الذين جاء فيهم قوله (ﷻ): ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[الزخرف: 87] ومع هذا قالوا كما أخبر (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[الأنعام: 29] و ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾[الدخان: 35].

- وهؤلاء يُوضِّحهم حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): "قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفئاً أحد" [1].

د. الملاحدة الجهمية ومن وافقهم الذين أقروا بالخلق والمعاد ولكن معادهم ليس كمعادنا. قالوا هناك معاد وهناك أرض أخرى وأناس أخرى ولكن الأجسام ليست هي ذات الأجسام والأرواح ليست هي ذات الأرواح والناس ليس هم ذات الناس. أي أن الذين يعيشون في هذه الدنيا ويموتون ليسوا هم الذين يُبعثون والذين يُبعثون يوم القيامة أُناس أُخر وأرواح أخرى وهم ليس نحن والذين يُعذَّبون ويُنعَّمون ليس هم الذين كانوا في الدنيا. كأن الله (ﷻ) يخلق خلق آخر وهم الذين يُبعثون ويُدخلهم النار ويُدخلهم الجنة.

- وكل هذه الطوائف مخالفة لما سبق ذكره من الآيات والأحاديث. وهذه الطوائف التي أنكرت المعاد كلها كفر فمن أصول أهل السنة والجماعة أن تؤمن باليوم الآخر فالإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة الواردة في حديث جبريل. فالإيمان باليوم الآخر معناه أن الناس سيُعادون وأن هناك حساب وهناك جنة ونار.
- وهذه الطوائف التي ذكرها المصنف أجتمعت في مسألتين: أنهم ظنوا بالله (ﷻ) ظن السوء أو ما قدروا الله (ﷻ) حق قدره فوقعوا فيما وقعوا فيه من الضلال.

[1] أخرجه البخاري عن ابي هريرة (رضي الله عنه).

3- عبادة غير الله (ﷻ) عبادة للشيطان (التوقيت: 45 دقيقة و48 ثانية)

وبالجملة : فهذا باب واسع والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنه عبد شيطاناً . قال تعالى ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: من الآية٦٠] .

فما عبد أحدٌ أحداً من بني آدم كائناً من كان إلا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالىٰ وذلك غاية رضىٰ الشيطان .

ولهذا قال تعالى﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾[الأنعام: من الآية١٢٨] ، أي : من إغوائهم وإضلالهم﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[الأنعام: من الآية١٢٨].

فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يُغفر بغير التوبة منه وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم وأنه ليس تحريمه و قبحه لمجرد النهي عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع عبادة إلهٍ غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

- قال المصنف (رحمه الله): " **وبالجملة: فهذا بابٌ واسعٌ والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطانا قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[يس: 60] فما عبد أحدٌ أحدًا من بني آدم كائنا من كان إلاّ وقد**

وقعت عبادته للشّيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾[الأنعام: 128] أي: من اغوائهم وإضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم﴾[الأنعام: 128] فهذه إشارةٌ لطيفةٌ إلى السّر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه موجبٌ للخلود في العذاب العظيم وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرّد النّهي عنه فقط بل يستحيل على الله (ﷻ) أن يشرع لعباده عبادة إله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله".

- هنا المصنف (رحمه الله) بعد أن ذكر أصناف من الطوائف المنحرفة التي أنحرفت في باب الشرك وغيره أراد أن يُبيِّن أن حقيقة الشرك كله إنما هو عبادة للشيطان فمن وقع في الشرك فقد وقع في عبادة الشيطان.
- فكل من وقع في الشرك أو ضلَّ في هذه الطوائف هو لابد أنه قد وقع في عبادة الشيطان. وقد بيَّن الله (ﷻ) أن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله (ﷻ) ولكن سلطانه على الذين ضُعُفَ إيمانهم ويقينهم وأتبعوا الهوى وابتعدوا عن منهج الحق. قال (ﷻ): ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[يس: 60] فبيَّن الله (ﷻ) وأثبت أنه هناك عبادة للشيطان.
- والشيطان يُعبد باتباع الهوى أو أن الشيطان يُعبد حقيقة كما ظهر في أزماننا أنه هناك عبادة للشيطان حقيقة فهناك من يُقدَّم له الطقوس والعبادات. ولكن الأولى كَثُرَت لأنه كل من يعبد غير الله (ﷻ) حتى ولو لم يُقدَّم للشيطان فهو عابد للشيطان كما في قوله (ﷻ): ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: 112].
- فأي عبادة لغير الله (ﷻ) لابد أن تكون ناتجة عن إغواء من الشيطان كما في قوله (ﷻ) حاكياً عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف: 16-17].
- فقد تعهَّد الشيطان بإغواء بني آدم أمام الله (ﷻ) وبيَّن (ﷻ) أنه لن يستطيع ذلك بالكلية على كل عباده وإنما على الضعفاء منهم كما في قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل: 99-100] وقوله (ﷻ): ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[الحجر: 42] فالذين يعبدون الله (ﷻ) حق العبادة لن يمسهم الشيطان وأما الذين يمسهم الشيطان هم الذين خرجوا من عبادة الله (ﷻ) وخرجوا من عبادة الشيطان.
- وعبادة الشيطان فيها استمتاع كما بيَّنت الآيات في قوله (ﷻ): ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم﴾[الأنعام: 128].
- وبعض أهل العلم قال إن استمتاع الإنس بالجن كاستمتاع العابد بالمعبود بمعنى إن العابد يعبد الشيطان والمعبود فيستمتع الشيطان بأن العابد يسجد له فيُقدَّم له القرابين ويُقدَّم له العبادات فهذا استمتاع الشيطان بأنه يشعر بالعلو بأنه يجد الإنس يقدِّمون له ما لا يجب إلا لله (ﷻ) واستمتاع العابد بأن الشيطان يُلبِّي له ما يريد. وبعضهم حمل الاستمتاع على جواز الزواج بين الإنس والجن وقد ورد إن الجن يتزوج من الإنس فالجن قد يسحر المرأة كما يأتي في التلبيس والآية تحتمل كلا التفسيرين ولكن الذين يهمنا في العقيدة هو استمتاع العابد بالمعبود.
- وهناك لفتة في آخر الآية وهي الاستثناء كما في قوله (ﷻ): ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم﴾[الأنعام: 128] فهذا استثناء والأصل في الاستثناء هو استثناء المستثنى من المستثنى منه ولكن هل هذا هو المقصود في الآية أي هل المقصود بأنه هناك استثناء من الخلود في النار لأهل الكفر؟. فلابد من توجيه لهذا الاستثناء فليس المقصود منه قطعاً أنه هناك بعض الكفار لا يخلدون في النار فالمقصود منه أنه لا يخرج شيء عن مشيئة الله (ﷻ) وليس المقصود به الاستثناء اللغوي بأنه عن شاء أخرجهم بعد ذلك فالمقصود بأنه كل شيء لا يخرج عن مشيئة الله (ﷻ).
- وقد جاء مثل ذلك في أهل الجنة كما في قوله (ﷻ): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: 108] وهذا أيضاً استثناء مع أن أهل الجنة حتماً خالدون في الجنة فليس المقصود به بأنه إن شاء أخرجهم بعد ذلك ولكن المقصود به أن كل هذا تحت مشيئة الله (ﷻ).
- قوله (ﷻ): ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[يس: 60] تحتمل أن يكون المقصود بها أن يُقدَّم للشيطان من العبادات مما لا يكون

إلا لله (ﷻ) أو لا تطيع الشيطان. فالمقصود إما الطاعة وإما العبادة والطاعة وردت في حديث عدي بن حاتم (ﷺ) أنه سمع النبي (ﷺ) يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: 31] فقلت له: " إنا لسنا نعبدهم". قال: " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟" فقلت: " بلى". قال: " فتلك عبادتهم" [1].

- فإذن العبادة إما الطاعة وهي أن تطيع الشيوخ والعلماء والأولياء في تحليل ما حرَّم الله (ﷻ) أو تحريم ما أحل الله (ﷻ). وهذه عباده لغير الله (ﷻ) كما يحدث في بعض الطوائف والفرق مثل الصوفية الذين يأمرهم الولي بتحريم شيء أو تحليله فيقول له إنك وصلت إلى مرحلة سقطت من عليك الصلاة. وبعضهم يُحلِّل الزنا لنفسه ويقول لا تسألوا شيخكم عما يفعله ويقول إنه بلغ الرتبة وقد رُفِع عنه التكاليف.
- فتحليل ما حرَّم الله (ﷻ) أو تحريم ما أحل الله (ﷻ) هو كفر وضلال مبين فهو من باب كفر الاستحلال.
- فهذه الطاعة من عبادة الشيطان أو تكون عبادته عن طريق العبادة الحقيقية كالتقرب للشيطان بأنواع العبادات التي لا تكون إلا لله (ﷻ) مثل السجود والنذر والدعاء للشيطان.

[1] أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم (ﷺ) وذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه إلى أحمد والترمذي وابن جرير. ورواه البخاري في التاريخ الكبير وابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم في تفسيره. وقال الترمذي: " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث". وله شاهد من قول حذيفة عند ابن جرير وابن أبي حاتم ورجاله ثقات لكن في سنده انقطاع. وقد حسَّنه شيخ الإسلام كما في " مجموع الفتاوى" والشيخ الألباني في صحيح الترمذي.

الشريط الرابع عشر

تابع عبادة غير الله (ﷻ) عبادة للشيطان ومراتب الناس في العبادة

محتويات الشريط الرابع عشر

1- تابع عبادة غير الله (ﷻ) عبادة للشيطان (التوقيت: 1 دقيقة و38 ثانية) 1
2- مراتب الناس في العبادة (التوقيت: 20 دقيقة و30 ثانية) 4
2.1 أهل العبادة والاستعانة.....4

1- تابع عبادة غير الله (ﷻ) عبادة للشيطان (التوقيت: 1 دقيقة و38 ثانية)

- هنا بعد أن ذكر المصنف (رحمه الله) الطوائف المنحرفة في مسألة العقيدة التي فصلناها في الأسبوع الماضي من الخوارج والمرجئة والمعتزلة واليهود والنصارى وأصحاب وحدة الوجود وأصحاب المنطق والطبيعيون وغير ذلك من الطوائف التي ضلت ودخلت في الشرك وأنحرفت عن عقيدة أهل السنة والجماعة أراد أن يُبيِّن أنه ما من طائفة وقعت في هذا الشرك إلا وقد صرفت العبادة للشيطان أو أن الشيطان قد استأثر بهم فأثّرعلى عقولهم وقلوبهم وهذا إما يكون لضعف الإيمان أو ضعف العبادة أو ضعف العقل أو أتباع الأهواء.
- فجاءت الشياطين لتجتال الناس وتأخذهم بعيداً عن العقيدة التي جاءت بها الرسل وأدخلتهم في الشرك كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[يس: 60].
- وقد بيَّنا في المحاضرة السابقة إن عبادة الشيطان جاءت على أكثر من صورة منها طاعة الشيطان إما في تحليل ما حرَّم الله (ﷻ) أي تفعل ما حرَّم الله (ﷻ) وهذا استحلال أو تحرَّم ما أحلَّ الله (ﷻ) وهذا قد ورد في حديث عدي بن حاتم (رضي الله عنه) أنه سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة: 31] فقلت له: " إنا لسنا نعبدهم". قال: " أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟" فقلت: " بلى". قال: " فتلك عبادتهم" [1].
- فطاعة العلماء والشيوخ والأولياء في تحريم ما أحلَّ الله (ﷻ) أو تحليل ما حرَّم الله (ﷻ) هو نوع من أنواع العبادة لغير الله (ﷻ) فسماها الله (ﷻ) عبادة وسماها النبي (صلى الله عليه وسلم) عبادة وهي عبادة للشيطان.
- وكل من كذَّب ما ذكره الله (ﷻ) في كتابه مثل الطائفة التي نفت الأسماء والصفات وكل من أعرض عن دين الله (ﷻ) بعد أن يسَّر الله (ﷻ) له سبيل التعلُّم أو جاءته الدعوة خالصة صحيحة فأعرض عنها فكل ذلك من عبادة الشيطان والخروج من الإسلام إلى الردَّة.
- وكذلك من عبادة الشيطان صرف العبادة حقاً مثل السجود والتوكل والدعاء والنذر وغير ذلك. وهذا واقع فهناك من يتقرب إلى الجن ويستعمل الجن أو كان له من الجن نصيب سواء استعان به أو عبده مثل طائفة عبدة الشيطان في هذا الزمان فهم يسجدون ويذبحون ينذرون ويأمرهم بأشياء معينة فيفعلون ذلك فكل هذا عبادة صريحة للشيطان وليست الطاعة فقط التي تدل على العبادة للشيطان.
- وهذا يحدث فيه استمتاع كما أخبر الله (ﷻ) حاكياً عنهم: ﴿ قَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيم ﴾[الأنعام: 128].
- فبيَّن الله (ﷻ) أن هناك استمتاع بين العابد والمعبود مثل بين الجن والشيطان ومن يعبد الجن والشيطان. والاستمتاع من الطرفين فالاستمتاع من العابد مثل الإنسي الذي يعبد الجن ويُقدِّم له هذه الشركيات فإنه يُلبي له طلباته فمن كان يستخدم جن فيُنجز له أمور معينة أو يعلم أخبار معينة إن استطاع أو غير ذلك فالعابد يستمتع بأنه يُلبي له هذه الطلبات أو يُشبع له رغبات معينة.
- وكذلك المعبود فاستمتاع الجن عندما يرى إن هذا الإنسي بدلاً من أن يعبد الله (ﷻ) فهو يعبد الشيطان ويصرف العبادات للشيطان ويُعظِّمه فهذا استمتاع فالجن يستمتع بذلك.
- وهذا من الإغواء الذي أخبر به (ﷻ) حاكياً عن الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[الأعراف: 16-17].
- فالشيطان عندما أمهله الله (ﷻ) إلى يوم القيامة فإنه قد تعهَّد ليُغوين بني آدم واستثنى منهم عباد الله (ﷻ) كما بيَّن في الآية الأخرى ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[الحجر: 42] وسوف يُبيِّن المصنف (رحمه الله) ذلك عندما يتكلم عن مراتب الناس في العبادة بأن أصحاب العبادة الخُلَّص الذين هم عباد الله (ﷻ) سينجون من هذا الإغواء.
- والشاهد أن الشيطان يُغوي بني آدم ويستمتع بهم كما يستمتع بني آدم بالشيطان وهذا هو النهي الذي جاء في قوله (ﷻ): ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[يس: 60] فاستدل المصنف (رحمه الله) بهذه الآية إن كل من عبد مع الله (ﷻ) غيره فقد وقعت العبادة للشيطان وقد ورد ذلك في حديث عدي بن حاتم (رضي الله عنه) ومن يعبد الشيطان حقاً.
- وقلنا إن الاستثناء في قوله (ﷻ): ﴿ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[الأنعام: 128] لا يقدح في أن الكفار خالدين في نار جهنم أبداً فالمقصود أنه لا شيء يخرج عن مشيئة الله (ﷻ). فهذا الاستثناء ليس معناه إن ما بعد الاستثناء

[1] راجع تخريجه في المحاضرة السابقة رقم (1) صـ 16.

يُنافي ما قبله وقد جاء ذلك كذلك في قوله (ﷻ): ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود: 108] [1]. وهذا الاستثناء في الجنة كما هو في النار فمن دخل الجنة لا يخرج منها ولكن من دخل النار من أهل الإسلام يخرج منها.

- كل هذا يُبيِّن مسالة مهمة جداً أراد أن يُبينها المصنف (رحمه الله) إن هذا هو السر الذي جعل الله (ﷻ) الشرك الأكبر مُحبط للعمل وإنه من مات على الشرك الأكبر لا يُغفر له وقد جاء ذلك في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48& 116] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: 13] وقد بيَّن النبي (ﷺ) ذلك في الحديث الذي رواه ابن مسعود (رضي الله عنه)فقال: " لما نزلت هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: 82] إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب النبي (ﷺ) وقالوا: " أينا لم يظلم نفسه؟" فقال رسول الله (ﷺ): " ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: 13]" [2] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[المائدة: 72].
- كل هذه النصوص تُبيَّن أنه من مات على الشرك الأكبر لا يُغفر له ولا يلتبس علينا قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[الزمر: 53] ففي الآية الأولى إن الشرك لا يُغفر وفي الثانية إن الذنوب جميعاً تُغفر والجمع بين الآيتين إن الله (ﷻ) يغفر الذنوب جميعاً في حالة التوبة إذا تاب المرء عن الشرك قبل أن يموت فإن الله (ﷻ) يغفر له ولا يغفر الله (ﷻ) إن مات على الشرك.
- وقد بيَّن الله (ﷻ) أن الأصل في إرسال الرسل هي مسألة التوحيد فقال (ﷻ): ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36]. فهذا هو الأصل الأصيل الذي أرسل الله (ﷻ) به الرسل وهو أن يُوحَّد الناس الله (ﷻ) بالعبادة وبأسمائه وصفاته وبجميع أنواع التوحيد التي تكلمنا عنها. قال (ﷻ): ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[النساء: 165] فالمقصود من إرسال الرسل هو دعوتهم إلى التوحيد وخاصة توحيد العبادة كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56].
- ولهذا من عصى الله (ﷻ) في أمر التوحيد كان أعظم الذنوب ولهذا كان جزاؤه أنه لا يُغفر له ويكون خالد مُخلَّد في نار جهنم لأن هذا هو الأصل الذي خلق الله (ﷻ) من أجله العباد والأصل الذي أرسل به الرسل. فمن عصى الله (ﷻ) في أمر التوحيد الذي هو أول أمر جاء في القرآن لا يُغفر لو مات عليه وما دون ذلك فهو في المشيئة من فعل الكبائر والصغائر والمعاصي.
- ولهذا سُمِّيَ ديننا إسلاماً لأنه استسلام لله (ﷻ) والعبودية لله (ﷻ) وهذا لا يكون إلا بالانقياد والإخلاص لله (ﷻ) فطرفا أركان العبودية كما سنُبيَّن هما الإنقياد والإخلاص.
- والشرك كما ذكرنا كثيراً شركان شرك أكبر وشرك أصغر والشرك الأكبر هو الذي لا يُغفر إن مات على الشرك وهو

---

[1] قد أوضح ابن كثير (رحمه الله) تفسير الاستثناء في قوله (ﷻ): ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود : 107] فقال: " وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء على أقوال كثيرة حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه "زاد المسير" وغيره من علماء التفسير ونقل كثيرا منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وأبي سنان ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضاً أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين حين يشفعون في أصحاب الكبائر ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط وقال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله (ﷺ) بمضمون ذلك من حديث أنس وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها. وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديما وحديثا في تفسير هذه الآية الكريمة. وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر وأبي سعيد من الصحابة. وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة -أقوال غريبة. وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير عن أبي أمامة صدى بن عجلان الباهلي ولكن سنده ضعيف والله أعلم. وقال قتادة: الله أعلم بثنياه. وقال السدي: هي منسوخة بقوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء:57]. يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ﴾ وهم أتباع الرسل ﴿ فَفِي الْجَنَّةِ ﴾ أي: فمأواهم الجنة ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ماكثين مقيمين فيها أبدا ﴿ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ معنى الاستثناء هاهنا: أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرا واجبا بذاته بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى فله المنة عليهم [دائما]. ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس. وقال الضحاك والحسن البصري: " هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها". وعقب ذلك بقوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ أي: غير مقطوع قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وغير واحد لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعاً أو لبساً أو شيئاً بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع. كما بين هنا أن عذاب أهل النار في النار دائما مردود إلى مشيئته وأنه بعدله وحكمته عذبهم ولهذا قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [هود:107] كما قال ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:23]. وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله: ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت. وفي الصحيحين أيضاً: " فيُقال يا أهل الجنة إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً".

[2] أخرجه البخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه).

المُحبط للعمل كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام: 88] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء: 48]. والشرك الأصغر هو ما دون ذلك وهو مثل أن المرء يحلف بغير الله (ﷻ) أو يقول ما شاء الله وشئت كما في الحديث أن يهودياً أتى النبي (ﷺ) فقال: " إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون: والكعبة". فأمرهم النبي (ﷺ) إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: " ورب الكعبة" وأن يقولوا: " ما شاء الله ثم شئت" [1]

- وعن الطفيل (رضي الله عنه) أخي عائشة (رضي الله عنها) لأمها قال: " رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: " إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله" قالوا: " وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد" ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: " إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله" قالوا: " وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد". فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي (ﷺ) فأخبرته فقال: " هل أخبرت بها أحداً؟" قلت: " نعم" فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده" [2].
- والمشيئة على درجات فالأفضل هو إفراد الله (ﷻ) وحده بالمشيئة وهي أن تقول " ما شاء الله" والمرتبة الثانية أن تتبعها بـ "ثم" فتقول " ما شاء الله ثم شئت" وأما الشرك أن تُشرِّك بحرف "الواو" فتقول " ما شاء الله وشئت".
- وكل ما سبق من الحلف من الشرك الأصغر فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله (ﷺ): " ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت" [3].
- وكذلك يسير الرياء من الشرك الأصغر ولكنه قد يصل إلى الشرك الأكبر بمعنى أنه إذا دخل المرء في الدين رياءاً فهذا يكون من أهل النفاق. ولكن يسير الرياء الذي يعرض للمرء في أعماله فهذا من الشرك الأصغر إذا دفعه وصحَّح به نيته.
- قال المصنف (رحمه الله): " **فهذه إشارةٌ لطيفةٌ إلى السّر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه موجبٌ للخلود في العذاب العظيم وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرّد النّهي عنه فقط بل يستحيل على الله (ﷻ) أن يشرع لعباده عبادة إله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله**".
- فليس تحريم الشرك لقبحه فقط أو النهي عنه فقط وهذا فيه رد على الأشاعرة والجبرية والمعتزلة وهو الكلام في مسألة التحسين والتقبيح العقليين. فمسألة التحسين والتقبيح العقليين اختلفت فيها الطوائف على ثلاث أقوال:

أ. **قول الجبرية والأشاعرة:** لغوا التحسين والتقبيح العقلي فقالوا إننا لا نعلم الحسن والقبيح إلا إذا جاء به شرع. فجعلوا كل الحسن وكل القبح لا يكون إلا بالشرع. فقالوا عن جاءنا الشرع بالحسن قلنا به وإن جاءنا الشرع بالقبح قلنا به ولا مدخل للمرء أن يعلم إن هذا حسن أو هذا قبيح إلا بالشرع. فجعل كل الحسن والقبيح وهو ما جاء به الامر والنهي فكل ما أمر الله (ﷻ) به كان حسناً وكل ما نهى الله (ﷻ) كان قبيحاً.

ب. **قول المعتزلة:** التحسين والتقبيح عقلي فالعقل هو الذي يعلم ما هو الحسن وما هو القبيح حتى ولو لم يأتي الشرع به. فجعلوا التحسين والتقبيح مناطه العقل.

- فالمصنف (رحمه الله) عندما قال: " وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرّد النّهي عنه فقط " كان يؤكد أنه لا يُوافق قول الأشاعرة والجبرية لأنهم يقولون إنه ليس عندنا علة في مسألة التحسين والتقبيح فما جاء به الشرع نقول به. وهذا منهج عندهم وهذا هو الذي وقعوا فيه في القدر أيضاً لأنهم عندما قالوا عن الله (ﷻ) جَبَرَ العباد على ما يفعلون فلغوا الأوامر والنواهي وقالوا لا داعي للأوامر والنواهي وكذلك قالوا في الشرك أن الشرك قبيح لأنه نُهِيَ عنه. فالشرك في ذاته قبيح فلا يُتصوَّر أنه يكون له إله فيصرف لغير هذا الإله عبادة أو يكون للإله أسماء فيُعطَّل الأسماء أو الصفات فيكون يعبد عدماً أو يُعطَّل مفعولاته.

---

[1] راجع تخريجه في المحاضرة الثالثة رقم (5) صـ 7.
[2] راجع تخريجه في المحاضرة التاسعة رقم (5) صـ 3.
[3] راجع تخريجه في المحاضرة التاسعة رقم (4) صـ 3.

2- مراتب الناس في العبادة (التوقيت: 20 دقيقة و30 ثانية)

2.1 أهل العبادة والاستعانة

واعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به على أربعة أقسام:

أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته وهو الذي علَّمه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال: «يا معاذ والله إني أحبك فلا تدع أن تقول في كل دبر صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى...

- قال المصنف (رحمه الله): "**واعلم أن النّاس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام أجلّها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها: فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم**".
- من مميزات هذا الكتاب مسألة التقسيمات وإن كثير من النُقولات التي ذكرها المصنف من كتب ابن القيم وابن تيمية (رحمهما الله) سواء من كتاب المدارج أو من كتاب الجواب الكافي أو غير ذلك ولكن من مميزات هذا الكتاب الذي أثنى عليه أهل العلم حسن تقسيمه لأنه وإن كان ينقل إلا أنه يُقسَّم. وهنا بدأ في تقسيم الناس في العبادة إلى أربعة أقسام وبدأ بالقسم الأول وهم أهل العبادة والاستعانه. وهذه الأقسام الأربعة ترجع لقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5].
- والعبادة لها أكثر من تعريف منه أن تقول إنها ما أمر به الشارع من غير ما يقتضيه العقل أو ما يفترض فيه العرف فالعبادة لابد فيها من أمر الشارع.
- والتعريف الثاني المشهور عند أهل العلم وهو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية والعبادة كما قال ابن تيمية (رحمه الله): "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة "[1]. وهذا تعريف جامع لكل أنواع العبادات.
- فكل ما يحبه الله (عز وجل) من الأفعال من فعل الأوامر واجتناب النواهي من العبادات البدنية مثل الحج وغير ذلك ومن الأقوال مثل الذكر باللسان والأذكار التي تكون في الصلوات وقد تكون قول بالقلب مثل التوكل والخشية والإنابة. وقد ذكرنا أنه هناك قول القلب وعمل اللقلب وقول اللسان وعمل اللسان وعمل الجوارح مثل الصلاة والحج والعمرة والجهاد وكل ذلك من العبادات البدنية.
- وبعضهم يُقسِّمونها إلى عبادات مالية فقط مثل الزكاة وعبادات بدنية فقط مثل الصلاة وعبادات بدنية مالية مثل الحج والعمرة والجهاد.
- النقطة المهمة في مسألة العبادة أنه لابد من طرفين للعبادة: غاية الذل وغاية الحب. فهذان هما ركنان العبادة فالعبادة حتى تكون عبادة لابد أن يتوفر فيها هذين الركنين.
- فقد تجد المرء يحب أحد مثل زوجته أو أبيه أو أبنه ولكن لا يذل له فهذه ليست بعبادة. وقد تجد المرء يذل لأحد الناس فيذل لحاكم أو ولي أو مسئول ولكنه يكرهه ولا يحبه فهذه أيضاً ليست عبادة. فالعبادة لابد أن يتحقق فيها غاية الحب وهي أن تحبه حباً جماً وغاية الذل أي لابد أن تخضع وتذل له فتركع وتسجد له ولهذا العبادة لا تكون إلا لله (عز وجل).

[1] راجع تخريجه في المحاضرة الرابعة رقم (1) صـ 8.

- وقد قال في العبادة ابن القيم (رحمه الله) أبيات الشعر التالية [1]:

وعبادة الرحمن غاية حبه	مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان
فقيام دين الله بالإخلاص والإ	حسان إنهما له أصلان
لم ينج من غضب الإله وناره	إلا الذي قامت به الأصلان

- فالعبادة لا تكون إلا بشرع من رسول الله (ﷺ) لا بالهوى ولا بالنفس.
- والعبادة لها أركان ثلاثة فلابد أن تعبد الله (ﷻ) بهذه الثلاث حتى تكون من أهل السنة والجماعة وهم الخوف والرجاء والحب. فإن عبدت الله (ﷻ) بواحدة من الثلاث وقعت في البدعة. فلو عبدت الله (ﷻ) حباً فقط كنت مثل الصوفية وإن عبدت الله (ﷻ) بالرجاء فقط كنت مثل المرجئة وإن عبدت الله (ﷻ) بالخوف فقط كنت مثل الخوارج.
- فها هم الصوفية يقولون إن صحَّ النقل عن رابعة العدوية: " ما عبدت الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في جنته فأكون كأسير السوء ولكني عبدته حباً لذاته وشوقاً إليه" [2].
- وهذا لا يُقبل فالله (ﷻ) أثنى على الرسل (عليهم السلام) فقال (ﷻ):﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: 90] وقال (ﷻ):﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء: 57]. فأشرف الخلق يدعون الله (ﷻ) ويرجون الرحمة ويخافون العذاب فمن الذي يعبد الله (ﷻ) محبة فقط؟. كذلك الذين يعبدون الله (ﷻ) رجاءاً فقط وهم المرجئة وعلى النقيض الخوارج لأنهم يعبدون الله (ﷻ) خوفاً.
- ولهذا قال أهل العلم: " من يعبد الله (ﷻ) بالحب فقط فهو زنديق" فهو كأنه لا يخاف الله (ﷻ) عذاب الله (ﷻ) ولا يريد من الله (ﷻ) الجنة.
- وقالوا: " من عبد الله (ﷻ) بالخوف فقط فهو حروري" وحروري أي خوارج وقالوا: " من عبد الله (ﷻ) بالرجاء فقط فهو مُرجئ".
- لهذا تجد كثير من الصوفية يستحلون محارم الله (ﷻ) لأنه يقول أنا أعبد الله (ﷻ) محبة فلا يلتفت لأمر الله (ﷻ) ولا نهيه فهو لا يخاف من الله (ﷻ) ولا يرجو رحمته. ولهذا تجد أولياؤهم وشيوخهم يفعلون كل المنكرات والكبائر وهو يرى أنه رُفِعَ عنه هذه الأمور فهو لا يحتاجها فيكفيه فقط حبَّه الله (ﷻ). فتجدهم يشربون الخمور ويفعلون الزنا وغيرذلك فهم ليس عندهم أوامر ولا نواهي.
- حتى إنه يجلس في الخلوة كما يسمونها فيأتي وقت الصلاة فيقول أنا لا أحتاج للصلاة ويقول أنتم تحتاجون التكاليف ولكن أما أنا فالحب موصول بيني وبين ربي فالصلة قائمة في الخلوة التي هو فيها. وهذه زندقة تُخرج المرء من الإسلام وتُدخله في الكفر.
- فهم يستحلون كثير من المحرمات ويتركون كثير من الواجبات والحُجَّة أنهم وصلوا إلى درجة مع الله (ﷻ) تُغنيهم عن ذلك فلا يخافون الله (ﷻ) ولا يرجون منه الجنة.
- فقوله (ﷻ):﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: 90] المقصود أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يدعون الله (ﷻ) " رغباً" هو الرغبة في الجنة و" رهباً" الرهب من النار.
- وقد كان النبي (ﷺ) بعد كل صلاة يتعوَّذ بالله (ﷻ) من أربع كما جاء في الحديث:" اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال" [3].
- وقوله (ﷺ) لعائشة (رضي الله عنها) عندما قام يصلي من الليل: " أفلا أكون عبدا شكورا" [4].
- ولا تستقيم أي عبادة من العبادات إلا بتحقق أمرين وهما الإخلاص لله (ﷻ) والمتابعة للنبي (ﷺ) في هذه العبادة فلابد أن يُقصد من هذه العبادة الله (ﷻ) ولا يُقصد بها أحد من المخلوقين. وكذلك العبادة لا تكون صحيحة إلا بالمتابعة للنبي (ﷺ) في هديه.

---

1 راجع الأبيات في نونية ابن القيم (الكافية الشافية).
2 راجع الكلام عن هذه المقولة في المحاضرة الأولى رقم (1) صـ 7.
3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
4 أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) وعائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم.

- وهذا عكس ما أتى به غير المؤمنين فالمنافقين بيَّن الله (ﷻ) إنهم يُخادعون الله (ﷻ) وهو خادعهم كما في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: 142] فيراءون أي أن هذه الصلاة لا تكون إلا لله (ﷻ) فانتفى شرط الإخلاص فبيَّن الله (ﷻ) غن أصل النفاق هو الرياء ولهذا كانوا هم في الدرك الأسفل من النار وهم أشد الناس عذاباً حتى إنهم أشد عذاباً من الكفار الأصليين.
- ولهذا كان الإخلاص شرطاً أساسياً في العبادة كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: 5].
- فالشرط الأول في العبادة الإخلاص والأمر الثاني المتابعة للنبي (ﷺ). فالشرط الأول يبطل العبادة والشرط الثاني يجعل العبادة غير صحيحة. فإذا أتيت بالعبادة مخلصاً لكنها بدون متابعة للشرع أي لم تكن على هدي النبي (ﷺ) فتكون هذه العبادة باطلة لا تصح كما أخبر (ﷺ): " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [1] فرد أي باطل.
- فالعمل إذا لم يكن على النبي (ﷺ) متابعاً لسنته فسيقع المرء في الخطأ لا محالة وسيفسد العبادة.
- ولهذا لا تغتر بكثرة العبادات والزهد عند الناس وبالاختلاء وكثرة الوقوف. فقد ترى كثير من العُبَّاد ليسوا من أهل السنة والجماعة. فطوائف كُثُر من أهل العبادة والزهد والورع وقد جاء هذا صريحاً في حديثه (ﷺ) فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: " يا رسول الله اعدل" فقال: " ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" فقال عمر: " يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه" فقال: " دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافة فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبو سعيد: " فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي" [2]. ومناسبة الحديث أنه (ﷺ) بعد فتح مكة أسلم كثير من الناس فكان يؤلِّف قلوب المسلمين حديثاً بأن يزيد لهم في العطاء فقال له ذو الخويصرة "إعدل" وهذه طامة من الطامات.
- فمن سمات هؤلاء أن قراءتك ستحقرها إلى قراءة هؤلاء وصلاتك ستحقرها إلى صلاة هؤلاء فهم كثيروا الصلاة والصيام وقراءة القرآن فعندهم عبادة وزهد ومع كل ذلك بيَّن (ﷺ) في حديث آخر أنهم يقتلوا قتل عاد كما روى أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعث علي (رضي الله عنه) إلى النبي (ﷺ) بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا: " يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا" قال: " إنما أتألفهم". فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال: " اتق الله يا محمد" فقال: " من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟" فسأله رجل قتله - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه فلما ولى قال: " إن من ضئضئ هذا أو: في عقب هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد " [3].
- فلا تغتر أنك ترى الناس على زهد وورع وعبادة إلا أن يكون مطابقاً لسنة النبي (ﷺ). فالناس تغتر بشخص يقوم الليل وهو من الفرق الضالة المبتدعة وهذا بيَّنه (ﷺ) في الحديث السابق.
- ثم بدأ المصنف (رحمه الله) يذكر أول صنف من أصناف أهل العبادة وهم أهل العبادة الخُلَّص وهم أهل العبادة والاستعانة. فهم الذي أتوا بالعبادة وأتوا بالاستعانة فالعبادة هي الغاية والاستعانة وسيلة فكل العبادة تتضمن الاستعانة فمن عبد الله (ﷻ) فلابد أن يستعين بالله (ﷻ) ولكن ليس كل من استعان عبد الله (ﷻ).
- فهناك عموم وخصوص فالعبادة عامة والاستعانة خاصة من العبادة فهذا من باب ذكر الخاص بعد العام والهدف من ذكر

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) بنحوه والرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك وقيل هي كل دابة مرمية والنصل: حديدة السهم والرصاف: مدخل النصل من السهم والنضي -بفتح النون وكسر الضاد وتشديد الياء -: وهو القدح أي: عود السهم والقذذ -بضم القاف -: هو ريش السهم والبضعة: القطعة من اللحم وتدردر: أي تضطرب وتذهب وتجي

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (بذهيبة) قطعة من ذهب (صناديد) رؤساء جمع صنديد (غائر العنين) عيناه داخلتان في رأسه لاصقتان بقعر الحدقة ضد الجاحظ (مشرف الوجنتين) عاليهما والوجنتان العظمان المشرفان على الخدين وقيل لحم جلد الخدين (كث اللحية) كثير شعرها. (ضئضئ) هو الأصل والعقب وقيل هو كثرة النسل (لا يجاوز حناجرهم) لا يفقهون معناه ولا ينتفعون بتلاوته (يمرقون) يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ من الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء (الرمية) الصيد المرمي (قتل عاد) أي أستأصلهم بالكلية بأي وجه ولا أبقي أحدا منه.

العام بعد الخاص أصولياً يفيد التأكيد على أهمية الخاص. ومثل ذلك قوله (ﷺ): " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون **فاتقوا الدنيا واتقوا النساء** فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" وفي حديث ابن بشار: " لينظر كيف تعملون " [1]. فالنساء من الدنيا وذكرها بعد ذكر الدنيا الهدف منها التأكيد على فتنة النساء. وهذا له نظائر كثيرة من الكتاب والسنة. فكل عابد مستعين بالله (ﷻ) وليس كل مستعين عابد لله (ﷻ).

- غاية هذا الصنف الذي ذكره المصنف (رحمه الله) الذين هم العبادة والاستعانة هي العبادة لله (ﷻ) فهم يعبدون الله (ﷻ) بركني العبادة وهما الإخلاص والمتابعة على المقصود الذي شرَّعه الله (ﷻ).
- قال المصنف (رحمه الله): " **ولهذا كان أفضل ما يسأل الرّب تعالى الإعانة على مرضاته وهو الذي علّمه النّبي (ﷺ) لمعاذ بن جبل فقال: " يا معاذ والله إني أحبّك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعنّي على ذكرك وشُكرك وحُسن عبادتك" فأنفع الدّعاء طلب العون على مرضاته تعالى**".
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) حديث مهم أراد أن يستدل به وهو الحديث الذي علمه النبي (ﷺ) لمعاذ (رضي الله عنه):" يا معاذ والله إني لأحبك أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كلّ صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" [2].
- الدعاء له مراتب فكان الصنف الأول (أهل العبادة والاستعانة) عندما يدعون الله (ﷻ) لا يدعون بأمور الدنيا ولكن يدعون أن يُوفَّقوا إلى حسن العبادة وإلى الشكر والذكر. وهذا هو أنفع الذكر والعبادات. وهذه كثيراً لا يُلتفت إليها فكثير من الناس (وهذا الصنف سيأتي) كل همة في الدعاء الرزق والولد والحياة الطيبة فهمه على المباحات. ولكن لا تجده يدعو بهذا الدعاء الذي بيَّن فيه النبي (ﷺ).فأهل الصنف الأول في علو حتى مع الله (ﷻ) فهم لا يدعون بالدعاء الذي يدعو به عوام الناس فهم يطلبون العون من الله (ﷻ).
- هذا الحديث الذي أتى به المصنف (رحمه الله) فيه فوائد جمة منها:

1. النبي (ﷺ) أقسم في بداية الحديث وهذا فيه دلالة جواز الحَلِف على المباح.
2. جواز الحَلِف بدون أن تُستحلف فالنبي (ﷺ) لم تكن هناك حاجة أن يُقسم.
3. المرء لو كان يحب أحد فليُبلغه وهذه من السنن التي كثيراً ما يغفل عنها الإخوة.

- هناك مسألة فقهية وهي ما المقصود من " دُبُر كل صلاة"؟ هل المقصود بعد أن ينتهي من الصلاة أم بعد أن ينتهي من التشهد فالتشهد فيه صلاة على النبي (ﷺ)؟. وسبب الخلاف كلمة " دُبُر" فهل دُبُر الشيء الذي يكون بعده أم هو آخره؟.فهل المقصود بالدُبُر عَقِب الصلاة وخلفها أم في نهايتها؟. المسألة فيها تفصيل فقد جاء أكثر من حديث فقد جاءت أحاديث تُبيِّن أن دُبُر الشيء بمعنى عَقِب الشيء وخلفه وجاءت أحاديث أُخرى تُبيِّن أن الدُبُر آخر الشيء.
- فمن الأحاديث التي جاءت تدل على أن دُبُر الشيء بمعنى عَقِب الشيء وخلفه أن المغيرة كتب إلى معاوية بن أبي سفيان: أن رسول الله (ﷺ) كان يقول في **دبر** كل صلاة إذا **سلَّم**: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" [3].
- عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله (ﷺ) فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال: " وما ذاك؟" قالوا: " يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق" فقال رسول الله (ﷺ): " أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟" قالوا: " بلى يا رسول الله" قال: " **تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة** ثلاثا وثلاثين مرة" قال أبو صالح: " فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: " سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله (ﷺ): " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" وزاد غير قتيبة في هذا الحديث عن الليث عن ابن عجلان قال سمي: فحدثت بعض أهلي هذا الحديث فقال: وهمت إنما قال " تسبح الله ثلاثا وثلاثين وتحمد الله ثلاثا وثلاثين وتكبر الله ثلاثا وثلاثين" فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك فأخذ بيدي فقال: " الله أكبر وسبحان الله والحمد لله الله أكبر وسبحان الله والحمد لله" حتى تبلغ من جميعهن ثلاثة وثلاثين. قال ابن عجلان: " فحدثت بهذا الحديث رجاء بن حيوة فحدثني بمثله عن أبي صالح

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).(إن الدنيا حلوة خضرة) يحتمل أن المراد به شيئان أحدهما حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبا حثيثا فكذا الدنيا والثاني سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين (إن الله مستخلفكم فيها) أي جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) هكذا هو في جميع النسخ فاتقوا الدنيا ومعناه اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن.

[2] أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي في " الشعب" والطبراني في الكبيروالبخاري في الأدب المفرد عن معاذ (رضي الله عنه) والرواية لأحمد. وقال النووي في " المجموع" وابن الملقن في " الإعلام": إسناده صحيح وقال ابن كثير في " البداية والنهاية" وابن حجر في " نتائج الأفكار" والألباني في " صحيح سنن أبي داود": صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع.

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وإنما ينفعه الإيمان والطاعة.

عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ)" [1]. والتسبيح والتحميد والتكبير يكونوا بعد الصلاة.

- أما الأحاديث التي جاءت تدل على أن دُبُر الشيء بمعنى أن الدُبُر آخر الشيء حديث الزهري قال: " أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي (ﷺ) أخبرته أن النبي (ﷺ) كان **يدعو في الصلاة** " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم" قالت: " فقال له قائل: " ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟" فقال: " إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف" [2]. وهذا بعد التشهد كما هو معلوم. ابن تيمية (رحمه الله) انتصر بأن الدبر هو آخر الشيء فكلمة دُبُر الراحلة هي آخر الراحلة.
- وأهل العلم قالوا إنه ما جاء مُقيَّد بذكر مُعيَّن فيكون بعد الصلاة وما جاء في الأحاديث بدعاء يكون بعد التشهُّد إلا إذا جاء الدليل بذلك واستدل على ذلك الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله) على هذا الرأي بقوله (ﷻ): ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ** ﴾[النساء: 103] وقوله (ﷻ): ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[الجمعة: 10] وجاء من حديث ابن مسعود أنه قال: " كنا مع رسول الله (ﷺ) لا ندري ما نقول خلفه فعلمنا رسول الله (ﷺ) جوامع الخير وفواتحه وأمرنا أن نقول في كل ركعتين التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ثم تخير من الدعاء أعجبه إليك" [3].
- وجاءت حالة واحدة تخالف هذا القول وهو أن الدعاء جاء بعد الصلاة فعن ثوبان قال: " كان رسول الله (ﷺ) **إذا انصرف من صلاته** استغفر ثلاثا وقال: " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام". قال الوليد: " فقلت للأوزاعي: " كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله أستغفر الله " [4] فاعتبروا الاستغفار هو دعاء لأن استغفر هو طلب المغفرة فيكون دعاءاً.
- وهذا مجمل الكلام في صنف أهل العبادة والاستعانة وهؤلاء أفضل العُبَّاد وهؤلاء الذين يعبدونه أمتثالاً لأمره وطلباً لمرضاته (ﷻ) وطمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه.
- فهؤلاء يجدون حلاوة الإيمان ويمتثلون لقول النبي (ﷺ) فهؤلاء ينطبق عليهم قول النبي (ﷺ): " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " [5] فأجل أنواع القربات أن تدعو الله (ﷻ) أن يُعينك على العبادة.
- فأنت إذا وُفقت إلى رضا الله (ﷻ) فقد كُفيت فلا تحتاج إلى شيء. فبعد أن تصل إلى مرضاة الله (ﷻ) عنك وأنك تطلب الرضا والإعانة فلست تحتاج شيء من أمور الدنيا فهذا مُبتغى المرء وهو أن يصل إلى رضا الله (ﷻ).فمثل هذا قد أُوتِيَ الدنيا والآخرة فليس بعد رضا الله (ﷻ) الإله الحق (ﷻ) تحتاج أن تدعو بشيء.
- ففي الدنيا ولله (ﷻ) المثل الأعلى أن الأب لو رَضِيَ عن أبنه أو صاحب العمل لو رَضِيَ عن العامل أو الشيخ لو رَضِيَ عن تلاميذه فيشعر بانتعاش ونشوة فكيف وأنت تنال رضى الله (ﷻ)؟.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية لمسلم. (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وإنما ينفعه الإيمان والطاعة. (الدثور) واحدها دثر وهو المال الكثير (بالدرجات العلى) جمع العليا تأنيث الأعلى ككبرى وكبر قيل الباء للتعدية أي أذهبوها وأزالوها وقيل للمصاحبة فيكون المعنى استصحبوها معهم ولم يتركوا لنا شيئا (والنعيم المقيم) أي الدائم وهو نعيم الآخرة وعيش الجنة (يصلون كما نصلي) ما كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه الجملة بالجملة كقولك يكتب زيد كما يكتب عمرو أو مصدرية كما في قوله تعالى بما رحبت أي صلاتهم مثل صلاتنا وصومهم مثل صومنا (دبر) هو بضم الدال هذا هو المشهور في اللغة وقال أبو عمر المطرزي في كتابه اليواقيت دبر كل شيء بفتح الدال آخر أوقاته من الصلاة وغيرها وقال هذا هو المعروف في اللغة وأما الجارحة فبالضم

[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (المأثم والمغرم) معناه من الإثم والغرم وهو الدين أي من الأمر الذي يوجب الإثم (إذا غرم) أي لزمه دين والمراد استدان واتخذ ذلك دأبه وعادته.

[3] أخرجه ابن عدي في " الكامل في ضعفاء الرجال" وعن ابن مسعود والشاشي في مسنده (رضي الله عنه) وهو حديث ضعيف.

[4] أخرجه مسلم عن ثوبان (رضي الله عنه). (أنت السلام ومنك السلام) السلام اسم من أسماء الله تعالى على معنى أنه المالك المسلم العباد من المهالك ومنك السلام أي ويرجى منك السلامة (تباركت يا ذا الجلال والإكرام) أي تعاليت يا ذا العظمة والمكرمة.

[5] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

الشريط الخامس عشر
تابع مراتب الناس في العبادة

محتويات الشريط الخامس عشر

2- *تابع مراتب الناس في العبادة* 2

2.2 المعرضون عن العبادة والاستعانة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية) 2

2.3 أهل العبادة بلا استعانة (التوقيت: 46 دقيقة و22 ثانية) 10

2- تابع مراتب الناس فى العبادة

2.2 المعرضون عن العبادة والاستعانة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية)

ويقابل هؤلاء (**القسم الثاني**): المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه يسأله من في السماوات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء وأبغض خلقه إبليس ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على مالم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون مَنعُه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة .

وعلامة هذا : أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه يقضي حوائج غيره يُسيء ظنّه به تعالى وقلبه محشوٌّ بذلك وهو لا يشعر.

وأمارة ذلك : حمله على الأقدار وعِتابُه في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى :﴿ **فَأَمَّا الإِنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كلا**﴾ ﴿الفجر ١٥ و١٧﴾ أي : ليس كل من أعطيتُه ونعمتُه وخوّلتُه فقد أكرمته وماذاك لكرامته عليّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم

يكفر بي فأسلبه إياه وأحوِّله عنه لغيره وليس كل من ابتليتُه فضيَّقت عليه رِزقه وجعلته بقَدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه عليّ ولكنه ابتلاء وامتحان مني له أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يتسخط فيكون حظه السخط .

وبالجملة : فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويُقَتِّر على المؤمن لا لهوانه عليه وإنما يكرم سبحانه من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته فعادت سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها .

- قال المصنف (رحمه الله): " **ويقابل هؤلاء القسم الثاني: المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله (سبحانه وتعالى) يسأله من في السّموات والأرض ويسأله أولياؤه وأعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء. وأبغض خلق الله إبليس ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتّعه بها ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادةً في شقوته وبعده. وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عونًا له على طاعته كان سؤاله مبعدًا له عن الله فليتدبّر العاقل هذا وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حمايةً له وصيانةً والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة. وعلامة هذا: أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضي حوائج غيره يسيء ظنّه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر. وأمارة ذلك: حمله على الأقدار وعتابه في الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا ﴾[الفجر: 15-17] أي: ليس كل من أعطيته ونعّمته وخوّلته فقد أكرمته وما ذاك لكرامته عليّ ولكنه ابتلاء منّي وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم يكفرني فأسلبه إيّاه وأحوّله عنه لغيره؟ وليس كل من ابتليته فضيّقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هوانه عليّ ولكنه ابتلاء وامتحان منّي له أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته أم يسخط فيكون حظّه السّخط؟. وبالجملة: فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرّزق وتقديره فإنه سبحانه وتعالى يوسّع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه** ".
- هنا المصنف (رحمه الله) بدأ يتكلم عن القسم الثاني من مراتب الناس في العبادة. فهو قد قسَّم الناس في مراتب العبادة إلى أربعة أقسام: بدأ بالقسم الأول الذي تكلمنا عنه في المحاضرة السابقة وهم المؤمنون الخُلَّص الذين يقيمون بالعبادة الاستعانة.
- وكما قلنا أن هذا القسم هو الذي حقّق ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5] فهم عبدوا الله (عز وجل) حق العبادة واستعانوا بالله (عز وجل) حق الاستعانة.
- وجاء النقيض في القسم الثاني الذي قال فيه المصنف (رحمه الله) إنهم المعرضون عن عبادته (سبحانه وتعالى) والاستعانة به. فهذا القسم ليس له عبادة لله (عز وجل) ولا استعانة لله (عز وجل).
- وهذا الإعراض الذي أعرضوا به عن الله (عز وجل) وعن عبادته درجات فمنهم الكافر الذي يُعرض عن الدين بالكليَّة كما جاء في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ﴾[السجدة: 22] وقوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[الأحقاف: 3] وقوله (سبحانه وتعالى) في الكافرين أيضاً: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[الملك: 10]. فهؤلاء الكفار الذين أعرضوا بالكلية عن دين الله (عز وجل) فجاءهم البشير وجاءهم النذيروجاءهم

الرسول والنبي وجاءهم رسل الدعوة من العباد من العلماء والشيوخ ليدعوهم إلى دين الله (ﷻ) فأعرضوا عن هذا الدين والاستجابة لدعوة الرسل. هؤلاء قال عنهم (ﷻ): ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[المجادلة: 19].

- فكل من ترك عبادة الله (ﷻ) والاستعانة به وقع في حزب الشيطان لأنه قد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذلك. وقد قال (ﷻ) في مثل هؤلاء: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)﴾[طه: 124-126].
فمن ترك عبادة الله (ﷻ) والاستعانه به يُحشر يوم القايمة في جهنم.
- الدرجة الثانية من المعرضين هي درجة المسلم الذي لا يُعرِض عن الدين بالكلية ولكنه يُعرِض إعراضاً جزئياً وهذا قد يخرجه من الدين كالإعراض عن أركان الإيمان الستة فلا يؤمن بها أو الإعراض عن الأصول مثل الإعراض عن الشهادتين أو الصلاة بالكلية أو ترك جنس العمل بالكلية فقد نقل الشافعي الإجماع على كفر تارك جنس العمل عن الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين وأهل العلم [1].
- الدرجة الثالثة من المعرضين هم المعرضين عن الطاعات وهو المسلم الذي لا يستزيد من العبادة أو يأتي بالعبادة على درجات أقل أو يعرض عن الاستعانة. وهؤلاء ليسوا بكفار فهم مسلمون ولكن ينقص الإيمان وتنقص الدرجات.
- فتجد هذا المُعرِض الذي ذكره المصنف (رحمه الله) قد تكون له عبادة ولكنها من أجل الدنيا فتجد أنه يدعو دائماً يريد الرزق والمال والأولاد والعلو في العمل والبسط في أشياء أخرى فهذا كل استعانته بالله (ﷻ) في أمر من أمور الدنيا. فهذا من أدنى درجات المسلمين الذين يعبدون الله (ﷻ).
- وسواء المسلم أو الكافر عندما يدعو الله (ﷻ) فإن الله (ﷻ) يُلبّي لهم واستشهد المصنف (رحمه الله) بأن إبليس قد دعا الله (ﷻ) فقال كما أخبر (ﷻ): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾[الحجر: 36-37] ولا شك في أن إبليس كافر [2] وللأسف بعضهم قال إن إبليس مُوحِّد غير مشرك وهو من المعاصرين المعروفين فقال إن إبليس قال ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الحجر: 36] فهو إعترف أن له رب فهو غير مشرك.
- المهم أنه على الرغم من كفره فقد استجاب الله (ﷻ) دعاءه وهذا لأن دعاءه كان في المباحات وليس في المحرم. وهذا ليس كرامة لهم بل هو استجاب له ليُزيد له في الهم والشقاوة فهو أراد أن يُنظره الله (ﷻ) حتى يُغوي العباد فكلما زاد في الإغواء كلما تراكمت عليه المصائب والمعاصي والذنوب.
- وقد بيَّن النبي (ﷺ) أنه ما من مسلم يدعو الله (ﷻ) إلا كان له إحدى ثلاث له كما قال (ﷺ): "ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله فيها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل الله له دعوته أو يؤخر له من الخير مثلها أو يُصرف عنه من السوء مثلها" قالوا:" يا رسول الله: إذن نُكثِر" قال: "الله أكبر" [3] فإما أن يستجيب الله (ﷻ) وأما يصرف عنه من السوء ما كان سيأتيه. وهذا يحدث فقد يبحث المرء عن رزق فيدعو فلا يأتيه ولكن الله (ﷻ) يرفع عنه الخسارة في أمر آخر. والثلاثة أن يُؤخِّر الله (ﷻ) له إلى يوم القيامة. فمن تدبر هذه الحديث عَلِمَ أنه فائز في جميع الأحوال هو فائز وهذه نعمة من نعم الله (ﷻ).
- ولا يُستغرب إن الكفار يدعون ويُستجاب لهم فيعطيهم الله (ﷻ) المال والرزق والولد وملذات الدنيا ولكن كل هذا استدارج فهذا ليس إكراماً لهم ولا رِفعة في مكانهم بل هو إمهال لهم.
- ومسالة الدعاء تحتاج إلى تفصيل فلابد أن نعرف من الذي يُستجاب له؟ فقد بيَّن النبي (ﷺ) أن الذي يُستجاب له من المسلمين ووضع له علامات فقال (ﷺ): " رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره"[4] فلو أراد أن يتزوج

---

[1] قال الشافعي (رحمه الله) كما نقل الإمام اللالكائي (رحمه الله) في أصول اعتقاد أهل السنة وابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى:" وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر". ووجه الإستدلال إن **لايجزئ واحد من الثلاثة إلا بالاخر** يعني من ترك القول (الشهادتين) كافر ومن ترك النية (عمل القلب) كافر ومن ترك العمل (عمل الجوارح) كافر. والمقصود بكلمة " ترك جنس العمل" هو ألا يعمل أي عمل من فرائض الإسلام مطلقاً.

[2] والدليل على كفره واضح في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: 34].

[3] أخرجه أحمد في مسنده والترمذي والبخاري في " الأدب المفرد" والبزار وأبو يعلى والحاكم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). وقال الحاكم: " صحيح الإسناد". وصححه الألباني في صحيح الترمذي وصححه في مشكاة المصابيح.

[4] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (أشعث) الأشعث الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل (مدفوع بالأبواب) أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارا له (لو اقسم على الله لأبره) أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه وهذا لعظم منزلته عند الله وإن كان حقيرا عند الناس وقيل معنى القسم هنا الدعاء وإبراره إجابته. وفي رواية أخرى أخرجها الترمذي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال

يردُّونه فلا يقبلونه وأشعث هو الذي هيئته ليست حسنة وهذه دلالة على الفقر والجهد الذي هو فيه لكن النبي (ﷺ) بيَّن أنه لو أقسم على الله (ﷻ) لأبرَّه أي لو دعا الله (ﷻ) لاستجاب له.

- فما هو الميزان الذي جعل رجل مثل هذا أشعث أغبر لو دعا الله (ﷻ) لاستجاب له؟ الميزان هو التقوى كما بيَّن الله (ﷻ) ذلك في كتابه فقال (ﷻ): ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات: 13].
- فالإكرام من الله (ﷻ) أنه يعطيهم هذه النعائم أو يستجيب لدعائهم هو ميزان واحد وهو التقوى. فالله (ﷻ) أبرَّ الأشعث الأغبر كما في الحديث لأنه عنده من التقوى جعلت له مكانة عند الله (ﷻ) فاستجاب له.
- وهناك كذلك العكس فالإقسام على الله (ﷻ) على نوعين: إما أنه يريد الدعاء والتقرُّب إلى الله (ﷻ) أو يُقسم على الله (ﷻ) من باب التألي على الله (ﷻ). وهذا كما روى جندب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) حدث " أن رجلا قال: " والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: " من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال" [1].
- فالعاصي من بني إسرائيل ملَّ من الرجل الذي كلما يمر عليه يدعوه فقال له " خلِّي بيني وبين ربي" فقال: " والله لا يغفر الله لك".
- وهذا هو الفرق بين القسم الأول والثاني أن الأول يُقسم تذللاً وخضوعاً وكرامة له عند الله (ﷻ) أن يُلبِّي له والثاني يُسقم تألِّي على الله (ﷻ) فظنَّ أنه يستطيع أن يفصل في مسألة الجزاء والغفران فتألى على الله (ﷻ) فكيف يعلم إن الله (ﷻ) سيغفر أم لا. فهذا قد جعل لنفسه صفة لا تكون إلا لله (ﷻ) ولهذا وضعه الله (ﷻ) في جهنم.
- وكثيراً في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأخذ المرء الحميَّة فيجد الأخ أو الأخت على معصية أو ذنب فيتفوه بكلمة قد يكون فيها هلاكه. فعليه أن يدعو كما دعا الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والعلماء وليس عليه أن يتألَّه على الله (ﷻ) فهو لا يعلم على ماذا ستكون الخاتمة.
- فكثير من الناس وحتى بعض العلماء لم يكن على عقيدة أهل السنة والجماعة ثم ختم الله (ﷻ) له على عقيدة أهل السنة والجماعة وقد يكون من أهل البدع ومن يُنافح عنهم ولكن منَّ الله (ﷻ) بالتوبة وخُتِمَ له بالعقيدة الصحيحة.
- وكذلك كثير من العصاة والفُسَّاق من يهديه الله (ﷻ) في آخر أيامه بل في آخر لحظاته. فمن يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلابد أن يحذر من أن يقع في ذلك.
- وقد بيَّنه الله (ﷻ) في الكافر الذي ظن أنه سيأتيه من المال والرزق وأن هذا منقبة له في قوله (ﷻ): ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[مريم: 77-80]. وهذه الآيات نزلت في العاص بن وائل [2].
- وهذه الآيات فيها أكثر من توجيه عند أهل العلم منهم أن المقصود هو استهزاءه بدعوة النبي (ﷺ) وهو أنه ظن أنه مع الكفر أنه يوم القيامة سيرزق المال والولد. والوجه الثاني أنه يُقصد في الدنيا أي حتى أنه مع أنه على الكفر فقال لأوتينَّ مالاً وولداً في الدنيا أي كأنه يقول لو أنني ظللت على ديني وهو كفر أهل قريش لأوتينَّ مالاً وولداً زيادة على ما أنا فيه. والوجه الثالث أنه يقول إنه لو كان على الباطل ما كان سيؤتى هذا المال والولد فالعاص ابن وائل كان عنده من المال الكثير وقالوا عنده من الولد عشر أو إحدى عشر فهو عنده عدد كبير من الأولاد.
- فبيَّن الله (ﷻ) في آيات أخرى إن هذا ليس المعيار كما في قوله (ﷻ): ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[المؤمنون: 55-56] بل هذا استدراج من الله (ﷻ) فيستدرجهم الله (ﷻ) في هذه النعائم من المال والولد وغيرذلك حتى إذا أخذهم يوم القيامة لم يُفلتُهُم.
- وهذا رد على المغرورين الذين يظنون أن ما أُوتِيَ من مال إن هذا المال كرامة لهم سواء كان على الكفر أو غير ذلك وإن كانت هذه الآية أتى في الكفر لأنهم يظنون إنهم عندهم الأموال والأولاد والخيرات والعلو في الأرض.
- وهذا يُفتن به ضعفاء النفوس من المسلمين الذين يظنون إن أهل الكفر الذين هم في علو الآن في كل المجالات ففي مجالات الدنيا هم في علو وفي مجالات الدنيا هم في نزول فيظن أن هذا علو شأن لهم ولا يعلم إنه لو نظر بعين القدر وعين الشرع

رسول الله (ﷺ): " كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك" وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وصححه الألباني في الجامع الصغير وفي صحيح سنن الترمذي. (طمرين) الطمر: الثوب الخلق وخص ابن الأعرابي به الكساء البالي من غير الصوف

[1] أخرجه مسلم عن جندب (رضي الله عنه). (يتألى) معنى يتألى يحلف والألية اليمين.

[2] قال ابن كثير في تفسيره في تفسير هذه الآية: " وقال الإمام أحمد: " حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال: " كنت رجلاً قينا وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه. فقال: " لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد" فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد (ﷺ) حتى تموت ثم تُبعث". قال: " فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك: فأنزل الله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾. أخرجه صاحبا الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الأعمش به وفي لفظ البخاري: " كنت قينا بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفا فجئت أتقاضاه". فذكر الحديث وقال: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾. قال: " موثقاً"

لعَلِمَ أن هذا استدراج لهم وإن هذا يُبتلى به المسلم حتى يعلم الحق من الباطل.

- وهذه إشارة من المصنف أن كثير من المسلمين قد يُبتلى في الدنيا ابتلاءاً شديداً فإن لم يكن عنده قوة في الإيمان بالقدر والإيمان بأركان الإيمان الخمسة الأخرى فيظن أن هذا من المهانة له عند الله (ﷻ).
- ولكنه قد أتى في أكثر من آية في القرآن أو السنة إن المرء قد يُبتلى وكثيراً ما يُبتلى وهذا الإبتلاء يكون على قدر الدين كما سُئِلَ النبي (ﷺ): " أي الناس أشد بلاء؟" قال: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة " [1]. وهذه من حكمة الله (ﷻ) حتى لا يُفتن المرء إلا على قدر إيمانه فلو زيد له في الفتنة قد ينتكس ويرجع.
- وأكثر الناس ابتلاءاً هم الرسل والأنبياء ثم الذين دونهم ثم الذين دونهم. ولهذا تجدهم أكثرهم فتنة وإيذاءاً من قومهم فمنهم من قُتِلَ ومنهم من قُسِمَ بالمنشار ومنهم من سُمَّ ومنهم من ذُبِحَ ومنهم من أُوذِيَ وأكثر من أُوذِيَ هو النبي (ﷺ) وهو خاتم النبيين وأفضلهم.
- فالمهم أن الناس يُفتنون وقد بيَّن الله (ﷻ) قصة الغلام الذي قتله الخضر في سورة الكهف. فهذا الغلام عندما وُلِدَ فَرِحَ به أهله كثيراً وكذلك لما قُتِلَ حَزِنَ عليه أهله حُزناً شديداً فهم لم يكونوا يعلمون الحكمة بأنه سيُبدل لهم بغلام آخر.
- فالخضر قتل الغلام وبيَّن العلة في قتله بأن أبواه كانا مؤمنين وخشينا أن يُرهقهما طغياناً وكفراً. القرطبي وجهها أكثر من توجيه فالغلام قد يكون مكلفاً أو دون التكليف فإذا كان مُكلَّفاً فقد علِمَ الخضر من علم الله (ﷻ) بأنه سيكون من أهل الكفر وأهل الطغيان ومن شدة حب أبواه إليه سيسحبهما إلى الكفر معه او قد يكفروا بهذا. ولهذا قتله الخضروأراد الله (ﷻ) رحمة بهم أن يرزقهما غلاماً آخر حتى لا يؤدي ذلك إلى كفرهما.
- وقيل إن الغلام إذا كان دون التكليف فكيف يقتله الخضر وهو غيرمكلف؟ فقال القرطبي إن هذا قد يكون شريعة الخضر في وقتها وقد أعلمه الله (ﷻ) بذلك.
- المهم إن هذه القصة المُستفاد منها أنه قد أُبتلِيَ فيه الأبوين فقد فرِحا فرحاً شديداً بولادته وحَزِنا حُزناً شديداً بمقتله ولكن هذا من باب الابتلاء الذي يبتلي الله (ﷻ) به عباده.
- واجب المرء في مسألة الابتلاءات أنه عند السراء والضراء يظهر معدن وإيمان المرء فهل هو في السراء والضراء يشكر أم يشكر في السراء فقط وفي الضراء يقنط؟ وكيف يتعامل المرء في السراء والضراء؟
- وهنا نقطة مهمة أشار إليها أهل العلم وهي إن كثير من الناس يصبر على الفتن في السراء أشد من الصبر في الضراء فإن مُنِعَ عنه الرزق أو عُذِّبَ في دين الله (ﷻ) أو أُوذِيَ أو قُدِّر عليه في أمور معينة تجده قريب من ربه (ﷻ) وهذا في الضراء ولكن في السراء أصعب فعندما يُرزق بمال أو ولد أو يُوسَّع عليه في الدنيا أو العلم أو من أمور الآخرة فكيف ينفق المال الكثير إذا جاءه هل ينفقه في مرضات الله (ﷻ) أم ينفقه في المباحات أم قد تصل به المباحات (وإن كان التوسع في المباحات لا إنكار فيه) إلى المحرمات والمكروهات؟ وكيف إن آتاه الله (ﷻ) العلم فكيف سيعمل بهذا العلم فهل يدافع به عن دين الله (ﷻ) أم يُناصر به السلاطين وأهل الظلم؟ وكيف إن آتاه الله (ﷻ) الأولاد فهل يستعملهم في عبادة الله (ﷻ) ويُنشِّأهم التنشئة الصحيحة أم لا؟.
- فالابتلاء في السراء أشد من الابتلاء في الضراء فأغلب الناس تصبر في الضراء ولكن إذا جاءته فتنة السراء توسَّع في الدنيا فتجد عبادته خفَّت والإيمان يقل.
- فعندما فُتِحَت المساجد والدعوة والدروس كانت كثيرة قلَّ الناس. وهذا تكلَّم فيه كثير من أهل العلم أنه قلَّ رواد المساجد فقد علموا إن العبادة سهلة وميسورة فيستطيع أن يسمع درس في أي وقت فأصبحت الناس لا ترتاد المساجد. ولكن وقت أن كانت الدروس مُضيَّق عليها كان الناس يتقاتلون حتى يصلون إلى المسجد ليسمعون الدرس ويأخذون الورق والكتب.
- وكذلك في أمور أخرى فنحن تكلمنا على العلم وهو أشرف الأشياء والذي من المفروض أن يحرص عليه طلبة العلم في السراء والضراء فما بالك بالأشياء الأخرى من الرزق والأموال وغير ذلك؟.
- بيَّن المصنف (رحمه الله) علامة المنع والإعطاء من الله (ﷻ) وهل الإعطاء والمنع فيه دلالة على الإكرام أو المهانة؟ فهل لو أن الله (ﷻ) عبداً المال فهل فيه دلالة على الإكرام وهل إذا منع عنه فيه دلالة على المهانة؟.
- وقد استشهد المصنف (رحمه الله) بآية عظيمة وهي قوله (ﷻ): ﴿ **فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا** ﴾[الفجر: 15-17]. وكلا هي الشاهد من الآية فالله (ﷻ) يريد أن ينفي بأن الله (ﷻ) إذا أعطاه من الرزق والمال في أمور الدنيا أن هذا دلالة على محبة

[1] أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حبان والحاكم أحمد عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وصححه الألباني في " الأحاديث الصحيحة".

الله (ﷻ) له. وكذلك من قُدِّرَ عليه في الرزق أو في المال أو في الأولاد أو في غير ذلك من النعائم فيظن أنها إهانة من الله (ﷻ) له. فحسم الله (ﷻ) المسألة بقوله " كلا" أي ليس هذا هو الضابط الذي ينظر به المرء إلى هذه النعائم.

- وهذا أصلاً يرجع لمسألة الإيمان بالقدر فمن آمن بالقدر حق الإيمان فيُوقن مما أتى عن ابن الديلمي أنه قال: " قلت لأبي بن كعب: " إنه وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بحديث لعل الله أن يذهب ذلك عن قلبي" فقال أبي: " إن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما لم يكن ليصيبك وإن مت على غير هذا مت على غير فطرة محمد (ﷺ)". قال: "فأتيت ابن مسعود وسألته فحدثني بمثله ثم أتيت حذيفة بن اليمان فحدثني بمثله وكلهم يقول عن النبي (ﷺ)" [1] وقوله (ﷻ): ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحديد: 22].
- فما يصيب المرء من عند الله (ﷻ) من مصيبة فهذا كله مُقدَّر في كتاب الله (ﷻ) اللوح المحفوظ كما في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة: 51].
- فالاستسلام للقدر مهم في مسألة الإكرام والإنعام ومسألة التقدير. فالإيمان بالقدر خيره وشره فالمرء يؤمن بالنعائم من عند الله (ﷻ) ويؤمن أيضاً بما حلَّ عليه من مصائب أو غير ذلك.
- وهذا يرد على الكفار عندما قالوا كما أخبر (ﷻ): ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[سبأ: 35] فهم قد استشهدوا بأنهم أكثر أموال وأولاد فهم ليسوا معذبين. فردَّ عليهم الله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾[سبأ: 36-37] وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[التوبة: 55]. بل هم يعجبون بالأموال والأولاد ولكنهم يموتون على الكفر " وتزهق أنفسهم وهم كافرون".
- وهذا يذكرنا بقصة الثلاثة نفر من بني إسرائيل فعن إسحاق بن عبد الله قال: " أخبرني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة (رضي الله عنه) حدثه أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: " إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى بدا لله (ﷻ) أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: " أي شيء أحب إليك؟" قال: " لون حسن وجلد حسن قد قذرني الناس" قال: " فمسحه فذهب عنه فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً" فقال: " أي المال أحب إليك؟" قال: " الإبل - أو قال: البقر" هو شك في ذلك: إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر: البقر - فأعطي ناقة عشراء فقال: " يبارك لك فيها" وأتى الأقرع فقال: " أي شيء أحب إليك؟" قال: " شعر حسن ويذهب عني هذا قد قذرني الناس" قال: " فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً" قال: " فأي المال أحب إليك؟" قال: " البقر" قال: " فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها". وأتى الأعمى فقال: " أي شيء أحب إليك؟" قال: " يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس" قال: " فمسحه فرد الله إليه بصره قال: " فأي المال أحب إليك؟" قال: " الغنم" فأعطاه شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من إبل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: "رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ عليه في سفري" فقال له: " إن الحقوق كثيرة" فقال له: " كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟" فقال: " لقد ورثت لكابر عن كابر" فقال: " إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت" وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال: " إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت" وأتى الأعمى في صورته فقال: " رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري" فقال: " قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فقد أغناني فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله" فقال: " أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك " [2]. فالأقرع كلامه فيه تسخُّط من الجُذام ومن القرع وكذلك الأبرص من برصه. أما الثالث فقال مما

---

[1] أخرجه أبو داود وابن ماجة وأحمد وعبد الله بن أحمد في " السنة" وابن أبي عاصم وابن حبان عن أبي بن كعب (رضي الله عنه). ومدار هذه الروايات على أبي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي قال المنذري عن ابن سنان: " وثقه يحيى بن معين وغيره وتكلم فيه الإمام أحمد وغيره" وقال ابن حجر عنه: " صدوق له أوهام". وصحح الحديث الألباني في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم وفي التعليق على المشكاة.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (بدا لله) أراد أن يظهر ما سبق في علمه (يبتليهم) يختبرهم (ملكاً) أي بصورة إنسان (هو شك) أي إسحاق بن عبد الله راوي الحديث (عشراء) الحامل التي أتى على حملها عشرة أشهر من يوم طرق الفحل لها ويقال لها ذلك إلى أن تلد وبعدما تضع وهي من أنفس الأموال عند العرب (والدا) ذات ولد أو حاملاً (فأنتج هذان) أي صاحب الإبل والبقر وأنتج من النتاج وهو ما تضعه البهائم (صورته وهيئته) أي التي كان عليها (الحبال) الأسباب التي يتعاطاها في طلب الرزق (أتبلغ به) من البلغة وهي الكفاية (لكابر عن كابر) وفي رواية شيبان (وإنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر) أي ورثته عن آبائي وأجدادي حال كون كل واحد منهم كبيرا ورث عن كبير (ابن سبيل) منقطع في سفره (لا أجهدك) لا أشق عليك في منع شيء تطلبه مني أو تأخذه.

ابتلاني الله (ﷻ) فهو كان صابراً. فهذا الحديث بيَّن أن الله (ﷻ) أعطاهم النعائم ليبتليهم هل يشكر على ما أُعطِيَ له أم يكفر بهذه النعائم.

- وتجد الثالث طلب الشياه فأهل الشياه غير أهل الإبل فأهل الإبل عندهم كِبر وأهل الشياه أهل المسكنة والضعف والطيبة.
- والنعائم تتحول لعدم الشكر وعدم الرجوع إلى الله (ﷻ) وهذا من قوله (ﷻ): ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: 7] فمن مفهوم المخالفة ولئن كفرتم لأنزِعن منكم هذه النعائم.
- ومن المهم ألا نظن كما يظن الصوفية إن أصحاب الأموال عندهم أقل درجة من الفقير وكأن صاحب المال مُبتلى. فهم يعدُّون الفقر والزهد عندهم أفضل من أصحاب الأموال ظناً منهم أن صاحب الأموال من أهل الدنيا.
- وهذا خطأ لأن الصحابة (ﷺ) لم يكونوا كذلك وإن لم يكن المال في قلوبهم ولكن المال كان في أيديهم وكانوا يُتاجرون ويُرزقون المال ومنهم من أهل الغنى ومنهم من أهل الفقر.
- فكان من أهل الصفة من لا يجدون الطعام ولكن كان من الصحابة أغنياء كُثُر وكانوا يتسابقون في الإنفاق.
- فالمال ليس نقمة كما ظنت الصوفية بل المال قد يكون نقمة وقد يكون نعمة. فالمال نعمة إذا أُنفق كما كان الصحابة (ﷺ) ينفقونه. ومما يدل على إنفاق الصحابة قول عمر بن الخطاب (ﷺ): " أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً فقلت: " اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً" قال: " فجئت بنصف مالي فقال رسول الله (ﷺ): " ما أبقيت لأهلك؟" قلت: "مثله" وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: " يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟" قال: " أبقيت لهم الله ورسوله" قلت: " لا أسبقه إلى شيء أبداً" [1].
- وعبد الرحمن بن سمرة (ﷺ) قال: " جاء عثمان إلى النبي (ﷺ) بألف دينار - قال الحسن بن واقع: " وكان في موضع آخر من كتابي في كمه –" حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: " فرأيت النبي (ﷺ) يقلبها في حجره ويقول: " ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين" [2].
- وقال النبي (ﷺ): " من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين؟" فاشتراها عثمان (ﷺ) [3]. وإلى الآن ومازال هذا البئر موجوداً وأرض البئر نفع عام بِيعَت بمليارات ويُبنى عليها بنايات وقف للمسلمين [4].
- وهذا يُبيَّن إن الصحابة كانوا يستعلمون المال في مرضاة الله (ﷻ) وأنهم كانوا يتسابقون في الإنفاق. ولهذا ليس وجود المال ولا السعي له في حد ذاته ذم بل من المطلوب أن يكون لأهل الإسلام المال الوفير الذي يُستخدم في مرضاة الله (ﷻ)

---

[1] أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم عن عمر (ﷺ). والحديث سكت عنه أبو داود وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح". وقال الحاكم: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". وصححه النووي في " المجموع". وقال ابن حجر في " فتح الباري": " تفرد به هشام بن سعد وهو صدوق فيه مقال من جهة حفظه. وحسنه الألباني في " صحيح سنن الترمذي".

[2] أخرجه أحمد والترمذي عن عبد الرحمن بن سمرة (ﷺ). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

[3] أخرجه البخاري عن عثمان (ﷺ). (بئر رومة) اسم لبئر معروفة في المدينة. (دلوه فيها كدلاء المسلمين) يوقفها ويكون نصيبه منها كنصيب غيره من المسلمين دون مزية. قال ابن بطال في " شرح صحيح البخاري": " ورواه عباس الدورى عن يحيى بن أبى الحجاج المنقرى عن أبى مسعود الجريرى عن ثمامة بن حزن القشيرى قال: " شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال: " ألستم تعلمون أن رسول الله (ﷺ) قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: " من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه فيها كدلاء المسلمين وله بها مشرب فى الجنة؟". فأتى عثمان اليهودى فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين. فقال له عثمان: " إن شئت جعلت على نصيبى قرنين وإن شئت فلى يوم ولك يوم". فقال: " بل لى يوم ولك يوم". فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودى قال: " أفسدت على ركيتى فاشتر منى نصيبى". هذا الذي نقله أهل الخبر والسير ولا يوجد أن عثمان حفرها إلا فى حديث شعبة والله أعلم ممن جاء الوهم وذكر ابن الكلبى أنه كان يشترى منها قربة بدرهم قبل أن يشتريها عثمان".

[4] قال الدكتور محمد الخطري مدير فرع وزارة الأوقاف في المدينة المنورة إنه لا صحة للمعلومات المتداولة حول وجود حساب مصرفي باسم الصحابي عثمان بن عفان (ﷺ) مشيرا في الوقت ذاته إلى أن بئر رومة الواقعة في مزرعة عثمان بن عفان في حي الأزهري في المدينة المنورة وقف مؤجر منذ 50 عاما على وزارة الزراعة ويصرف ريعه على مصالح المسجد النبوي وإنه تحت نظارة وزارة الشؤون الإسلامية. وذكر مؤرخ إسلامي أن الفندق المقام في المنطقة المركزية حول المسجد النبوي في المدينة المنورة المكتوب عليه "وقف سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ)" يعود إلى وقف للمغاربة تم إيقافه قبل سنين من قبل مجموعة من أهل الخير من المغرب. وأشار إبراهيم الحجيلي مدير عام الإدارة العامة لشؤون الزراعة في منطقة المدينة المنورة لـ "الاقتصادية" إلى أن "الزراعة" استأجرت وقف بئر عثمان بن عفان (ﷺ) من "الشؤون الإسلامية" وقامت بزراعته بأصناف متنوعة من الأشجار والمزروعات وأنشأت فيه مشتلا لإنتاج الشتلات الزراعية. وأضاف الحجيلي أن "الإدارة أنشأت مركزا إرشاديا متخصصا لإرشاد المزارعين والنحالين يحتوي على حقل للنخيل وحقل للري وحقل للخضار ويجري الآن الإعداد لحقل لإكثار العنب". قال الدكتور الوهبي أن عثمان بن عفان (ﷺ) بعد أن اشتراها حفر ووسع فيها حتى تشمل فائدتها المسلمين وفي عام 1344هـ أشرفت عليها "الشؤون الإسلامية" وبدأت تعتني بها ومن ثم أجرتها على وزارة الزراعة التي تتولى عنايتها حاليا". وأشار الوهبي إلى أن المزرعة تقع في الجهة الغربية من مسجد القبلتين في منطقة العقيق الأصغر. وفيما يخص الفندق المقام في المنطقة المركزية حول المسجد النبوي في المدينة المنورة المكتوب عليه "وقف سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ)" قال الدكتور الوهبي "إن الفندق يعود إلى وقف للمغاربة وتم إيقافه قبل سنين من قبل مجموعة من أهل الخير من المغرب وتمت تسميته باسم وقف سيدنا عثمان بن عفان تيمنا باسم الصحابي الجليل (ﷺ). وقد توسع الوقف ونما بسبب إيراداته وتم وضع أكثر من مشروع باسمه وقد كان أصل الوقف في الجهة الجنوبية من المسجد النبوي وأزيل بسبب مشروع توسعة المسجد النبوي ويتم الآن بناء المشروع السكني المشار إليه في شمال المسجد النبوي وهو لا يمت بصلة لسيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) وقد حدث اللبس بسبب تسمية الوقف باسم الصحابي الجليل ما دعا البعض إلى الظن بأنه يعود إلى الخليفة الراشد (ﷺ) كما تمت إشاعة ذلك وأنه يوجد حساب مصرفي للمشروع المشار إليه يعود إلى سيدنا عثمان بن عفان (ﷺ) وذلك غير صحيح".

والإنفاق في سبيل الله (ﷻ) وفعل الخيرات. وهذه من النعائم التي لابد أن يشكر فيها المرء الله (ﷻ) إذا أتاه المال.

- وقد بيَّن الشرع أن المال له قدر كبير حيث أن الله (ﷻ) قد نهى أن يُعطى المال لغير مستحقيه كما في قوله (ﷻ): ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾[النساء: 5]. فالله (ﷻ) أمر المسلمين ألا يعطوا هذا المال للسفهاء حتى لا يضيعوه.
- وكذلك أي نعمة أُعطيها المرء لابد أن يشكر الله (ﷻ) عليها حتى نعمة العلم كما جاء في قوله (ﷻ) حاكياً عن سليمان (عليه السلام) عندما قال: ﴿ **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾[النمل: 38-40].
- وهذه النعمة بيَّن سليمان (عليه السلام) أن الله (ﷻ) ابتلاءه بهذه النعمة أيشكر أم يكفر. ولهذا يجب على المرء في كل نعم الله (ﷻ) أن يشكر ولا يستهين بنعمة من النعم فهو قد لا يحسبها نعمة وهي عند كثير من الناس نعمة.
- فهو قد ينظر إلى الولد الذي عنده أو البنت وكثير من الناس ليس عندهم هذا الولد أو هذه البنت. فتجده يتسخط وهو يريد الولد وهو عنده بنت أو العكس والأصل أنه لابد أن يعلم أن وجود الذرية حتى ولو كان طفل واحد فقط هذه نعمة من الله (ﷻ).
- كذلك نعمة الدين والعبادة والقرآن فهناك نعم كُثُر تنزل على المرء فلابد أن ينتبه المرء لهذه النعائم وأن يشكر الله (ﷻ) عليها.فالابتلاء سنة جارية إلى قيام الساعة وشدة الابتلاء في السراء كما ذكرنا فكثير من الناس لا يصبرون في السراء.
- وقد ورد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قدم وافدا على معاوية في خلافته قال: " فدخلت المقصورة فسلمت على مجلس من أهل الشام ثم جلست بين أظهرهم فقال رجل منهم: " من أنت يا فتى؟" قلت: " أنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف" فقال: " رحم الله أباك حدثني فلان لرجل سماه قال: " قدمت المدينة في خلافة عثمان فلقيتهم يعني أصحاب النبي (ﷺ) إلا عبد الرحمن بن عوف أخبرت أنه بأرض له بالجرف فركبت إليه حتى جئته فإذا هو واضع رداءه يحول الماء بمسحاة في يده فلما رآني استحيا مني فألقى المسحاة وأخذ رداءه فسلمت عليه وقلت: " جئت لأمر رأيت أعجب منه". فقلت: " ما لنا نزهد في الدنيا وترغبون ونخف في الجهاد وتتثاقلون وأنتم خيارنا وأصحاب نبينا (ﷺ)؟" قال عبد الرحمن: " لم يأتنا إلا ما جاءكم ولم نعلم إلا ما علمتم ولكنا بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر" [1]. فالصحابة (رضي الله عنهم) بعد وفاته (ﷺ) فُتِحَت لهم الدنيا فقد فُتِحَت لهم الفتوحات.
- فأشد الفترات كانت مع النبي (ﷺ) قبل الهجرة وبعدها ثم فُتِحَت مكة. وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أحد العشرة المُبشَّرين بالجنة والله (ﷻ) أعطاه مال وفير ينفقه في مرضاة الله (ﷻ) ولكنه بيَّن إن ابتلاء السراء ليس بهيّن.
- فالدنيا وسيلة إلى الآخرة وإن الدنيا ليست غاية فالغاية هي دخول الجنة والدنيا وسيلة لذلك.
- قال المصنف (رحمه الله): " **وإنّما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفّقه لمعرفته ومحبّته وعبادته واستعانته فعادت سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها**".
- أراد المصنف (رحمه الله) أن يختم بجملة مهمة جداً وهي أن الإكرام حقاً هو أن يجد المرء نفسه على العبادة أو الطاعة أو العلم.
- وجاء عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الآخرة إلا من يحب" [2].
- فمن أُعطِيَ الإيمان أو الطاعة أو الدين أو العلم أو الهداية فهذا الذي يعلم إنه على خير كما جاء في قوله (ﷺ): " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة " [3].
- فإذا نزل على العبد نعمة من أمور الدين فيعلم إن الله (ﷻ) قد رَضِيَ عنه فهذا لا يكون إلا من رضى الله (ﷻ). أما مسألة نعائم الدنيا التي هي المال والرزق وغير ذلك فهذه فقط يحمد الله (ﷻ) على أنها أتته ولكن لا يغتر بأن هذه من رضى الله

---

[1] راجع كتاب "الزهد لأبي داود" و" المسند" للشاشي و" مسند الشاميين" للطبراني وأخرجه الترمذي بعضه وحسنه وحسنه الألباني.

[2] أخرجه الحاكم من طرق عن أحمد بن جناب المصيصي حدثنا عيسى بن يونس -وهو ابن أبي إسحاق السبيعي- عن سفيان الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود وهذا إسناد صحيح وأخرجه من طريق سفيان بن عقبة أخي قبيصة عن حمزة الزيات وسفيان الثوري به. وأخرجه أحمد والحاكم وأبو نعيم من طريق الصباح بن محمد البجلي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوعا. والصباح بن محمد ضعيفه. وأخرجه أبو نعيم من طريق عبد الرحمن بن زبيد عن أبيه عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا ومرة وقفه. وأخرجه الطبراني من طريق حجاج بن المنهال عن محمد بن طلحة عن زبيد به موقوفا. وذكره الهيثمي في " المجمع " وقال: ورجاله رجال الصحيح.

[3] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

(ﷻ) عليه لأن الله (ﷻ) أعطاها له وللكافر. أما الدين والإسلام والهداية لا تكون إلا لمن يحبه الله (ﷻ) ويرضى عنه.

- لهذا كانت الأصول (إن صحت كلمة الأصول) التي تُبنى عليها السعادة هي ثلاثة:
  أ. التوحيد وعكسه الشرك
  ب. السنة وعكسها البدعة
  ج. الطاعة وعكسها المعصية.
- فهذه الثلاثة هي التي يُبنى عليها سعادة المرء في الدنيا وهذه الثلاثة مجموعة كلها في قوله (ﷻ): ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5].
- هذا مجمل الكلام في قسم الذين أعرضوا عن عبادة الله (ﷻ) والاستعانة به. 46:29

2.3 أهل العبادة بلا استعانة (التوقيت: 46 دقيقة و22 ثانية)

القسم الثالث من له نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان :

أحدهما: أهل القدر القائلون : بأنه سبحانه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضي الله عنهما : «الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده»

- قال المصنف (رحمه الله): " **القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان: أحدهما: أهل القدر القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانةً على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرّسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانةٌ مقدورةٌ يسأله إياها. وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم مسدودٌ عليهم طريقة الاستعانة والتّوحيد. قال ابن عبّاس (رضي الله عنهما): " الإيمان بالقدر نظام التّوحيد فمن آمن بالله وكذّب بقدره نقض توحيده ".**
- بدأ المصنف (رحمه الله) الكلام عن القسم الثالث في أصناف الناس في العبادة وهم من لهم نوع عبادة بلا استعانة. فهذا الصنف عنده عبادة ولكن ليس عنده استعانة.
- وهنا سيتكلم المصنف (رحمه الله) عن أهل القدر سواء القدرية النفاة أو القدرية الجبرية. فكما تكلمنا سبق أن أهل القدر الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في القدر على قسمين: إما القدرية النفاة الذين نفوا إن الله (ﷻ) خلق أفعال العباد أو أرادها والقدرية الجبرية الذين قالوا بأن العبد مجبور.
- واستكمالاً لعقيدة هؤلاء الخَربَة في القدر جعلت هؤلاء لهم عبادة ولكن ليس لهم استعانة بالله (ﷻ) سواء القدرية النفاة أو القدرية الجبرية كما سنُبيَّن.
- القدرية النفاة ليس عندهم استعانة لأن عندهم العبد هو الذي خلق أفعاله والعبد هو الذي أرادها. ولهذا لا يستعين بالله (ﷻ) فلماذا يستعين بالله (ﷻ)؟. فالقدرية النفاة يظنون إن الله (ﷻ) خلق للعبد الآلآت ثم تركه يخلق أفعاله.

- كذلك القدرية الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبور فهو لا يفعل شيء فالله (ﷻ) هو الذي يفعل فالعبد عندهم كالريشة في الهواء فهؤلاء يروا أنه ليس هناك حاجة للاستعانة.
- وكما نُقِلَ عن الإمام أحمد (رحمه الله) قوله: " القدر قدرة الله" [1] ومعنى قدرة الله أي لا يُمنع شيء من قدرة الله (ﷻ).
- وقال بعض السلف: " ما اجتهدت في العبادة إلا بعد أن تلعمت القضاء والقدر" [2].
- وحقيقة أنه من يؤمن بباب القضاء والقدر لابد أن يشعربثمرات كثيرة منها إن الإيمان بالقدر يزيد الإيمان قوة وثبوتاً وشجاعة وإقداماً على الحق. فمن يؤمن بالقدر والقدر لا يهاب شيئاً ولا يخشى شيئاً لأنه يعلم إن كل شيء بقدر الله (ﷻ). فما دام يعلم أنه على الحق فلا يخشى في ذلك شيء لأنه يعلم أنه ما كان مُقدَّراً سيكون.
- أيضاً تجد الذي يؤمن بالقضاء والقدر عنده قدرة على مواجهة الصعائب والابتعاد عن الجزع لأنه يؤمن بأن كل شيء مُقدَّر بقدر الله (ﷻ).
- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره يزيد من التوكل واليقين.
- أيضاً الإيمان بالقدر يزيد من الإخلاص لله (ﷻ) لأنه يعلم أن ما سيأتيه سيأتيه فلا يتطلع للآخرين ولا ينتظر منهم مدح فهو يعلم أن أجره عند الله (ﷻ) وليس اجره عند مدح الآخرين فلا ثواب من العباد وإنما الثواب من الله (ﷻ).
- كذلك الإيمان بالقضاء والقدر يزيد من التخلص من الحسد وهذا من أمراض القلوب وهذا لأنه يكون مستيقناً مما عند الله (ﷻ) فلا ينظر إلى غيره سواء وجد عند غيره المال أو الولد أو غير ذلك من النعائم فهو يعلم إن هذا كله بقدر الله (ﷻ) فهذا كله قُدِّرَ عليه.
- وكذلك من ثمرات الإيمان بالقدر عدم اليأس حتى لو كان الأمر فيه صعوبة وشدة فهو عنده إيمان بانتصار الحق وأن وعد الله (ﷻ) لابد حتماً سيكون ولو تكالب عليه الأعداء فلابد أنه منصور طالما هو على الحق. وهذا يجعل عنده قوة الشوكة لأنه يعلم إن أهل الحق منصورون لا محالة حتى ولو بعد حين.
- أخيراً في مسألة ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر إحسان الظن بالله (ﷻ) وتجد عنده قوة الرجاء وهذا نقيض اليأس والجزع الذي تكلمنا عنه قبل ذلك.
- والصحابة (رضي الله عنهم) يُلقِّبون القدرية إنهم مجوس الأمة لأنهم أثبتوا إن العبد يخلق أفعاله فكأنهم جعلوا مع الله (ﷻ) خالقاً آخر. والمجوس أيضاً كذلك جعلوا مع الله (ﷻ) خالقاً آخر فقالوا خالق الشر وخالق الخير أو خالق الظلمة وخالق النور. فالقدرية قالوا إن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم وهم الذين أرادوها وأن الله (ﷻ) لم يعلم أفعال العباد إلا بعد أن خلقها العباد فكأنهم جعلوا كل مخلوق خالق فتعددت الآلهة عندهم فكانوا مثل المجوس.
- ولهذا كان العبد الذي عندهم مستقل هو ليس في حاجة إلى الاستعانة. قالوا لماذا يستعين بالله (ﷻ) وهو أصلاً لا يحتاج. بل تجرَّؤا على الله (ﷻ) وقالوا إن الله (ﷻ) وجب عليه من فعل الحسنات أن يدخله الجنة ومن فعل السيئات أن يدخله النار لأن عندهم الله (ﷻ) ليس له دخل في ذلك فطالما المرء فعل الطاعات فله الجنة ومن فعل السيئات فله النار فكأن المسألة عندهم أجرة وثمن وليس هناك دخل لرضا الله (ﷻ) ورحمته.
- حتى إنهم جعلوا الهداية هداية واحدة فقط وهي هداية البيان والإرشاد فليس عندهم هداية سداد وتوفيق. فطالما عندهم العبد مستقل فليس هناك هداية سداد وتوفيق من الله (ﷻ) فهم ليسوا في حاجة لها لأنهم يخلقون أفعالهم بأنفسهم.
- وهذا مخالف لأهل السنة والجماعة فأهل السنة والجماعة يُثبتون هداية البيان والإرشاد وهداية السداد والتوفيق. والدليل على هداية السداد والتوفيق قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص: 56] والدليل على هداية البيان والإرشاد قوله (ﷻ): ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: 52].
- وقال (ﷻ): ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الحجرات: 7-8]. فكلمة " حبَّب تدل على الهداية فالله (ﷻ) هو الذي يُحبِّب الإيمان للناس ويرشدهم إليه وهو الذي يُكرِّه الناس في الكفر والفسوق والعصيان.
- هذه هي الفئة الأولى التي قال فيها ابن عبّاس (رضي الله عنهما): " الإيمان بالقدر نظام التّوحيد فمن آمن بالله وكذّب بقدره نقض توحيده " [3].

---

[1] راجع " مجموع الفتاوى" لابن تيمية.

[2] لم أقف عليه.

[3] أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في " السنة" وفي سنده مجهول. واللالكائي في " السنة" بسند فيه انقطاع. والآجري في " الشريعة" ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط بسند فيه رجل مبهم. وأتي مثل ذلك عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وضعفه الألباني في " ضعيف الجامع".

الشريط السادس عشر
تابع مراتب الناس في العبادة

محتويات الشريط السادس عشر

2- تابع مراتب الناس في العبادة 2
2.3 تابع أهل العبادة بلا استعانة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية) 2
2.4 أهل الاستعانة بلا عبادة..... 6
2.4.1 أضرب "أقسام" الناس في العبادات (التوقيت: 30 دقيقة و23 ثانية)..... 6

2- تابع مراتب الناس فى العبادة

2.3 تابع أهل العبادة بلا استعانة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية)

النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له بل كالعدم الذي لا وجود له وأن القدر كالروح المحرّك لها والمعوّل على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فقل نصيبهم من الاستعانة وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله .

- قال المصنف (رحمه الله): " **النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد ولكن حظّهم ناقص من التّوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون المقدور كالموت الذي لا تأثير له بل كالعدم الذي لا وجود له وأن القدر كالرّوح المحرّك لها والمعوّل على المحرّك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السّبب إلى المُسبّب ومن الآلة إلى الفاعل فقلّ نصيبهم من الاستعانة**".
- هذا هو القسم الثالث من أقسام الناس في العبادة ممن لهم نوع من العبادة وليس له استعانة أو عبادة بلا استعانة.
- وذكر المصنف (رحمه الله) في القسم نوعين: النوع الأول الذي تكلمنا عنه وهم القدرية النفاة الذين قالوا بأن العبد خالق لأفعاله وأن للعبد إرادة ومشيئة منفصلة وأن الله (عز وجل) لم يخلق أفعال العباد ولم يشاء هذه الأفعال بل أن العباد خلقوها وأرادوها وشاءوها بأنفسهم.
- وهذا هو منهج القدرية النفاة كما بيّنا في مسألة الإيمان بالقدر فهم على هذا التأصيل لا يحتاجون لمسألة الاستعانة لأنه يرى أن العبد مستقل بنفسه ومستقل بأفعاله ويخلقها بنفسه.
- فهو على هذا التأصيل لا يحتاج الله (عز وجل) في شيء فالله (عز وجل) هداهم بهداية البيان والإرشاد وهذا هو النوع الوحيد من الهداية الذي يُثبتونه ولا يُثبتون هداية التوفيق والسداد لأنهم يرون أن العبد هو يُوفِّق نفسه ويُسدِّد نفسه ويخلق أفعاله وإن كان العبد عندهم له عبادة فهم يُعظِّمون الأمر والنهي بخلاف الجبرية كما سيأتي معنا.
- والنوع الثاني على النقيض في مسألة القضاء والقدر لكنهما اتفقا في مسألة الاستعانة فهم الذين تكلم عنهم المصنف (رحمه الله) في النوع الثاني.
- وهؤلاء هم الجبرية الذين يقولون بأن كل الأفعال التي يفعلها العباد هم ليسوا حقيقة يفعلونها بل الله (عز وجل) هو فاعل كل هذه الأفعال.فالله (عز وجل) خالق العباد وخالق الأفعال وما ترونه من أفعل هذه تنسب إلى الله (عز وجل).
- فهم يقولون إن العبد كالريشة في الهواء وكالشجرة في مهب الريح ليس له أفعال وليس له أعمال يفعلها بنفسه بل نسبوا كل الأفعال لكل العباد إلى الله (عز وجل) فجعلوا العبد ليس له اختيار وليس له إرادة ولا مشيئة لهذه الأفعال التي يفعلها بل أن الله (عز وجل) هو الذي يخلق العبد ويخلق أفعاله وأن الله (عز وجل) هو الذي يفعل وهو الذي يريد وهو الذي يشاء هذه الأفعال وأن العبد

مسلوب الإرادة والاختيار والمشيئة.

- ولذلك وقعوا في نفس الإشكالية بأنه ليس هناك داعي للاستعانة فلماذا سيستعين العبد والله (ﷻ) هو الذي يفعل الأعمال كلها حقيقة وهو الذي خلقها؟
- فالجبرية ينفون مسألة الاستعانة ومسألة التوكل فهم لا يتوكلون على الله (ﷻ) ولا يلجأون إليه ولا يستعينون به. وهذا خلاف أهل السنة والجماعة الذين يتوكلون على الله (ﷻ) الذي هو بمعنى الاعتماد عليه ولكن لا يركنون إلى هذا الاعتماد فمع ذلك هم أيضاً يأخذون بالأسباب الشرعية. فهم يطبقون قوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: 2-3] و قوله (ﷻ): ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 23] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[الطلاق: 4] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[الطلاق: 5]
- ولذلك قال (ﷺ): " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً" [1] أي تغدو صباحاً ليس في بطنها شيء فتأخذ بالأسباب وتسعى حتى تجد الحب والطعام وترجع آخر اليوم وقد أمتلئت البطون من رزق الله (ﷻ). فالطير لم تنتظر في العُش حتى يأتيها الرزق بل هي خرجت صباحاً لتدور وتلف على رزقها وتبحث عما يُطعمها.
- فالطير أخذت بالأسباب الشرعية ثم رُزِقت من عند الله (ﷻ). وكذلك المؤمن الذي توكل على الله (ﷻ) واعتمد عليه ومع ذلك هو أخذ بالأسباب الشرعية التي تُيسَّر له حصول المنفعة أو الرزق أو ما يريده من الله (ﷻ).
- فهناك ربط بين التوكل وبين الأسباب وربط بين السبب والمُسبَّب. وما وقعت فيه هذه الطائفة هو نفي هذا الربط. وكذلك ما وقع فيه الأشاعرة وهذه نقطة مهمة فالخلاف مع الأشاعرة ليس فقط في مسألة إثبات الصفات فليس المشكلة أن الصفات سبع وبقية الصفات يُأولونها ولكن الخلاف مع الأشاعرة أكبر من ذلك فهناك خلاف مع الأشاعرة في مسألة الإيمان فهم مرجئة في الإيمان وهناك خلاف معهم في القدر فهم جبرية في القدر فهم يخالفون عقيدة أهل السنة والجماعة في كثير من الأصول.
- فالأشاعرة لا يقولون بأن هناك ربط بين السبب وبين المُسبِّب بل إنهم يشتدون في ذلك فيقولون بأنه من يقولون إن السبب له تأثير فهو عندهم كافر ومن قال إن السبب لا يُؤثِّر بذاته بل السبب علامة على التأثير والسبب له قوة التأثير فقد جعلوه مبتدع ضال.
- فهم يقولون مثلاً بأن شرب الماء لا يروي وأن النار لا تحرق وأن الخبز لا يُشبع ولكن يقولون بأنه تلازم مع شرب الماء حصول الري وتلازم مع وجود النار الإحراق وتلازم مع أكل الخبز الشبع ولكن ليس هناك تأثير وربط بين الخبز وبين الشبع وبين الماء والإرواء وبين النار والإحراق كأنهما صديقان يسيران متلازمان في طريق واحد فيصلان إلى نفس النقطة ولا يوجد ربط بينهما.
- ويُدلِّلون على ذلك فالعز بن عبد السلام (رحمه الله) قال: "والعجب أنهم يذمون الأشعري بقوله إن الخبز لا يُشبع والماء لا يروي والنار لا تُحرق وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه فإن الشبع والري والإحراق حوادث انفرد الرب بخلقها فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الإحراق وإن كانت أسبابا في ذلك فالخالق هو المسبب دون السبب كما قال تعالى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[الأنفال: 17] نفى أن يكون رسوله خالقاً للرمى وإن كان سببا فيه وقد قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[النجم: 43-44] فاقتطع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء عن أسبابها وأضافها إليه فكذلك اقتطع الأشعري (رحمه الله) الشبع والري والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأنعام: 102 & الرعد: 16 & الزمر: 62 & غافر: 62] وقوله ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر: 3] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[يونس: 39] ﴿ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النمل: 84] " [2].
- فهذا الكلام هم يدينون به بأنه ليس هناك علاقة بين السبب والمُسبَّب حتى إنهم يقولون إذا أتيت بحجر فرميته على زجاج فانكسر الزجاج فإن الزجاج لم ينكسر بسبب الحجر بل وافق وجود الحجر إنكسار الزجاج فالله (ﷻ) عندهم هو الذي كسر الزجاج وليس للحجر قوة تؤثر في الكسر لا قوة لذاته ولا جعل الله (ﷻ) تأثير للحجر.
- وهذا هو منطق الجبر في مسألة القدر فهم لا يجعلون ربط بين السبب والمُسبَّب وهذا كلام باطل لأن الله (ﷻ) الذي خلق النار خلق لها قوة الإحراق وهو الذي خلق للماء تأثير الري وهو الذي خلق للخبز تأثير الشبع.

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي والبغوي والحاكم وابن حبان وابن أبي الدنيا وابن ماجة عن عمر (رضي الله عنه). قال ابن حجر (رحمه الله) فى " فتح الباري ": " صححه الترمذى والحاكم". وصححه الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله) في تصحيح المسند. (خماصاً) خالية البطن أي جوعى (بطاناً) ممتلئة البطون من الشبع.

[2] راجع كتاب " طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (رحمه الله).

- والله (ﷻ) له أن يُخلِّف تأثير هذه القوة وقتما شاء فكما حدث مع إبراهيم (عليه السلام) عندما قال للنار ﴿ يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[الأنبياء: 69].
- وكذلك عندما شَرِبَ خالد بن الوليد (رضي الله عنه) السم ولم يمت [1] يقينياً من الله (ﷻ) فتخلف السم عن القتل بقدرة الله (ﷻ).
- فالعقل يرد ما يقوله هؤلاء الجبرية الأشاعرة بل أن الله (ﷻ) خلق القوة والتأثير للسبب ولكنه لا يكون استقلالاً فإن أراد أن يجعل للسبب قوة جعله يعمل وإن لم يُرد تخلَّفت.
- وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة بأن تعلق الحكم للسبب لا من جهة أنه مؤثر تأثيراً استقلالياً ولكن لابد للسبب من تأثير في الحكم وهذا التأثير هو الذي خلقه الله (ﷻ) في السبب.
- والمعتزلة على النقيض فهم يقولون إن السبب له قوة مستقلة ليس لله (ﷻ) فيها تأثير فالأشاعرة مع الجبرية والمعتزلة مع القدرية النفاة.
- ومذهب أهل السنة والجماعة يظهر جلياً في قوله (ﷺ): " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك **واستعن بالله ولا تعجز** وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان" [2]. فأرشدنا (ﷺ) أن نستعين بالله (ﷻ) ولكن في نفس الوقت لا تجعل هذه الاستعانة تمنعك عن الأخذ بالأسباب.
- والرد على الأشاعرة في استدلالهم بقوله (ﷻ): ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[الأنفال: 17] أن الآية فيها إثبات الرمي للنبي (ﷺ) والنفي في الآية يعود على التوفيق في هذا الرمي. ففعل الرمي قد فعله (ﷺ) ولكن التوفيق في الإصابة والسداد هو من عند الله (ﷻ). فنحن هنا نُثبت أن السبب له تأثير وهو الرمي ولكن بإذن الله (ﷻ). وكذلك نفس الكلام في قوله استدلالهم بقوله (ﷻ): ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾[النجم: 43].
- قال المصنف (رحمه الله): " **وهؤلاء لهم نصيب من التصرّف بحسب استعانتهم وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قِلّة استعانتهم وتوكلهم** ".
- ويقصد المصنف (رحمه الله) أنه حسب نصيبه من الاستعانة والتوكل يكون نصيبه من الإيمان. فالمسألة عندهم فيها درجات فبعضهم يكون عنده استعانة وبقدرها يكون إيمانه.
- قال المصنف (رحمه الله): " **ولو توكّل العبد على الله حقّ توكّله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله**".
- وهنا بدأ المصنف يتكلم عن عبادة التوكل وقلنا كثيراً بأن التوكل من أَجَلِّ العبادات القلبية وجاءت أدلة كثيرة أن التوكل لا يكون إلا لله (ﷻ) على الراجح من اقوال أهل العلم فالمسألة خلافية فبعضهم قاس التوكل على المشيئة فأجاز أن تقول توكلت على الله (ﷻ) ثم عليك والصحيح أنك لو أردت أن تجمع تقول توكلت على الله (ﷻ) ثم وكلتك حتى تخرج من الخلاف.
- والتوكل عبادة قلبية فالصحيح أنها لا تكون إلا لله (ﷻ) وذلك لقوله (ﷻ): ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة: 23] وهذا أسلوب حصر وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: 3].
- والجملة التي قالها المصنف (رحمه الله) ناقصة فهي منقولة عن ابن القيم (رحمه الله) من مدارج السالكين حيث قال: " ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه **وكان مأموراً بإزالته** لأزاله" وهذا الجزء الناقص بدونه يفسد المعنى فليس من التوكل محاولة إزالة شيء لا يمكن إزالته.

فإن قيل : ما حقيقة الاستعانة عملًا ؟

قلنا : هي التي يعبر عنها بالتوكل وهي حالة في القلب تنشأ عن معرفة الله

---

[1] وهذا لما رواه أبو يعلى والطبراني والرواية لأبي يعلى: " نزل خالد بن الوليد الحيرة على أمر بني المرازبة فقالوا له: " احذر السم لا يسقيكه الأعاجم" فقال: " ائتوني به" فأتي به فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال: " بسم الله" فلم يضره شيئاً". قال الهيثمي (رحمه الله) في مجمع الزوائد: "رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح وهو مرسل ورجالهما ثقات إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد والله أعلم". قال حسين سليم أسد (رحمه الله): " رجاله ثقات غير أنه منقطع".

[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).(المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به فيصير نسبة العبد إليه تعالى نسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق ٢و٣] أي : كافيه .

- قال المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ): " **فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً؟ قلنا: هي التي يُعبَّر عنها بالتّوكل وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتّدبير والضّر والنّفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجّب اعتمادًا عليه وتفويضاً إليه وثقةً به فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطّفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما. فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التّقوى كانت له العاقبة الحميدة ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾**[الطلاق: 2-3] **أي: ككافية**".
- هنا بدأ المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) يتكلم عن حقيقة الاستعانة عملاً. وعندما سُئِلَ الأمام أحمد (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن التوكل قال: " التوكل عمل القلب" [1]. ولهذا قال العلماء أن التوكل لا ينقسم إلى أقسام ولهذا قالوا أن التوكل لا يصير إلى غير الله (عَزَّوَجَلَّ) وأن المرء لابد أن يُفرد التوكل لله (عَزَّوَجَلَّ) وذلك للأدلة السالف ذكرها فالمشيئة تختلف عن التوكل الذي هو عمل قلبي خالص لله (عَزَّوَجَلَّ).
- والأولى في مسائل العقيدة خصيصاً الخروج من الخلاف وخاصة أن كثير من أكابر أهل العلم قالوا بوجوب إفراد الله (عَزَّوَجَلَّ) بالتوكل وألا يُعامل التوكل مثل معاملة المشيئة.
- فالتوكل هو حقيقة الاستعانة عملاً وقد مثَّل لها بمثال بديع ولله (عَزَّوَجَلَّ) المثل الأعلى وهو أن حال المرء مع الله (عَزَّوَجَلَّ) كحال الطفل مع أبويه. فالطفل ليس له حول ولا قوة فعندما يُصيبه شيء يهرع إلى أبويه حتى يدفعا عنه الضر أو ينفعاه بشيء وهكذا لابد أن يكون حال المرء مع الله (عَزَّوَجَلَّ).
- والتقوى جزاءها أعلى من التوكل كما في قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾[الطلاق: 2-3]. فالتوكل يجعل الله (عَزَّوَجَلَّ) يكفيك وأما التقوى التي هي أعلى من التوكل يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.
- فالتقوى هي أن تصل لمرحلة أنك تفعل الأوامر التي أمرك الله (عَزَّوَجَلَّ) بها وتجتنب المعاصي والنهي الذي نهاك عنه الله (عَزَّوَجَلَّ). والتقوى لابد فيها من فعل وعمل.
- وليست التقوى كما هي عند أهل الإرجاء في القلب وهذا موجود عند كثير من عوام المسلمين فهو يكون على المعاصي ولا يفعل الطاعات ولكن عندما تسأله يضرب لك على صدره ويقول أنا قلبي أبيض ونظيف وعلاقتي بربي كأحسن ما تكون.
- ولا شك عن هذا إرجاء وإن كان لا يعلم أنه إرجاء وكثير من العوام لا يعلمون أنه إرجاء إلا أنه إرجاء. فالمرجئة هم من يقولون إن الإيمان يكون في القلب فقط بالتصديق ويُخرجون الأعمال من الإيمان وهذا الكلام لابد أن يُحذَّر منه العوام.
- فكما يدعي هو أن الباطن قريب من ربه وفيه إيمان ويضرب على قلبه فلابد كذلك للظاهر أن يُوافق الباطن وأن يكون له أعمال وطاعات يفعلها ولابد أن يكون له أيضاً تُروكات بأن يترك وينتهي عن فعل المعاصي ويمتثل للنهي الذي جاء في الكتاب وفي السنة. فهذا هو معنى التقوى وهو اجتناب المحذور وفعل المأمور.

[1] وهذا أصلاً قول الجنيد بن محمد (رَحِمَهُ اللَّهُ) كما في كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" للأصبهاني (رَحِمَهُ اللَّهُ).

2.4 أهل الاستعانة بلا عبادة

2.4.1 أضرب "أقسام" الناس فى العبادات (التوقيت: 30 دقيقة و23 ثانية)

القسم الرابع : من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يَدرِ ما يحبه ويرضاه فتوكَّل عليه في حظوظه فأسعفه بها وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته .

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين :

أحدهما : متابعة الرسول ﷺ . **والثاني** : إخلاص العبودية .

والناس في هذين الأصلين أربعة أقسام :

أحدها : أهل الإخلاص والمتابعة فأعمالهم كلها لله وأقوالهم مَنعُهم وعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاءً ولا شكوراً عدُّوا الناس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عاملٍ عملاً صواباً عارياً منه وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت قال تعالىٰ : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الملك: من الآية٢] وقال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الكهف:٧] وأحسن العمل أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على وفق سنة رسول الله ﷺ وهذا هو العمل الصالح المذكور في قوله تعالى﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً

صَالِحاً﴾[الكهف: من الآية١٠] وهو العمل الحسن في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[النساء: من الآية١٢٥] وهو الذي أمر [١] النبي ﷺ في قوله : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» [٢]،وكل عمل بلا متابعة فإنه لا زيد عامله [٣] إلا بعداً من الله تعالى فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأهواء والآراء .

- قال المصنف (رحمه الله): " القسم الرابع: من له استعانةٌ بلا عبادة وتلك حالة من شهد بتفرّد ولم يدر بما يحبّه ويرضاه فتوكّل عليه في حظوظه فأسعفه بها. وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياسات أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك فذلك حظّه من دنياه وآخرته".
- هذا هو ختام الكلام عن مسألة الأقسام الأربع من مراتب الناس في العبادة ونتكلم عن القسم الرابع وهو من كان له استعانة بلا عبادة.
- وأصحاب هذا القسم هم من يتوكلون على الله (عز وجل) ويعتمدون عليه ويستعينون به ولكنهم لا يأخذوا بالأسباب والأسباب هنا هي العبادة.
- وهذا تجده في كثير من الناس الذين يتوكلون على الله (عز وجل) وتسأله يقول لك أنا رزقي على الله (عز وجل) والله (عز وجل) هو الذي يرزقني وعنده يقين في هذه المسألة ولكن ليس له عبادة.
- وتجد أن الله (عز وجل) يُعطيه الرزق فيُوفِّي له في الدنيا على قدر هذه الاستعانة بحظوظ من الدنيا. فيُعطيه الله (عز وجل) المال والولد وغير ذلك من حظوظ الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من شيء وليس له فيها نصيب لأنه ليس في ميزانه أعمال فليس له عبادات ذاتية أو متعدية.
- فهذا يُخشى عليه فهو على خطر فهو قد يظن أن الله (عز وجل) عندما يعطيه في الدنيا من أموال وأولاد وغير ذلك من حظوظ أنه على خير فهذا لا تجد له عبادة فهو إما مُفرِّط في العبادة أو فيما دون ذلك.
- وهذا ينزل بفعله من عدم العبادة مع الاستعانة تحت قوله (تعالى): ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾[الإسراء: 18-19]. فهؤلاء عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وليس لهم في الآخرة نصيب.
- لا شك أنه محمود في الاستعانة بالله (عز وجل) ولكنه مذموم في تركه للعبادة وفي الاستجابة للأوامر والنواهي لأن هذا هو المحك الذي يجعل له رصيد في الآخرة وفي عرسات يوم القيامة.
- قال المصنف (رحمه الله): " واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلاّ بأصلين: أحدهما: متابعة الرّسول (عليه الصلاة والسلام) والثاني: إخلاص العبودية".
- انتقل بعد ذلك المصنف لأمر مهم جداً بعد أن انتهى من مراتب الناس في العبادة وهو أن الأخلاص والمتابعة شرطان لقبول العمل.
- وقوله إعلم بمعنى تيقَّن أي كن متأكداً بأن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله (عز وجل) إلا بهذين الأصلين. ولابد أن يكون هذان الأصلان مجتمعان فإن تخلَّف أحدهما فلا يكون العبد مُحقِّقاً لعبادة الله (عز وجل) كما أرادها الله (عز وجل) وكما أرادها النبي (عليه الصلاة والسلام).
- ثم ذكر الأصلين وقدَّم المتابعة على الإخلاص مع أن الأصل أن الإخلاص في العبودية هو الذي يُقدَّم ولكنه سار على ما سار عليه ابن القيم (رحمه الله) في كتاب مدارج السالكين وقد نقل المصنف (رحمه الله) الكثير من هذا الكتاب.
- فابن القيم (رحمه الله) في كتاب مدارج السالكين تحديداً قدَّم المتابعة على الإخلاص ولكن الأصل عند كثير من أهل العلم وعند ابن القيم (رحمه الله) نفسه في كتب أخرى تقديم الإخلاص على المتابعة وذلك لأنه إذا تخلَّف الإخلاص صارت العبادة شرك أو رياءاً كما في حال المنافقين لأنهم يراءون في أعمالهم وإذا تخلفت المتابعة فلم يكن على هدي النبي (عليه الصلاة والسلام) وسنته صارت العبادة بدعة والشرك أشد خطورة وأعلى من البدعة فالشرك يُحبط العمل وأما البدعة كما سيأتي في التفصيل فإما أن يكون

في العمل كله فتبطله وإما إذا كانت في جزء من العمل وهذا الجزء منفصل عن الكل وكان مستقلاً فيُبطل هذا الجزء ويصح الباقي ولو كانت العبادة متصلة تبطل العبادة كلها والمسألة ليس لها كثير أهمية لأن الأصلين مهمان.

- فالإخلاص والمتابعة هما تحقيق الشهادتين وهما أنه لا إله إلا الله وأن محمداً (ﷺ) رسول الله فالجزء الأول من الشهادة هو إفراد الله (ﷻ) بالعبودية وبالأعمال فلا تكون إلا خالصة لله (ﷻ) والجزء الثاني هو متابعة العمل على سنة النبي (ﷺ).
- وهاتان الشهادتان هما مفتاح الجنة كما قال وهب بن منبه (رحمه الله) لمن سأله: " أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟" قال: " بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يُفتح لك" [1]. وهذه الأسنان هنا هي الشرائع فمن حقق الشرائع فقد أتى بالأسنان.
- فالشهادتان هما المفتاح والمفتاح له أسنان والأسنان هي الشرائع فمن أتى بهذه الشرائع فقد استطاع أن يفتح الباب بهذا المفتاح ويدخل الجنة.
- وهذا الفصل مهم جداً في مسألة تحقيق الإخلاص وتحقيق المتابعة حتى يضمن المرء أن يكون عمله صالحاً صحيحاً يُقبل عند الله (ﷻ).
- ولهذا فسَّر الفضيل بن عياض (رحمه الله) قوله (ﷻ): ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[هود: 7 & الملك: 2] بأنه أخلصه وأصوبه [2] ولم يقل الله (ﷻ) " ليبلوكم أيكم أكثر عملاً" فالعبرة ليست بالكثرة ولكن بالحسن وتحقيق الإخلاص وتحقيق المتابعة في العمل فهذا هو المهم [3].
- وقال عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): " لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لم يكن غائب أحب إلى من الموت ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[المائدة: 27] [4].
- وكما قال بعضهم: " ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره" [5] وما وقر في القلب لابد أن يُصدِّقه العمل فالمسألة ليست على الكثرة.
- نعم الكثرة مطلوبة وممدوحة لكنها لا تُقارن بالحسن فإن قارنت الحسن بالكثرة فيكون الحسن هو الذي يُطلب ثم يأتي بعد ذلك الاستزادة من هذا العمل.
- ولكن ما الفائدة من كثرة العمل إن لم يكن خالصاً لله (ﷻ) أو ليس على هدي النبي (ﷺ) فكل هذا سيكون هباءاً منثوراً كما قال (ﷻ): ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾[الفرقان: 23].
- قال المصنف (رحمه الله): " والنّاس في هذين الأصلين على أربعة أقسام: أهل الإخلاص والمتابعة: فأعمالهم كلها لله وأقوالهم ومنعهم وإعطاؤهم وحبّهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لا يريدون من العباد جزاءً ولا شكوراً".
- ثم بيَّن المصنف (رحمه الله) على أن الناس أيضاً على هذين الأصلين على أربعة أقسام ثم ذكر القسم الأول وهم أهل الأخلاص والمتابعة.
- وهذا القسم الذين حققوا الأخلاص والمتابعة معاً وهؤلاء هم الرسل والانبياء (عليهم السلام) وأتباع الأنبياء والرسل من أصحابهم والذين ساروا على نهجهم من بعد ذلك وهؤلاء هم أهل الجنة.
- وللأسف كثير ممن يقومون الليل مثلاً يقومون الليل لأنهم أعتادوا على قيام الليل فتجد عندهم أوقات يستشعرون القيام وأوقات أخرى لا يستشعرون القيام وكذلك من اعتاد على الصيام كصيام يومي الاثنين والخميس والثلاثة أيام البيض فهو صوَّام فتجده أحياناً يستشعر نعمة الصوم وأنها عبادة. فالمستحضر للنية في كل عمل هو الذي يصل للإخلاص في اعلى درجاته وفي المتابعة يسير في هذا العمل على السنة فهي المنهج الصحيح.
- والأصل أن تستحضر هذين الأصلين في كل مرة تعمل فيها أي عمل مثل الصلاة فنحن نصلي في اليوم خمس مرات ولا نستشعرها.
- ولهذا كانت أفضلية القسم أو الصنف الأول أن أعمالهم كلها لله (ﷻ) وكلها على الطريقة الصحيحة حتى لو اجتهد وأخطأ فليس عليه إثم إذا كان من أهل الاجتهاد.

---

[1] راجع كتاب " كلمة الإخلاص وتحقيق معناها" لابن رجب الحنبلي (رحمه الله).
[2] راجع كتاب " المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال" للذهبي (رحمه الله) بتصرف.
[3] قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره في تفسير هذه الآية: "وقوله ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي: خير عملا كما قال محمد بن عجلان: ولم يقل أكثر عملا".
[4] راجع كتاب " الروح" لابن القيم (رحمه الله).
[5] ذكره الغزالي (رحمه الله) في " إحياء علوم الدين" بلفظ: "ما فُضِّلَ أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بسر وقر في صدره".قال العراقي (رحمه الله) في تخريج أحاديث الإحياء: " لا أصل لهذا مرفوعاً وإنما يُعرف من قول بكر بن عبد الله المزني رواه الحكيم الترمذى في نوادره". قال الملا القاري (رحمه الله) في "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة": "وحديث ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة وإنما سبقكم بشيء وقر في صدره وهذا من كلام أبي بكر بن عياش"

- فلا يعمل العمل لشهرة أو سمعة أو يعمله لآحاد الناس فكل عمله لله (ﷻ) فالإعطاء لله (ﷻ) والمنع لله (ﷻ) ويأمر بالمعروف لله (ﷻ).
- ولذلك كان أولهم وروادهم وقادتهم الأنبياء والرسل (عليهم السلام) لأنهم هم الذين دعوا لذلك فكان من باب أولى أن يكونوا قد حققوا ذلك.
- ثم أتباع الرسل فكل رسول له أتباع فالنسبة للمسلمين هم الصحابة (رضي الله عنهم) ثم من سار على نهج الصحابة من السلف الصالح فكلما حقق هذين الأصلين كانوا أقرب للأنبياء والرسل (عليهم السلام) وهؤلاء الذين قال فيهم (ﷻ): ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾[الإنسان: 9].فهؤلاء لا يريدون من البشر شيئاً فهو يعمله لله (ﷻ) وإن كان لمصلحة البشر.
- فمن أحب أن يُمدح لا يُمدح ولا تجد أحد يعتبر له ولا تجد له شيء ومن أخلص لله (ﷻ) مُدِحَ وتجد الثناء والشكر من الناس وهو لا يدري من أين فقد جعل الله (ﷻ) له القبول.
- فمثلاً قال حصين بن عبد الرحمن: " كنت عند سعيد بن جبير فقال: " أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟" قلت: " أنا" ثم قلت: " **أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت**" قال: " فماذا صنعت؟" قلت: " استرقيت" قال: " فما حملك على ذلك؟" قلت: " حديث حدثناه الشعبي" فقال: " وما حدثكم الشعبي؟" قلت: " حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمي أنه قال: " لا رقية إلا من عين أو حُمَة" فقال: " قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: " عُرِضَت عليَّ الأمم فرأيت النبي (ﷺ) ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: " هذا موسى (ﷺ) وقومه ولكن انظر إلى الأفق" فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: " انظر إلى الأفق الآخر" فإذا سواد عظيم فقيل لي: " هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب" ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: " فلعلهم الذين صحبوا رسول الله (ﷺ)" وقال بعضهم: " فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله" وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله (ﷺ) فقال: " ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه فقال: " هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" فقام عكاشة بن محصن فقال: " ادع الله أن يجعلني منهم" فقال: " أنت منهم" ثم قام رجل آخرفقال: " ادع الله أن يجعلني منهم" فقال: " سبقك بها عكاشة" [1].
- فخاف حصين بن عبد الرحمن (رحمه الله) أن يُظنَّ به بأنه يُعلم عنه عبادة أو يكون هناك نوع من الرياء فهو قد رأى الكوكب البارحة فقد سهر الليل فأراد أن يُبيِّن أنه لُدِغَ وأنه لم يكن في صلاة حتى لا يكون هناك رياء فأراد أن يُحقِّق الأخلاص إلى أقصى مدى.
- وكما ورد عن عمر بن عبد العزيز: " يا ليتني قُرِّضت بالمقاريض والناس يهتدوا " [2] وكذلك قول الشافعي (رحمه الله) " ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ وما في قلبي من علم إلا وودت أن يتعلَّمه كل أحد ولا يُنسَّب إليّ" [3] وعندما تتأمل هذا الكلام تعرف ما الذي جعله الشافعي فهذا الكلام لا يصدر إلا من رجل جعل الله (ﷻ) له العلم فهمه أن الناس يتعلموا علمه ليكون في ميزانه عند الله (ﷻ) وهذه الدرجة هي أعلى درجة في مسألة الإخلاص وهذه قلما تجدها حتى بين العلماء وطلبة العلم فهو يريد أن يُظهر أمام الناس أن وُفِّق في مسألة أو غير ذلك فهؤلاء بشر مثلنا ليسوا معصومين ولكن ليسوا مثلنا على الإطلاق.
- ومثل ذلك أيضاً عبد الله بن المبارك (رحمه الله) صاحب السيرة العطرة جداً فهو عالم فقد كانت له فتاوى ومذهب ومُجاهد فكان يُجاهد عام ويحج عام ومُنفق فقد كان يُتاجر وينفق مثل إنفاقه على الفضيل بن عياض (رحمه الله) في المدينة فقد كان يُنفق على أربعة من كبار أهل العلم [4] فقد كان يُتاجر ليُنفق على العلماء وطلبة العلم فقط. وفي يوم تفقَّد أحد طلابه فلم يجده فعَلِمَ أن عليه ديون وأصحاب الدين يُطالبونه ولهذا لم يخرج من منزله فذهب إلى غريمه (صاحب الدين) فدفع له الدين (10 آلاف)

---

[1] أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما). (انقض) انقض معناه سقط وأما البارحة فهي أقرب ليلة مضت قال ثعلب: " يُقال قبل الزوال رأيت الليلة وبعد الزوال رأيت البارحة" وهي مشتقة من برح أي زال (لدغت) قال أهل اللغة يقال لدغته العقرب وذوات السموم إذا أصابته بسمها وذلك بأن تأبره بشوكتها (عين) العين هي إصابة العائن غيره بعينه والعين حق (حُمَة) هي سم العقرب وشبهها وقيل فوعة السم وهي حدته وحرارته والمراد أو ذي حمة كالعقرب وشبهها أي لا رقية إلا من لدغ ذي حمة (الرهيط) تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشرة (فخاض) أي تكلموا وتناظروا.

[2] لم أقف عليه ولكن ما وقفت عليه قوله (صلى الله عليه وسلم) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في معجم الطبراني بسند صحيح كما في صحيح الجامع ونحوه في الترمذي عن أنس وجابر (رضي الله عنهما): " يُؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يُؤتى بأهل البلاء ولا يُنصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم ديوان فيُصَبُّ عليهم الأجر صباً حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم".

[3] راجع كتاب " مناقب الشافعي" للبيهقي (رحمه الله).

[4] هم ستة وليسوا أربعة وهم: حماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض وإسماعيل بن عُليَّة (رحمهم الله).

وقال لا تُخبره من دفع له فعاد تلميذه إلى الدرس وعندما سأله عما كان يمنعه من الدرس فقال إنه كان عليه دين فسدده من لا يعرفه" [1].

- وفي مرة ثانية كان في جهاد وكانت هناك جائزة لمن يقتل قائد الكفَّار فتلثَّم عبد الله بن المبارك (رحمه الله) ووضع خطة حتى قتله فرآه أحد المجاهدين فعَلِمَه فقال له عبد الله بن المبارك (رحمه الله): " أُنشدك الله أن تكتم عني" فكتم عنه حتى مات عبد الله بن المبارك (رحمه الله) وما أذاعه إلا بعد ذلك" [2]. وهذه كلها صور من صور الإخلاص عند السلف الصالح.
- قال المصنف (رحمه الله): " عدّوا النّاس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلاّ لجهله بالله وجهله بالخلق".
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) عبارة دقيقة جداً تُحسب له وقد أبدع فيها تتكلم عن حال أهل الإخلاص والمتابعة مع الناس وهي: " عدّوا النّاس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ". وهذا حال أهل الإخلاص فهم قد اعتبروا الناس من المقبورين فهم لا يملكون لهم لا نفع ولا ضراً ولا يريدون منهم مدحاً ولا يريدون منهم شكوراً فتعاملوا مع الناس كأنهم أصحاب القبور فالمقبور لا يُعطي أحداً شيئاً فهو لن يُعطيه ولن يسمع منه ولن يردَّ عليه.
- وهذا من شدة إخلاص ومتابعة هذا الصِنف فهم لا ينتظرون شكر ولا مدح ولا ثناء ولا مُقابلة بل هم يفعلون هذه الأفعال سواء كانت متعدية أي ينفعون غيرهم في نفقات أو مساعدات أو أعمال أو تعليم او جهاد أوغير ذلك.
- ثم بيَّن المصنف (رحمه الله) عكس هذا الصنف الذين يُعاملون أحداً من الخلق بسبب جهلهم بالله وجهلهم بالخلق. جاهل بالخلق لأنه ظنَّ أن الخلق قادرين على أن يُعطوه أو ينفعوه أو يمنعوا عنه. فمن فعل العبادة أو الأعمال وكان ينتظر من الخلق شيء فهذا جهل منه بالخلق. وجهله بالله (عز وجل) انه لو يعلم أن الأمر كله عند الله (عز وجل) ما انتظر من غير الله (عز وجل) شيئاً فلم ينتظر الشكر والمدح إلا من الله (عز وجل).
- فمن لم يكن من اهل الإخلاص والمتابعة ويتعامل مع الناس بغير ذلك فهو جاهل بالناس لم يُقدِّر الناس قدرهم بل أعطاهم اعلى من قدرهم وهو جاهل في التعامل مع الله (عز وجل) فإنه لم يُفرد لله (عز وجل) هذا الحق ولم يعلم أن الأمر كله عند الله (عز وجل) كما قال (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس (رضي الله عنهما): " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" [3].
- قال المصنف (رحمه الله): " والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صواباً عارياً منه وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت قال الله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: 7 & الملك: 3] وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الكهف: 7] وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه. فالخالص: أن يكون لله والصواب: أن يكون على وفق سنّة رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[النساء: 125] وهو العمل الصالح في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الكهف: 110] وهو الذي أمر به النّبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد" وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلاّ بعداً من الله تعالى فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره لا بالأهواء والآراء".
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) بعض الآيات كقوله (عز وجل): ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: 7 & الملك: 3] و﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الكهف: 7]. وهذا يقصد به أنه لابد أن نتدبر آيات القرآن فنُدرك ما هو الأخلص وما هو الأنفع وما هو الأحسن فالقرآن ما نزل إلا للتدبر فلا نهجر القرآن فهجران القرآن على أنواع كثيرة وقد ذكرها ابن القيم في كتاب " الفوائد" [4] فالنوع الأول هو هجران التلاوة والثاني هجر العمل بالقرآن وهو أن تعمل بما تعلم

---

[1] لم أقف عليه.

[2] لم أقف عليه.

[3] أخرجه الترمذي وأحمد والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما). قال الترمذي: " حديث حسن صحيح". وقال الحاكم: " هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس". وصححه الألباني كما في"صحيح سنن الترمذي" و"مشكاة المصابيح".

[4] قال ابن القيم (رحمه الله) في كتاب " الفوائد": "هجر القرآن أنواع أحدها هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه والثاني هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به والثالث هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم والرابع هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه والخامس هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض وكذلك لحرج الذي في الصدور منه فإنه تارة يكون حرجا من إنزاله وكونه حقا من عند الله وتارة يكون من جهة لتكلم به أو كونه مخلوقا من بعض مخلوقاته ألهم غيره أن تكلم به وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد بل هم محتاجون معه إلى المعقولات والأقيسة أو الآراء أو السياسات وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عند الخطاب أو أريد به تأويلها وإخراجها عن حقائقها إلى تأويلات مستكرهة مشتركة وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرادة فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنها مرادة لضرب المصلحة فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدورهم ولا تجد مبتدعا في

ومن العمل التدبر والدعوة إلى القرآن والثالث هجران التحاكم إلى القرآن والرابع التشافي بالقرآن فهو شفاء للقلب وكذلك شفاء للأمراض كما جاء في الآيات كما جاء في السنة باستخدام الرقية ومنها المعوذتين للعلاج من الحسد والسحر وغير ذلك.

- وهذه هي الفرقة الناجية فالفرقة الناجية التي حققت الإخلاص والمتابعة في العمل فلا إخلاص بلا متابعة ولا متابعة بلا إخلاص. وهذا هو خلاصة المسألة فالمصنف (رحمه الله) دلَّل على مسألة الإخلاص في آيات كثيرة ومن ذلك قوله (تعالى): ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾[الكهف: 110] فالعمل الصالح لابد أن يكون فيه الإخلاص لله (عز وجل).
- وبالنسبة لمسألة المتابعة جاءت في قوله (ﷺ): " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" [1] فليس عليه أمرنا أي ليس على هديه وطريقته وسنته (ﷺ).
- ونُعرِّج سريعاً على مسألة السنة والبدعة لمناسبة الحديث فالبدعة نقيض السنة فكما نقيض الإخلاص الشرك فنقيض السنة البدعة. وهنا ننبه أن كل أمر أو عمل أنعقد سببه في زمن النبي (ﷺ) أو في عهد الصحابة (رضي الله عنهم) ولم يفعلوه مع إمكانية الفعل فعمله بدعة سواء كان هذا العمل من الوسائل أو الغايات.
- وهناك من يُشكل علينا في الوسائل فهل وسائل الدعوة توقيفية أم غير توقيفية؟ بعضهم قال وسائل الدعوة توقيفية وبعضهم قال وسائل الدعوة غير توقيفية والأصل التفصيل. فلو أنعقد سبب هذه الوسيلة في زمن النبي (ﷺ) ولم يفعلها النبي (ﷺ) ففعلها بعد ذلك بدعة مثل الاحتفال بالمولد النبوي فهذه وسيلة لمدح النبي (ﷺ) انعقد سببها في عهده النبي (ﷺ) وفي عهد الصحابة (رضي الله عنهم) ولم يكن هناك مانع لفعله ولم يفعلها النبي (ﷺ).
- وسيلة أخرى مثل نشر الأشرطة المُسجَّلة فهذه وسيلة لم تنعقد في زمن النبي (ﷺ) أو زمن الصحابة (رضي الله عنهم) فنقول أن هذه الوسيلة ليست من الوسائل التوقيفية ومثل ذلك مُكبرات الصوت في المساجد لرفع الأذان.
- وهناك مسألة أخرى وهي هل المُبتدع يُثاب على بدعته أم لا؟ فبعضهم قال إنه يُثاب على بدعته وبعضهم قال لا والصحيح أن المُبتدع لا يمكن أن يُثاب على بدعته ولكن قد يُثاب على اجتهاده إن اجتهد في المسألة بالأصول الشرعية بشرط أن يكون من أهل الاجتهاد الذين يسوغ لهم الاجتهاد.
- وهذا بخلاف الذي يُقلِّد المُبتدع فهذا لا يُثاب مطلقاً فلا أجر على التقليد ولا أجر على العمل الذي عمله.

دينه قط إلا وفي قلب حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما نك لا تجد ظالما فاجرا إلا وفي صدره حرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته فتدبر هذا لمعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء"

[1] أخرجه البخاري عن ابن أبي أوفى (رضي الله عنه) ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها). (أمرنا) شرعنا الذي نحن عليه (رد) مردود لا يقبل منه.

الشريط السابع عشر
تابع مراتب الناس في العبادة

محتويات الشريط السابع عشر

2- تابع مراتب الناس في العبادة 1
2.4 تابع أهل الاستعانة بلا عبادة.....1
2.4.1 تابع أضرب الناس في العبادات (التوقيت: 1 دقيقة و19 ثانية) 1
2.4.2 أفضل العبادات (التوقيت: 30 دقيقة و42 ثانية).....6

2- تابع مراتب الناس فى العبادة

2.4 تابع أهل الاستعانة بلا عبادة

2.4.1 تابع أضرب الناس فى العبادات (التوقيت: 1 دقيقة و19 ثانية)

الضرب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة لـه وهـؤلاء شرار الخلـق وهـم المتزيّنون بأعمال الخير يراءون بها الناس وهذا الضرب يكثـر فـيمن انحـرف عـن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فـإنهم يرتكبـون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلـوا وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالىٰ :﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَـدُوا بِـمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨].

الضرب الثالث : من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر كجهـال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل مَن عَبَدَ الله على غير مراده .

والشأن ليس في عبادة الله فقط بـل في عبـادة الله كـما أراد الله ومـنهم مـن يمكث في خلوته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربةً ويرى مواصلة صـوم النهـار والقيام بالليل قربة وأن صيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك .

الضرب الرابـع : مَن أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغـنم ويحـج ليقـال ويقرأ ليقـال ويُعَلِّـم[1] ليقـال فهـذه أعـمال صـالحة لكنهـا غـير مقبولـة قـال تعالىٰ:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾[البينة:من الآية٥] .

---

(١) في المطبوع :«ويعلم ويؤلف ليقال ...» .

فلم يأمر[٢] الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها والقيام[٣] بهما هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

(٢) في المطبوع: «يؤمر ...».

(٣) في المطبوع: «القائم ...».

- قال المصنف (رحمه الله): " **الضرب الثاني:** من لا إخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون بأعمال الخير يراءون بها النّاس. وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرّياء والسّمعة ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 188] **الضرب الثالث:** من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر كجهال العباد والمنتسبين إلى الزّهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده. والشأن ليس في عبادة الله فقط بل في عبادة الله كما أراد الله. ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم النّهار والقيام بالليل قربة وصيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك. **الضرب الرّابع:** من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين وكالرّجل قاتل رياءً وسمعةً وحمّيةً وشجاعةً وللمغنم ويحجّ ليقال ويقرأ ليقال ويعلّم ويؤلف ليقال. فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولةٍ قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: 5] فلم يأمر النّاس إلاّ بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها والقائم بهما هم أهل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]".
- بعد أن انتهى المصنف (رحمه الله) من ذكر الصنف الأول أو الدرب الأول في أدرب الناس في مسألة العبادة من حيث الإخلاص والمتابعة وبدأ بأفضل الناس وهم الذين جمعوا بين الإخلاص وبين المتابعة وقد بينا ذلك في المحاضرة السابقة.
- واليوم نبدأ في الدرب الثاني وهو من لا إخلاص له ولا متابعة وهم شرار الخلق فالعمل الذي يعمله ليس خالصاً لله (عز وجل) وليس موافقاً لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- وهؤلاء على فئتين: الفئة الأولى وهي اشرُّهم وأشدُّهم وهم المنافقون الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر. فكل أعمالهم فيها رياء كما قال الله (عز وجل) في ذلك وبيَّن أنهم ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[النساء: 142].
- وهؤلاء عندما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يذهب للقتال فيتخلفون عن القتال وعندما يرجع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة يعتذرون إليه فإذا قَبِلَ النبي (صلى الله عليه وسلم) عذرهم رجعوا فرحين بما أخذوا من النبي (صلى الله عليه وسلم) فنزل فيهم قوله (تعالى): ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[آل عمران: 188] فهذه الآية نزلت في المنافقين الذين يعتذرون وهم يعلمون أنهم على الباطل.
- والمنافقون ينتسبون إلى الإسلام ظاهراً لكنهم باطناً من الكفار لقوله (تعالى): ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: 145] فهم أشد عند الله (عز وجل) من الكفار.
- والفئة الثانية التي أشار إليها المصنف (رحمه الله) هم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة ويرتكبون البدع والضلال والسمعة وهؤلاء هم غلاة الصوفية الذين يتعبدون على غير إخلاص الله (عز وجل) وعلى غير سنة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- فهم يقصدون مراءة الناس أولاً في هذه العبادة فهم يُلبّسون على الناس أنهم العارفون بالله وأنهم أصحاب العبادة والنسك وغير ذلك وكذلك يتعبَّدون بغير هدى من الله (عز وجل) و بغير طريقة النبي (صلى الله عليه وسلم).
- فتجد بعضهم يُصلّي بغير طهارة أو يأتي بطقوس مُعيَّنة ما أنزل الله (عز وجل) بها من سلطان ليُبيَّن للناس أنه من أهل الذكر وأهل العبادة وكل هذه الطقوس على غير هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) فهم كأنهم طواغيت من دون الله (عز وجل) يرجع إليهم عوامهم وخاصتهم وغير ذلك يتقربون إليهم بالذبح وغير ذلك.
- ومسألة الفقر هذه عند الصوفية وهوتصنُّع الزهد والحقيقة أنك نادراً ما تجد فيهم أحد من أهل العلم أو يتعلم العلم أصلاً وهم ينزلون تحت قوله (صلى الله عليه وسلم): " ليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به

يوم القيامة **ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة** ومن حلف على يمين صبر فاجرة" [1].

- وعن أسماء (رضي الله عنها) جاءت امرأة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: " إن لي ضرة فهل عليَّ جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " **المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**" [2].
- فهؤلاء هم شرار الخلق لم يحققوا إخلاص ولم يحققوا السنة فلا تجد لهم عبادة خالصة لله (عز وجل) أو على هدي النبي (صلى الله عليه وسلم).
- والدرب الثالث هو المخلص في أعماله ولكنه على غير متابعة الأمر كجُهَّال العُبَّاد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله (عز وجل) على غير مراده.
- فهو أراد بعبادته الله (عز وجل) ولكنه لم يعبده على هدي النبي (صلى الله عليه وسلم). وهذا الدرب يُقسَّم إلى غلاة الصوفية الذين تكلمنا عنهم في الدرب الثاني فهؤلاء يعلمون أنهم على الكذب ولكن يتصنَّعون هذا الأمر ليتكسبون به على الناس. فهذه الطقوس يفعلونها ليُلبِّسُون بها على الأغنياء وغيرهم ليقدمون إليهم الأموال والأوقاف والمزايا والنذور فكأنها تجارة فهم يتاجرون مع الناس.
- والقسم الثاني الذين لهم إخلاص ويريدون الله (عز وجل) ويريدون عبادة الله (عز وجل) ولكنهم على قدر من الجهل كبير وليس عندهم من العلم ويغترون بأعمالهم فيفعلون العبادة والأعمال على غير هدي النبي (صلى الله عليه وسلم).
- وهؤلاء ينزلون تحت قوله (تعالى): ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: 103-104]. فهم يحسبون بأنهم يطيعون الله (عز وجل) ويذكرون الله (عز وجل) ويتعبَّدون إلى الله (عز وجل) ولكنهم في الأخسرين لأنهم لم يتبعوا هدي النبي (صلى الله عليه وسلم).
- وهؤلاء أنواع كثيرة فمنهم من يتحلَّقون الحِلَق ليذكرون الله (عز وجل) فتجدهم مثلاً يبدأون بـ " لا إله إلا الله" ثم " الله الله" ثم " هو هو" ثم يأتون بأصوات ليس لها علاقة بالذكر. فهم تدرجوا في هذا الأمر حتى تركوا الذكر بالكلية فعندما تنظر إليهم فتجدهم يقولون أقوالاً ويفعلون أفعالاً ليس لها علاقة بذكر الله (عز وجل).
- وهذه لا شك من البدع الخطيرة لأنهم يُلبِّسون على الناس ويُقدِّمون لهم أن هذا نوع من أنواع الذكر وهذا نوع من أنواع التقرُّب إلى الله (عز وجل).
- وقد روى الدارمي بسنده إلى عمر بن يحيي قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) فقال: " أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟" قلنا: "لا" فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: " يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً" قال: "فما هو؟" فقال: " إن عشت فستراه" قال: " رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة". قال: " فماذا قلت لهم؟" قال: " ما قلت لهم شيئا. انتظار رأيك أو انتظار أمرك" قال: " أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم". ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: " يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح" قال: " فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم (صلى الله عليه وسلم) متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟" قالوا: "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير" قال: " وكم من مريد للخير لن يصيبه". إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حدثنا: "أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم [3] وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم" ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج [4].
- فكانت بداية هؤلاء فقط بدعة وهي حِلَق المسجد فهم يرونها بدعة صغيرة فهم يريدون أن يذكروا الله (عز وجل) ولكن ليس على

---

[1] أخرجه مسلم عن ثابت بن الضحاك (رضي الله عنه). (ومن ادعى دعوى كاذبة) هذه اللغة الفصيحة يقال دعوى باطل وباطلة وكاذب وكاذبة حكاهما صاحب المحكم والتأنيث أفصح.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أسماء (رضي الله عنها). (ضرة) هي الزوجة الأخرى لزوج المرأة سميت بذلك لما توقع بالأخرى من ضرر لمشاركتها لها بزوجها وما يكون له من نفع واسم هذه الضرة هنا أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (رضي الله عنها). (تشبعت) ادعيت أنه يعطيني من الحظوة عنده أكثر ما هو واقع تريد بذلك غيظ ضرتها وإزعاجها (المتشبع) المتزين والمتظاهر شبه بالشبعان (كلابس ثوبي زور) كمن يلبس ثوبين مستعارين أو مودوعين عنده يتظاهر أنها ملكه وقيل هو من يلبس لباس أهل الزهد والتقوى والصلاح وهو ليس كذلك وقيل يلبس ثوب ويصل بكميه كمين آخرين ليوهم أنهما ثوبان رياء ومفاخرة.

[3] أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والحديث له أصل في البخاري ومسلم. التراقي: جمع ترقوة: وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان.

[4] أخرجه الدارمي والطبراني مختصراً عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه). وقال حسين سليم أسد (رحمه الله) في تعليقه على هذا الحديث: " إسناده جيد". وصححه الألباني (رحمه الله) في السلسلة الصحيحة.

هدي النبي (ﷺ) فوصل بهم الأمر أنه كفَّروا علي (رضي الله عنه) وكفَّروا الصحابة (رضي الله عنهم) وقاتلوهم مع الخوارج في يوم النهروان. وهذا يدل على أن صِغر البدع يجعلك لا تقف عند الإنكار ولا تقف عند محاربتها لأنها ستكبر وتشتد بعد ذلك وهذه هي نواة ظهور الطوائف.

- ولهذا قال البربهاري (رحمه الله) [وكذلك كثير من العلماء]: " واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط حتى تركوا من السنة مثلها فاحذر المحدثات من الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار" [1]. فلا يُستهان بالبدع الصغيرة لأنها إن تُرِكت ولم تُبيَّن فلابد أنها ستؤدي لإماتة السنن ومهالك كثيرة بعد ذلك.
- وكثيراً من هذا الصنف تجد لهم مُخالفات في العبادة فمنهم من يتزهَّد فيترك الزواج مثلاً ومنهم من يصوم على غير هدي النبي (ﷺ) فتجده يصوم الثالث عشر من ذي الحجة مع أن أيام التشريق منهي عنها أو يصوم يوم الفطر أو يصوم يوم الأضحى وهذه أيام منهي عنها.
- وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) يقول: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ) فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: " وأين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" قال أحدهم: " أما أنا فإني أصلي الليل أبداً" وقال آخر: " أنا أصوم الدهر ولا أفطر" وقال آخر: " أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً" فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" [2].
- فالمسألة ترجع إلى السنة والتزام هدي النبي (ﷺ) فمن لم يلتزم هدي النبي (ﷺ) وإن كان عنده إخلاص وأراد الخير وهذا موجود الآن وعندما تُنكر على فاعله يقول لك هو خير وما الذي فعلناه خطأ. وهذا مثل ذكر الله (عز وجل) بطريقة مُعيَّنة أو قراءة القرآن بشكل مُعيَّن.
- وطالما هناك مخالفة للسنة فلابد من الإنكار فعن سعيد بن المسيب (رحمه الله) أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيها الركوع والسجود فنهاه فقال: " يا أبا محمد يعذبني الله على الصلاة؟" قال: " لا ولكن يعذبك على خلاف السنة " [3]. فتجد مثل هؤلاء إن فيها خير فنحن نجتمع على الطاعة فالمشكلة ليست في الطاعة ولكن المشكلة في مخالفة السنة إن كنت قاصداً وأردت مخالفة السنة.
- فالنبي (ﷺ) كان يصلي ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة وكان يُقصر فيهما فالإطالة مخالفة لسنة النبي (ﷺ) ولهذا قال المصنف (رحمه الله): " والشأن ليس في عبادة الله فقط بل في عبادة الله كما أراد الله" فالمسألة ليست في عبادة الله (عز وجل) ولكن المسألة في عبادته كما أراد.
- ولهذا قال المصنف (رحمه الله): " ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم النّهار والقيام بالليل قربة وصيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك". فهم يتركون الجمعة ويقولون أنهم في ورد مع الله (عز وجل) وصلة معه فكيف نترك هذه الخلوة ونذهب إلى الصلاة؟ فالذي يحتاج الصلاة هو من انقطعت به الخلوة بينه وبين ربه ونحن في خلوة دائمة. فتجده يظل في خلوته أو جمعيته كما في بعض الألفاظ الأخرى ويترك الفرائض كما سيأتي. وما ذكره المصنف (رحمه الله) مما يظنوه عبادات هو ليس بعبادات لأنه ليس على هدي النبي (ﷺ).
- ولهذا قال بعض العلماء خلق الله (عز وجل) أقواماً لطاعته وناره وهم المراءون بأعمالهم حيث يعملون وإلى النار وخلق الله (عز وجل) أقواماً لطاعته وجنته وهؤلاء الرسل وأتباعهم إلى يوم الدين وخلق الله (عز وجل) أقواماً لا لطاعته ولناره وهذا كإبليس وأشباهه وخلق الله أقواماً لا لطاعته ولجنته وهؤلاء أطفال المسلمين والذين أسلموا وقتلوا قبل أن يعملوا كالأصيرم واسمه عمرو بن ثابت حين شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قُتل فدخل الجنة قال (ﷺ): " عَمِلَ قليلاً وأُجِر كثيراً" الحديث رواه أحمد وغيره بسند جيد [4].
- فمن تلبيس الشيطان أنه يسحبك إلى باب خير فيُلبِّس عليك ثم يسحبك إلى باب شر. فالرجل مثلاً يريد قيام الليل أو الإكثار من

---

[1] راجع كتاب " شرح السنة" للبربهاري (رحمه الله).

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) الرواية للبخاري. (رهط) قيل هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون (رضي الله عنهم). (تقالوها) عدوها قليلة. (ذنبه) ذنبه (ﷺ) على حسب مقامه وما يعتبر ذنبا في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة ولو فعله غيره لا يسمى ذنباً كفعله خلاف الأولى ونحو ذلك (أبداً) دائما دون انقطاع (الدهر) أي أواصل الصيام يوما بعد يوم (لأخشاكم لله واتقاكم له) أكثركم خوفا منه واشدكم تقوى (أرقد) أنام (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي وأعرض عنها (فليس مني) أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها وإن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت.

[3] أخرجه البيهقي والدارمي و عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب (رحمه الله). وصححه الألباني (رحمه الله) في إرواء الغليل وقال: "وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيب (رحمه الله) تعالى وهو سلاح قوي على المبتدعة الذين يستحسنون كثيرا من البدع باسم أنها ذكر وصلاة ثم ينكرون على أهل السنة انكار ذلك عليهم ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنما ينكرون خلافهم للسنة في الذكر والصلاة ونحو ذلك".

[4] هذا الكلام ورد ذكره في أرشيف ملتقى أهل الحديث دون نسبه إلى أحد من اهل العلم تحديداً.

السجود كما جاء عن ربيعة بن كعب الأسلمي (رضي الله عنه) قال: " كنت أبيت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: " سل" فقلت: " أسألك مرافقتك في الجنة" قال: " أو غير ذلك؟" قلت: " هو ذاك" قال: " فأعني على نفسك بكثرة السجود " [1] ولكنه يسجد في أوقات منهي عنها. ويريد طول الصلاة فيشق على الناس ويصلي بهم صلاة طويلة مع أن الأصل أن صلاتك في الجماعة تكون على قدر صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فتتوسط فيها ولا تشق على الناس فليست بالقصيرة المُخلَّة ولا بالطويلة التي تفتن بها الناس فعن أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه) قال: " قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوّل بنا فلان فما رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال: " أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " [2].

- وعن جابر بن عبد الله: " أن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) كان يصلي مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة فقرأ بهم البقرة" قال: " فتجوَّز رجل فصلى صلاة خفيفة فبلغ ذلك معاذاً فقال: إنه منافق فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: " يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا وإن معاذاً صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوَّزت فزعم أني منافق فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " يا معاذ أفتان أنت - ثلاثا - اقرأ: والشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها " [3].
- فالمسألة كلها الوقوف على السنة وعدم ترك الهوى لنفسه. فأصل المسألة هي أتباع الهوى فلم يكن وقَّافاً عند النصوص حتى إذا اشتهى الصلاة فلابد أن يشتهيها على قدر السنة وهذا سيدخل في القسم القادم عند تقسيم الناس في أفضل أنواع العبادات.
- الصنف الرابع الذي نختم به الكلام عن أدرب الناس في المتابعة والإخلاص من أعماله على متابعة الأمرلكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين وكالرّجل قاتل رياءً وسمعةً وحميّةً وشجاعةً وللمغنم ويحجّ ليقال ويقرأ ليقال ويعلّم ويؤلف ليقال فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولةٍ
- ثم أتى المصنف (رحمه الله) بالآية الفصل في هذه المسألة ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[البينة: 5] فلم يأمر النّاس إلاّ بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها والقائم بهما هم أهل: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5]".
- فهذا الصنف تكلمة لما ذكرنا وهم المرائون وهم الذين يفعلون العبادة وقد تكون على هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) فيُحقِّقون فيها المتابعة ولكن ليس فيها الإخلاص لله (عز وجل).
- فهؤلاء هم أهل النفاق وهؤلاء جاء فيهم قوله رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " قال الله تبارك وتعالى: " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " [4].
- فمن كان مرائياً في كل أعماله فهو المنافق الخالص فهم لا يريدون بهذه العبادة وهذه الطاعة وجه الله (عز وجل) بل يريدون الشهرة أو السمعة أو الظهور أنهم من أهل النسك وأهل العبادة.
- وأما إن كانت عبادته بعضها فيه رياء وبعضها ليس فيه رياء فنرجع للتأصيل وهو:

أ. إذا كانت العبادة متصلة من أولها إلى آخرها فمن راءى في هذه العبادة فسدت العبادة.

ب. إذا كانت العبادة غير متصلة فأولها ينفصل عن آخرها فمن راءى في هذه العبادة فالجزء الذي كان فيه مخلصاً يُحسب له الأجر وما كان فيه رياء فيفسد عليه هذا الجزء.

- وقد سُئِل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الرياء فعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: " جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: " يا رسول الله ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً ويقاتل حميةً" فرفع إليه رأسه قال: " وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً" فقال: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (عز وجل)" [5].
- وعن سليمان بن يسار قال: " تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام: " أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)" قال: " نعم سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به

---

[1] أخرجه مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي (رضي الله عنه).

[2] أخرجه البخاري عن أبي مسعود الأنصاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (رجل) هو حزم بن أبي كعب وقيل غيره (لا أكاد أدرك الصلاة) أتأخر عن صلاة الجماعة أحيانا فلا أدركها (مما يطوّل) بسبب تطويل (فلان) هو معاذ بن جبل (رضي الله عنه) (إنكم منفرون) تتلبسون بما ينفر أحيانا (فليخفف) أي بحيث لا يطيل الصلاة.

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (فتجوز) خفف وقيل انحاز وصلى وحده (بنواضحنا) جمع ناضح وهو البعير الذي يستقى عليه (ونحوها) في بعض النسخ " ونحوهما".

[4] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (تركته وشركه) هكذا وقع في بعض الأصول وشركه وفي بعضها وشريكه وفي بعضها وشركته ومعناه أنه غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به.

[5] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (غضباً) انتقاماً حالة الغضب (حمية) محاماة عن العشيرة (كلمة الله) كلمة التوحيد ودعوة الإسلام (العليا) العالية فوق كل ملة ومذهب. وفي رواية الإمام مسلم (رحمه الله): " سُئِلَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الرجل يُقاتل شجاعة ويُقاتل حمية ويُقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله؟" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله".

فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " قاتلت فيك حتى استشهدت" قال: " كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: " فما عملت فيها؟" قال: " ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد فقد قيل" ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار " [1].

- فهذه الأعمال وإن كان ظاهرها موافق للشرع إلا أن باطنها لم يكن فيه الإخلاص وكان فيه الرياء وعلى الرغم من أن هؤلاء الثلاثة هم أفضل ثلاثة فلن تجد أفضل منهم وهو العابد والمجاهد والمنفق في سبيل الله (ﷻ) فمن جمع هؤلاء الثلاثة وهو مخلص فقد حاز النعم كلها ومع ذلك فقد يُكَبُّ بهم في النار إذا كان هذا العمل ليس لله (ﷻ).
- وقد ذكر المصنف (رحمه الله) أعمال صالحة كثيرة مثل القتال والقراءة والحج والتعليم ولكن كلها غير مقبولة إن لم تكن خالصة لله (ﷻ).
- ومسألة قتال المغنم فيه تفصيل حتى لا نتركه فمن قاتل للمغنم فقط فهذا لا أجر له فهذا ينزل تحت الحديث " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (ﷻ)" وغير ذلك غير مقبول. ولكن من قاتل في سبيل الله (ﷻ) ويغنم أيضاً فهذا يؤجر على قدر النية وهذا ينزل تحت قوله (ﷺ): " ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجَّلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم" [2]. هذا بخلاف من قاتل لله (ﷻ) ثم غنِمَ فهذا هو الخالص لله (ﷻ) فلم يكون مقصوده الغنيمة فهذا له الأجر كله ولا يُحرم شيء.
- وهناك من يحج ليُقال عليه " حاج" وهذا موجود عند كثير من الناس ويتباهى بما أنفقه عندما ذهب إلى الحج وهذا لا شك أنه من الرياء الذي يُحبط به هذا العمل إن كان يريد به الشهرة والسمعة أمام الناس.
- وغير ذلك ممن ألَّف وعلَّم ليُقال له عالم أو داعية وكذلك من آلف ليظهر أنه مؤلَّف. وهنا يحضرنا قول الشافعي (رحمه الله) " ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ وما في قلبي من علم إلا وودت أن يتعلَّمه كل أحد ولا يُنسَّب إليّ" [3]. وهذا يدل على إخلاصه وأنه لم يُرد بهذا وجه الله (ﷻ) ولا يُهمَّه أن يُنسب إليه العلم أو لغيره.
- وهذا الصنف وهو صنف الشرك في الإرادات هو البحر الذي لا ساحل له فالكلام فيه لا ينتهي وهو الصنف الرابع الذي كانت أعماله على المتابعة دون إخلاص.
- فلا يغرَّنك كثرة الأعمال وإن كانت على المتابعة فأنت لا تستطيع أن تطلع على نية الناس وقلوبهم. فنسأل الله (ﷻ) أن يُخلص قلوبنا جميعاً وأن تكون لله (ﷻ) ولا تكون لغيره فتحبط هذه الأعمال وتذهب هباءاً منثوراً.
- ثم بدأ يتكلم بعد أن انتهى من أصناف الناس في العبادة عن أفضل العبادات وأنفعها. فهناك صنف يرى بأن أفضل العبادات هي الأنواع الشاقة وصنف آخر يراها التزهُّد وصنف آخر يراها العبادات المُتعدية فقط وصنف رابع يرى أنفع العبادات هو وقتها. وهذا سيأتي بالتفصيل في الجزء القادم.

2.4.2 أفضل العبادات (التوقيت: 30 دقيقة و42 ثانية)

ثم أهل مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق وهم في ذلك أربعة أصناف:

الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها أشقُّها على النفوس وأصعبها قالوا: إنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والأجر على قدر المشقة ورووا حديثًا ليس له أصل: « أفضل الأعمال أَحمزُها » أي: أصعبها وأشقها

[1] راجع المحاضرة التاسعة رقم (5) صـ 9.
[2] أخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما).
[3] راجع المحاضرة السادسة عشر رقم (3) صـ 9.

وهؤلاء هم أرباب المجاهَدات والجور على النفوس قالوا وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمُّل المشاق .

الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان :

فعوامهم ظنوا أن هذا غاية فشمَّروا إليه وعملوا عليه وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصوداً لغيره وأن المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان ، ثم هؤلاء قسمان :

فالعارفون إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرَّقهم وأذهب جمعيتهم

والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جَمعِيَّتُه فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه ، ويقولون :

يُطالَبُ بالأوراد من كان ... فكيف بقلب كلُّ أوقاته وِردُ

ثم هؤلاء أيضًا قسمان :

منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيَّته .

ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويَعلم العلم النافع لجمعيَّته .

والحق أن الجمعية حظ القلب وإجابة داعي الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء

- قال المصنف (رحمه الله): " **ثم أهل مقام: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة: 5] لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار والتخصيص أربعة طرق وهم في ذلك أربعة أصناف: الصنف الأول: عندهم أنفع العبادات وأفضلها وأشقها على النفوس وأصعبها قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والأجر على قدر المشقة ورووا حديثا ليس له أصل: " أفضل الأعمال أحمزها" أي: أصعبها وأشقها. وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الراحة فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق. الصنف الثاني: قالوا: أفضل العبادات وأنفعها: التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان وإطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها. ثم هؤلاء قسمان: فعوامهم: ظنوا أن هذا غاية فشمروا إليه وعملوا عليه وقالوا: هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها. وخواصهم: رأوا هذا مقصوداً لغيره وأن المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا أفضل العبادات: دوام ذكره بالقلب واللسان. ثم هؤلاء قسمان: فالعارفون: إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فرقهم وأذهب جمعهم. والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جمعيته فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه ويقولون: يطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته ورد**
ثم هؤلاء أيضا قسمان: منهم: من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته. ومنهم: من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته. والحق: أن الجمعية حظ القلب وإجابة داعي الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء".
- بعد أن انتهى المصنف (رحمه الله) من ذكر أصناف الناس في مسألة المتابعة والإخلاص بدأ يذكر أهل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5]. فاستخلص القسم الأول وهم أهل المتابعة والإخلاص وقال إن هؤلاء اختلفوا في أفضل العبادات.
- وقسَّم هؤلاء إلى أربعة أقسام وهذا من مميزات هذا الكتاب وهذا المصنف (رحمه الله) التقسيمات البديعة التي عنده. وإن كانت كثير من كلامه منقول عن ابن القيم (رحمه الله) وابن تيمية (رحمه الله) وخاصة ابن القيم (رحمه الله) ولكن تقسيمه لهذه الأشياء تظهر فيها مميزات هذا الكتاب ورغم أنه كتاباً صغيراً إلا أنه نفيس في هذه الأشياء فالقسم الأول الذين يرون بأن أنفع العبادات وأفضلها هي أشقها على النفوس.
- الناس في مسألة العبادات تتفاوت فمنهم من هم على صواب كامل ومنهم من هم على صواب وفيه دخن ومنهم من هم على ضلال ومنهم على اجتهاد وهناك تفصيل في هذا الاجتهاد.
- فتجد في كل هؤلاء الأصناف صنف من الناس فالقسم الأول الذين ذكره المصنف (رحمه الله) الذين يرون بأن أنفع العبادات هي وأفضلها هي التي تشُّق على النفوس.
- فهم رأوا بأن أفضل أنواع العبادات ما كان فيه مشقَّة على النفس. فكلما كانت هذه العبادة فيها مشقَّة على النفس فهم يرون بأن هذه هي أنفع العبادات ويقولون بأن طبع النفس الكسل والخلود إلى الراحة فكلما أتيت بنقيض هذا الطبع فكأنك أتيت بأفضل العبادات.
- وهذا الكلام فيه نظر ولا يُقبل لأن هذا ينزل تحت قوله (صلى الله عليه وسلم): " هلك المتنطعون" قالها ثلاثا" [1]. فهذا من باب التكلُّف والتعمُّق الزائد عن الحد في دين الله (عز وجل) بغير أن يطلب الله (عز وجل) منك ذلك.
- وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل عليَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: " من هذه؟" قلت: " فلانة لا تنام بالليل فذكر من صلاتها" فقال: " مه عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا" [2].
- فالذين يدَّعون أن العبادة كلما أزدات فيها المشقَّة تكون أفضل فإن الله (عز وجل) لا يمل ولكن نحن الذين نمِّل وهذا الحديث فيه إثبات صفة لله (عز وجل) وهي صفة الملل وهي صفة مقابلة فعلية مُقيَّدة تُذكر في مُقابلة الغير حتى تكون صفة كمال فالله (عز وجل) يمل من الذين يملوا فالله (عز وجل) لا يمل مطلقاً ولكنها مقيَّدة كما جاء في الخداع والمكر وغير ذلك من الصفات المُقيَّدة. والفعلية المطلقة لا تُقيَّد بشيء كالغضب والرضا ونحو ذلك.
- وصحيح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه [3] ولكن هذه خصوصية خاصة للنبي (صلى الله عليه وسلم) ويظهر هذا من خلال حديث الثلاثة نفر الذين جاؤوا يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه أخشاهم وأتقاهم لله

---

[1] أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه). (هلك المتنطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها). (امرأة) هي الحولاء بنت تويت (رضي الله عنها) (مه) اسم فعل أمر بمعنى اكفف (عليكم ما تطيقون) الزموا من الأعمال ما تستطيعونه دون مشقة (لا يمل حتى تملُوا) لا يترك إثابكم حتى تتركوا اللعمل والإفراط في العمل ربما أدى إلى تركه.

[3] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة والرواية للبخاري قال: " إن كان النبي (صلى الله عليه وسلم) ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه - أو ساقاه - فيُقال له فيقول: أفلا أكون عبدا شكورا؟". (ترم) تنتفخ (فيُقال له) لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك (شكورا) أبالغ في شكر الله تعالى على غفرانه لي.

(ﷻ) [1] فقد صدَّر الباب بأنه (ﷺ) هو أخشى وأتقى الناس وبيَّن أن هذا الذي يتكلمون فيه من التنطُّع والتكلُّف الذي لم يؤمر به المرء وبيَّن بأنه يصوم ويفطر ويقوم ويرقد ويتزوج الناس وهذه سنته فقد قال فمن رَغِبَ عن سنتي فليس مني.

- فمن يدعي بأن أفضل العبادة أشقها على النفس فهذا كلام غير صحيح بل يأخذ من العبادة ما يستطيع فإن كان يصوم مثلاً فيصوم الثلاث أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر أو يصوم الاثنين والخميس أو لو استطاع أن يكون مثل صوم داود (عليه السلام) فيصوم يوم ويفطر يوم.
- ولا يُكلِّف نفسه ما لايطيق كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) عندما نَدِمَ في آخر عمره لأنه كان يوم الليل بالقرآن كله فقد قال: " كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال: " فإما ذكرت للنبي (ﷺ) وإما أرسل إليَّ فأتيته فقال لي: " ألم أُخبَر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟" فقلت: " بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا الخير" قال: " فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام" قلت: " يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك" قال: " فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً" قال: " فصم صوم داود نبي الله (ﷺ) فإنه كان أعبد الناس" قال: قلت: " يا نبي الله وما صوم داود؟" قال: " كان يصوم يوما ويفطر يوما" قال: " واقرأ القرآن في كل شهر" قال: قلت: " يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك" قال: " فاقرأه في كل عشرين" قال: قلت: " يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك" قال: " فاقرأه في كل عشر" قال: قلت: " يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك" قال: " فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا ولجسدك عليك حقا" قال: " فشددت فشُدِّدَ عليَّ". قال: " وقال لي النبي (ﷺ): " إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر" قال: " فصرت إلى الذي قال لي النبي (ﷺ) فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله (ﷺ)" [2].
- وكان هذا دأب الصحابة أنه إذا التزم بعبادة لا يتخلى عنها فنَدِمَ لأنه ألزم نفسه بما شقَّ عليه. فلابد على الإنسان ألا يكلف نفسه ما لا يطيق لأنه إذا كلَّف نفسه ما لا يطيق فقد يمِل ثم يترك وتكون كما قال (ﷺ) في عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) لعبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما): " يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل" [3].
- فأحب الأعمال إلى الله (ﷻ) أدومها وإن قل كما جاء عن النبي (ﷺ) [4]. فالأنسان لابد أن يتخيَّر لنفسه ما لا يشق به على نفسه حتى لا يؤدي ذلك إلى الترك والنفور بعد ذلك.
- وهذا كثيراً ما يحدث مع الإخوة الذي يلتزمون حديثاً فتجد عنده نهم للعبادة فيريد حفظ القرآن كله وقيام الليل كله والصيام ولكن بعد فترة يجد نفسه يفطُر لأنه لابد من التدرج حتى يصل فكل وقت يُزيد من قدر العبادة التي كان عليها فمثلاً يبدأ بصيام يوم الخميس ثم يُزيد يوم الاثنين ثم يُزيد الثلاث أيَّام من كل شهر ثم يُكثر من النوافل على مدار السنة كيوم عاشوراء ويوم عرفة والست أيام من شوال إلى أن يستطيع ان يتدرج. كذلك في القيام فيقوم أول الليل إذا لم يستطيع أن يقوم آخره ثم يطيل في أول الليل ثم يقوم في آخر الليل وهكذا يتدرج.
- هؤلاء الطائفة تعلقوا بأحاديث كلها ضعيفة لم تصح كحديث " أفضل الأعمال أحمزها" والأولى أن يتعلقوا بالحديث الصحيح عن عائشة (رضي الله عنها) لكان لهم وجه وإن كان مردود على تفسيره بأن أفضل الأعمال أشقها عندما سألت النبي (ﷺ): " يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟" فقيل لها: " انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي ثم ائتينا بمكان كذا **ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك**" [5]. والرد على تفسيرهم أن الأجر على قدر المشقة لكن بشرط أن تكون داخل سنة

---

[1] راجع رقم (2) صـ 4.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما). (فإن بحسبك أن تصوم) الباء فيه زائدة ومعناه أن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر كافيك (ولزورك) قال في النهاية هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم وقد يكون الزور جمعا لزائر كركب في جمع راكب أي لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك وأنت تعجز بسبب توالي الصيام والقيام عن القيام بحسن معاشرتهم (واقرأ القرآن في كل شهر) أي اختمه (وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله) معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله (ﷺ) فشق عليه فعله ولا يمكنه تركه. وفي رواية البخاري قال عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: " أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: " نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي (ﷺ) فقال: " القني به" فلقيته بعد فقال: " كيف تصوم؟" قال: " كل يوم" قال: " وكيف تختم؟" قال: " كل ليلة" قال: " صم في كل شهر ثلاثة واقرإ القرآن في كل شهر" قال: " قلت: " أطيق أكثر من ذلك" قال: " صم ثلاثة أيام في الجمعة" قلت:" أطيق أكثر من ذلك" قال: " أفطر يومين وصم يوما" قال: " قلت: " أطيق أكثر من ذلك" قال: " صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم واقرأ في كل سبع ليال مرة" فليتني قبلت رخصة رسول الله (ﷺ) وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق النبي (ﷺ) عليه " قال أبو عبد الله: " وقال بعضهم: في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع".

[3] أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما).

[4] كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري: "سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة **وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**".

[5] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري. (أيصدر الناس بنسكين) أيرجعون بعبادتين حج وعمرة (بمكان كذا وكذا) والمكان الذي عينه لها المحصب بمنى (ولكنها) أي ثواب عمرتك (نصبك) تعبك.

النبي (ﷺ) ولكن من خرج عن السنة فليس هنا الأجر على قدر المشقَّة. فأنت أجرك على قدر مشقتك مادمت مُستنًّا بسنة النبي (ﷺ) وتسير على طريقته. ففي الحج هناك أفعال يفعلها بعض الناس وبعضهم لا يستطيع أن يفعلها وهذا أقل في الأجر ولكن كلها تحت سنة النبي (ﷺ). ولهذا اختلفوا في الحج هل الأفضل الحج ماشياً أم راكباً وه النفر يوم مزدلفة ماشين أم راكبين؟ فتجد بعضهم قال إن النبي (ﷺ) ركب ولم يمشي فالسنة أن تركب وبعضهم قال أن النبي (ﷺ) وضَّح أن الأجر على قدر المشقَّة ولا شك أن المشقَّة في المشي وقالوا أن النبي (ﷺ) ركب لأنه كان يعلم الناس الحج كما قال جابر بن عبد الله (رضي الله عنه): " رأيت النبي (ﷺ) يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: " **لتأخذوا مناسككم** فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" [1] فكان حتى يظهر للناس لابد أن يكون على الراحلة فيروا المناسك فركوبه كان لهدف وهو تعليم الناس.

- ولكن من مشي ويعلم أنه سيتعب ولن يستطيع أن يُكمل المناسك فنقول له لا تمشي أركب لأنك لو مشيت لن تستطيع أن تُكمل. وبعض الناس عندما يمشي لا يستطيع أن يستحضر العبادة فلا يستطيع أن يدعو والحج أماكن كثيرة فيه مواطن دعاء كالدعاء في عرفة.
- وتجد كثير من الناس عندما يذهبون إلى عرفة تجدهم يحرصون على مسألة نَمِرَة في عرفة فيجلس حتى يحضر الخطبة مع الإمام ثم يرجع. والذهاب إلى نَمِرَة فيه الآن مشقَّة شديدة في الدخول والجلوس والتدافع الموجود. فيذهب وعندما يرجع لا يستطيع أن يقف فينام إلى قبل المغرب فضاع منه وقت الدعاء والنبي (ﷺ) كان يذهب إلى نَمِرَة فيدعو إلى قرب الغروب ولكن أنت إمكانياتك وجسدك لا يستطيع أن يتحمل هذا التدافع والتعب فجئت فنمت فلم تستطيع أن تدعو رغم أن أصل عرفة كله الدعاء.
- فالأولى أن تُوفِّر هذا المجهود فلك رخصة ألا تذهب إلى نَمِرَة وتُصلِّي مع المجموعة التي تصلي حتى إذا جاء وقت الدعاء تكون في همَّة ونشاط فتدعو الله (عز وجل). وهذا فقه في كيفية فعل العبادة فهذه كله يدخل تحت السنَّة.
- وهذه الطائفة لابد أنها ستخرج عن السنة فتجده يطيل في الصلوات في وقت ليس وقت صلاة كما ذكرنا في كلام سعيد بن المُسيِّب (رحمه الله) [2] ولكن اصل أنه يطيل في قيام الليل فنقول إنها سنَّة.
- فمثل تجده يصوم في السفر وهو يتعب والنبي (ﷺ) كان ينظر لأصحابه فإن رآهم تعبوا أفطروا وإذا استطاعوا الصوم صاموا فكان يتلمس أصحابه [3]. فهو يرى أن كل عبادة فيها مشقة أفضل لأنه أرفع في درجة العبادة.
- فالإشكال أنه اعتقد أن العبادة كلما كانت فيها مشقة كلما كانت أفضل ولم ينظر إلى متابعة سنة النبي (ﷺ). فتجده يذكر الله (عز وجل) في أوقات كثيرة حتى يُغشى عليه. وهذا ينزل تحت التنطع فما أمرنا أن نشق على أنفسنا في عبادة الله (عز وجل).
- والمسألة كلها عنهم ترجع للجهل فتجدهم يتعلقون بأحاديث ضعيفة كحديث " أفضل الأعمال أحمزها" [4] و كحديث " من حج ولم يزرني فقد جفاني" [5] فتجد بعضهم يظن أنه إذا حجَّ ولم يزر النبي (ﷺ) يقع تحت هذا الحديث رغم أن هذا الحديث لا أصل له فتجد بعضهم يشُّق على نفسه ويُسافر خصيصاً ليُطبق هذا الحديث.
- وكذلك حديث يقوله كثير من الأخوة في كلامتهم وهو حديث: " لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به" [6]. وهذا الكلام لا أصل له بل إن عمر (رضي الله عنه) عندما طاف بالكعبة وقبَّل الحجر الأسود قال : " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي (ﷺ) يقبلك ما قبلتك " [7].
- فهم يتعلقون بأحاديث ضعيفة فالأمر يرجع إلى الجهل وعدم تعلم العلم الشرعي وهنا تظهر أهمية الشرعي حتى فيمن أراد

---

[1] أخرجه مسلم عن جابر (رضي الله عنه). (لتأخذوا مناسككم) هذه اللام لام الأمر ومعناه خذوا مناسككم.

[2] راجع رقم (3) صـ 4.

[3] كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): "كنا نغزو مع رسول الله (ﷺ) في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن". (لا يجد) أي يوجد ضيق في نفسه من أخيه.

[4] قال السخاوي في " المقاصد الحسنة": "حديث: " أفضل العبادات أحمزها" قال المزي: هو من غرائب الأحاديث ولم يروى في شيء من الكتب الستة انتهى وهو منسوب في النهاية - لابن الأثير- لابن عباس بلفظ: سئل رسول الله (ﷺ): " أي الأعمال أفضل؟" قال: " أحمزها" وهو بالمهملة والزاي أي أقواها وأشدها وفي الفردوس مما عزاه لعثمان بن عفان مرفوعا: " أفضل العبادات أخفها" فيُجمع بينهما على تقدير ثبوتهما بأن القوة والشدة بالنظر لتبين شروط الصحة ونحوها فيها والخفة بالنظر لعدم الإكثار بحيث تمل".

[5] قال العجلوني في " كشف الخفاء ومزيل الإلباس": "من حج ولم يزرني؛ فقد جفاني. يأتي في "من لم يزرني" وقال الصغاني كابن الجوزي: موضوع لكن ذكره بلفظ: "من حج البيت" الحديث".

[6] قال الملا القاري في " الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة": " حديث لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه الله به". قال ابن تيمية إنه موضوع. وقال ابن القيم هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار. وقال ابن حجر العسقلاني لا أصل له ونحوه".

[7] أخرجه البخاري ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

العبادة. ولهذا تجد كثير من الأخوة وبعض الجماعات تجد عندهم همَّة في العبادة ولكن عندما تُحقِّق تجد عنده أشياء ليست على السنة. فيتعلقون بأحاديث ويقولون فضائل الأعمال وغير فضائل الأعمال فتجده يعمل أوراد وأحاديث ليست من السنة بل هي مخالفة لها ويظنها أفضل من عبادات صحيحة في السنة وهذا نشأ عن الجهل وعدم تعلُّم العلم الشرعي.

- وهذه هي مشكلة أهل الطوائف والبدع أنه أولاً يعتقدون ثم يستدلون. فيضع القاعدة والاعتقاد ثم يستدل ويُجيَّش الجيوش حول هذا الاعتقاد. فهو وضع أمامه أن أفضل العبادات أكثرها مشقَّة فتجده يفعل كل ما فيه مشقَّة بغض النظر وافق السنة أم لم يُوافقها فوقع تحت التنطع كما قلنا.
- وحتى العمل بحديث في فضائل الأعمال فهذا أمر له شروط وهي:

أ. ألا تعتقد ثبوت الحديث عن النبي (ﷺ).

ب. هذا الحديث يكون مُندرج تحت أصل عام عندك ولا يكون مُنفرد فتعمل به.

الشريط الثامن عشر
تابع مراتب الناس في العبادة

محتويات الشريط الثامن عشر

2- تابع مراتب الناس في العبادة 1
2.4 تابع أهل الاستعانة بلا عبادة.....1
2.4.2 تابع أفضل العبادات (التوقيت: 1 دقيقة و24 ثانية).....1

2- تابع مراتب الناس فى العبادة

2.4 تابع أهل الاستعانة بلا عبادة

2.4.2 تابع أفضل العبادات (التوقيت: 1 دقيقة و24 ثانية)

- هذا هو الصنف الثاني في ذكر أنفع العبادات فالصنف الأول الذين قالوا إن أنفعها هو أشقها على النفوس واستدلوا كما ذكرنا بأحاديث ضعيفة لم تثبت عن النبي (ﷺ) وأن هذا ليس من هدي النبي (ﷺ) وأن الضابط في أفضل العبادات ليس أشق العبادات على النفوس فقد كان النبي (ﷺ) يُصلِّي وينام ويتزوج النساء ويصوم ويُفطر وأن هذه هي سنة النبي (ﷺ).
- وأصحاب القسم الثاني هم الذين قالوا إن أنفع العبادات إن أنفع العبادات هي التجرُّد والتزهُّد في الدنيا والتقلُّل منها غاية الإمكان.
- وهذا الصِنف اتخذوا هذه المسألة منها فظنوا أنهم من أهل التزهُّد والتقلُّل من الدنيا إلى الدرجة أنهم وصلوا تجاوز حدود ما أمر به الله (ﷻ) ويقولون لك أن تشتغل بالقربات على أن تترك الكسب الحلال وأن تكون عالة على الناس.
- فهم ظنوا أن الجلوس في المساجد والانشغال بالقربات وترك الدنيا والأسباب الشرعية التي شرعها الله (ﷻ) لعباده من الكسب الحلال وترك العمل والتجارة وغير ذلك فهذا هو المقصود بأن نترك هذه الأعمال ونتوكل على الله (ﷻ).
- فهم فهموا التوكل خطئاً فقد جعلوه تواكلاً وليس توكلُّاً ولم يفهموا قول الله (ﷻ): ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: 77] فبيَّن الله (ﷻ) أنك إن كنت تريد الدار الآخرة فلا تنسى أن تأخذ بالأسباب المُوصِّلة لهذه الدار الآخرة. فمن هذه الأسباب أنك لا تترك الدنيا كلها فلا تترك أسباب الرزق ولا تترك أسباب العمل في الدنيا بل إنك تفعل هذه الأسباب على أنها وسيلة تُوصِّلك إلى غاية وهي مرضاة الله (ﷻ).
- وهذا الصنف على قسمين الأول هم عوام الناس وهؤلاء ظنوا أن التزهُّد هو نفسه الغاية فترك الدنيا والجلوس في المسجد هو الغاية فإن صليت في زاوية من زوايا المسجد تجلس فيها بالأيَّام والليالي لا تفعل شيء هو الغاية.
- فهم فهموا أحاديث الزهد التي جاءت عن النبي (ﷺ) خطئاً كحديث النبي (ﷺ): " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول: " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك" [1].
- وعن أنس (رضي الله عنه) قال: " اشتكى سلمان فعاده سعد فرآه يبكي فقال له سعد: " ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبت رسول الله (ﷺ) أليس أليس؟" قال سلمان: " ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضنًّا للدنيا ولا كراهية للآخرة ولكن رسول الله (ﷺ) عَهِدَ إلينا عهداً فما أراني إلا قد تعديت" قال: " وما عهد إليك؟" قال: " عَهِدَ إلينا أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت وعند قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت". قال ثابت: " فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً من نُفَيقَةٍ كانت عنده" [2].فهذا الحديث يُبيَّن قصر الأمد في الدنيا وتقديم التوبة والاستعداد للموت.
- فهؤلاء ظنوا أن هذه الأحاديث هي فقط التي يُعمل بها. وهذه هي مشكلة المخالفين لأهل السنة بأنهم عادة ما يعتقدون ثم يستدلون. وهذه هي الطامة الكبرى في كل من حاد عن طريق الكتاب والسنة فهم عادة بهذا يخالفون منهج أهل السنة والجماعة.
- مع أن الصحيح عند أهل السنة والجماعة أنهم يستدلوا ثم يعتقدوا فهم بناء على الاستنباطات والاستدلالات من الأدلة يأتون بالحكم الشرعي أما من يعتقد ثم يستدل فحتماً سيُنافح عن اعتقاده.
- فبعض ما ظهر من مخالفات الطوائف التي تكلمنا عنها كثيراً مثل المرجئة والمعتزلة والأشاعرة والجهمية والخوارج وغير ذلك قدَّموا أولاً الاعتقاد ثم يحاولوا أن يستدلوا على هذا الاعتقاد.
- وهذا للأسف هذا بدأ يظهر في كثير ممن ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة فتجد بعضهم يتأثر بشيخ من الشيوخ أو عالم من العلماء أو أحد الدعاة فتجده يحتزب ويتعصب له فكلما أتى شيئاً أتى بقوله أولاً ثم يحاول أن يستدل على هذا القول. فهو لم

---

[1] أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما). (كأنك غريب) بعيد عن موطنه لا يتخذ الدار التي هو فيها موطنا ولا يحدث نفسه بالبقاء قال العيني هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح إذ الغريب لقلة معرفته بالناس قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق (عابر سبيل) مار بطريق وتعلقاته أقل من تعلقات الغريب.

[2] أخرجه ابن ماجة عن أنس (رضي الله عنه) والطبراني والبيهقي عن خباب (رضي الله عنه) وابن حبان وابن أبي شيبة والحاكم عن بعض الصحابة (رضي الله عنهم) والرواية لابن ماجة. وصححه الألباني (رحمه الله) في صحيح ابن ماجة دون قول ثابت: " فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده" وفي الصحيحة وصححه شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في التعليق على سنن ابن ماجة. (اشتكى) مَرِضَ (ضنا) أي بخلا بذهابها.

يضع هذا الشيخ أو هذا العالم في ميزان الشرع فإن أصاب قلنا بقوله وإن لم يُصب لم نقل بقوله كما قال ابن القيم (رحمه الله) في الإمام الهروي (رحمه الله): "شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه وكل من عدا المعصوم (صلى الله عليه وسلم) فمأخوذ من قوله ومتروك ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه" [1].

- فنحن نحب أهل العلم ونُقدِّرهم ولكن الميزان ليس العاطفة ولكن الميزان ما وافق الكتاب والسنة وهذا قول الأئمة الأربعة [2] فإن خالف أي أحد قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لم نقل به مع الاحترام والتقدير والإجلال لهؤلاء العلماء وعدم الانتقاص من قدرهم فهم اجتهدوا وأخطئوا في إجتهادهم ولكن من كانت عقيدته ليس على عقيدة أهل السنة والجماعة وعلمنا أنه تقصَّد إتباع قول أهل البدع فهذا لا يُعذر.
- نعم المطلوب من طالب العلم أن يسير خلف شيخه في طريقته في الاجتهاد ولكن أن يسير خلفه كالمُقلَّد فهذا ليس دأب طلبة العلم ولا دأب أهل العلم أن يكونوا كالمُقلِّدة.
- والذين قالوا بأن الزهد هو أفضل أنواع العبادات العوام منهم ظنوا أن هذا هو المقصد وجاءوا بالأحاديث التي ذكرناها وكذلك حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر علي ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيئاً أرصده لدين" [3]. وهذا الحديث يُبيِّن أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يتقلل من الدنيا فما كان يمر عليه ثلاثة أيام وعنده مال إلا أنفقه جميعاً في سبيل الله (عز وجل).
- وهذه الأحاديث نعم تُبيِّن الزهد والتقلُّل من الدنيا وعدم الرغبة في التعلق بها ولكن هذا ليس هو الغاية كما قلنا. فالغاية ليس أنك تجلس في المسجد ولا تأخذ بالأسباب الشرعية ولا تفعل العبادات التي تكون خارج المسجد فالنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يتعبد ويترك الدنيا بل كان يقضي حوائج المسلمين ويفصل بين المسلمين في منازعاتهم بل كان يجاهد في سبيل الله (عز وجل) لرفع كلمة لا إله إلا الله كما قال (صلى الله عليه وسلم): " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم " [4].
- فالنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يأمر الصحابة (رضي الله عنهم) بالجلوس في المساجد والتفرُّغ للعبادة فقط بل أمرهم بالعمل لدين الله (عز وجل) وأمرهم بنشر الدين والجهاد في سبيل الله (عز وجل) وأمرهم بتعلُّم العلم والعمل به ونشر العلم بين الناس ودعوتهم لدين الله (عز وجل) ومع ذلك يتزهَّدون ويتورَّعون ولا يأخذون من الدنيا إلا ما يكفيهم للآخرة ولا يكون مقصدهم التنعُّم في ملاذات الدين.
- فكثير من الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا أصحاب مال كعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما) بما يكافئ مليارات الآن ولكنهم كانوا يُنفقونها في سبيل الله (عز وجل) ولم تكن هذه الأموال والنِعم في قلوبهم بل كانت في أيديهم فقط وكانوا يستعملونها لمرضاة الله (عز وجل) ولم تتعلق القلوب بها ومع ذلك لم يتركوا هذه الأموال والتجارات ويجلسوا في المسجد بل كانوا ينمُّونها وكان عنده الفقه في كيفية التعامل مع الأموال.
- وتجد أن من يقول بالزهد والجلوس في المساجد محبوبون ومقربون عند العلمانيين لأن العلمانيين والذي على شاكلتهم يريدون فصل الدين عن كل شيء فيقولون تعبَّد في المسجد وصلي ولكن ليس لك التدخل في الدنيا فليست السياسة والأعمال من الدين.
- وهذا كما فعل النصارى فجعل الدين في الكنيسة فأصبحت الكنيسة يأتون إليها فقط طقوس يفعلوها ثم ظهرت العلمانية التي جعلت الدنيا بما فيها من حياة اجتماعية ومادية ليس لها علاقة بالدين فالدين عندهم هو الذهاب إلى الكنيسة ساعة أو ساعتين في الأسبوع يفعل بعض الطقوس - هذا إن ذهب إلى الكنيسة - وليس للدين أي تأثير في حياته.
- والخواص من هذه الطائفة قالوا بأنه ليس التزهُّد والجلوس في المساجد هو الغاية ولكن الغاية أنك تزكِّي القلب فتنقِّي القلب من الميل عن الدنيا والتكالب عليها فيصل إلى قلبك التوكل والخشوع و الإنابة لله (عز وجل) وقالوا هذا لا يكون إلا بالذكر باللسان والقلب فهم يخالفون العوام بأن العوام جعلوها مقصد فتركوا الدنيا وأما الخواص منهم قالوا أنه وسيلة وليست مقصد.
- وهذا كلام جيد ولكن الخواص بعد ذلك أنقسموا ففريق منهم قالوا إذا كنا في جمعيتنا أي خلوتنا نتعبَّد ونتذلَّل ونذكر الله (عز وجل) وجاءت الأوامر والفرائض تركنا ما نحن عليه وأتينا بالواجبات والفرائض وهذا حق لأنهم يعلمون أنهم مأمورون فالفرائض والواجبات وهذا أمتثال صحيح للأمر والنهي.
- والفريق الثاني الذين يسمون أنفسهم بالعارفين ولفظ العارف عندما نعرضه على الشرع فإن لم يكن فيه شيء نقول به فهو لفظ ليس فيه شيء لكنه عُرِفَ عند الصوفية فالأولى ألا يُقال عند أهل السنة لأن له معنى عند الصوفية يُخالف ما نقصده. ولكن

---

[1] راجع كتاب " مدارج السالكين" لابن القيم (رحمه الله).
[2] راجع كتاب " صفة صلاة النبي" للألباني (رحمه الله) تحت عنوان: " أقوال الأئمة في إتباع السنة وترك اقوالهم المخالفة لها".
[3] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
[4] أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما). وصححه الحافظ العراقي (رحمه الله) في تخريج الإحياء وحسنه الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في فتح الباري وصححه الألباني (رحمه الله) في إرواء الغليل وصحيح الجامع وضعفه شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في تحقيقه على مسند أحمد.

التعريف في نفسه ليس فيه مُشاحة في الحقيقة لأنه إذا قُصِدَ به العارف المُتعبَّد لله (ﷻ) وعنده بعض العلم فليس فيه شيء ولكن الإشكالية أن العارف عند الصوفية هو الذي وصل إلى درجة مُعيَّنة من التوكل والتذلل واليقين بالله (ﷻ) بعدها يتوقف عن العبادات.

- ولهذا المُسمَّى هذا يحتاج إلى تفصيل فقد يُراد به حق وقد يُراد به باطل فالأولى تركه فهو لم يكن مُعتاد عليه عند أهل السنة والجماعة وما نشأ إلا عند الصوفية.
- وهذا المُسمَّى نشأ عند الصوفية عندما تأولوا قول الله (ﷻ) خطئاً: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99] فقالوا قد أتاك اليقين فيتركون العبادات. وهذا لا شك أنه أبطل الباطل لأنه إذا كان أفضل الخلق على الإطلاق (ﷺ) ومن قبله الرسل (عليهم السلام) لم يأمرهم الله (ﷻ) بترك العبادات.
- فالفريق الثاني يقولون أنه من يفعل هذه الفرائض يفعلها لأنه يريد أن يجعل بينه وبين الله (ﷻ) صلة أما نحن في صلة دائمة فكيف نقطع هذه الصلة لنفعل ذلك. وهذا لا شك أنه من أبطل الباطل وقد وقعوا فيه بسبب الجهل وعدم العلم وينطبق عليهم قول مالك (رحمه الله): " إن قومًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد (ﷺ) بأسيافهم ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك" [1] وكذلك قول عمر بن عبد العزيز (رحمه الله): " من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح" [2].
- فهؤلاء وقعوا في مفاسد عظيمة لأنهم يصدون الناس عن طلب العلم وعن تعلم دين الله (ﷻ) ويقولون أجلسوا في المساجد وأفعلوا هذه العبادات والأوراد فقد ظنوا أنهم أتاهم ما أتاهم من اليقين فتركوا الأمر والنهي وهذا لم يُشرِّعه الله (ﷻ).
- فالمقصود باليقين في الآية ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99] هو الموت (نهاية الكلام عند التوقيت 19:40).

الصنف الثالث : رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعدٍّ فرأوه أفضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله ﷺ :« **الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله** » قالوا : وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النَّفَّاع متعدٍّ إلى الغير فأين أحدهما من الآخر ؟ ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .

وقد قال ﷺ لعلي :« **لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُر النعم** ». وقال:« **من دعا إلى هدىً كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص من أجورهم شيئاً** ». وقال :« **إن الله وملائكته ليصلون على معلِّمي الناس الخير** ». وقال :« **إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها** » قالوا : وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب

[1] راجع كتاب" مفتاح دار السعادة" لابن القيم (رحمه الله).
[2] راجع كتاب" جامع بيان العلم وفضله" الإمام القرطبي (رحمه الله).

النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه الذي تسبب فيه .

والأنبياء عليهم السلام إنما بُعِثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يُبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا أنكر النبي ﷺ على أولئك النفر الذين همُّوا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا : ومِن ذلك العلمُ والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة .

- قال المصنف (رحمه الله): " **الصنف الثالث:** رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفعٌ متعد فرأوه أفضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله (ﷺ): "الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" قالوا: وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد إلى الغير فأين أحدهما من الآخر؟ ولهذا كان "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ". وقد قال (ﷺ) لعلي: " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من حمر النعم" وقال (ﷺ): " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً" وقال (ﷺ): " إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير" وقال (ﷺ): " إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها". قالوا وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبب فيه. والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا أنكر النبي (ﷺ) على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس. ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا: ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة".
- هذا الصنف الثالث الذي ذكره المصنف (رحمه الله) وهذا منقول عن كلام ابن القيم (رحمه الله) في المدارج ولكن التقسيم نفسه جاء من المصنف (رحمه الله). فذكر أن الصنف الثالث في ذكر أفضل أنواع العبادات هي كل العبادات المُتعدِّية على الإطلاق أفضل من العبادات الذاتية أو لم يقولوا متعدية ولكنها العبادات التي فيها نفع للخلق هي أفضل من العبادات التي ليس فيها نفع للخلق.
- والحقيقة أنهم استدلوا ببعض الأحاديث بعضها ضعيف وموضوعة وبعضها صحيح ولكنهم لم يفهموها على الفهم الصحيح فقد جعلوا أي عبادة فيها نفع للخلق هي أفضل من غيرها. ولهذا تجد هذا الصنف عنده تقصير شديد في العبادات الذاتية فتجده لا يهتم كثيراً بالصلوات والصيام والزكاة وتجده يسير في حاجة الناس فلا يفعل العبادات المتفق عليها التي هي من أصول العبادات سواء كانت ذاتية أو فرائض.
- وكذلك عندهم تهاون في البعد عن المحرمات ويظن أن أفضل الناس الذي يسير في حاجة الناس واستدلوا ببعض الأحاديث منها الحديث الذي ذكره المصنف (رحمه الله) وهو قوله (ﷺ): "الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله" وهذا حديث ضعيف لم يثبت عن النبي (ﷺ) [1] وكذلك قوله (ﷺ): " إن الله وملائكته يصلون على معلمي الناس الخير" حديث ضعيف لم يثبت عن النبي (ﷺ) [2] وكذلك قوله (ﷺ): " إن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها " حديث ضعيف لم يثبت عن النبي (ﷺ) وإن كان معناه صحيح [3].

---

[1] أخرجه البزار وأبو يعلى والشاشي في مسنده عن أنس (رضي الله عنه) والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود (رضي الله عنه). قال حسين سليم أسد (رحمه الله) في التعليق على مسند أبي يعلى: " إسناده ضعيف". قال العجلوني (رحمه الله) في " كشف الخفاء" :" وقال ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية حديث الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله ورد من طرق كلها ضعيفة ولفظ بعضها الخلق كلهم عيال الله"

[2] أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه). وحسنه االألباني (رحمه الله) في " صحيح الترغيب والترهيب" ولكن صحَّح رواية أخرى للحديث عند الترمذي: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله (ﷺ) إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ".وقد اختلف بعض العلماء مع الشيخ الألباني (رحمه الله) في تصحيح هذا الحديث.

[3] راجع تخريج الحديث السابق

- واستدلوا بأحاديث أخرى صحيحة عن النبي (ﷺ) منها قوله لعلي (رضي الله عنه): " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من حمر النعم " [1] وهذا الحديث سنُعرِّج عليه وقد جاء في فتح خيبر. وأيضاً حديث النبي (ﷺ): " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً" [2].
- فهم أرادوا من هذه الأحاديث أن يُبيّنوا أن أنفع العبادات هي التي كانت فيها نفع للناس. وهذا الكلام فيه نظر لأنه هناك عبادات ثوابها وإن كانت ذاتية أعلى من العبادات المتعدية كما جاء في حديثه (ﷺ) في الصوم فيما يرويه عن الله (ﷻ) في الحديث القدسي: " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" [3] فلم يُحدد الله (ﷻ) أجر الصوم في الحديث فقد يفوق العبادة المتعدية والقول بأن العبادات المتعدية أفضل من العبادات الذاتية فيه صحة لكن ليس على الإطلاق كما ظهر من الحديث السابق وكذلك الحج رغم أنه عبادة ذاتية إلا أنه له ثواب أعلى من بعض العبادات المتعدية فقد قال (ﷺ): " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" [4] ولا شك إن هذا اجر يفوق كثير من العبادات المتعدية.
- ولا شك أن هناك بعض العبادات المتعدية أفضل من الذاتية كما قال (ﷺ): " أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله (ﷻ) سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل" [5].
- فالعبادات المتعدية ليس هي الأفضل على الإطلاق كما سيأتي في الصنف الرابع الذين فصلوا الكلام في ذلك فالحج النافلة أفضل كثيراً من كثير من العبادات المتعدية وكذلك الصوم النافلة.
- لا شك أن فضل العالم على العابد فضل عظيم وهذا متفق عليه بين الطوائف كلها لأن العالم عابد وزيادة فالعالم لا يكون عالماً إلا إذا كان عابداً أيضاً وأما العابد عبادته على نفسه فقط فقد عرف العالم كيف يعبد الله (ﷻ) على علم.
- ومناقب العالم كثيرة كما جاء في القرآن وفي السنة فالله (ﷻ) شهد للعلماء بالخشية كما في قوله (ﷻ): ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: 28] فالعلم يُورِّث الخشية وهم الذين شهدوا مع الملائكة أنه لا إله إلا هو كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: 18].
- ولكن هنا لابد من وقفة وهي من هو العالم المذكور في هذه الآيات والأحاديث فالمقصود هو العالم العابد فالعلم فقط لا ينفعه إن لم يكن يعمل به. وهؤلاء العلماء لهم صفات فمن صفاتهم أنهم لا يكتمون الحق إذا علموه ولهم صفة التواضع ولا ينافسون الناس في الدنيا ولا يبيعون دينهم للسلاطين فيبيعون الآخرة بعرض الدنيا. وكذلك من صفاتهم أنهم لا يعتدون على الأبرياء ولا يستعلون بمناصبهم على الآخرين.
- وكذلك من صفاتهم عدم المداهنة في دين الله (ﷻ) ولابد هنا ألا نخلط بين المداهنة والمداراة فهناك فرق بينهما فينصحون الولاة ويُبيّنون لهم الحق. وكذلك من صفاتهم عدم تبرير جرائم الغير ولا يبررون ما يفعله أهل الظلم والجور بل يجب عليهم ان يتصدوا لهم ويبينون الحق ويصدعون بكلمة الحق في سبيل الله (ﷻ). وكذلك ان يكون ظاهرهم مثل باطنهم فالعلماء الذين يتعلمون دين الله (ﷻ) لا يُخالف باطنهم ظاهرهم وهؤلاء لهم حقاً فضل على العباد وعلى غيرهم من الناس.
- وأما قوله (ﷺ) لعلي (رضي الله عنه): " لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ من حمر النعم " فلا شك أن الدعوة إلى الله (ﷻ) وإدخال الناس في الإسلام أفضل من ان تُقاتلهم. نعم نقاتلهم من أجل كلمة الله (ﷻ) فإن رضوا ودخلوا في الإسلام فهذا أفضل من نعائم الدنيا جميعاً. وهذا يُبيِّن عِظم الدعوة لدين الله (ﷻ) وأن المقصود من الجهاد في سبيل الله (ﷻ) ليس هو القتل ولا الأرض ولا السلطة ولا توسُّع المماليك ولا توسُّع الرياسات ولكن المقصود من الجهاد هو دعوة الناس إلى التوحيد فإن قبلوا كان وبها وإن لم يقبلوا يُطبَّق عليهم ما طُبِّق في شرع الله (ﷻ).
- وهذا الحديث فيه لفتة في القدر وهي أن علي (رضي الله عنه) لم يكن هو من يتطلع إلى هذا الولاء فقد قال (ﷺ): " لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله أو قال: يحب الله ورسوله يفتح الله عليه " [6]. وفي روايات أخرى كما عند البخاري: " فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه" فكلهم كان يرجو ذلك لأن فيه منقبة فحب الله (ﷻ) ورسوله

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) والرواية لمسلم.
2 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يرفث) من الرفث وهو الجماع والتعريض به وذكر ما يفحش من القول (يفسق) يرتكب محرماً من المحرمات ويخرج عن طاعة الله (ﷻ) (كيوم ولدته أمه) من حيث براءته من الذنوب.
5 أخرجه الطبراني في الصغير و ابن أبي الدنيا عن ابن عمر (رضي الله عنه).وحسنه االألباني (رحمه الله) في صحيح الجامع.
6 أخرجه البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

(ﷺ) من أفضل المناقب وكان علي (رضي الله عنه) أرمد [1] فلم يأتي من خيمته فسأل عنه النبي (ﷺ): " أين علي؟" فقيل يشتكي عينيه فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فعلي (رضي الله عنه) لم يكن يسعى لها ولكن قُدِّر عليه أنها له فقد يسعى الإنسان في أمر لم يكن مُقدَّر له ولا يسعى رجل في أمر ولكن قدَّره الله (عز وجل) له ثم قال له الحديث الذي ذكره المصنف (رحمه الله) في هداية الناس وفضلها.

- أيضاً بيَّن المصنف (رحمه الله) أن صاحب العبادة المتعدية لا ينقطع نفعه بعد مماته وهذا استئناساً بحديثه (ﷺ): " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" [2]. فلا شك أن العبادة التي فيها نفع للغير تعود على صاحب العبادة بالحسنات حتى وإن مات وهو في قبره ميزانه يثقل بهذه الحسنات.
- وكذلك قوله (ﷺ): " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" وهذا هو ثواب الدعوة لدين الله (عز وجل) أو الدعوة إلى ضلالة ولهذا كان ابن آدم القاتل عليه وزر من قتل إلى يوم القيامة لأنه هو من بدأ هذا القتل عندما قتل أخاه.
- ثم أتى بمسألة الثلاثة نفر فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) يقول: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ) فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: " وأين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" قال أحدهم: " أما أنا فإني أصلي الليل أبداً" وقال آخر: " أنا أصوم الدهر ولا أفطر" وقال آخر: " أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً" فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" [3]. وهذا الإنكار ليس على الاستزادة في العبادة فالاستزادة في العبادة إن كان على سنة النبي (ﷺ) فالإنكار كان على تجاوز سنة النبي (ﷺ). وهناك تفصيلات في هذه المسألة ليس مبحثها هنا.
- ونُضيف إلى ذلك حديث خديجة (رضي الله عنها) عندما بداية نزول الوحي على النبي (ﷺ) عندما قال: " لقد خشيت على نفسي" فقالت خديجة (رضي الله عنها): " كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتُقري الضيف وتُعين على نوائب الحق" [4] فكل هذه أفعال متعدية. فأحياناً تكون الأفعال المتعدية أفضل من الأفعال الذاتية ولكن ليست على الإطلاق كما قلنا.

الصنف الرابع : قالوا : أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد وإن آلَ إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن.

والأفضل في وقت حضور الضيف : القيام بحقه والاشتغال به .

والأفضل في أوقات السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء.

والأفضل وقت الآذان : ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذِّن .

---

[1] لا يرى بعينه جيداً (يشتكي عينه).
[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
[3] راجع المحاضرة السابعة عشر رقم (2) صـ 4.
[4] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها).

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه كالمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بَعُدَ .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج : المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن.

والأفضل في السفر: مساعدة المحتاج وإعانة الرِّفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة.

والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعية القلب والهمَّة على تدبره والعزم على على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك .

والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة : الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين.

والأفضل في العشر الأُخر من رمضان : لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليم العلم وإقرائهم القرآن [عند كثير من العلماء] .

والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وأذى الناس لك : أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذي لا يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من

المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه وعزلتهم في الشر خير من خلطتهم فيه . فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلّله فخلطتهم خير من اعتزالهم

وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبُّع مرضاة الله تعالى إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين وأرباب الجمعية وعطوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق .

- قال المصنف (رحمه الله): " الصنف الرابع: قالوا أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب (سبحانه) وشغل كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته. فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن. والأفضل في وقت حضور الضيف: القيام بحقه والاشتغال به. والأفضل في وقت السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء. والأفضل في وقت الأذان: ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن. والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد وإن بعد. والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج: المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن. والأفضل في السفر: مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة. والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتابٌ من السلطان على ذلك. والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر. والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد لا سيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين. والأفضل في العشر الأواخر من رمضان: لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثيرٍ من العلماء. والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك. والأفضل في وقت نزول النوازل وإيذاء الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم وإيذائهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه وعزلتهم في الشر أفضل من خلطتهم فيه فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم. وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق والأصناف التي قبلهم أهل التعبد المقيد فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى: إن رأيت العلماء رأيته معهم وكذلك في الذاكرين والمتصدقين وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق".

- هذا هو الصنف الرابع لتقسيم الناس لأنفع العبادات ويظهر من الكلام أن هؤلاء هم أهل التعبُّد المطلق وهذا هو المنهج المتكامل وهو أفضل الأقسام على الإطلاق.
- والحقيقة أن المصنف (رحمه الله) استفاض في هذا الصنف فسنعلق فقط لأن الكلام واضح لا يحتاج إلى كثير شرح ولكن سنبين بعض أصناف العبادات التي تكلم عنها.
- وخلاصة هذا الصنف هو أن المُتعبِّد الذي يتعبد لله (عز وجل) هذا التعبُّد المطلق هو الذي يُعطي كل شيء حقه. فهو يعبد الله (عز وجل) لمرضاته فقط فكلما وجد عبادة فيها مرضاة الله (عز وجل) فعلها ولكنه يفعل هذه العبادة في وقتها أي في الوقت المخصص لها.
- فإن كان وقت الجهاد كان مع المجاهدين وإذا كان وقت الأذان كان مع ترديده وإن كان وقت قيام الليل كان مع في قيام الليل وإذا كان وقت نوافل فعل النوافل وإذا كان وقت صيام كان مع الصائمين وإذا كانت عنده زكاة كان من أهل الزكاة وإذا كان في وقت الحج كان في أهل الحج.
- فهو يسير فقط لمرضاة الله (عز وجل) فقلبه وما يريده هو ما يرضي الله (عز وجل) لا يُهمّه متى وما هي العبادة فهو مع كل عبادة تجده. وهؤلاء هم أصحاب التعبُّد المطلق الذي لم ينتقي كما فعلت الأصناف الثلاثة السابقة فكل منهم أصحاب تعبُّد مُقيد فهذا أراد التزهُّد وهذا أراد الشدة وهذا أراد النفع المتعدي فكل منهم أخذ جانب من جوانب العبادة وأما الصنف الرابع أخذ العبادة جميعاً فكلما كان عنده القدرة أن يفعل العبادة فعلها.
- نعم ليس هناك أحد يستطيع أن يفعل كل أنواع العبادات ولكن لن يميل قلبه لعبادة دون أخرى فهو يحاول أن يأخذ من كل العبادات. فالمسألة عنده تقصير لعدم القدرة وليس تفضيل عبادة على عبادة.
- نعم قد تجد بعض الأخوة يميل للصيام أكثر لأن الصيام عنده أهون وبعضهم تجد عنده قيام الليل أهون وبعضهم تجد عنده الأنفاق أهون فالذي يميل إلى عبادة تجد أنه أصبح من التعبد المُقيَّد. وهؤلاء جاءوا في قوله (صلى الله عليه وسلم): " من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله ومن أسخط الله برضا الناس وكَّله الله إلى الناس" [1]. فهو يعلم أن الله (عز وجل) لو رضي عنه فسيُرضي عنه الملائكة في السماء والأرض ويُرضي عنه الناس أجمعين [2].
- فهو عنده قاعدة " لكل مقام مقال" فإذا جاء الجهاد فأنا مع أهل الجهاد وإذا جاء الصوم فأنا مع الصائمين وإذا جاء الحج فأنا مع الحجاج وإذا جاء الزكاة كنت مع أهل الزكاة وإذا كان الأمر في مصلحة العبد فأنا مع مصلحة العبد لقوله (صلى الله عليه وسلم): " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" [3].
- فالجهاد يكون باللسان أو بالسنان أو السيف فالجهاد بالسيف لأعداء الله (عز وجل) الكفار والجهاد باللسان يكون للمنافقين الذين يُظهرون الإسلام و يُبطنون الكفر فهو جهادهم باللسان بمجادلتهم بالحجة والرد على أقوالهم. تجد مقال يقول أحدهم اقنعوا الناس بعدم تقديس البخاري حتى يصفو لكم المسلمين ولا يوجد إرهاب فكيف نجمع بين قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] وقوله (صلى الله عليه وسلم): " بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم" [4] وكيف نجمع بين قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: 20] وقول قتادة أن أنس بن مالك (رضي الله عنه) حدثهم أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة " [5].
- فهو جمع بين أحاديث البخاري بالإرهاب وكأنه هو السبب فيه وهو جاهل جهول لا يعلم كيف يُوفّق بين الكتاب والسنة ولكن هدفه هو الضرب في السنة وأصبح الضرب في البخاري والهدف ترك الناس للقرآن والقرآن حمَّال أوجه فكل فرد يُحمِّله كما يريد فيُضيِّع دين الناس.
- والشاهد أن هؤلاء المنافقين لابد من مجاهدتهم باللسان ويُرُّد عليهم وحريٌ على كل من يتكلم في المساجد أن يُركِّز على مسألة السنة الآن لأن الضرب شديد في السنة فهم يريدون أن يهدموها وخاصة البخاري ومسلم فبعد ذلك لن يستقيم شيء فكل فرد يحمل القرآن يقول فيه كما يريد فالآية قد تحتمل عدة أوجه ونحن لا نعرف القرآن إلا بالسنة؟
- وهذا الجهاد لا يقل أهمية عن جهاد السنان فهو لا يقول لك لا تصلي ولا تصوم فهو يضرب لك في الأدلة التي تؤدي إليهما

---

[1] أخرجه ابن حبان عن عائشة (رضي الله عنها). وصححه الألباني (رحمه الله) في " صحيح ابن حبان". وقال شعيب الأرنؤوط (رحمه الله): "رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن يعقوب وهو ثقة".

[2] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض".

[3] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

[4] أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما). وصححه الحافظ العراقي (رحمه الله) في تخريج الإحياء وحسنه الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في فتح الباري وصححه الألباني (رحمه الله) في إرواء الغليل وصحيح الجامع وضعفه شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في تحقيقه على مسند أحمد.

[5] أخرجه البخاري عن أنس (رضي الله عنه) وبمعناه عند مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) وهو قولها: " كنت أطيب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم يطوف على نسائه ثم يصبح مُحرماً ينضخ طيباً"والرواية للبخاري.

فتجد نفس لا تفعل العبادات ويجلعون الناس مثل النصارى الذين لا يذهبون إلى الكنيسة إلا ساعة أو ساعتين ثم يذهبون إلى الدنيا.

- وفي الجهاد تُترك الأوراد فلا يترك الرجل الجهاد ويُقيم الليل فقد جعل الله (ﷻ) صلاة الخوف في الجهاد حتى لا يُترك الجهاد.
- وإذا جاءك ضيف فليس لك أن تترك الضيف وتقوم الليل فحق الضيف عليك أن تُكرمه وتُعطيه حقه فهذا واجب الوقت.
- وعند الآذان مع حضور درس أو قراءة قرآن فوقت العبادة الآن هو ترديد الآذان فتترك قراءة القرآن ومراجعته وتترك الدرس وتُردِّد الآذان وحتى لو كنت ستقوم إلى الصلاة تتوقف فهذه أفضل عبادة في هذا الوقت وترديد الآذان أفضل من قراءة القرآن والقيام للصلاة واستكمال الدرس.
- وكذلك وقت السحر فلا يوجد أفضل من الاشتغال بقيام الليل والذكر والقرآن والدعاء فيه فلا تترك هذا لتقضي حاجة لأحد أو أن تفعل أمراً آخر.
- وكذلك أوقات الصلوات الخمسة فالخلاف قائم بين العلماء على وجوب الصلاة في أول وقت الصلاة أم خلال وقت الصلاة ولكن لا شك أن الصلاة في أول وقتها هو المقصود ولا ننشغل عنها خلاف الوقت حتى لا يفوت وقت الصلاة. وقد كان فعل النبي (ﷺ) أنه كان يصلي الصلاة على وقتها. وكان ابن عمر (رضي الله عنهما) إذا آخر صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم نحر بدنة تعزيراً لنفسه [1].
- فالأصل الصلاة أنها على أول وقتها وذلك لقوله (ﷺ): " أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم" [2] والإبراد معناه الانتظار بعد ذهاب الحر الشديد فالأصل الصلاة على وقتها إلا في صلاة الظهر فالانتظار أولى حتى تُبرد.
- وكذلك تأخير صلاة العشاء فقد قال البخاري (رحمه الله): " حدثنا علي حدثنا سفيان قال عمرو: " حدثنا عطاء قال: " أعتم النبي (ﷺ) بالعشاء فخرج عمر فقال: " الصلاة يا رسول الله رقد النساء والصبيان" فخرج ورأسه يقطر يقول: " لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس وقال سفيان أيضاً على أمتي - لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة" [3].
- ومن العبادات التي ذكرها المصنف (رحمه الله) أنك لو وجدت حاجة لمحتاج فالأفضل مبادرة مساعدتهم بالمال والبدن كما جاء في حديث خديجة (رضي الله عنها) عندما ذكرنا قصة بدء الوحي [4].
- وإذا كنت في سفر ومعك صحبة فمساعدة الصحبة من تجهيز للأمر وإطعام طعام معهم أو تجهيز الأماكن أولى من أن تتركهم وتأخذ جانب وتأتي بالأوراد والقرآن لأن هذا هو الأفضل في العبادة من الأوراد اليومية.
- كذلك الأفضل في وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره والشفاء بقراءته وغير ذلك من النوايا المتعددة في قراءة القرآن كما قال (ﷻ): ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24].
- فالتدبر قد يكون واجب كما في الصلاة أو واجب كفائي أو سنة أو غير ذلك حسب الأحوال ولكن الأصل أنك تنتبه للمعاني وتخشع لسماع القرآن وتتدبر ما فيه من أوامر ومن نواهي.
- كذلك الأفضل في الوقت الوقوف بعرفة كما بينا الأسبوع الماضي [5] فقد جاء من فعله أنه دعى (ﷺ) بعد الزوال بعد أن انتهى من الخطبة فهذا أفضل العبادات في يوم عرفة أن تنشغل بالدعاء ولا تنشغل بأمر آخر. بعض الأخوة ينشغل بتوزيع أشياء مثلاً فهذا يصلح أن تساعد الناس أو تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولكن لا تنشغل عن الأصل وهو الدعاء فهذا اليوم الذي يُباهي به الله (ﷻ) بعباده أمام الملائكة.
- وكذلك الأفضل في أيام العشر من ذي الحجة الإكثار من التعبُّد ونحن نحتاج للتوقف عند هذه النقطة فالخلاف مشهور بين العلماء في التفضيل بين الأعمال في العشر الأوائل من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان. واختلف فيها الفقهاء على أقوال:

☜ **القول الأول:** العمل في أيام العشر الأوائل من ذي الحجة أفضل من العمل في العشر الأواخر من رمضان.

☜ **القول الثاني:** العمل في العشر الأواخر من رمضان أفضل من العمل في أيام العشر الأوائل من ذي الحجة.

☜ **القول الثالث:** العمل في ليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من العمل في ليالي أيام العشر الأوائل من ذي الحجة

---

[1] لم أقف عليه. ولكن ورد عند أحمد عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) وعند أبي دواد وابن ماجة والحاكم والبيهقي وابن خزيمة والطبراني عن غيره والرواية لأحمد بسند صحيح صححه الألباني (رحمه الله) في صحيح أبي داود وصححه الحاكم (رحمه الله) ووافقه الذهبي (رحمه الله) وحسنه النووي (رحمه الله) أن النبي (ﷺ) قال: "لا تزال أمتي بخير أو على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم". (تشتبك النجوم) يدل على كثرتها وتزاحمها.

[2] أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

[3] أخرجه البخاري عن عطاء (رضي الله عنه). (أعتم) أبطأ حتى دخلت ظلمة الليل (للوقت) أي هذا الوقت هو وقت هذه الصلاة المختار فلولا أن أشق على الناس لحكمت عليهم أن يصلوها في هذه الساعة. والمراد بقال وقال الإشارة إلى اختلاف الروايات.

[4] راجع رقم (4) صـ 6.

[5] راجع المحاضرة (17) صـ 10.

والعمل في نهار أيام العشر الأوائل من ذي الحجة أفضل من العمل في نهار العشر الأواخر من رمضان.

- والقول الثالث هو الذي اختاره ابن تيمية (رحمه الله).
- وبعض قالوا إن في هذا القول نظر لأنهم قالوا إن الحديث صريح في أن الأيام العشر هي الأفضل على الإطلاق وهو قوله (ﷺ): " ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟" قالوا: " ولا الجهاد؟" قال: " ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء" [1].
- والذي جعل بعض العلماء يفضلون العشر الأواخر من رمضان هو أن فيها ليلة القدر وقد قال فيها (ﷻ): ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: 3].

☜ **القول الرابع:** من أصاب ليلة القدر فهو أفضل من الأيام العشر من ذي الحجة وذلك لأن المنقبة في ليلة القدر فقط وليست في كل العشر الأواخر من رمضان ومن لم يصب ليلة القدر فالعشر الأوائل من ذي الحجة أفضل.

- وهذا الكلام فيه نظر فلو قلنا إن المسألة على إصابة الليلة فالنبي (ﷺ) قال تحروها في العشر الأواخر من رمضان فكأنك ملزم بالعشر ليالي من رمضان.
- وأفضل الطاعات في العشر الأواخر من رمضان الإعتكاف ولزوم المساجد حتى إن كثير من أهل العلم كانوا يغلقون الكتب ويتفرغ لقراءة القرآن وهذا كان دأب أهل العلم أنه إذا جاء رمضان يُوقفون دروس العلم ويتفرغون للقرآن. والاعتكاف كان هدي النبي (ﷺ) لأنه اعتكف في أول رمضان ثم اعتكف في الأوسط ثم دوام على العشر الأواخر عندما عَلِمَ بأن ليلة القدر فيها. ولهذا لا تعجب أن بعضهم قال إن الاعتكاف في العشر الأواخر أفضل من العمرة في العشر الأواخر وذلك لأن أفضل العبادة في هذا الوقت هو ما فعله النبي (ﷺ) وهو الاعتكاف بل إن النبي (ﷺ) لم يؤدي عمرة في رمضان قط. فمن ذهب للعمرة واعتكف في الحرم جمع بين الفضلين. وكذلك الصحابة (رضي الله عنهم) ورد عنهم الاعتكاف ولك يرد عنهم العمرة.
- ومن استدل بتفضيل عمرة العشر الأواخر على الاعتكاف استدل بقوله (ﷺ) للمرأة : " فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي" [2]. وبعضهم أول هذا الحديث وقال إن المقصود بهذا الحديث أنه واقعة عين فالعمرة أفضل في رمضان لمن لم يحج. ولكن الصحيح بأن المسألة على عموم اللفظ مُقدَّم على خصوص السبب فالعمرة في رمضان عموماً فيها منقبة وفيها فضل ولكن الخلاف كله هل العمرة في العشر الأواخر أفضل أم الاعتكاف؟
- بعضهم قال إن فعل النبي (ﷺ) كان الاعتكاف وبعضهم قال إن قول النبي (ﷺ) بأن العمرة في رمضان أفضل.

والمسألة خلافية في كتب الفقه لكن المذهب عند الشافعية يرى بأن الاعتكاف في المساجد أولى من العمرة في العشر الأواخر من رمضان.

- وعند مرض أخيك المسلم أفضل العبادات عيادته في هذا الوقت ولو مات مسلم فأفضل العبادات اتباع الجنائز ودفنه وتكفينه والدعاء له فكل مراسم الجنازة هي أفضل العبادات في هذا الوقت ولا يُقدَّم عليها شيء وقد تكون فرض كفاية أو فرض عين.
- وعن نزول النوازل فأفضل العبادات الصبر كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: 200] وقوله (ﷻ): ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90] وقوله (ﷻ): ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل: 127].
- وهذا دأب أهل العلم والصلاح أنهم عند نزول النوازل يصبرون على هذه النوازل كما فعل سحرة فرعون عندما سجدوا لله (ﷻ) مع موسى فابتلاهم فرعون فقال كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: 71-72].
- فصبروا على هذا البلاء لله (ﷻ) كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 142] وقوله (ﷻ): ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 179].
- وقد أُوذِي النبي (ﷺ) وهو أفضل الرسل فحبسوه في شعب مكة وقد أُوذِي في الطائف فقال: " لقد أخفت في الله وما يخاف

---

[1] أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري.

أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال " [1] وهو أفضل أولي العزم من الرسل.

- والمؤمن الذي يصبر على أذى الناس ويخالط الناس أفضل من الذي يصبر ولا يُخالط فالمسألة على أمرين: أولاً يصبر أو لا يصبر فالأصل أنه لابد يصبر وثانياً: يصبر ويخالط أم يصبر ولا يُخالط [2] هذا إذا لم تكن فتنتهم ستؤدي لفتنة أعظم.
- فالخلطة لها ضوابط فالخلطة في الخير أفضل من الخلطة في الشر ولكن الذي يتبين له الحق وعنده آله الاجتهاد ويستطيع أن يُوجَّه الناس في زمن الفتنة لا شك أنه أفضل من الساكت. فهذا الزمن هو الذي يحتاج فيه الناس لأهل العلم فمن يتصدى ويجتهد يريد مرضاة الله (ﷻ) فلا شك أنه أفضل من الذي يسكت وإن كان الذي سكت ليس عليه شيء لأنه إن لم يتبين له أو خاف على نفسه من الفتنة وخَشِيَ أن يفتن الناس معه فسكت وأنزوى فهو ليس عليه شيء ولكن الأفضل أنه يتصدى ويُرشد الناس إلى الخير.
- وقد جاء في حديث النبي (ﷺ): " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان " [3]. فالقوة المذكورة في الحديث ليست قوة بدنية فقط بل القوة أنه يستطيع أن يُبيَّن للناس في زمن الفتن ويتصدى لأهل الظلم وأهل الباطل ولا يُعطي الدنيّة في دين الله (ﷻ) وهذا من القوة في الإيمان فالخلطة والاعتزال ترجع لمسألة المصالح والمفاسد.
- فالمسألة عند صاحب التعبد المطلق ليس عبادة بعينها ولكن حبه أن يفعل ما يُرضي الله (ﷻ).

واستحضر هنا حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقول النبي ﷺ بحضوره :«هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكيناً »؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «هل منكم أحدٌ أصبح اليوم صائماً »؟ قال أبو بكر : أنا قال : « هل منكم أحد عاد اليوم مريضاً » ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : «هل منكم أحد اتبع جنازة »؟ قال أبو بكر : أنا...»الحديث .

هذا الحديث رُوِي من طريق عبد الغني بن أبي عقيل حدثنا نُعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في جماعة من أصحابه فقال : «من صام اليوم» ؟ فقال أبو بكر : أنا قال : «من تصدق اليوم» ؟

---

[1] أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والبغوي عن أنس (رضي الله عنه) والرواية لأحمد.قال شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في التعليق على مسند أحمد: " إسناده صحيح على شرط مسلم". وقال الترمذي (رحمه الله): " هذا حديث حسن صحيح" وصححه الألباني (رحمه الله) في صحيح الجامع وصحيح الترغيب والترهيب. وقال الترمذي (رحمه الله): "ومعنى هذا الحديث حين خرج النبي (ﷺ) فاراً من مكة ومعه بلال إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت إبطه".

[2] وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد والترمذي وابن ماجة والطبراني والبيهقي عن شيخ من أشياخ صحابة رسول الله (ﷺ) وهو ابن عمر (رضي الله عنه) كما في الأدب المفرد والرواية لأحمد قال النبي (ﷺ): " المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم". وصححه الألباني (رحمه الله) في الصحيحة.

[3] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

قال أبو بكر : أنا قال : «من عاد اليوم مريضًا» ؟ قال أبو بكر : أنا قال : «فمن شهد اليوم جنازة» ؟ قال أبو بكر : أنا قال : «وجبت لك » يعني الجنة

ونُعيم بن سالم وإن تكلم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان وله أصل صحيح

من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة : يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريَّان» فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ما على من يُدعى من هذه الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها ؟ قال : «نعم» وأرجو أن تكون منهم »

هكذا رواه عن مالك موصولاً مسنداً عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك .

ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن أبي شهاب عن حُمَيد مرسلاً . وليس هو عند القعنبي مرسلاً ولا مسنداً

ومعنى قوله : « من أنفق زوجين» . يعني : شيئين من نوع واحد ، نحو: درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك وإنما أراد – والله أعلم – أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع .

فهذا كالغيث أين وقع نفع صَحِبَ اللهَ بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس

إذا كان مع الله عزل الخلائق مع البين وتخلى عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم وما أعظم أُنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه .

- قال المصنف (رحمه الله): " واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) بحضوره: " هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكينا؟". قال أبو بكر: " أنا". قال: " هل منكم أحدٌ أصبح اليوم صائما؟". قال أبو بكر: " أنا". قال: " هل منكم أحدٌ عاد اليوم مريضا؟". قال أبو بكر: أنا. قال (صلى الله عليه وسلم): " هل منكم أحدٌ اتبع اليوم جنازةً؟". قال أبو بكر: " أنا ... الحديث. هذا الحديث روي من طريق عبد الغني بن أبي عقيل حدثنا نعيم بن سالم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: " كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالساً في جماعةٍ من أصحابه فقال: "من صام اليوم؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: "من تصدق اليوم؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: "من عاد اليوم مريضا؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: "من شهد اليوم جنازةً؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال: "وجبت لك". يعني: الجنة. ونعيم بن سالم وإن تُكلم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان وله أصل صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " من أنفق زوجين في سبيل الله نُودِيَ في الجنة: " يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" فقال أبو بكر (رضي الله عنه): " يا رسول الله ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحدٌ من هذه الأبواب كلها؟". قال: " نعم وأرجو أن تكون منهم". هكذا رواه عن مالك موصولاً مسنداً عن يحيى بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك. ورواه يحيى بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلاً. وليس هو عند القعنبي لا مرسلاً ولا مسنداً. ومعنى قوله: " من أنفق زوجين" يعني: شيئين من نوع واحدٍ نحو درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين أو صام يومين ونحو ذلك وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر لأن الاثنين أقل الجمع فهذا كالغيث أين وقع نفع صحب الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه".
- هنا بدأ المصنف (رحمه الله) يتكلم عن حديث أبي بكر (رضي الله عنه) ولقد برواية ضعيفة وذكر لها روايات أخرى وكان الأولى ذكر رواية الإمام مسلم (رحمه الله) وهي قوله (صلى الله عليه وسلم) الذي رواه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه): " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " من أصبح منكم اليوم صائما؟" قال أبو بكر (رضي الله عنه): " أنا" قال: " فمن تبع منكم اليوم جنازة؟" قال أبو بكر (رضي الله عنه): " أنا" قال: " فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟" قال أبو بكر (رضي الله عنه): " أنا" قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضا؟" قال أبو بكر (رضي الله عنه): " أنا" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة" [1].
- فهو استشهد بهذا الحديث ليدل على أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان له في كل باب عبادة ففي مرضاة الله (عز وجل). وهذا الحديث فيه كلام كبير فكل هذه الأمور التي فعلها أبو بكر (رضي الله عنه) كانت بعد الفجر وهذا عجيب فالنبي (صلى الله عليه وسلم) جلس مع أصحابه (رضي الله عنهم) بعد الفجر وسأل هذه الأسئلة فمتى فعل ذلك أبو بكر (رضي الله عنه)؟ فالصيام قد يكون انتوى الصوم ولكن متى صلى الجنازة ومتى عاد المريض ومتى تصدَّق؟ فهو فعلها ولم يكن يعلم هذا الثواب ثم عَلِمَ بعد ذلك بالمنقبة وهذا فضل فهناك فرق شاسع بين من عَلِمَ الحديث الآن فأراد أن يفعله وبين من فعلها وهو لا يدري منقبتها. وطبعاً لا شك في الخير لمن تقصَّد سنة ولكن نُبيِّن الفارق بين أُصِلّت له وبين من يفعلها. فالنبي (صلى الله عليه وسلم) كان يُصلِّي ركعتين ركعتين إلا في الوتر
- وأما كلام المصنف (رحمه الله) بمن أنفق زوجين أو صام يومين فليس عليه دليل. هو أراد أن يفعل المرء أقل الأعمال ولكن ليس كلها فيها أدلة فمثلاً لو صام يوماً يكفي. وهو يريد الخلاف الأصولي في مسألة أقل التكرار هل هو اثنين أو ثلاث.
- ومقصود المصنف (رحمه الله) فعل البر والخير وأن يفعل حتى القليل وإن كانت الأمثلة فيها نظر.
- ثم ختم المصنف (رحمه الله) هذا التقسيم البديع بمواصفات صاحب التعبد المطلق بأنه كغيث الذي ينزل من عند الله (عز وجل) كله

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

نفع يُنبت به الزرع وتشرب منه المواشي والدواب ونفع منه العباد فصاحب التعبد المطلق أينما يكون في مكان ينفع الله (ﷻ) به العباد فكل باب من أبواب العبادات له فيه سهم.

- فهو عندما يكون مع الله (ﷻ) لا يجمع معه أحد وإذا صَحِبَ الخلق تجد قلبه ونفسه ليست معهم فهما معلَّقان مع الله (ﷻ). وإذا كان في عبادة لله (ﷻ) تجد الخلائق ليست معه فالصلة بينه وبين الله (ﷻ) لا تنقطع فهو غريب بين الناس فما أعظم فرحه بالله (ﷻ) والطمأنينة التي تكون في قلبه لصلته مع الله (ﷻ).
- وهذه هي منزلة الإحسان التي جاءت في حديث جبريل (عليه السلام): أن تعبد الله كأنه يراك فإن لم تكن تراه فإنه يراك". فهو يستشعر الله (ﷻ) في كل شيء وهذه لا يصل إليها إلا خواص الناس الذين قلوبهم تدرجت من الإسلام إلى الإيمان ثم الإحسان. فهذه هي المرتبة العظيمة التي يصل إليها المرء من أهل التعبُّد المطلق.

الشريط التاسع عشر
آراء الناس في منفعة العبادة

محتويات الشريط التاسع عشر

1- آراء الناس في منفعة العبادة..... 1
1.1 الصنف الأول والثاني (التوقيت: 1 دقيقة و22 ثانية) 1
1.2 الصنف الثالث والرابع (التوقيت: 29 دقيقة و17 ثانية) 7

1- آراء الناس فى منفعة العبادة

1.1 الصنف الأول والثانى (التوقيت: 1 دقيقة و22 ثانية)

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقًا أربعة فهم في ذلك أربعة أصناف :

الصنف الأول : نفاة الحِكمة والتعليل الذين يردُّون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن تكون سببًا لسعادة في معاش ولا معاد ولا سببًا لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمرِ ومحضِ المشيئة كما قالوا في الخلق : لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود إليه منه وليس في المخلوقات أسباب تكون مقتضيات لمسببات وليس في النار سبب للإحراق ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد وهكذا الأمر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والأمر لا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور [به] صفة تقتضي حُسنَه ولا بالمنهي [عنه] صفة تقتضي قبحه .

ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ، ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف أي: كُلِّفُوا بها ولو سَمَّى مدَّعٍ محبته ملكٍ من الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يُعَدَّ محبا له وأول من صدرت عنه هذه المقالة «الجعد بن درهم » .

الصنف الثاني : القدرية النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا : ولهذا يجعلها سبحانه عِوضاً كقوله: ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: من الآية٤٣].

﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[النمل: من الآية٩٠].

﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢] [النحل: من الآية٣٢].

﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[الزمر: من الآية١٠].

وفي «الصحيح» : « **إنما هي أعمالكم أحصيها عليك ثم أوفيكم إياها** [٣]».

قالوا : وقد سماها جزاءً وأجراً وثواباً لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أي : يرجع إليه قالوا : ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى وهاتان الطائفتان متقابلتان فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطًا بالجزاء البتة وجوزت أن يُعذِّب الله من أفنى عمره في الطاعة ويُنَعَّم من أفنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة .

والقدرية أوجبت عليه سبحانه رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلىٰ العبد بدون عمله فيه تنغيص باحتمال

منه الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضُّله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وأن إعطاءه ما يعطيه أجرة على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء البته .

والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه فلو عَذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم .

وتأمل قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الزخرف:٧٢] مع قوله ﷺ:« **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال ولا تنافي بينهما لأن توارد النفي والإثبات ليس على محل واحد فالمنفيُّ باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن التفضُّل بالثواب ابتداءً متضمن لتكدير المنة .

والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي : باء السببية الثمنية رداً على القدرية الجبرية الذين يقولون : لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمارة.

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل بل أنواعاً فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

- قال المصنف (رحمه الله): " واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقا أربعةً وهم في ذلك أربعة أصناف: **الصنف الأول:** نفاة الحكم والتعليل الذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة. فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سببا لسعادة في معاش ولا معاد ولا سببا لنجاة وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة كما قالوا في الخلق: لم يخلق لغايةٍ ولا لعلةٍ هي المقصودة به ولا لحكمةٍ تعود إليه منه وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس في النار سبب للإحراق ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد. وهكذا الأمر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والأمر ولا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور صفةٌ تقتضي حسنه ولا بالمنهي عنه صفةٌ تقتضي قبحه. ولهذا الأصل لوازمٌ فاسدةٌ وفروعٌ كثيرةٌ. وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف أي: كلفوا بها ولو سمى مدعي محبة ملك الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفاً لم يعد محبا له. وأول من صدرت عنه هذه المقالة: الجعد بن درهم. **الصنف الثاني:** القدرية النفاة الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم: أن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره. قالوا: ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضاً كقوله: ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف: 43] ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النمل: 90] ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل: 32] ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: 10] وفي الصحيح: "إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها". قالوا: وقد سماها جزاءً وأجراً وثوابا لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أي: يرجع إليه. قالوا: ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى. وهاتان الطائفتان متقابلتان **فالجبرية:** لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتة وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره في الطاعة وينعم من أفنى عمره في مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة إليه والكل راجع إلى محض المشيئة. **والقدرية:** أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجرةً على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل. ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء البتة. والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه (عز وجل) فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالمٍ ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الزخرف: 72] مع قوله (صلى الله عليه وسلم): " لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله" تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال والحديث ينفي دخول الجنة بالأعمال ولا تنافي بينهما لأن توارد النفي والإثبات ليس على محلٍ واحدٍ فالمنفي باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنة. والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببية رداً على القدرية الجبرية الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمارة. والسنة النبوية هي: أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تُنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها. وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل بل أنواعاً فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه".
- تعرَّض المصنف (رحمه الله) هنا في هذا الفصل إلى سرد آراء الناس في منفعة العبادة فكيف ينظر الناس والطوائف المختلفة إلى منفعة وحكمة العبادة التي شرَّعها الله (عز وجل) فتكلم عن طائفتين متقابلتين كما قال والأولى وهي الجبرية وهم يرجع قولهم للجهمية فالجهمية والمعتزلة اللذان توافقا في مسألة تعطيل الأسماء والصفات وإن كانت الجهمية أشد تعطيلاً من المعتزلة لأن الجهمية نفت الأسماء والصفات وأما المعتزلة أثبتت الأسماء ونفت الصفات ولكن الأثنين يتشاركان في التعطيل.

- ولأن المسألة عندهم بالعقل والعقل يختلف من فرد إلى فرد فلا يصح أن يكون العقل حاكماً في الأمور التي تختص بالله (ﷻ) وتختص بالشرع فاختلف الجهمية والمعتزلة في مسألة منفعة العبادة فالجهمية أخذوا برأي الجبرية والمعتزلة أخذوا برأي القدرية النفاة واتفقت الصوفية مع الجهمية.
- فالصنف الأول (رأي الجبرية) قالوا بأن العبادة ليس لها حكمة وأن الله (ﷻ) لم يُشرِّع العبادة لحكمة بل شرعها كتكليفاً فقط بأنه كلَّف الناس بالعبادة فالتزم الناس بالعبادة فهي مجرد أوامر ونواهي وليس في العبادة حكمة شرعية يستخلصها المرء عندما يعبد الله (ﷻ). بل هو أمرهم بالعبادة فقط للأمر وليس لغاية معيَّنة وهذا كلام باطل لأنه يُنافي الآيات والأحاديث التي تُبيِّن حكمة العبادة وأن الله (ﷻ) ما خلق الخلق إلا لهذا الأمر. ولهذا لا تجدهم يتلذَّذون بالعبادة فهم يفعلوها من باب فعل الأوامر والتكليف لأن الله (ﷻ) أمر بها.
- وأدى ذلك ببعضهم وهم طائفة الصوفية قالوا إن المرء بعد فترة من فعل التكاليف يُصبح لا حاجة له في أدائها لأنه ليس هناك حكمة عندهم فيُسقط عن نفسه التكليف فقد وصل المرء إلى مرحلة معينة لا يحتاج فيها للعبادة.
- ومن أسس هذه العقيدة الفاسدة الجعد بن درهم وهو شيخ الجهم بن صفوان التي سُميت الجهمية باسمه ووافقهم الصوفية في ذلك.
- وهذا الكلام يُنافي قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] وقوله (ﷻ): ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ [البينة: 5].
- والعبادة لها منفعة على العبد كما في قوله (ﷻ): ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 97] فهذه الآية تدل على أن الحكمة من فعل العبادات أنه من فعلها سواء كان ذكراً أو أنثى يستشعر السعادة في حياته في الدنيا وفي الآخرة فتستشعر إنفراج القلب والسرور والإقبال على الله (ﷻ). وهذا لا يأتي بالمال والأشياء الدنيوية ولكن تأتي بالأعمال الصالحة التي هي العبادة وهي التي طلبها الله (ﷻ) من عبادة.
- وقد ذكرنا من قبل كلام يُنسب لرابعة العدوية وهو:" ما عبدت الله خوفاً من عذابه ولا طمعاً في جنته فأكون كأسير السوء ولكني عبدته حباً لذاته وشوقاً إليه" [1]. وهذا الكلام انتقل إليه كثير من طائفة الصوفية وأصبحوا يردودنه وهذا الكلام لا يصح فرابعة العدوية ليست مُشرِّعة في الدين هذا إن صحت نسبة الكلام إليها. فالرسل (عليهم السلام) وهم أفضل الخلق يدعونه رغباً ورهباً فهم يدعون الله (ﷻ) رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه وليس فقط لتنفيذ الأوامر والمشيئة.
- وهذه الطائفة الأولى كما قال المصنف (رحمه الله) عند ذكر الطائفة الثانية فلابد على الله (ﷻ) أن يُثيب الطائع ويعذب العاصي لأن العبادة هي مسألة أوامر فقط فليس هناك إشكالية بأن الطائع الذي يطيع الله (ﷻ) قد يدخله الله (ﷻ) النار وكذلك العاصي الذي يفعل المعاصي قد يدخله الله (ﷻ) الجنة لأن العبادة ليس لها فائدة في الآخرة وهذا لازم قولهم فليس هناك ارتباط بين الأعمال التي يفعلها المرء وبين الثواب والعقاب.
- وهذا يرجع لأن الجبرية ليس عندهم ارتباط بين السبب والمُسبّب وقالوا بأن النار لا تُحرق وأن الماء لا يروي والطعام لا يُشبع من الجوع فامتداداً جعلوا الجنة والنار ليس لها علاقة بالطاعة والمعصية فليس هناك ربط بين الأعمال التي يعملها العبد سواء كانت طاعات أو معاصي وبين الجنة والنار.
- وكذلك لأنهم جبرية فيقولون لو أن الله (ﷻ) يريد أن يُدخل الطائع النار ويُدخل العاصي الجنة فليس هناك إشكال لأن الله (ﷻ) خالق كل هذه الأشياء والأفعال.
- ورأي هذه الطائفة هو رأي الأشاعرة فليس الخلاف بيننا وبين الأشاعرة كما يظن البعض يرجع للأسماء والصفات والذي جعل الناس يُقربونهم لقول ابن تيمية (رحمه الله) فيهم: " وهؤلاء من أقرب الطوائف إلى السلف وأهل السنة والحديث" [2] فظن البعض أنه ليس هناك خلاف بيننا وبينهم إلا في مسألة الأسماء والصفات فقط. وهذا كلام خطأ فشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) فقط يُبيِّن بأن هؤلاء الطوائف كلها وإن كانت مبتدعة في باب الأسماء والصفات فأقربهم لأهل السنة والجماعة الأشاعرة.
- ولكن الأشاعرة لهم مخالفات كثيرة مع أهل السنة والجماعة فمثلاً في باب القدر هم جبرية وفي باب الإيمان هم مرجئة وفي الأسماء والصفات عندهم نوع من التعطيل. ولهذا كثير من كتب المتقدمين يُدخلون الأشاعرة من باب أصناف المُعطِّلة فالمعطلة أربعة أصناف أخفهم الأشاعرة فهم إن كانوا يثبتون بعض الصفات فهم يعطلون بقية الصفات.
- لهذا تجد الأشاعرة في مسألة منفعة العبادة لأنهم يقولون بقول الجبرية في مسألة عدم ربط الأسباب بالمسببات قريبين من قول

---

[1] راجع المحاضرة الأولى رقم (1) صـ 7.
[2] راجع كتاب " النبوات" لابن تيمية (رحمه الله).

الجبرية قي هذه المسألة.

- الطائفة الثانية التي ذكرها المصنف (رحمه الله) في مسألة منفعة العبادة هي طائفة القدرية النفاة الذين يندرج تحتهم المعتزلة ومن على شاكلتهم فهم يقولون إن المرء يدخل الجنة لأنها ثمن ومقابل لهذه العبادات فدخول الجنة سبب لطاعة المرء.
- فهم قاسوا المسألة على مسألة الأجير والمستأجر فالأجير إذا أدى عمله فالمستأجر يعطيه أجره فهم قاسوا ذلك على العلاقة بين الخالق والمخلوق فالمخلوق لو أطاع الله (عز وجل) فحقاً (وجب) على الله (عز وجل) أن يعطيه مقابل للطاعات التي أداها فجعلوا دخول الجنة ثمنية للأعمال وهذا الكلام باطل كما سيأتي.
- واستدلوا كما قال المصنف (رحمه الله) بآيات كثيرة منها قوله (تعالى): ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 43] وقوله (تعالى): ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النمل: 90] وقوله (تعالى): ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل: 32] فقالوا إن الباء في الآيات باء الثمنية فالجنة هنا جزاء للأعمال التي يعملها المرء.
- وكذلك قوله (تعالى): ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: 10] يدل على ذلك فالأجر مقابل الصبر الذي هو طاعة.
- وقوله الله (عز وجل) في الحديث القدسي: " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" [1]. الوفاء في الحديث هو الوفاء بالثمن فقد أطعنا الله (عز وجل) فحقاً على الله (عز وجل) أن يُدخلنا الجنة مقابل ذلك.
- ولا شك إن هذا الكلام فهم خاطئ وضلال لأنهم خلطوا بين باء الثمنية وباء السببية وهذا الذي جعل المصنف (رحمه الله) وهذا من بديع تصنيفه أن أتى بحديث مقابل لمفهوم وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): " لن يُدخل أحداً عمله الجنة" قالوا: " ولا أنت يا رسول الله؟" قال: " لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب" [2]. فهذا الحديث يبين بأن الرحمة والكرم من الله (عز وجل) هو الذي يُدخلك الجنة.
- فالباء الأولى في الآيات هي باء السببية والنفي في الحديث السابق عن الثمنية. فتجد بعض الناس تظن أنه هناك تعارض بين الآيات والحديث السابق فالتعارض يأتي عندما يأتي الدليل على مورد واحد [3] والمقصود ذلك أن الباء الأولى غير الباء الثانية في الحديث [4].
- فلو كان الباء التي في الآية الثمنية والباء التي في الحديث الثمنية وجاء نفي وإثبات نقول هناك تعارض ولكنه لا يوجد تعارض لأن الباء الأولى غير الباء الثانية.
- فالثمن مقابل مساوي فأنت الآن تشتري شيء فتدفع مقابله فهذا الكرسي مثلاً ثمنه عشر جنيهات فأعطيك عشر جنيهات فتعطيني الكرسي فالثمن مقابل الكرسي. ولكن ممكن أن تأتي إلى البائع فتقول أنا أريد الكرسي فيقول لك خذ هذا الكرسي دون مقابل لأنك خلقك طيب وأنت من طلبة العلم فالبائع أعطاه الكرسي بسبب أنه من الحريصين على طلبة العلم وستستعمله في الخير فالسبب يظهر فيه المنة.
- والذي جعلهم يقولون بالثمنية بسبب أصل القدرية النفاة الباطل وهو أن المخلوق يخلق أفعاله وبعضهم قال إن المخلوق يخلق أفعال الشر والله (عز وجل) يخلق أفعال الخير.
- فالعبد لو أخذ الجنة بدون مقابل فهذا فيه منَّة والأصل أنه لا أحد يمن على أحد. فحتى لا يشعر العبد بأن أحد يمن عليه فلابد أن تكون المسألة في المقابل وهو الثمن. فهو أطاع الله (عز وجل) فالله (عز وجل) يعطيه مقابل الطاعات.
- فهم يروا أن الجنة لو كانت منَّة من عند الله (عز وجل) فهذا فيه تكدير للمنَّة كما نقل عنهم المصنف (رحمه الله) والأصل عدم تكدير المنَّة وعدم شعور احد بأن أحد متفضل عليه.
- فالآيات ترد على الجبرية لأن الجبرية قالوا بأن الله (عز وجل) له أن يُدخل العبد الطائع النار ويُدخل العبد العاصي الجنة ويُدخل العبد الطائع الجنة بمشيئته ليس لأنه فعل العبادة ولكن تفضُّلاً من عند الله (عز وجل). فالآية تقول إن دخول الجنة بسبب الأعمال.
- والحديث السابق فيه رد على النفاة القدرية فالنفاة القدرية جعلوا المسألة ثمن فرد عليهم (صلى الله عليه وسلم) انهم لن يدخلوا الجنة بهذا

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه).

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.(عمله) أي عمله وحده لا يجعله مستحقا للجنة وموجبا لها لأنه لا يقابل شيئا من نعم الله (عز وجل) على الإنسان وإنما هو سبب لتفضل الله (عز وجل) بذلك (يتغمدني) يغمرني ويسترني (فسددوا) اطلبوا السداد وهو الصواب بفعل القربات دون غلو ولا تقصير (قاربوا) الكمال في الاستقامة إن لم تصلوا إليه (إما محسناً) إما يكون محسناً فيزداد ببقائه حياً (فلعله) بحياته (يستعتب) يتوب ويرد المظالم ويطلب رضا الله (عز وجل) ومغفرته.

[3] المقصود بمورد واحد هو اشتراك النص الأولى والثاني في شيء له نفس المعنى وكان هناك حكمان مختلفان للشيء نفسه في كل نصٍ منهما. فأول شيء عند الجمع بين النصين لأنه لا تعارض في الشرع نتأكد منه أننا نتكلم عن نفس الشيء في النصين فإن تأكدنا أننا نتكلم عن نفس الشيء نبحث عن وسيلة أخرى للجمع كالنسخ مثلاً أو غير ذلك من طرق الجمع المعروفة عند علماء الأصول. ولو رأينا أنهما شيئين مختلفين فلا وجود للتعارض أصلاً فهو من باب الوهم.

[4] بعد البحث لم أقف على رواية للحديث فيها الباء فروايات البخاري ومسلم كلها ليس فيها الباء وإن كان اسم الباب الذي يقع فيه الحديث في صحيح مسلم هو "باب لن يدخل أحد الجنة **بعمله** بل برحمة الله تعالى".

الثمن ولكن برحمة الله (ﷻ). وأنت حتى لو وزنت أعمالك كلها بنعمة واحدة من نِعم الله (ﷻ) مثل البصر والسمع والقدم واليد وغير ذلك فلا تجد أعمالك تكافئها.

- فاستكمالاً لقول القدرية على أصلهم الباطل بأن الله (ﷻ) خلق الخير ولم يخلق أفعال الشر وأن العباد هم الذين يخلقون الشر فتراهم يقولون بأن المقابلة مقابل أفعال الخير ولكن ليس هناك عقاب على العبد مقابل أفعال الشر. فإن فعل المعاصي والذنوب لا يُعاقب عليها لأنه عندهم هو الذي خلق بنفسه أفعال الشر. والرد عليهم بسيط بأنه لا فائدة من النار طبقاً لكلامكم فلماذا يدخلها العباد إن كانوا هم الذي خلق أفعالهم ولم يخلقها الله (ﷻ) فتعذيب الله (ﷻ) للعصاه على زعمهم بلا جريرة.

1.2 الصنف الثالث والرابع (التوقيت: 29 دقيقة و17 ثانية)

الصنف الثالث : الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية فلوا عُطِّلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها . وهذا يقوله طائفتان:

إحداهما من يَقرُب إلىٰ الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار.

والطائفة الثانية : من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى ، فإذا حصل لها ذلك بقي متحيراً في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها ، ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان:

أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للنفوس.

والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها له إلى حالتها الأولى من البهيمية فهذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها .

الصنف الثالث : الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية فلوا عُطِّلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها . وهذا يقوله طائفتان:

إحداهما من يَقرُب إلىٰ الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار.

والطائفة الثانية : من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد . ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى ، فإذا حصل لها ذلك بقي متحيراً في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها ، ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان:

أحدهما من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للنفوس.

والآخرون يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها له إلى حالتها الأولى من البهيمية فهذه نهاية إقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها .

الصنف الرابع : هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنيٌّ على معرفة حقيقة الإلهية ومعنى كونه سبحانه إلهاً ، وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها ، وارتباطها [بها] كارتباط

متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة والأصوات بالسمع والإحسان بالرحمة والعطاء بالجود فعندهم من قام بمعرفتها على النحو الذي فسرناها به لغة وشرعًا مصدراً وموردًا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها وعَلَمَ أنها هي الغاية التي خلقت لها العباد ولها أرسلت الرسل وأُنزلت الكتب وخُلقت الجنة والنار .

وقد صرح سبحانه بذلك في قوله :﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦] فالعبادة هي التي وجدت لأجلها الخلائق كلها كما قال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾[القيامة:٣٦] أي مهملاً.

قال الشافعي رحمه الله : لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب.

وهما تفسيران صحيحان ، فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهي والأمر والنهي هو الطلب للعبادة وإرادتها.

وحقيقة العبادة امتثالها . ولهذا قال تعالىٰ :﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾[آل عمران: من الآية١٩١]

وقال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[الحجر: من الآية٨٥﴾ ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[الجاثية: من الآية٢٢].

فأخبر الله تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه ، فإذا كانت السماوات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق

فكيف يقال إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو إن ذلك لمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد.

- قال المصنف (رحمه الله): " **الصنف الثالث:** الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبُعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلةً لانتقاش صور المعارف فيها. وهذا يقوله طائفتان: **إحداهما:** من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار. **والطائفة الثانية:** من تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد. ثم مِن هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى فإذا حصل لها ذلك بقي متحيراً في لفظ أوراده والاشتغال بالوارد منها. ومنهم: من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها وهم صنفان أيضاً: **أحدهما:** من يقول بوجوبها حفظاً للقانون وضبطاً للناموس. **والآخرون:** يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيمية. فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله. ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاث أو مجموعها.
والصنف الرابع: هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة الإلهية ومعنى كونه (سبحانه وتعالى) إله: أن العبادة موجَب الإلهية وأثرها ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة والأصوات بالسمع والإحسان بالرحمة والإعطاء بالجود. فعندهم: من قام بمعرفتها على نحو الذي فسرناها به لغةً وشرعا مصدراً وموردا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به وعلم أنها هي الغاية التي خلقت لها العباد ولها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلقت الجنة والنار. وقد صرح (سبحانه وتعالى) بذلك في قوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[الذاريات: 56] فالعبادة هي التي ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها كما قال تعالى: ﴿ **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** ﴾[القيامة: 36] أي: مهملاً. قال الشافعي (رحمه الله): "لا يُؤمر ولا يُنهى". وقال غيره: " لا يُثاب ولا يُعاقب" وهما تفسيران صحيحان فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنهي والأمر والنهي هو طلب العبادة وإرادتها. وحقيقة العبادة: امتثالها. ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا** ﴾[آل عمران: 191] وقال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾[الحجر: 85] وقال تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾[الجاثية: 22] فأخبر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه. فإذا كانت السماوات والأرض إنما خلقتا لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال: إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو إن ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد؟".
- تعرَّض المصنف (رحمه الله) لصنف آخر من أصناف آراء الناس في منفعة العبادة وهذا الصنف الذين زعموا أن العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف وهؤلاء هم مدَّعون التصوُّف فالعبادة رياضة تُخرج ما في النفس من آثام وتُرقِّي الأرواح وترتفع بها وتجعل العبد في إحساس باللذة والنشوة وغير ذلك من الأشياء التي يدَّعيها أهل التصوُّف كما قالوا رياضة للنفس.
- والتصوُّف جاء من لبس الصوف الخشن وبعض العُبَّاد والزُهَّاد يُنسب إليهم مسألة التصوُّف. ولفظ التصوُّف هو لفظ مُستحدث لم يكن يُعرف في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا الصحابة (رضي الله عنهم) من بعده ولذلك هو يحتاج إلى تدقيق فلا يثردُّ اللفظ بالكلية ولا يُثبت بالكلية والأفضل عدم استخدامه لأنه أصبح ملازماً لظاهرة التصوُّف الحالي من أهل البدع المخالفين للسنة والمنحرفين عنها. ولكن إن ذُكِرَ على أنه من الأشياء التي فيها زهد وورع كما في سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلا شيء في ذلك. وأما استخدام لفظ الصوفية على أنها عبادة كالصلاة أو الصيام أو الزكاة فهذا خطأ. وإن كان استخدامه في شرك أو كفر أو بدعة فيُمنع استخدام هذا اللفظ لأن الشرك والكفر والبدعة ممنوعين.
- وفي منفعة العبادة اجتمعت الصوفية مع المتكلمين وهم بداية الفلاسفة ولابد أن نؤكد أن هناك فلاسفة العالم كأرسطو وفلاسفة اليونان ثم جاء من بعدهم فلاسفة المسلمين وهؤلاء حُسِبوا على أهل الإسلام فقط فليس في الإسلام فلسفة فلا يظن أحد أنه هناك فلسفة إسلامية وهم سُمُّوا فلاسفة المسلمين لأنهم من أهل الإسلام وإن كان هناك منهم ملحدين كالفرابي وابن سينا

وغيرهما ممن أخذ من فلاسفة اليونان.

- وملازمة الصوفية للقبورية ليست ملازمة تامة ولكن هذا عند الصوفية المنحرفة تجد عندهم مسألة القبور ومسألة الأولياء والغلو في الأولياء كما فعلت الشيعة في الغلو بآل البيت والأئمة.
- فالصوفية أصل المسألة عندهم أنهم يجعلون العبادة رياضة للنفس وتُنقيها وتُزهدها وتجعل النفس تسمو إلى علو. وهذا الكلام لم يكن موجود في العصور الخيرية ولا بعد ذلك.
- وهذا الصنف بالغوا في العلَّة والحكمة فهم ناقضوا الصنف الأول الذين لم يجعلوا هناك علَّة ولا حكمة فأخرجوا العبادة من مقصودها الأصلي وهو مرضاة الله (ﷻ) وطمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب إلى رياضات روحية ونفسية وسار على هذا الكلام ابن رشد الابن وابن سينا وغيرهم من فلاسفة المسلمين كما بيَّنا.
- وأما الصوفية قالوا إن العبادة شُرِعت حتى يصل المرء إلى مرحلة معينة من الكمال ثم قال الغلاة فيهم أنه بعد ذلك لا يحتاج إلى العبادة فيتركوها ويسقط عنه التكليف وهكذا قال ابن عربي وابن الفارض ولهم كلام كفري كثير في هذه المسألة فالعبادة عندهم هي صلة بين العبد وربه وهو قد اتصل بالله (ﷻ) فلا يحتاج إليها.
- وتجد الآن بعضهم يقول إن الركوع يفعل كذا في الدورة الدموية والسجود يفعل ينشط المخ والذكر عند تحريكك للفم يؤدي إلى كذا فتجدهم يُحلِّلون الصلاة كأن أركانها وهيئاتها فيها فائدة بدنية وفائدة قلبية. والهدف من هذا الكلام كأن الصلاة تفيدك صحياً فهو كلام معاصر لكلام الصوفية القُدامى فهو يُخرج الصلاة من العبادة وكذلك الصوم إلى منافع مادية من فعل الطاعة. والأصل أن الطاعة لا تُفعل إلا لمرضاة الله (ﷻ) وطمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب. هم نعم قد يقصدون ترغيب الناس في العبادة فيقول لو صليت او توضأت فانظر إلى الأثر المتربت على ذلك مادياً. فهدفهم الأصلي هو إخراج العبادة عن مقصودها الأصلي الذي يريده الله (ﷻ) حتى ولو كانت حقائق علمية مُثبته فالهدف ليس إثبات هذه الحقائق ولكن الهدف جعل العبادة رياضة وعلو وسمو وإخراجها عن هدفها الأصلي.
- والمشكلة الأساسية أنه من يعتقد في هذه الفوائد المادية فقد يأتي بعد فترة لا يُصلي ويبحث عن شيء آخر غير الصلاة يؤدي إلى نفس النتيجة وهذا هو سبب ضلال الصوفية الموجودة الآن فهم قالوا إنه إذا وصل لمرحلة معيَّنة في العبادة فهو ال يحتاج للعبادة بعد ذلك.
- فغلاة الصوفية قالوا أنهم جاءهم اليقين كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[الحجر: 99] فهو لا يحتاج إلى عبادة الله (ﷻ). فبدايتها أنها كانت عبادة للنفس فلما لبَّس عليه الشيطان بأن الله (ﷻ) والرسول (ﷺ) ينزل إليه فلم يعد يحتاج للعبادة.
- نعم العبادة لها فوائد مادية مثل قراءة القرآن لاطمئنان القلوب ولكن ليست هذه هي الغاية وليست الحكمة من العبادة فالحكمة من العبادة مرضاة الله (ﷻ) وامتثالاً لأوامره ونواهيه طمعاً في دخول الجنة برحمته وتكون العبادة سبب في دخول الجنة وخوفاً من دخول النار.
- وقد تكلمنا عن ثلاثة طوائف ضالة في مسألة منفعة العبادة وهي الجبرية ومن وافقهم من الجهمية والقدرية ومن وافقهم من المعتزلة والصوفية والفلاسفة. فهؤلاء أخذوا الحكمة من طرف واحد وتركوا الحكمة الأصلية.
- حتى إن غلاة الفلاسفة والصوفية يقولون إذا رأيت الشخص يفعل الزنا أو يشرب الخمر أو يفعل كبيرة فلا تظن فيه شيئاً فإنك لا تعلم حقيقة ما بينه وبين الله (ﷻ) فهم يروا أنه رُفِعَ عنه التكاليف فقد وصل لحقيقة بينه وبين ربه (ﷻ) فهم يقولون لعوامهم الذين يُألِّهون الشيخ الصوفي أو الولي الذي عندهم أنه إذا رآه يفعل الكبائر فلا يظن به سوءاً لأنك لا تعلم ما الحقيقة التي بينه وبين ربه (ﷻ). وهناك من مشهورين الصوفية من يعتلي سطح أحد المنازل ثم يتبول على عوامهم وهم يتبركون ببوله وآخر يزني وهم يقدمون له.
- وأما الصنف الرابع الذي ذكره المصنف (رحمه الله) وهو الصنف الصحيح عقيدة وعملاً وهم الذين جمعوا بين الخلق والأمر وبين القدر والسبب فعندهم سر العبادة مبني على حقيقة الإلوهية.
- فعندهم القدر والسبب لا يتنافيان فالقدر هو أن تؤمن وتعتقد بأن كل شيء بقدر من الله (ﷻ) وهذا لا يمنعك أن تأخذ بالأسباب فالقدر والشرع هم طرفا عبادة التوكل فحتى تتوكل على الله (ﷻ) حق التوكل فلابد أن تجمع بين القدر والشرع فأنت تعتقد بأن كل شيء بقدر من الله (ﷻ) والشرع أنك تأخذ بالأسباب الشرعية التي تُوصلك إلى هذا التوكل.
- فإن اعتمدت على القدر فقط ولم تأخذ بالأسباب الشرعية فأنت متواكل. وإن أخذ بالأسباب الشرعية فقط ولم تعتقد وتستيقن بأن الأمر مُقدَّر من عند الله (ﷻ) فأنت لم تحقق التوكل بل اعتمدت على السبب فدخلت في الشرك الأصغر أو الأكبر. فإن اتخذت سبباً غير مُشرَّع فهو شرك أصغر وإن اعتقدت أن السبب هو الذي يُنجِّيك كأن مديرك هو الذي يرزقك أو فلان هو الذي ينفعك أو يضرك فهذا شرك أكبر.
- فالذين حققوا القدر والسبب وآمنوا بالخلق والأمر وآمنوا بأن أصل العبادة مبني على معرفة الله (ﷻ) في حقيقة الإلوهية هم أهل السنة والجماعة. فطالما أنت اعتقدت بأن الله (ﷻ) إلهاً فالعبادة لزوماً تكون للإله كما أن السمع لزوماً للأصوات فنحن

نسمع الأصوات بالسمع وترى بالعين فكذلك لزوماً أن الإله لابد أن تكون له العبادة وليست لأحدٍ سواه.

- وهذا الصنف الرابع هو نفسه الصنف الذي تكلمنا عنه في العبادة المطلقة الذين قالوا بأن لكل وقت عبادة فهم يؤدون العبادات في شتى المجالات ويريدون الثواب من الله (ﷻ) فهم يفعلون العبادة رغبة في الله (ﷻ) ورهبة منه كما كانت تفعل الرسل (عليهم السلام) كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: 90].وكذلك قوله (ﷻ) في العباد الصالحين: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[السجدة: 16].
- وهذا طبيعي أن يكون على هؤلاء على شاكلة الرسل (عليهم السلام) لأن الله (ﷻ) اصطفاهم لهداية الناس.
- فهم يقولون إن العبادة واجبة مُعلَّة فليست واجبة فقط كما قال الصنف الأول وليس مُعلَّة فقط. وهذا يرد على الجبرية والقدرية والصوفية.

الشريط العشرون
تابع آراء الناس في منفعة العبادة وخاتمة الكتاب

محتويات الشريط العشرين

1- تابع آراء الناس في منفعة العبادة (استكمال الحاضرة السابقة) 1
1.2 تابع الصنف الرابع (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية).....1
2- قواعد العبادة (التوقيت: 46 دقيقة و59 ثانية) 9

1- تابع آراء الناس في منفعة العبادة (استكمال الحاضرة السابقة)

1.2 تابع الصنف الرابع (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية)

- تكلمنا في المحاضرة السابقة عن الصنف الثلاثة الأولى فالصنف الأول الجبرية وهم الذين نفوا الحكمة والتعليل في العبادة والأمر كله يرجع لمشيئة الله (ﷻ) فهو أمرهم بالعبادة فهم ينفذون مشيئة الله (ﷻ) وليس لها غاية ولا مقصود وهذا لأنهم لا يربطون بين السبب والمُسبّب. والأشاعرة يدخلون في هذا الكلام
- والصنف الثاني هم القدرية وهم أثبتوا جزءاً من الحكمة والتعليل في العبادة ونفوا جزءاً لأن العبد عندهم يخلق مشيئته بنفسه.
- والصنف الثالث الذين قالوا إن العبادة هي رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف وهي تنقل العبد من الحالة السبعية البهيمية لتجعل بين العبد والله (ﷻ) صلة والقائلون بهذا الكلام هم الصوفية وفلاسفة المسلمين وألحقنا بهم من يدَّعي أن العبادة لها فوائد طبية وفوائد معنوية كأن يقول إن الركوع والسجود والقيام يؤدي إلى تليين العضلات والدم يصل أفضل إلى الرأس وغير ذلك وكأن المقصود من العبادات المنفعة البدنية للجسم فقط.
- والقول الحق هو قول الصنف الرابع الذين جمعوا بين الخلق والأمر أي الذين يؤمنون بأن الله (ﷻ) هو الخالق وبما أنه هو الخالق فهو الآمر فهو الرب وهو الإله فيجمعون بين الربوبية والإلوهية. ويجمعون أيضاً بين القدر والسبب فكل شيء مُقدَّر من عند الله (ﷻ) وهذا لا يمنعهم أن يأخذوا بالأسباب وهذا هو مفهوم التوكل.
- فعندهم حقيقة العبادة مبني على حقيقة الإلوهية وهي أنك إذا آمنت حقاً بأن الله (ﷻ) هو الرب وأنه هو المعبود بحق وأنه حقاً هو الإله فلابد أن تسجيب لأوامر الله (ﷻ) وتنتهي عن نواهيه.
- فالعبادة هي حقيقة الإلوهية كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56] فمراد الله (ﷻ) والحكمة من خلق الأنس والجن هي عبادته (ﷻ). فمن لم يعبد الله (ﷻ) فهو لم يحقق الإلوهية فأثر أنك تؤمن بأن الله (ﷻ) هو الإله الحق أن يظهر ذلك في عبادتك.
- فكما أن المتصف بصفة والصفة لا تنفك عنه وكذلك الشيء المعلوم لا ينفصل عن العلم والمقدور لا ينفصل عن القدرة وأن الأصوات لا تنفصل عن السمع وغيرهم من اللوازم التي لا تنفك عن بعضها فمن لوازم الإلوهية العبادة فطالما قلت بالإلوهية فلابد تحقيق العبادة.
- فهذا الصنف جعل العبادة أثر من آثر الإلوهية ومقتضى من مقتضياتها وموجب من موجباتها فهؤلاء استقامت لهم معرفة غاية العبادة وحكمتها فالعبادة هي التي من أجلها خُلِقَ العباد كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56] والتي من أجلها أرسل الله (ﷻ) الرسل كما في قوله (ﷻ): ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: 36].
- وما أُنزلت الكتب والشرائع إلا لتحقيق هذه المسألة وهي عبادة الله (ﷻ) بالكيفية والشروط والهيئة التي أرادها الله (ﷻ) من عباده.
- وما خُلِقت الجنة والنار إلا لثواب أهل العبادة ومجازاة أهل عدم تحقيق العبادة فمن استجاب للرسل وأتى بالعبادة فكانت الجنة له جزاءاً وِفاقاً ومن استكبر فكانت النار له جزاءاً وِفاقاً فقد قال (ﷻ): ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة: 36] أي مهملاً وقال فيها الشافعي (رحمه الله): "لا يُؤمر ولا يُنهى". وقال غيره: " لا يُثاب ولا يُعاقب" [1] وكلا التفسيرين صحيحان وذلك لأنه إذا كان سيُؤمر ويُنهى فلابد أن يُثاب إن استجاب ويُعاقب إن أبى.
- وردَّ المصنف (رحمه الله) على الطوائف الثلاثة السابقة الذين قالوا بأن العبادة لا غاية لها أو أن العباد يدخلون الجنة ثمناً لأعمالهم أو رياضة النفوس بأن الإنسان خُلِق لغاية وهي العبادة والامتثال لله (ﷻ) واستدل على ذلك بقوله (ﷻ): ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾ [آل عمران: 191] فلا يمكن أن يكون خلق السماوات والأرض باطلاً فلابد أن تكون خُلِقتا لعلة وغاية وحكمة وكذلك قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾[الحجر: 85] وقوله (ﷻ): ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الجاثية: 22] فبما أن خلق السماوات والأرض لغاية وحكمة فمن باب أولى أن يكون خلق الإنسان لغاية وحكمة.
- فالعبد الذي يبحث عن محبة الله (ﷻ) فلابد أن يبحث عن كل ما يُرضي الله (ﷻ) وكل ما يُرضي الله (ﷻ) هو تعريف العبادة الذي ذكرناه من قبل قول ابن تيمية (رحمه الله) في تعريفها أنها: "**هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال**

[1] راجع تفسير ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية.

والأفعال الباطنة والظاهرة" [1] فيرجع العبد في النهاية إلى إمتثاله لجميع أنواع العبادات التي شرعها الله (ﷻ) له.

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلقَ لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره.

- قال المصنف (رحمه الله): " وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحي علم أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره".
- وهنا رجع المصنف (رحمه الله) في أن العبادة الأصل فيها المحبة ولابد مع المحبة الخضوع. وكما قلنا فقد تحب المرء ولا تخضع له فالمرء يحب زوجته وأولاده ولكن لا يخضع لهم. وقد يخضع المرء لمن لا يحبه كأن يخضع لرئيس أو لملك او حاكم فالخضوع منفرداً أو المحبة منفردة لا تحقق العبادة فلابد من تحقق المحبة أولاً بأن يحب العبد الله (ﷻ) ومراده ويحب رسول الله (ﷺ) ومراده ويخضع لله (ﷻ) وحده فالعبادة هي غاية الحب مع غاية الذل والخضوع والانقياد فلا عبادة بلا انقياد فالعبادة هي المحبة والخوف والرجاء كما ذكرنا من قبل.

فأصل العبادة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا يحب معه سواه وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه كما يحب أنبياؤه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من دونه أندادًا يحبهم كحبه وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر والنهي يتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل سبحانه اتباع رسوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران: من الآية ٣١].

فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم الله تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع فَعُلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول. ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. ومتى

[1] راجع المحاضرة الرابعة رقم (1) صـ 8.

كان عنده شيء أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره قال تعالى﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤]، وكلُّ مَن قدّم قولَ غير الله على قول الله أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبَّه.

- قال المصنف (رحمه الله): " فأصل المحبة محبة الله بل إفراده تعالى بالمحبة فلا يحب معه سواه وإنما يحب ما يحب لأجله وفيه كما يحبه أنبياؤه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من دونه أنداداً يحبهم كحبه. وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه فعند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة ولهذا جعل (سبحانه وتعالى) اتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) عَلَما عليها وشاهداً لها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31] فجعل اتباع رسوله (صلى الله عليه وسلم) مشروطاً بمحبتهم لله تعالى وشرطاً لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع. فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب إله مما سواهما ومتى كان عنده شيءٌ أحب إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره الله قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة: 24] وكل من قدم قول غير الله على قول الله أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبه".
- وقد ذكرنا من قبل أن المحبة تكون لله (عز وجل) ولا يتساوى معها محبة أحد ولكن يحب لله (عز وجل) وفي الله (عز وجل) ومن أجل الله (عز وجل) كما يحب الأنبياء والرسل (عليهم السلام) والملائكة لأنها من محبة الله (عز وجل) كما قال (سبحانه وتعالى): ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31] فبيَّن الله (عز وجل) أنه من كان يحب الله (عز وجل) يلزمه اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم) وما جاء به ومحبة أولياء الله (عز وجل) الصالحين أيضاً ولكنها محبة مُقيَّدة فهي محبة لله (عز وجل) وأما محبة الله (عز وجل) فليس لها شريك وليس لها ند بل لابد أن تُفرد لله (عز وجل).
- وهذا يظهر جلياً في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة: 24] فهذه الأصناف إن قُدِّمت على محبة الله (عز وجل) فهذا ضلال وفسق فلابد أن تكون محبة الله (عز وجل) ثم محبة النبي (صلى الله عليه وسلم) مُقدَّمة على هذه الأنواع من المحبَّات.
- وهذا كما في حديث عبد الله بن هشام (رضي الله عنه) قال: " كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: " يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي" فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال له عمر: " فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي" فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): " الآن يا عمر "[1]. فبيَّن (صلى الله عليه وسلم) أن محبته لابد أن تكون أعلى من المحبَّات الأخرى التي ذكرت في الآية وأعلى منها محبة الله (عز وجل). فالعبودية لا تتحقق إلا بإفراد المحبة لله (عز وجل) مع الخضوع حتى يتكمل جناحي العبادة.
- وعلامة المحبة اتباع النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو المقياس الفصل في هذه المسألة كما قال ابن القيم (رحمه الله): " لما كثر المُدَّعون

[1] أخرجه البخاري عن عبد الله بن هشام (رضي الله عنه).

للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرفة الشجي فتنوع المُدَّعون في الشهود فقيل: " لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31]" فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله" [1]. فالله (ﷻ) أنزل الشرائع لرسوله (ﷺ) ليُبلِّغ فإن كنت حقاً تدَّعي محبة الله (ﷻ) فوجب عليك لِإزاماً أن تتبع النبي (ﷺ).

- فمن قال أنه يحب الله (ﷻ) وأن قلبه عامر بالإيمان ولا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا يحج ولا يعتمر ولا يفعل الخير فنقول له أنت كاذب لأن قلبك لو كان عامر بالإيمان حقاً وجب عليك اتباع أوامر الله (ﷻ) وتنتهي عما نهاك الله (ﷻ) عنه. فالظاهر ينضح على الباطن فلا يمكن ان يكون القلب يدعي محبة الله (ﷻ) ولا يظهر ذلك على الظاهر. فالانقياد لا يكون لنا إلا ظاهراً فالانقياد باطناً بالعبادات القلبية لابد أن يظهر لنا على الظاهر.
- فالمصنف (رحمه الله) أولاً بيَّن بأن العبادة لها غاية وحكمة والعبادة لا تتحقق إلا بالمحبة والخضوع وعلامة هذه المحبة وأثرها أن تظهر في اتباع النبي (ﷺ) وهذا تدرُّج بديع من المصنف (رحمه الله) وهذا لا يظهر إلا عند الصنف الرابع.

لكن قد يشتبه الأمر على مَن يقدّم قولَ أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قاله الرسول ﷺ فيطيعه ويحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك فهذا معذورٌ إذا لَم يقدر على غير ذلك .

وأما إذا قدِرَ على الوصول إلى الرسول ﷺ وعرف أن غير مَن اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسألة معينة ولَم يلتفت إلى قول الرسول ولا إلى قول مَن هو أولى به فهذا يُخاف عليه وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده صلى الله عليه وسلم فهي كلها تعللات لا تفيد .

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فإن استحل مع ذلك ثَلبَ مَن خالفه وقَرَضَ عِرضَه ودينه بلسانه أو انتقل من هذا إلى عقوبته أو السعي في أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين .

- قال المصنف (رحمه الله): " لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظنا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلا ما قال الرسول (ﷺ) فيطيعه ويحاكم إليه ويتلقى أقواله كذلك فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك.

[1] راجع كتاب " زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم (رحمه الله).

وأما إذا قدر على الوصول إلى الرسول (ﷺ) وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقا أو في بعض الأمور كمسألةٍ معينةٍ ولم يلتفت إلى قول الرسول (ﷺ) ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه".

- وهذا أيضاً اختبار لمن أدعى محبة الله (ﷻ) وهي فقرة مهمة جداً تحتاج لكلام كثير جداً وقد وضع لها بعض العلماء عنوان وهو " تقديم الآراء على نصوص الوحي منافي للمحبة". وهذا هو أصل كل طائفة خالفت الكتاب والسنة فتجده قدَّم رأي أو قول على ما جاء في الكتاب والسنة.
- فتجد المتكلِّمة قدَّموا العقول على الكتاب والسنة فردُّوا ما ردوا من الأسماء والصفات ووقعوا فيما وقعوا فيه من القدر وغير ذلك. وكذلك هناك من يقدم قول الأئمة على الكتاب والسنة كما عند الشيعة فعندهم الأئمة معصومة فتجده يُقدِّم إمامه على الكتاب والسنة فوقعوا فيما وقعوا فيه من البدع والمنكرات والشركيات وكذلك الصوفية يُقدِّم الشيخ أو الولي على الكتاب والسنة.
- فتجد جميع الطوائف المنحرفة قدَّموا ما يعتقدوه على ما ينبغي لهم أن يعتقدوه من نصوص الوحي. فكل من قدَّم غير قول الله (ﷻ) وغير قول النبي (ﷺ) أو حكم بغير حكم الله (ﷻ) أو حكم النبي (ﷺ) فهذا يدل على عدم المحبة كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: 31] فالمحبة لا تكون بالاتباع والاتباع لا يكون إلا بتحكيم قول الله (ﷻ) وقول النبي (ﷺ).
- فمن قدَّم هذا على هذا فهذا دليل أولاً على عدم المحبة ثم بعد ذلك هناك تفصيل: فالحالة الأولى من قدَّم رأي شيخه على الكتاب والسنة وهو يظن أن هذا الشيخ الذي يتبعه أنه أعلم بالكتاب والسنَّة وأنه عنده من العلم والاجتهاد فهو مُقلِّد فلو أخطأ هذا الشيخ فلا شيء عليه لأنه من العوام وهو أصلاً يتبع الكتاب والسنة من خلال شيخه. لكن إن تبيَّن له بأن الحكم في مسألة ما قالها الشيخ مخالف للكتاب والسنة واتبع شيخه فهذه إشكاللية كبيرة وهذا الذي يكون فيه الإثم ويقع تحت قوله (ﷻ): ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[الأحزاب: 36] بل يجب عليه إتباع غيره ممن أصاب القرآن والسنة.
- وهذا وللأسف يحدث كثيراً في جانب الملتزمين فمن يلتزم شيخاً معيناً أو مذهب معين يُقدِّم رأيه وهذا مذموم. وحتى ولو قلنا بأن ندرس فقهياً مذهب ولكن لا نتعصب لمذهب ولكننا نتبع الكتاب والسنة ودراسة المذهب فقط من باب التأسيس ولكننا لا نتقيد بالمذهب وهذا يظهر كثيراً في الشروحات.
- والتعصب للمذاهب إشكالية حدثت في المذاهب الأربعة فتجد الأحناف يتعصبون جداً لأبي حنيفة (رحمه الله) ويستدلون بأحاديث واهية جداً على أن أبا حنيفة (رحمه الله) العالم الأول وأن كل الناس عيال على أبي حنيفة (رحمه الله) في الفقه وأنهم لابد أن يتبعوه كما قال بعض أهل العلم [1].
- وهذا التعصب حدث للشافعي (رحمه الله) فالشافعية وقبله مالك (رحمه الله) تعصب له المالكية وأتوا بالقول المنسوب للنبي (ﷺ): " يُوشك أن تضربوا - وقال سفيان مرة: أن يضرب الناس - أكباد الإبل يطلبون العلم لا يجدون عالماً أعلم من عالم أهل المدينة" [2].
- والتعصب للشافعي (رحمه الله) لأنه مُطلبي أي من قريش وهو ناصر السنة بالقول المنسوب للنبي (ﷺ): " إن الله ليرسل لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها" [3] وكان الإمام أحمد (رحمه الله) يرى أن الشافعي (رحمه الله) هو مجدد المائة الثانية [4]. ويستدل الشافعية بحديث ضعيف كذلك وهو القول المنسوب للنبي (ﷺ): " عالم قريش يملأ الأرض

---

[1] هذا الكلام ذكره الذهبي (رحمه الله) في كتاب العرش عن الشافعي (رحمه الله) أنه قال في مدح أبي حنيفة (رحمه الله): " من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ".

[2] أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي والخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية لأحمد. وقال الترمذي (رحمه الله): "حديث حسن". وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.قال شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في التعليق على الحديث في المسند: " إسناده ضعيف ورجاله ثقات رجال الصحيح إلا أن ابن جريج (وهو عبد الملك بن عبد العزيز) مدلس ولا يدلس إلا عن ضعيف وهو هنا قد عنعن ولم يذكر سماعه من أبي الزبير وكذا أبو الزبير (واسمه محمد بن مسلم بن تدرس) مدلس وقد عنعن"

[3] أخرجه أبو داود والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وسكت عنه الحاكم (رحمه الله) والنووي (رحمه الله) وقال بعضهم صحَّحاه وذكر المناوي (رحمه الله) أن الحاكم (رحمه الله) صححه ولعله سقط من النسخة المطبوعة للمستدرك وصححه الألباني (رحمه الله) في الصحيحة وقال: "والسند صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم".

[4] قال السيوطي (رحمه الله) في كتاب " الدر المنثور": " أخرج البيهقي (رحمه الله) في المدخل والخطيب (رحمه الله) من طريق أبي بكر المروزي قال: " قال أحمد بن حنبل: إذا سُئِلتُ عن مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعي لأنه ذُكِرَ في الخبر عن النبي (ﷺ) إن الله يقيض في رأس كل مائة سنة من يُعلِّم الناس السنن ويُنفي عن النبي (ﷺ) الكذب فنظرنا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي". قال الذهبي (رحمه الله) في كتاب " سير أعلام النبلاء": " قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبراً قلت فيها بقول الشافعي لأنه إمام قرشي وقد رُوِيَ عن النبي (ﷺ) أنه قال: "عالم قريش يملأ الأرض علماً". إلى أن قال أحمد: وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي".

علمًا" [1] وقوله (ﷺ): " تعلموا من قريش ولا تُعلِّموها " [2].

- وكذلك أصحاب أحمد (رحمه الله) يتعصبون له كثيراً ويقولون إنه كان إمام أهل السنة بعد ثباته في فتنة خلق القرآن فيُقدِّموه على غيره. وكل هذا تعصبات من أهل المذاهب للأئمتهم وهذا كلام مذموم ولا نقول به.
- وهذا الكلام حدث في زمن الصحابة فقد قال أحمد (رحمه الله) في مسنده: " حدثنا حجاج حدثنا شريك عن الأعمش عن الفضيل ابن عمرو قال: " أراه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تمتع النبي (ﷺ) فقال عروة بن الزبير: " نهى أبو بكر وعمر عن المتعة!" فقال ابن عباس: " ما يقول عرية؟" قال: يقول: " نهى أبو بكر وعمر عن المتعة!" فقال ابن عباس: " أراهم سيهلكون! أقول: قال النبي (ﷺ) ويقول: نهى أبو بكر وعمر" [3]. فمن قدَّم قول أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) خَشِيَ عليهم ابن عباس (رضي الله عنهما).
- وقال الإمام أحمد (رحمه الله): " عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: 36] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك" [4].
- هو قال الفتنة الشرك وذلك لأن الشرك سيحدث لأنه سيقع في قلبه على أن هذا قُدِّم على قول الله (عز وجل) وقول النبي (ﷺ) فكانت سبباً في هلاكه. وهذا الكلام على من تبيَّن له أن الشيخ مخطأ في هذه المسألة فأصرَّ على إتباعه أو رأى رأي من هو أعلم من هذا الشيخ ولكنه قدَّم رأي هذا الشيخ لأنه يحبه فقط. أما المقلِّد فهو يختار الشيخ ثم يتبعه وهو حقاً يتبع الكتاب والسنة بهذا الطريق.
- فكل من قدَّم قول العالم أينما كان على قول الله (عز وجل) أوقول النبي (ﷺ) فهذا يُخاف عليه لأنه يقع تحت قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب: 36] فأنت إذا علِمت بأن هذا قول الله (عز وجل) وقول النبي (ﷺ) فليس لك أن تختار.
- قال المصنف (رحمه الله): " وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم مني بمراده (ﷺ) فهذه كلها تعللات لا تفيد".
- فتجد وللأسف الإخوة الذين يتعصبون لشيوخهم يقولون إنني ليس عندي العلم فهل أنت أعلم من شيخي وهل وصلت لعلمه. وهو يتعلل بذلك ليس لأنه يريد أن يُبيَّن عدم علمه ولكن هدفه أن يكسر جدالك. فأنت ترد عليه بأن: " هل شيخك معصوم وهل من الممكن أن يُخطأ أم لا؟". فإن قال لك معصوم فهذه كارثة وإذا قال يخطأ فلماذا لا تنظر أنه أخطأ في هذه المسألة؟ فطالما هناك علماء آخرون قالوا بقول آخر وقيلَ لك إن شيخك أخطأ في هذه المسألة لماذا تُصر على قوله ولا تنظر للعلماء المعلوم عنهم باتباع الكتاب والسنة ولماذا تفق عند هذا العالم فقط ولا تسأل غيره؟ فأنت مأمور بأنك إذا علمت أن هذه المسألة فيها خطأ أو أن هذا الشيخ يخالف الصحيح فلابد ان تنظر في هذه المسألة وتذهب إلى من تعلم عنه وليس عدم علمك سبب بأنك تتبع الشيخ على هذه المسألة.
- فإننا إن وجدنا الحق مع الشافعية قلنا به وإن كان الحق مع الحنابلة قلنا به وهذا يظهر في مسائل كثيرة فمثلاً الوضوء من أكل

---

[1] أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي في التاريخ والبيهقي في مناقب الشافعي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وضعفه السخاوي في المقاصد الحسنة.

[2] أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده وفي المصنف وعنه ابن أبي عاصم في السنة من طريق عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سهل بن أبي حثمة (رضي الله عنه) مرفوعا. قال البوصيري: رحاله ثقات (بواسطة هامش المطالب العالية). ورواه عبد الرزاق في المصنف ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى عن معمر عن الزهري (في المصنف عن سليمان بن أبي حثمة (رضي الله عنه)) وفي السنن الكبرى عن ابن أبي حثمة (رضي الله عنه)) أن رسول الله (ﷺ) قال. ورواه البيهقي في مناقب الشافعي من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال: " كان أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة -وكان من علماء قريش- يقول: فذكره. قال البيهقي (رحمه الله): " هكذا رواه شعيب بن أبي حمزة. ورواه محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عبد الله بن واقد عن أبي بكر بن سليمان عن النبي (ﷺ) وهو مرسل جيد. ورواه الشافعي في المسند من طريقه البيهقي في معرفة السنن والآثار عن ابن أبي ذئب عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله (ﷺ) قال: فذكره. ورُوِيَ أيضًا من حديث جبير بن مطعم رواه ابن أبي عاصم في السنة والبيهقي في مناقب الشافعي. ورُوِيَ أيضاً من حديث عتبة بن غزوان ومن حديث عبد الله بن السائب أخرجهما ابن أبي عاصم في السنة. ورُوِيَ أيضًا من حديث أنس أخرجه أبو نعيم في الحلية فالحديث صحيح بهذه المتابعات والشواهد.

[3] أخرجه أحمد وابن عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) بسند صحيح كما ذكر أحمد شاكر (رحمه الله) في تعليقه على الحديث في المسند وقد ضعفه بعض العلماء وذكره ابن عبد البر (رحمه الله) في كتاب" جامع بيان العلم وفضله" والخطيب البغدادي (رحمه الله) في كتاب" الفقيه والمتفقه"."يوشك" أي يقرب ويدنو ويسرع. وهذا القول من ابن عباس (رضي الله عنهما) جواب لمن قال له: " إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان إفراد الحج أفضل. وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب لحديث سراقة بن مالك (رضي الله عنه) حين أمرهم النبي (ﷺ) أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة فقال سراقة: " ألعامنا هذا أم للأبد؟" فقال: " بل للأبد". وحديث: " افعلوا ما أمرتكم به فلولا أني سقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم به " في أحاديث. فلهذا قال ابن عباس (رضي الله عنهما) لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما):" يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء...الحديث". فإذا كان هذا قول ابن عباس (رضي الله عنهما) في الخليفتين الراشدين فكيف بمن ترك قول رسول الله (ﷺ) لقول من هو دونهم؟.

[4] لم أقف على مصدره ولا صحته لكنه ورد في كتاب " فتح المجيد". سفيان هو سفيان الثوري الإمام الزاهد الثقة الفقيه.

الجزور فأحمد (رحمه الله) يقول بالوضوء بخلاف الشافعي (رحمه الله) والراجح في هذه المسألة أن الحق مع أحمد (رحمه الله).

- ونقض الوضوء من مس المرأة فيه أربعة أقوال فالأحناف يقولون ليس في مس المرأة شيء فمسها مطلقاً لا يُبطل الوضوء والشافعية يروا بأن مس المرأة مطلقاً يُبطل الوضوء والمالكية قالوا مس المرأة بشهوة يُبطل الوضوء وبغير شهوة لا ينقض الوضوء والحنابلة أتوا بالثلاث أقوال والراجح مع الأحناف في هذه المسألة بأن مس المرأة لا ينقض الوضوء.
- فالمسألة ليست تعصب لمذهب ولكن المسألة في الأدلة فمن أصاب الحق بالدليل نتبعه في هذه المسألة.
- قال المصنف (رحمه الله): " هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فإن استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه ودينه بلسانه وانتقل من هذا إلى عقوبته أو السعي في أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين".
- فتجد للأسف إذا خالف أحدهم شيخه في مخالفة فقهية ليس فيها شيء فهي مخالفة في الدين فلك شيخ أن يخالف ويأخذ برأيك أو لا يأخذ به فإن لم تعجبه هذه المخالفة استحل ثلب من خالفه أي تكلم في عرضك أو في دينك لمجرد أن تُخالفه في الراي أو الفتوى أو المسألة فيقول هذا من أفسق الناس أو أبدع الناس أو أكفر الناس وهذا يشوش على الناس ويتكلم في الأئمة ويتكلم في كذا وكذا.
- وقد لا يكتفي فقط بالتشنيع عليك لأنك خالفته ولكن قد ينتقل ليُعاقبك فيذهب للسلطان فيقول له هذا الرجل يشتمك ولا يبايعك ولا يدعو لك على المنابر فيضربك عن السلطان حتى يقتص منك.
- وهذا حدث مع الإمام أحمد (رحمه الله) فابن أبي دؤاد كان المعتزلة وكان يقول بخلق القرآن فلم يستطع أن يواجه الإمام أحمد (رحمه الله) وغيره من العلماء علمياً بالدليل والحجة لأنه يعلم أنه على باطل فوشى بهم عند السلطان وهو المأمون فعذَّب المأمون من عذَّب وقتل من قتل وحدث ما حدث في فتنة خلق القرآن.
- وهذا ما فُعِلَ مع ابن تيمية (رحمه الله) عندما دخل مصر وأفتى بأن الصلاة للقبور والدعاء عندها من الشرك فهاج عليه أهل مصر وكان سيُعدم لولا أن تدخَّل علماء مصر ومنهم العز بن عبد السلام (رحمه الله) وغيره وأنقذوه. ثم ذهب إلى الشام وأفتى هناك أنه لا تُشَدُّ الرحال إلا لثلاثة مساجد ونهى عن شد الرحال إلى قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأفتى بأن طلاق الثلاث لا يقع إلا طلقة واحدة فلم يُعجب ذلك العلماء في هذا الوقت فقرعوه بالحجة والدليل فلم يستطيعوا أن يقفوا أمامه فوشوا به عند السلطان فظل في سجنه حتى مات.
- فهؤلاء من قديم الزمان الذين لا يستطيعون مجابهة الدليل بالدليل والحجة بالحجة فعندما يعجز لا يجد إلا أن يذهب إلى السلطان ليحتمي به فيُوشي بالذي خالفه فإما ليقتله أو يجبسه أو غير ذلك وقد قال فيها الشاعر

ياويح قومٍ لا يُميز جُلُّهم ذا الحق من ذي دعوة البطلانِ
فتصدَّر الجُهَّالُ والضُلَّالُ فيـ ـهم بادِعاء العلم والعرفانِ
من كُلِّ من يختالُ في فضاضِهِ فدمٌ ثقيلٌ واسع الأردانِ
مُتقمِّشٌ من هذه الأوضاعِ والـ آراء إمعةٌ بلا فُرقانِ
يُبدي التَّمدُشق في المحافلِ كي يُرى للَّناس ذا عِلمٍ وذا إتقانِ
تباً لهُ من جاهلٍ مُتَعالمٍ مُتسلطٍ بولايةِ السلطانِ
رفعت خسيسته المناصبُ فازدرى أهل الهُدى والعِلمِ والإيمانِ
ليس التَّرفع بالمناصب رفعةً بالعلم والتقوى عُلُوُّ الشَّانِ
تَرَكَ المنابر من يقوم بحقِّها من كُلِّ ذي لسن وذي عرفانِ
ونزا عليها سفلةٌ ياليتهم قد أُدرجوا من قبلُ في الأكفانِ
خطبوا التفرق فوقها ولطالما خُطبت عليها إلفةُ الإخوانِ
تبكي المنابرُ منهُمُوا وتودُّ لو تندكُّ تحتهموا إلى الأركانِ
ما عندهم بالأمر الأولِ خبرةٌ بل نقل آراءٍ أو استحسانِ
جَهِلوا كتاب اللهِ وهو نجاتهم وهُدى النَّبي مبُيّن القُرآنِ
وجفوا مناهج خير أسلافٍ لهم في العلم والتقوى وفي الإتقانِ
لا يرجعون لآيةٍ أو سنةٍ أو سيرةِ الماضين بالإحسانِ
بل يرجعون لراي من القوا لهم بأزِمَّةِ التَّقليد والأرسانِ
فالأولون أتوا بأحكامٍ لنا فيها مُخالف سُنَّةٍ وقُرانِ
والآخرون أتوا لنا بطرائق غير الطريق الأقوم القُرآني
ومُحصل الطُّرق التي جاءُوا بها أوضاع سُوءٍ ردَّها الوحيانِ

ويح الشَّريعةِ من مشايخ جُبَّةٍ ... والَّلابسين لنا مُسُوْكَ الضَّانِ
غزووا الورى بالزِّيّ والسَّمت الذي ... يُخفي مخازي الجهل والعصيانِ
ورؤسُ سُوءٍ لا اهتمام بهم بديـ ... ـنٍ قام أو قد خرَّ للأذقانِ
ولربما أبدوا عنايتهم بهِ ... بسياسةٍ تخفى على الإنسانِ
تَعساً لمن أضحى يُتابِعُ قولَ من ... بخس الهُدى ومَزِيَّةُ الأذهانِ
تركوا هِداية ربّهم ورسولهم ... هذا وربِك غاية الخذلانِ
حُرِمُوا هِداية دينهم وُعُقولهم ... هذا وربك غاية الخُسرانِ
تركوا هِداية رابّهم فإذا بهم ... غرقى من الآراء في طوفانِ
وتفرَّقوا شيعاً بها عن نهجه ... من أجلها صاروا إلى شنآنِ
كُلٌ يرى رأياً وينصُرُ قوله ... ولهُ يعادي سائر الإخوانِ
جعلوا مذاهبهم مسيطرةً على ... فهم الحديث ومنزل القرآن ِ
ذادوا ذوي الألباب عن فقه الكتاب ... وفقهِ سُنَّةِ صاحب التِّبيانِ
وغدت شريعتنا بِمُوجب قولهم ... منسوخةً في هذه الأزمانِ
ما عندهم عندهم عند التناظر ... حُجَّةٌ أنَّى بها لِمُقلِّد حيرانِ
لا يفزعون إلى الدليل وإنما ... في العجز مَفْزِعُهُم إلى السلطانِ
لا عُجْب إذ ضلُّوا هِدايةَ دينهم ... أن يرجعوا للجهل والعصيانِ
ها قد غلوا في الأوليا وقبورهم ... أضحت يُحَجُّ لها من البلدانِ
وبنوا على تلك القبور مساجداً ... والنَّصُّ جاء لهم بلعن البانِ
وكذا عليها أسرجوا واللعن جا ... في الفعل ذا أيضاً مع البنيانِ
وكذاك قد صنعوا لها الأقفاص تُوْضع ... فوقها في غايةِ الإتقانِ
يكسونها بمطارفٍ منقوشةٍ ... قد كلفتهم باهظ الأثمانِ
بل عند رأس القبر تلقى نصبه ... قد عَمَّموْها عِمَّةَ الشَّخانِ
ودعوهموا شفعائهم أيضاً كما ... قد كان يزعم عابِدو الأوثانِ
وتمسحوا بقبورهم وستورهم ... وكذاك بالأقفاص والجدرانِ
ماعندهم هذا الخشوع إذا هُمُوْا ... صلُّوا لربّهم العظيم الشَّانِ
واستنجدوا بِهِموا لِمَا قد نابهم ... ناسين فاطر هذه الأكوانِ
فهُمُوا بِهذا الوجه قد زادوا على ... من أشركوا في غابر الأزمانِ
تركوا دُعاء الحي جلَّ جلالُهُ ... لِدُعاء أمواتٍ بِلا حُسبانِ
وكأنهم حُجَّاب رحمةِ ربهم ... هم قاسموها بينهم بوزانِ
ياقوم لاغوثٌ يكون مُغيثُكُم ... أن المُغيث الله للإنسانِ
ها أنتموا أشبهتموا من قبلكم ... في شركهم بعبادةِ الدَّيَّانِ
فإذا زعمتم أنَّهم شُفعآؤكم ... تتوسلون بهم إلى الرحمنِ
فالجاهلية كان هذا زعمهم ... أيضاً وقد نسبوا إلى الكفرانِ
هل ما فعلتم جاءَكم أمرٌ به ... من ربّكم عن صاحب التِّبيانِ
أو هل أتى من قُدوةٍ في الدين من ... صحب النَّبي وتابع الإحسانِ
وهُنا لكم عندي نصيحةٌ مُخلصٍ ... لا يمتري فيما يقول اثنانِ
أن تأخُذُوا بالاحتياط لأمركم ... قبل الخلود بموقد النيرانِ
إن كان ما تأتون ليس بواجبٍ ... والشركُ مخشيٌ لدى الإتيانِ
فالابتعادُ عن المخُوفِ مُقَدَّمٌ ... عقلاً على الأقدام للأنسانِ [1]

- فهو عاجز يعلم جيداً أنه لا يستطيع أن يُجادلك بالدليل فهو فقط يريد الهوى فيفزع إلى السلطان ويثلبك عرضك ومالك ويَشي بك. وهذا كلام بديع جداً من المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) فهذا واقع مُشاهد في عصرنا هناك أُناس نسأل الله (عَزَّوَجَلَّ) أن يردهم إلى الحق والصواب عندما يُخالفهم المرء في مسألة لإسهل شيء عنده أن يقول هذا يُشوش على الناس أو هذا مُفسد أو هذا جاهل أو هذا مبتدع ضال أو هذا خارجي أو هذا تكفيري أو غير ذلك. وإذا اشتدت المسألة ولا يستطيعون أن يُوقفوا هذا العالم فالأمر سهل وبسيط فكلمة أو كلمتان عند اهل النفوذ والسلطة فيُلقى به فيما يُلقى به وينتهي الأمر.

[1] راجع كتاب " مجموعة القصائد الزهديات" لأبي محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان.

- وهؤلاء يظنون أنهم يعملون للدين وهم أبعد ما يكونون عن العمل للدين. فلابد أن يأتي يوم ويُقتص من هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا لكثير من الناس الذين هم على الحق. وبعضهم يظن أنه يتقرب إلى الله (ﷻ) بذلك ويقسمون على ذلك وهذا القسم سيكون عليه وبالاً يوم القيامة.

2- قواعد العبادة (التوقيت: 46 دقيقة و59 ثانية)

وقوله : ﴿ وإياك نستعين﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها ، وقوله : ﴿اهدنا الصراط المستقيم ﴾ متضمن للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما اوسلوك طريق السالكين إلى الله .

فقول القلب : هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك .

وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعاء إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره .

وعمل القلب : كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه وإقراره والرضا به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والإخبات إليه والطمأنينة به ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضُها آكد من فروض أعمال الجوارح ومستحبُها إلى الله تعالى أحبُّ من مستحب أعمال الجوارح .

وأما أعمال الجوارح : فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك فقول العبد في صلاته :﴿إياك نعبد﴾ التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها .

- قال المصنف (رحمه الله): " واعلم أن العبادة أربع قواعد: وهي التحقيق بما يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويرضاه

وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح. فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع. فأصحاب العبادة حقا هم أصحابها.
فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله (ﷺ) عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك.
وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعاء إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره.
وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه وإقراره والرضا به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والإخبات إليه والطمأنينة ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح ومستحبها إلى الله تعالى أحب من مستحب أعمال الجوارح.
وأما أعمال الجوارح: فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك. فقول العبد في صلواته: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة: 5] التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها. وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5] طلب الإعانة عليها والتوفيق لها. وقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: 6] متضمنٌ للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين إلى الله تعالى".

- ختم المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) هذا الكتاب العظيم بمسألة من أعظم المسائل وهي مسألة الإيمان وقد سماها قواعد العبادة الأربعة وهي ترجع إلى مسألة الإيمان وتعريف الإيمان وما هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة وما هو الإيمان عند الطوائف الأخرى التي خالفت؟ وهو أمر مهم جداً وبديع منه أن يختم الكتاب بهذه المسألة.
- فحتى تتحقق العبادة فلابد من قواعد أربع وهي قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح وكلها تنصب في تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.
- والإيمان عند أهل السنة والجماعة هو قول وعمل وهو قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح وبعضهم يقول عمل القلب واللسان والجوارح وفي تعريف آخر هو قول وعمل ونية وعند اهل السنة والجماعة هناك تعريف مشتهر وهو أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان ولكن هذا التعريف فيه نقص بأنه أخرج عمل القلب فالاعتقاد بالجنان هو قول القلب فالأفضل أن يُقال إن الإيمان قول وعمل وهو قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح.
- ويظهر من هذا التعريف أنه لابد من قول اللسان وهو النطق بالشهادتين ويندرج تحته أعمال أخرى مثل الذكر وقراءة القرآن وغير ذلك. قول القلب هو أن تعتقد بقلبك وهذا هو الذي يُفرَّق بين المؤمن والمنافق فالمنافق يقول باللسان ولا يعتقد بالقلب فهو يبطن الكفر. وعمل القلب من الخشية والإنابة والخوف والرجاء وغير ذلك. وعمل الجوارح مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من الأعمال.
- واتفق الصحابة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) والتابعون (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) ومن بعدهم علماء أهل السنة أن الأعمال من الإيمان وأن تارك جنس العمل مطلقاً كافر فلا يُجزئ التصديق بالقلب والقول باللسان حتى يكون هناك عمل بالجوارح.
- وقد نقل الشافعي إجماع الصحابة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) والتابعين (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) على ذلك [1]. فلا يجزئ قول اللسان عن جنس عمل الجوارح

---

[1] ذكر اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في كتاب " أصول اعتقاد أهل السنة" وابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) في " مجموع الفتاوى" وعزاه إلى كتاب " الأم" للشافعي قول الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ): " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر". ولكن هذا الكلام غير موجود في النسخة المطبوعة. والرد على عدم وجود هذا النص في النسخة المطبوعة أن نفي ثبوت ما عزاه اللالكائيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) للشافعيّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) لمجرد عدم وجوده في المطبوع يتضمن رَمْيَ اللالكائيّ بالوهم بلا مستند فاللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) موصف بالفهم والحفظ والاتقان والضبط وَصَفَهُ بذٰلك الخطيب البغدادي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في تاريخه. وأورد قصة تدل علىٰ إتقانه وضبطه حدثه بها البَرْقاني (رَحِمَهُ اللَّهُ) وكانت بينه وبين اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) أعترض فيها اللالكائي على الحافظ أبي مسعود الدمشقي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في إسناد حديث في صحيح مسلم قال البرقاني (رَحِمَهُ اللَّهُ) في نهايتها: " فنظرت فإذا الأمر علىٰ ما قال" أي: كما قال اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ). ووَصَفَهُ بذٰلك أيضًا شجاع بن فارس الذهلي(رَحِمَهُ اللَّهُ) كما نقله عنه ابن نقطة الحنبلي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في التقييد. وكذلك أن الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) ألف كتبًا مستقلة لم يرتبها ترتيبًا محددًا ولم يجمعها بين دفتي كتاب حتىٰ جاء تلميذاه البويطي والربيع (رَحِمَهُمَا اللَّهُ) فرتباه على الكتب والأبواب والمسائل الفقهيه وألحقا النظير بنظيره والشبيه بالشبيه حتىٰ بدا الكتاب علىٰ ترتيب قريب من المطبوع الحالي - وهو الترتيب القديم - وكان هٰذا الترتيب فيه كثير من الارتجالية والتكرار مما حدا بسراج الدين البُلْقِيني (رَحِمَهُ اللَّهُ) أن يعيد ترتيب الكتاب علىٰ ترتيب وافق ترتيب المزني (رَحِمَهُ اللَّهُ) - صاحب الشافعي - في مختصره الذي أخذه عن الشافعي وهو الترتيب الذي طبع عليه كتاب الأم بطبعتيه: الأولىٰ ببولاق بمصر سنة 1321 هـ - وما تولد منها من طبعات مصورة - والثانية لدار الوفاء سنة 1422 هـ ولكن البلقيني (رَحِمَهُ اللَّهُ) عندما رتب الكتاب سقطت منه بعض الأبواب وبعض النصوص وإن كانت قليلة كما بين ذٰلك وحققه محقق طبعة دار الوفاء فكيف يحاسب اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) (ت 418 هـ) عند عدم الوقوف على النص الذي عزاه لكتاب الأم لترتيب البلقيني (رَحِمَهُ اللَّهُ) (ت 805 هـ) الذي سقط بعض الشيء منه؟!. وختام الأسباب - وهو أهمها في وجه نظري - أن النص الذي عزاه اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) لكتاب الأم في باب النية في الصلاة فيه احتجاجٌ للشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) بحديث عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مرفوعًا: " إنما الأعمال بالنية" وهٰذا الحديث ليس موجودًا في باب النية في الصلاة في طبعتي الكتاب وبدأ كلام الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في هٰذا الباب في الطبعتين بقوله: " فَرَضَ اللهُ عز وجل الصَّلَاةَ وَأَبَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَدَدَ كُلِّ وَاجِدَةٍ مِنْهُنَّ ....." وبدأ البيهقي (رَحِمَهُ اللَّهُ) (ت 458 هـ) هٰذا الباب في معرفة السنن والآثار وهو كتاب تخريج أحاديث كتاب الأم - بذكر حديث عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) مرفوعًا: " إنما الأعمال بالنيات" مما يؤكد وجود سقط في ترتيب البلقيني (رَحِمَهُ اللَّهُ) لكتاب الأم في هٰذا الباب. والصحابة ما عرّفوا الإيمان بأي تعريف لأن أسباب تعريفه - من الإرجاء وغيره - لم تظهر إلا بعد عصرهم. وأن التابعين ومن بعدهم ما عرّفوه إلا بقولهم: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. كما نُقل ذٰلك عن أئمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها. وأنهم ما قالوا: " لا يجزئ واحدٌ من الثلاثة إلا بالآخر وأنه لا يقبل إيمانُ أحدٍ إلا إذا استكمل الثلاثة". قلت: قد ثبت كما ترىٰ عن غير واحد أنه حكىٰ عن السلف الإجماع علىٰ أن الإيمان بلا عمل فقالوا: (لا يستقيم) كما حكاه الثوريُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن السلف أو (لا يجوز) كما حكاه الثوريُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن السلف أو (لا يكون) كما حكاه عن السلف ابنُ عيينة والمزني وابن أبي زيد القيرواني (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) أو (لا يُجزئ) كما حكاه عن السلف

وقول القلب فلا يجزئ ركن من هذه الأركان عن الآخر والمقصود بترك عمل الجوارح هو ترك الأعمال بالكلية.

- فإن اختل جنس من الأجناس الثلاثة فيخرج به من الإيمان. وهذا كلام مهم لأنه أشكالية كبيرة عند الطوائف وبعض أهل السنة تصدى لهذا الأمر وقال إن جنس العمل ليس من الإيمان. وهذا الكلام مخالف لأهل السنة والجماعة وهو قول للمرجئة كما سنبين.
- وقال الإمام الخلال (رَحِمَهُ اللَّهُ): " قال الحميدي: وأخبرت أن قوما يقولون: " إن من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئا حتى يموت أو يصلي مسند ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه إذا كان يقر الفروض واستقبال القبلة فقلت: هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وفعل المسلمين قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: 5]" [1].
- وهذا ملخصه عند بعض العوام أنهم يضربون على صدورهم ويقولون: " أنا قلبي مؤمن" وهم لا يصلون ولا يزكُّون ولا يفعلون شيء وهم يقرون بها فمثل هؤلاء لا يدخلون في الإيمان لأنهم تركوا جنس العمل بالكلية.
- وقال سفيان بن عيينة (رَحِمَهُ اللَّهُ) عندما سُئِلَ عن الإرجاء: " يقولون: الإيمان قول ونحن نقول: الإيمان قول وعمل والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم وليس بسواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر" [2].
- فالمرجئة قالوا إن ترك الفرائض ذنب مثل ركوب المحارم أي تزوج المحارم وليسوا سواء لأن ركوب المحارم حتى وإن عَلِمَ بأنه معصية فهو من الكبائر ولا يخرج بها من الإسلام حتى لو تعمَّد طالما ليس مستحلّاً لذلك وإن كانت كبيرة من الكبائر ولكنها معصية. أما من ترك الفرائض بالكلية فهو كفر من غير جهل ولا عذر فكيف يسوُّون بين ترك الفرائض وبين ركوب المحارم؟
- وقال إسحاق بن راهوية (رَحِمَهُ اللَّهُ): " غلت المرجئة حتى صار من قولهم أن قوما يقولون: من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها إنا لا نكفره يُرجأ أمره إلى الله بعد إذا هو مقر فهؤلاء الذين لا شك فيهم يعني في أنهم مرجئة" [3].
- فبيَّنت هذه الأقوال إن أهل السنة عندهم لابد من الجمع بين الأجناس الثلاثة وهم قول اللسان وقول وعمل القلب وعمل الجوارح وأما من أخرج الأعمال من الإيمان فيصير قوله إلى المرجئة.
- الإيمان لغة بمعنى التصديق والإقرار وكان من المفروض أن نُبيَّن هذا التعريف أولاً وشرعاً هو قول اللسان وقول وعمل القلب وعمل الجوارح.
- وقول اللسان كما قلنا هو النطق بالشهادتين وعمل القلب مثل الخوف والإنابة والخشية وغير ذلك وقول القلب الاعتقاد وعمل الجوارح من الأعمال التي تكلمنا عنها مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك.
- الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في هذا الكلام هم المرجئة والخوارج. والمرجئة على أربعة طوائف ولكن قبل أن ندخل في المخالفة لابد أن نُبيَّن من أين أتى الخلاف؟
- المشكلة عند من خالف أهل السنة والجماعة أن كل منهم نظر إلى الإيمان بعين عوراء كما يُقال. فهم قالوا بأن الإيمان مُرَّكب فإذا ذهب جزء من هذا الكل المُركَّب ذهب الكل.
- ولهذا قالوا إن من فعل الكبائر والمعاصي فعل عكس الإيمان فلما فعل عكس الإيمان تلاشى كله ولهذا قالوا فاعل الكبيرة يكفر.
- والأصل واحد عند كل هذه الطوائف ولكن الأصل خطأ. فالمرجئة نظروا إلى كلام الخوارج وقالوا لا يمكن أن نقول بأن الذي يفعل المعصية يخرج من الإيمان لأن الأدلة في القرآن والسنة تُبيَّن زيادة ونقصان الإيمان. ولهذا لابد أن نُخرج الأعمال من الإيمان ولا نجعلها داخلة في الإيمان لأن الأعمال تتفاوت فهناك من يعمل وهناك من لا يعمل. فحتى لا نخرج في الإشكالية التي وقع فيها الخوارج فقالوا مثل الخوارج أن الإيمان مُركَّب لكنه مُركَّب فقط من قول اللسان واعتقاد القلب والأعمال لا تدخل في الإيمان.
- فهم أرادوا أن يفرُّوا من مسألة تفاضل الأعمال من الذنوب والمعاصي التي قد تُلاشي الإيمان بالكليَّة فأخرجوا الأعمال من الإيمان وجعلوا الإيمان اعتقاد القلب وقول اللسان.
- أهل السنة والجماعة قالوا إن الإيمان مُركَّب ولكن هذا لا يعني أنه لو ذهب منه جزء يذهب بالكليَّة بل إذا ذهب جزء ينقص

الشافعيُّ والآجريُّ وابن بطة العكبريُّ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) أو (لا يُقبل) كما حكاه ابن بطة العكبريُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن السلف أو (لا ينفع) كما حكاه عن السلف ابنُ عيينة والحميديُّ والآجريُّ وابن بطة العكبريُّ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) أو هو (ذهاب الإيمان) كما حكاه أبو طالب المكيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن السلف. أو (هذا هو الكفر بالله) كما حكاه عن السلف الحميديُّ وأبو طالب المكي وابنُ تيمية (رَحِمَهُمُ اللَّهُ).

[1] راجع كتاب " السنة" لأبي بكر بن الخلال (رَحِمَهُ اللَّهُ).

[2] راجع كتاب " السنة" لعبد الله بن أحمد (رَحِمَهُ اللَّهُ).

[3] راجع كتاب " فتح الباري" لابن رجب (رَحِمَهُ اللَّهُ).

فقط وقد ينقص وينقص حتى يتلاشى وإذا رجع الجزء يزيد.

- ومن هنا نعلم لماذا قال الخوارج بأن مرتكب الكبيرة كافر لأنهم جعلوا الإيمان مُركَّب فإذا ذهب بعضه ذهب كله والمرجئة أخرجوا الأعمال من الإيمان ليفروا من قول الخوارج فهم يرون مثل الخوارج أن الإيمان مُركَّب فإذا ذهب بعضه ذهب كله فأخرجوا الأعمال من الإيمان وجعلوا الإيمان قول القلب واللسان لأن هذا لا يمكن أن ينقص ويزيد.
- وهذا الكلام الذي قالته المرجئة خطأ لأنه حتى قول القلب يزيد وينقص فليست الخشية والخوف والرجاء متساوي في قلوب الناس كلهم.
- والمرجئة الذين خالفوا على أربعة أقسام:

1- الجهمية

- وقد تعرضنا للجهمية في أكثر من شيء من قبل فتعرضنا لهم في الأسماء والصفات ومنهجهم فيها أنهم عطلوا الأسماء وعطلوا الصفات وهم جبرية في القدر والآن معنا الجبرية في مسألة الإيمان.
- فالإيمان عند الجهمية معرفة الرب بالقلب فقط فمن عرف الرب بالقلب فقط فهو مؤمن عندهم والكفر هو جهل القلب بالرب.
- وهذا الكلام باطل لأن معناه أن عندهم إبليس مؤمن لأن إبليس يعرف بأن الله هو الرب فقد قال ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الحجر: 36 & ص: 79] فهو عَلِمَ بقلبه بأن الله هو الرب وفرعون يعلم بأن الله رب كما قال موسى (عليه السلام) ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[الإسراء: 102] فبيَّن بأن فرعون يعلم بأن الله هو الرب.
- وكذلك أبو طالب مؤمن كما أنشد في أبيات الشعر فقال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة أو حذار مسبَّةٍ ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا [1]

- فهو عَلِمَ بأن دين محمد (صلى الله عليه وسلم) هو دين الحق لكن منعه من الإيمان الكبر هو الذي منعه من ترك دين الآباء.
- فمن قال بأن الإيمان معرفة الرب بالقلب فقط من أبطل الباطل لأنه جعلك تُدخل من عُلِمَ بكفرهم تصريحاً في الإيمان. وحتى قولهم بأن الجهل بالرب كفر فهم قد كفَّروا أنفسهم لأنهم جُهَّال بربهم.
- فالجهمية لهم اعتقادات خاطئة كثيرة منها الإرجاء فهم مرجئة في مسألة الإيمان فهم قالوا إن الإيمان معرفة الرب بالقلب فقط فلم يشترطوا قول اللسان ولا اعتقادات قلبية ولا قول القلب ولا عمل الجوارح. وهم في الأسماء والصفات مُعطِّلة وفي القدر هم جبرية.

2- الكرَّامية

- والطائفة الثانية هم الكرَّامية ومذهبهم في الإيمان هو النطق باللسان فقط فمن قال باللسان أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن عندهم وفساد هذا القول يظهر في أن هؤلاء مثل المنافقين فهم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويُبطنون الكفر فهم أدخلوا المنافقين في الإيمان فجعلوا المنافق مؤمناً.
- وعندهم تناقض آخر أنه إذا قال أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أصبح مؤمناً وإذا كذَّب بقلبه أصبح كافراً فنسألهم هل هو مؤمن أم كافر عندكم؟ فهو عندهم مؤمن باللسان وكافر في القلب فأين هو؟ وقف في المنتصف لا هو في الجنة ولا هو في النار.

3- الأشاعرة والماتريدية

- فلا يظن أحد أنه عندما نُقِلَ عن ابن تيمية (رحمه الله) انهم أقرب لأهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات أن هذا يُعمَّم على كل العقيدة [2] فقد ظن بعضهم أن الأشاعرة يدخلون في مذهب أهل السنة والجماعة وهم أبعد ما يكون عن ذلك فهم في القدر جبرية وهم في الإيمان مرجئة وهم في الأسماء والصفات مُعطِّلة حتى وإن أثبتوا سبع صفات فهم أيضاً مُعطِّلة لبقية الصفات وفي نظرية السبب والمُسبِّب يقولون بإلغاء الأسباب فالنار لا تحرق والأكل لا يُشبع والماء لا يروي فيفصلون بين السبب والمُسبِّب.
- نعم هم أقرب الفرق لنا في الأسماء والصفات ولكن اهل العلم وضعوهم من أصناف المُعطِّلة وإن كانوا ليسوا مُعطِّلة كاملة مثل الجهمية والمعتزلة لكنهم مُعطِّلة أيضاً لأنهم عطلوا الصفات الفعلية الاختيارية كلها التي ضابطها المشيئة إن شاء الله

---

[1] كذا جاءت أبيات أبي طالب في تفسير الواحدي والسمعاني والبغوي والنسفي والقرطبي وفي " التهذيب" و" لسان العرب" (مادة كفر) و " مجموع الفتاوى" و " مفتاح دار السعادة".

[2] راجع المحاضرة التاسعة عشر رقم (2) صـ 5.

(ﷻ) وإن شاء لم يفعلها [1] مثل المجيء والضحك وغير ذلك فإن شاء جاء وإن لم يشأ لم يجيء و إن شاء ضحك وإن لم يشأ لم يضحك.

- وقول إن الأشاعرة من أهل السنة والجماعة يُروَّج الآن لأنهم كما تعلمون يأتون بالماتريدية من تركيا والأشاعرة من عندنا ويقولون علينا أهل الحديث ويقولون إننا نحن الثلاثة أهل السنة والجماعة وهذا كلام خطأ [2] والماتريدية مثل الأشاعرة زادوا صفة فقط وأهل السنة والجماعة يخالفون الأشاعرة والماتريدية وهذا الخلاف يظهر كذلك في الإيمان.
- فالأشاعرة والماتريدية يقولون بأن الإيمان هو تصديق القلب فقط فإن صدَّقت بقلبك فأنت مؤمن ويقولون كذلك أنه لابد من قول اللسان ولابد من الأعمال حتى يخرجوا من قول الجهمية والكرَّامية ولكن قول اللسان والأعمال واجبان ولكنهما ليسا من الإيمان وهذا الكلام رواية عن أبي حنيفة (رحمه الله).
- وهم قالوا ذلك لأن الإيمان في اللغة هو التصديق والقرآن نزل باللغة العربية فغلَّبوا اللغة على الشرع مع أن الأصل أنك تأخذ بالتعريف الشرعي قبل التعريف اللغوي طالما الأمر يختص بالشرع.
- وهم قالوا إن الشهادة والأعمال وجوباً حتى يدخل في الإسلام وهناك فرق بين الإسلام والإيمان ولكنهما لا يدخلا في الإيمان.

4- مرجئة الفقهاء

- والطائفة الرابعة وهم مرجئة الفقهاء وسمُّوا بالفقهاء لأنها رواية عن أبي حنيفة (رحمه الله) ومذهب الأحناف وهم يقولون بأن الإيمان تصديق القلب وزادوا على الطائفة الثالثة إقرار (قول) اللسان فلابد عندهم بتصديق القلب وقول اللسان وأعمال الجوارح لا تدخل في الإيمان وهي واجبة ولكنها ليست من الإيمان.
- وهذا هو المشهور عند العوام فتجد العامي يضرب على قلبه ويقول إن قلبه مؤمن وهنا عَمَار وتجده لا يصلي ولا يركع ولا يصوم ويظن أن هذا من الإيمان وهذا انتكاس في الفطرة. فتجد المرأة الفسق والفحشاء والمنكر يخرج منها وفي النهاية تقول أنا مؤمنة وهذا الكلام المقصود به ليس العصاة ولكن تارك جنس العمل.
- فمرجئة الفقهاء يقولون إن أقرَّ بالأفعال ولم يفعلها فهو مؤمن ولكن عندنا أن من أقرَّ بالأفعال ولم يفعلها فهو ليس مؤمن فالإيمان قول اللسان وقول وعمل القلب **وعمل الجوارح ولابد أن تتحقق هذه الأربعة جميعاً حتى نقول بإيمان الشخص**.
- التفاضل في الأعمال من فعل الطاعات والمعاصي فهذا أمر آخر فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص.
- فتجد أن مرجئة الفقهاء يقولون إنه ليس هناك خلاف بينهم وبين أهل السنة فهم يقولون نحن نقول إن الإيمان تصديق بالقلب وقول اللسان وأن الأعمال واجبة وليست من الإيمان وأنتم قلتم إن الأعمال من الإيمان فالخلاف بيننا وبينكم لفظي.
- والمشكلة تظهر في الكفر فعندما نسألهم أين الكفر عندكم؟ فيقولون الكفر التكذيب فحصروا الكفر في التكذيب لأن الإيمان عندهم في التصديق فهنا يظهر الخلاف فالكفر عند أهل السنة والجماعة ليس تكذيباً فقط فالكفر قد يكون إعراض أو جحود أو تكذيب أو استكبار أو استحلال أو غير ذلك. فأنتم عندما جعلتم الإيمان تصديق لزمكم أنكم جعلتم الكفر تكذيب فمادمت لم تكذب وتقر فلا تكفر. ونحن عندنا ممكن أن تكفر بالجحود والاستكبار.
- وقد تكفر بالقول مثل سب الله (ﷻ) وسب الرسول (ﷺ). ولهذا تجد المرجئة يقولون إنه من سب الرسول لكنه غير معتقد فيه لا يكفر.
- ونحن نقول بأن تارك جنس العمل (لم يعمل قط أي عمل لله) كافر وليس فاعل الكبائر والمعاصي لأن هذا قول الخوارج. فمن جلس عمره كله لا يُصلِّي ولا يُزكِّي ولا يصوم وقال إن هذه الأعمال ليست من الإيمان فهو كافر.
- والمشكلة أن التكذيب أمر قلبي وبالتالي أنت لن تُكفِّر أحداً حتى تشق عن قلبه فتعلم هل هو أراد الكفر أم لم يريده. فلو أتى بأفعال الكفر وأقوال الكفر فعندهم لن تستطيع تُكفِّر أحداً حتى يجحد أمامك ويقول إنني اتعمد فعل ذلك وأنا أكفر واستحل وهذا لن تجده.
- وهذا معناه أن كل أنواع الكفر الثابتة في الكتاب والسنة وواردة في الآيات والأحاديث من قول كفر أو فعل كفر لا تصح عندهم. فول سجد لصنم فيقول المرجئة لابد أنه يكون معتقد بالقلب ويكذب بالله (ﷻ) وهو يقصد هذا.
- فقاتل المئة نفس قالوا إنه لم يفعل أعمال وهذا خطأ فهو هاجر إلى القرية وهذا فعل [3] والرجل قاتل مع النبي (ﷺ) فقاتل

---

[1] راجع المحاضرة الثالثة من شرح كتاب لمعة الاعتقاد للشيخ تحت عنوان الصفات الثبوتية والسلبية.

[2] ولقد رأينا وللأسف أنهم الآن أصبحوا يقولون إنهم هم أهل السنة والجماعة فقط دون غيرهم وهذه هي خطورة ضم أهل البدع تحت مُسمَّى أهل السنة والجماعة.

[3] وهذا كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال: " إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟" فقال: " لا" فقتله فكمَّل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: " إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟" فقال: " نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء" فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: " جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله" وقالت ملائكة العذاب: " **إنه لم يعمل خيرا قط**" فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: " قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة".

وقُتِلَ فقال فيه (ﷺ): "عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً" [1] فهو لم يسجد لله (ﷻ) ولكنه قاتل وكذلك حديث صاحب البطاقة وهي كلمة التوحيد وهذا عمل [2].

- وقد قال ابن تيمية (رحمه الله): " وكذلك لو قيل إن رجلاً يشهد أن محمداً رسول الله باطناً وظاهراً وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبة ولا رغبة يمتنع لأجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع أن يكون في الباطن يشهد أن محمداً رسول الله ولهذا كان القول الظاهر من الإيمان الذي لا نجاة للعبد إلا به عند عامة السلف والخلف من الأولين والآخرين إلا الجهمية" [3].
- فالباطن لابد أن ينضح على الظاهر. نعم هناك من يُصلِّي ويُقطِّع فليس هذا مبحثنا في باب الإيمان ولكن مبحثنا فيمن ترك الأعمال كلها.
- فمثلاً بلاد مثلا طجاكستان وغيرها تجدهم وُلِدوا مسلمين ولكنهم لا يفعلون شيئاً من أعمال الإسلام فمثل هؤلاء قد يظل طوال عمره هكذا ويموت على ذلك ويظن أنه مؤمن كما قالت المرجئة.
- ومرجئة الفقهاء لا يكفروا لأنهم قالوا إن الأعمال واجبة ولكنها ليست من الإيمان ولكن غيرهم من أقوال المرجئة فهذا يكفر.
- ومن يقول إن الإيمان شرط كمال وليس شرط صحة فهذا قول إرجاء وهذا ما يقول به مرجئة الفقهاء وهذا يخالف الإجماع الذي نقله الشافعي (رحمه الله). وقولهم في الإيمان يلزم منه عدم التكفير إلا بالتكذيب والجحود ولازم القول لا يكفر به صاحبه.
- والمشكلة في قول الإرجاء أن لازم قزله أن إيمان الفساق كإيمان أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) لأن الفسق أعمال مثل الزنى وشرب الخمر وغير ذلك فهي خارجة عن الأعمال عنده ولكنه قال الشهادتين وقلبه مُصدِّق بل إيمانه مثل إيمان جبريل وميكائيل وبقية الملائكة.
- وحتى قولهم بأن الإيمان تصديق القلب فيه إشكال بأنه حتى في تصديق القلب يختلف الناس فتصديق أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ليس مثل تصديق آحاد النس حتى لو أخرجت الأعمال بل إن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[البقرة: 260] واطمئنان القلب هو الوصول لعين اليقين. فعلى الرغم من أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) صاحب الملَّة الحنيفية وأصل الإيمان كله ولكنه قال ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أي يزيد الإيمان في قلبي.
- ولهذا كان قول المرجئة فيه بطلان من أكثر من وجه من ناحية الإيمان ومن ناحية الكفر وجعل الناس كلهم إيمانهم إيمان واحد.
- ولذلك تجد عندهم من داس المصحف بقدمه ليس بكافر لأن هذا عمل والكفر تكذيب فقط وسيقول لك نعم هو فعل فعل شنيع ولكنك لا تعرف ما في قلبه وهذا ليس دلالة على أن قلبه مُكذِّب وهذا للأسف وقع فيه علماء أفذاذ من أهل السنة وهم شيوخنا وعلمائنا وقال إنه من سب الرسول (ﷺ) لا يكفر إلا أن يعتقد ذلك وهذا القول قول إرجاء ولكن لا أقول على الشيخ أنه مُرجيء.وتجد مرجئة الفقهاء يقولون إن الخلاف بيننا وبينهم خلاف لفظي والحقيقة أنه ليس خلاف لفظ فلوازمه لوازم باطلة.
- وأبو بكر (رضي الله عنه) قاتل في حروب الردَّة صنفين من الناس وقيل حروب الردة تغليباً ولكن قتال مانعي الزكاة على الراجح وذلك لأنهم امتنعوا عن أداء الزكاة [4] لم يُقاتلهم لكفرهم وهناك من قاتلهم لكفرهم كمسيلمة وسجاح والطوائف التي أدَّعت النبوة فهذه الردَّة.

---

[1] وهذا كما في الحديث الذي رواه البخاري فقال: " حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا شبابة بن سوار الفزاري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء (رضي الله عنه) يقول: " أتى النبي (ﷺ) رجل مقنع بالحديد فقال: " يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟" قال: " أسلم ثم قاتل" فأسلم ثم قاتل فقتل فقال رسول الله (ﷺ): "عَمِلَ قليلاً وأُجِرَ كثيراً". (رجل) هو الأصرم عمرو بن ثابت الأشهلي (رضي الله عنه) (مقنع) وجهه مُغطًّى.

[2] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجة وابن حبان عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) والرواية لأحمد قال: " قال رسول الله (ﷺ): "إن الله (ﷻ) يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له: " أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟" قال: " لا يارب" فيقول: " ألك عذر أو حسنة؟" فيبهت الرجل فيقول: " لا يارب" فيقول: " بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك" فتخرج له بطاقة فيها " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله" فيقول: " أحضروه" فيقول: " يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟" فيقال: " إنك لا تظلم" قال: " فتُوضع السجلات في كفة" قال: " فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم". وصححه أحمد شاكر (رحمه الله) في تعليقه على الحديث في المسند وصححه شعيب الأرنؤوط (رحمه الله) في تعليقه على الحديث في سنن ابن ماجة و في تعليقه على الحديث في صحيح ابن حبان. والرد على استدلال المرجئة بهذا الحديث بأن في ألفاظ الحديث ما يُشعر بوجود العمل ففي رواية ابن ماجة: فيقول الله (ﷻ): " بلى إن لك عندنا **حسنات** وإنه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة " الحديث . فقوله (ﷻ): " وإن لك عندنا حسنات" يُشعر بوجود العمل ولعظم جنايات الرجل وكثرة سجلاته (تسعة وتسعون سجلاً) يتهيب أن يجيب ربه بنعم حين يسأله : " ألك عذر أو حسنة" فيهاب الرجل فيقول : "لا يا رب". وهذا الحديث فيه كلام كثير عند اهل العلم ويمكن أن يرجع من يشاء لكتب العلماء لمزيد من التفاصيل.

[3] راجع " مجموع الفتاوى" لابن تيمية (رحمه الله).

[4] المقصود بالامتناع هنا أنهم منعوا الزكاة وواجهوا الصحابة بالسلاح وكان منعهم للزكاة بسبب تأويل باطل وهو أنهم أولوا قوله (ﷻ):﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[التوبة: 103] بأنها كانت فقط تُعطى للنبي (ﷺ) فقالوا لفظ ﴿ خُذْ ﴾ تعود فقط على النبي (ﷺ) فهم أصبحوا بذلك بغاة لا مرتدين.

- ومن لوازم ذلك عند مرجئة الفقهاء وهم الأحناف أنهم منعوا الاستثناء في الإيمان وهو أن يقول أحدهم: " أنا مؤمن إن شاء الله" وقالوا إنه من استثنى في الإيمان يُسمَّى عندهم شكَّاك لأنه شكَّ فيكفر وقد قال (ﷻ): ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[الحجرات: 15].
- وأما عند أهل السنة والجماعة فالمسألة على التفصيل فقالوا إن قال: " أنا مؤمن إن شاء الله" شاكاً فهذا لا يصح بل يكفر ومن قال: " أنا مؤمن إن شاء الله" تبركاً باسم الله (ﷻ) فهذا ليس فيه شيء ومن قال: " أنا مؤمن إن شاء الله" على أنه لا يمكن لأحد أن يُحقِّق الإيمان الكامل وأن يفعل جميع الطاعات ويبعد عن المعاصي حتى لا يكون من باب تزكية النفس كما في قوله (ﷻ): ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[النجم: 32] فهذا ليس فيه شيء. ومن قال: " أنا مؤمن إن شاء الله" على أنه لا يعلم خاتمته فلا يعلم كيف سيكون فهذا يصح.
- وهنا لفتة جميلة وهي أنه عن الأحناف يقولون كما قلنا والشافعية يقول بالتفصيل الذي ذكرناه. فتجد في بعض كتب الحنفية أنهم قالوا أنه يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية قياساً على أهل الكتاب والحنفية لا تتزوج من شافعي [1] وهذا يلمز به الشافعية الأحناف فقهياً. وهذا الكلام لا يصح لأن المسألة على التفصيل.
- تطبيق هذا عملياً الآن من المعاصرين الذي يقول بأن الأعمال تخرج من الإيمان وأن الإيمان شرط كمال وليس شرط صحة فهذا يقول قول مرجئة الفقهاء فلا يصح أن يُقال أو يُنشر أو يُدرَّس ويُنصح الأخوة الذين يدينون بهذا الكلام أن يرجعوا إلى الحق وإن قاله من قاله فنقول كما قال ابن القيم (رحمه الله) في الإمام الهروي (رحمه الله): "شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه وكل من عدا المعصوم (ﷺ) فمأخوذ من قوله ومتروك ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نُبيّن ما فيه" [2] فالأصل أننا نحب في الله (ﷻ) ونبغض في الله (ﷻ) ولكن هذا للأسف لم يعد موجوداً فالمسألة ليست عاطفة وليست شيئاً آخر حتى لا يظن أحد أن المسألة لمز على أفراد أو أشخاص ومن أخطأ ندعو له بأن يرجع عن خطأه.
- فمن أخطأ لا نهد شخصه ولكننا نتكلم فقط عن المسائل التي يخطأ فيها ونُصوِّب ولكن الشخص لا نتعرض إليه فليس هناك في هذا الزمان جرح ولا تعديل فهذا يحتاج إلى مواصفات عزيزة غير موجودة الآن فنحن فقط نُبيِّن المسائل العلمية والأشخاص مرجعهم إلى الله (ﷻ) هو أعلم بهم فليس لنا أن نتلكم عن أحد.
- قال المصنف (رحمه الله): " والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً".
- ختم المصنف (رحمه الله) الكتاب بذلك استئناساً بقوله (ﷻ): ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الزمر: 75] وقوله (ﷻ): ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الصافات: 180-182] فمن الشرع أن يُختم العمل بالحمد ونحن نحمد الله (ﷻ) أن منَّ الله (ﷻ) علينا بالانتهاء من شرح هذا الكتاب الذي نسأل الله (ﷻ) أن نستفيد به ويكون فيه نفع للإخوة.

---

[1] في "البزازية" في كتاب النكاح عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل (رحمه الله): " من قال: أنا مؤمن إن شاء الله فهو كافرلا تجوز المناكحة معه". قال الشيخ أبو حفص (رحمه الله) في "فوائده": " لا ينبغي للحنفي أن يزوج بنته من رجل شفعوي المذهب وهكذا قال بعض مشايخنا ولكن يتزوج بنتهم. زاد "في البزازية" تنزيلا لهم منزلة أهل الكتاب. كذا في "البحر الرائق".

[2] راجع كتاب " مادرج السالكين" لابن القيم (رحمه الله).